

شَقَاشِقُ الْأَشْجَانِ
شَرْحُ

مَنْظُومَةُ عَقُودِ الْمَرْجَانِ



شَقَاشِقُ الْأَشْجَانِ

شَرْحُ

مِنْظُومَةِ عَقُودِ الْمَرْجَانِ

مُنْشَأَةٌ لِأَمِيرِ الْحِجَاةِ الْمُجَدِّدِ لِلدِّينِ

مُحَمَّدِ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنصُورِ الْمُؤَيَّدِ (ع)

(١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ)

تَأَلَّفَ

السَّيِّدُ الْعَبْدُ الْأَمِينُ الْمُجْتَهِدُ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَمْرٍو



مَكْتَبَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع)

صف وتحقيق وإخراج:



اليمن - صعدة - سيار (٧١٣٨٤٢٩٨٩)

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة أهل البيت (ع)



مقدمة مكتبة أهل البيت (ع)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين،
وبعد:

فاستجابة لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال ٢٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران ١٠٤]، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى ٢٣]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب ٣٣]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة ٥٥].

ولقول رسول الله ﷺ: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))، ولقوله ﷺ: ((أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهو))، ولقوله ﷺ: ((أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء))، ولقوله ﷺ: ((من سره أن يحيا حياتي؛ ويموت مماتي؛ ويسكن جنة عدن التي وعدني ربي؛ فليتول علياً وذريته من بعدي؛ وليتولّ وليه؛ وليقتد بأهل بيتي؛ فإنهم عترتي؛ خلّقوا من طيبتني؛ ورزقوا فهمي وعلمي)) الخبر، وقد بين ﷺ بأنهم: علي، وفاطمة، والحسن والحسين وذريتهما

عليه السلام - عندما جلّ لهم صلّى الله عليه وآله بكساء وقال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)).

استجابةً لذلك كلّ كان تأسيس مكتبة أهل البيت (ع).

ففي هذه المرحلة الحرجة من التاريخ؛ التي يتلقّى فيها مذهب أهل البيت (ع) مُثلاً في الزيدية، أنواع الهجمات الشرسة، رأينا المساهمة في نشر مذهب أهل البيت المطهرين صلّى الله عليهم عبر نشر ما خلفه أئمتهم الأطهار عليهم السلام وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم، وما ذلك إلا لثقتنا وقناعتنا بأن العقائد التي حملها أهل البيت عليهم السلام هي مراد الله تعالى في أرضه، ودينه القويم، وصراطه المستقيم، وهي تُعبّر عن نفسها عبر موافقتها للفطرة البشرية السليمة، ولما ورد في كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه صلّى الله عليه وآله.

واستجابةً من أهل البيت صلّى الله عليهم لأوامر الله تعالى، وشفقة منهم بأمة جدّهم صلّى الله عليه وآله، كان منهم تعميم هذه العقائد وترسيخها بدمائهم الزكية الطاهرة على مرور الأزمان، وفي كلّ مكان، ومن تأمل التاريخ وجدّهم قد ضحّوا بكل غالٍ ونفيس في سبيل الدفاع عنها وتثبيتها، ثائرين على العقائد الهدّامة، منادين بالتوحيد والعدالة، توحيد الله عزّ وجلّ وتنزيهه سبحانه وتعالى، والإيمان بصدق وعده ووعدته، والرضا بخيرته من خلقه.

ولأن مذهبهم صلّى الله عليهم دين الله تعالى وشرّعه، ومرادُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وإرثه، فهو باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وما ذلك إلا مصداق قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: ((إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)).

قال والدنا الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد المؤيدي (ع): (واعلم أن الله جلّ جلاله لم يرتض لعباده إلا ديناً قوياً، وصراطاً مستقيماً، وسبيلاً واحداً، وطريقاً قاسطاً، وكفى بقوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام ١٥٣].

وقد علمت أن دين الله لا يكون تابعاً للأهواء: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [المؤمنون ٧١]، ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس ٣٢]، ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى ٢١].

وقد خاطب سيّد رسله ﷺ بقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [١١٢] وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود]، مع أنه ﷺ ومن معه من أهل بدر، فتدبر واعتبر إن كنت من ذوي الاعتبار، فإذا أحطت علماً بذلك، وعقلت عن الله وعن رسوله ما ألزمتك في تلك المسالك، علمت أنه يتحتم عليك عرفان الحق واتباعه، وموالاته أهله، والكون معهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة ١١٩]، ومفارقة الباطل واتباعه، ومباينتهم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة ٥١]، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة ٢٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ﴾ [الممتحنة ١]، في آيات

تُتلى، وأخبار تُتلى، ولن تتمكن من معرفة الحق وأهله إلا بالاعتماد على حجج الله الواضحة، وبراهينه البيّنة اللائحة، التي هدى الخلق بها إلى الحق، غير معرّج على هوى، ولا ملتفت إلى جدال ولا مراء، ولا مبال بمذهب، ولا محام عن منصب، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥] (١).

وقد صدرَ بحمد الله تعالى عن مكتبة أهل البيت (ع):

- ١- الشافعي، تأليف/ الإمام الحجة عبد الله بن حمزة (ع) ٦١٤ هـ، مذيلاً بالتعليق الوافي في تخرّيج أحاديث الشافعي، تأليف السيد العلامة نجم العترة الطاهرة/ الحسن بن الحسين بن محمد رحمتهما الله تعالى ١٣٨٨ هـ.
- ٢- مَطْلَعُ الْبُدُورِ وَمَجْمَعُ الْبُحُورِ في تراجم رجال الزيدية، تأليف/ القاضي العلامة المؤرّخ شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال رحمتهما الله تعالى، ١٠٢٩ هـ - ١٠٩٢ هـ.
- ٣- مَطَالِيعُ الْأَنْوَارِ وَمَشَارِقُ الشُّمُوسِ وَالْأَقْمَارِ - ديوان الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (ع) - ٦١٤ هـ.
- ٤- مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني (ع) ٣٧٦ هـ - ٤٠٤ هـ.
- ٥- مَحَاسِنُ الْأَزْهَارِ فِي تَفْصِيلِ مَنَاقِبِ الْعِتْرَةِ الْأَطْهَارِ، شرح القصيدة التي نظمها الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (ع)، تأليف/ الفقيه العلامة الشهيد حميد بن أحمد المحلّي الهمداني الوادعي رحمتهما الله تعالى - ٦٥٢ هـ.
- ٦- مجموع السيد حميدان، تأليف/ السيد العالم نور الدين أبي عبد الله حميدان بن يحيى

بن حميدان القاسمي الحسني رضي الله تعالى عنه.

٧- السفينة المنجية في مستخلص المرفوع من الأدعية، تأليف/ الإمام أحمد بن

هاشم (ع) - ت ١٢٦٩ هـ.

٨- لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار وتراجم أولي العلم والأنظار، تأليف/ الإمام

الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع) ١٣٣٢ هـ - ١٤٢٨ هـ.

٩- مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم أمير المؤمنين زيد بن علي (ع)، تأليف/ الإمام

الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ٧٥ هـ - ١٢٢ هـ.

١٠- شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة، تأليف/ الإمام الحجة عبد الله بن

حمزة (ع) - ت ٦١٤ هـ.

١١- صفوة الاختيار في أصول الفقه، تأليف/ الإمام الحجة عبد الله بن

حمزة (ع) ت ٦١٤ هـ.

١٢- المختار من صحيح الأحاديث والآثار من كتب الأئمة الأطهار وشيعتهم الأخيار،

لِمُخْتَصِرِهِ/ السيّد العلامة محمد بن يحيى بن الحسين بن محمد حفظه الله تعالى،

اختصره من الصحيح المختار للسيّد العلامة/ محمد بن حسن العجري رحمته الله تعالى.

١٣- هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين، تأليف/ السيّد الإمام الهادي بن

إبراهيم الوزير (ع) - ت ٨٢٢ هـ.

١٤- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، تأليف/ الإمام أبي طالب يحيى بن

الحسين الهاروني (ع) - ٤٢٤ هـ.

١٥- المنير - على مذهب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (ع)

تأليف/ أحمد بن موسى الطبري رضي الله عنه.

١٦- نهاية التنويه في إزهاق التمويه، تأليف السيد الإمام/ الهادي بن إبراهيم الوزير(ع)
- ٨٢٢هـ.

١٧- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، تأليف/ الحاكم الجشمي المحسن بن محمد بن
كرامة رحمته الله - ٤٩٤هـ.

١٨- عيون المختار من فنون الأشعار والآثار، تأليف الإمام الحجة/ مجد الدين بن
محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

١٩- أخبار فح وخبر يحيى بن عبد الله (ع) وأخيه إدريس بن عبد الله(ع)،
تأليف/ أحمد بن سهل الرازي رحمته الله.

٢٠- الوافد على العالم، تأليف/ الإمام نجم آل الرسول القاسم بن
إبراهيم الرسي(ع) - ٢٤٦هـ.

٢١- الهجرة والوصية، تأليف/ الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي(ع).

٢٢- الجامعة المهمة في أسانيد كتب الأئمة، تأليف/ الإمام الحجة مجد الدين بن
محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٣- المختصر المفيد فيما لا يجوز الإخلال به لكل مكلف من العبيد، تأليف/ القاضي
العلامة أحمد بن إسماعيل العلفي رضي الله عنه ت ١٢٨٢هـ.

٢٤- خمسون خطبة للجمع والأعياد.

٢٥- رسالة الثبات فيما على البنين والبنات، تأليف/ الإمام الحجة
عبد الله بن حمزة(ع) ت ٦١٤هـ.

- ٢٦- الرسالة الصاعدة بالدليل في الرد على صاحب التبديع والتضليل، تأليف/ الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع) ١٣٣٢ هـ - ١٤٢٨ هـ.
- ٢٧- إيضاح الدلالة في تحقيق أحكام العدالة، تأليف/ الإمام الحجة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع) ١٣٣٢ هـ - ١٤٢٨ هـ.
- ٢٨- الحجج المنيرة على الأصول الخطيرة، تأليف/ الإمام الحجة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع) ١٣٣٢ هـ - ١٤٢٨ هـ.
- ٢٩- النور الساطع، تأليف/ الإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي (ع) ١٣٤٣ هـ.
- ٣٠- سبيل الرشاد إلى معرفة ربّ العباد، تأليف/ السيد العلامة محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد (ع) ١٠١٠ هـ - ١٠٧٩ هـ.
- ٣١- الجواب الكاشف للالتباس عن مسائل الإفريقي إلياس - ويلييه/ الجواب الراقي على مسائل العراقي، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد (ع) (١٣٥٨ هـ - ١٤٣٥ هـ).
- ٣٢- أصول الدين، تأليف/ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ع) ٢٤٥ هـ - ٢٩٨ هـ.
- ٣٣- الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة، تأليف/ القاضي العلامة عبد الله بن زيد العنسي (رحمته الله) - ٦٦٧ هـ.
- ٣٤- العقد الثمين في معرفة رب العالمين، تأليف الأمير الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد (ع) ٦٦٣ هـ.
- ٣٥- الكامل المنير في إثبات ولاية أمير المؤمنين (ع)، تأليف/ الإمام القاسم بن إبراهيم

الرسي (ع) ٢٤٦هـ.

٣٦- كتابُ التَّخْرِيرِ، تأليف/ الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني (ع) - ٤٢٤هـ.

٣٧- مجموع فتاوى الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني (ع) ١٣١٩هـ.

٣٨- القول السديد شرح منظومة هداية الرشيد، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد (ع) (١٣٥٨هـ - ١٤٣٥هـ).

٣٩- قصد السبيل إلى معرفة الجليل، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبد الله عوض حفظه الله تعالى.

٤٠- نظرات في ملامح المذهب الزيدي وخصائصه، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبد الله عوض حفظه الله تعالى.

٤١- معارج المتقين من أدعية سيد المرسلين، جمعه السيد العلامة/ محمد بن عبد الله عوض حفظه الله تعالى.

٤٢- الاختيارات المؤيَّدة، من فتاوى واختيارات وأقوال وفوائد الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع)، (١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ).

٤٣- من ثمار العِلْم والحكمة (فتاوى وفوائد)، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبد الله عوض حفظه الله تعالى.

٤٤- التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية، تأليف الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد المؤيدي (ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٤٥- المنهج الأقوم في الرَّفْع والضَّم والجَهْر بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وإثبات حيِّ عَلَى

خَيْرِ الْعَمَلِ فِي التَّائِذِينَ، وغير ذلك من الفوائد التي بها النَّفْعُ الْأَعْمُ، تأليف/ الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع).

٤٦- الأساس لعقائد الأكياس، تأليف/ الإمام القاسم بن محمد (ع).

٤٧- البلاغ الناهي عن الغناء وآلات الملاهي. تأليف الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد المؤيدي (ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٤٨- الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (ع) ٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ.

٤٩- المختار من (كنز الرشاد وزاد المعاد، تأليف/ الإمام عز الدين بن الحسن (ع) ت ٩٠٠هـ).

٥٠- شفاء غليل السائل عما تحمله الكافل، تأليف/ العلامة الفاضل: علي بن صلاح بن علي بن محمد الطبري.

٥١- الفقه القرآني، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبد الله عوض حفظه الله تعالى.

٥٢- تعليم الحروف.

٥٣- سلسلة تعليم القراءة والكتابة للطلبة المبتدئين/ الجزء الأول الحروف الهجائية.

٥٤- سلسلة تعليم مبادئ الحساب/ الجزء الأول الأعداد الحسابية من (١ إلى ١٠).

٥٥- تسهيل التسهيل على متن الأجرومية.

٥٦- أزهار وأثمار من حقائق الحكمة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام، تأليف السيد العلامة/ محمد عبد الله عوض حفظه الله تعالى.

٥٧- متن الكافل بنيل السؤال في علم الأصول، تأليف/ العلامة محمد بن يحيى

بهران (ت: ٩٥٧هـ).

٥٨- الموعظة الحسنة، تأليف/ الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني (ع) - ١٣١٩هـ.

٥٩- أسئلة ومواضيع هامة خاصة بالنساء، تأليف السيد العلامة/ محمد عبد الله عوض حفظه الله تعالى.

٦٠- المفاتيح لما استغلق من أبواب البلاغة وقواعد الاستنباط، تأليف السيد العلامة/ محمد عبد الله عوض حفظه الله تعالى.

٦١- سلسلة تعليم القراءة والكتابة للطلبة المبتدئين/ الجزء الثاني الحركات وتركيب الكلمات.

٦٢- سلسلة تعليم مبادئ الحساب/ الأعداد الحسابية الجزء الثاني.

٦٣- المركب النفيس إلى أدلة التنزيه والتقديس، تأليف السيد العلامة/ محمد عبد الله عوض حفظه الله تعالى.

٦٤- المناهل الصافية شرح المقدمة الشافية، تأليف/ العلامة لطف الله بن محمد الغياث الظفيري، ت ١٠٣٥هـ.

٦٥- الكاشف لذوي العقول عن وجوه معاني الكافل بنيل السؤل، تأليف/ السيد العلامة أحمد بن محمد لقمان، ت ١٠٣٧هـ.

٦٦- الأنوار الهادية لذوي العقول إلى معرفة مقاصد الكافل بنيل السؤل، تأليف/ الفقيه العلامة أحمد بن يحيى حابس الصعدي، ت ١٠٦١هـ.

٦٧- مجمع الفوائد المشتمل على بغية الرائد وضالة الناشد، تأليف الإمام الحجّة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٦٨- كتاب الحجّ والعمرة، تأليف الإمام الحجّة/ مجد الدين بن محمد بن منصور

المؤيدي (ع) ١٣٣٢ هـ - ١٤٢٨ هـ.

٦٩- المسطور في سيرة العالم المشهور، تأليف السيد العلامة/ محمد عبد الله عوض حفظه الله تعالى.

٧٠- محاضرات رمضانية في تقريب معاني الآيات القرآنية، تأليف السيد العلامة/ محمد عبد الله عوض حفظه الله تعالى.

٧١- زبر من الفوائد القرآنية ونوادر من الفرائد والقلائد الربانية، تأليف السيد العلامة/ محمد عبد الله عوض حفظه الله تعالى.

٧٢- المنتزع المختار من الغيث المدرار المعروف بشرح الأزهار، تأليف العلامة عبد الله بن مفتاح رحمه الله تعالى.

٧٣- متن غاية السؤل في علم الأصول للسيد العلامة الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (ع) ت (١٠٥٠ هـ).

٧٤- درر الفرائد في خطب المساجد، تأليف السيد العلامة عبد الله بن صلاح العجري رحمه الله تعالى.

٧٥- الكاشف الأمين عن جواهر العقد الثمين، تأليف الفقيه العلامة محمد بن يحيى مداعس (ت ١٣٥١ هـ).

٧٦- عدة الأكياس المنتزع من شفاء صدور الناس في شرح معاني الأساس، تأليف السيد العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي القاسمي رحمه الله تعالى (٩٧٥ هـ - ١٠٥٥ هـ).

٧٧- معيار أغوار الأفهام في الكشف عن مناسبات الأحكام، تأليف الفقيه العلامة عبد الله بن محمد النجري (٨٢٥ هـ - ٨٧٧ هـ).

٧٨- البيان الشافي المنتزع من البرهان الكافي، تأليف الفقيه العلامة عماد الدين يحيى بن أحمد بن مظفر ت (٨٧٥هـ).

٧٩- أثمار الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، تأليف الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى المرتضى عليه السلام (٨٧٨هـ - ٩٦٥هـ).

٨٠- مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام، (٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ).

٨١- شقاشق الأشجان، تأليف السيد العلامة المجتهد/ محمد بن عبد الله عوض حفظه الله تعالى.

وهناك الكثير الطيب في طريقه للخروج إلى النور إن شاء الله تعالى، نسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق.

ونتقدم في هذه العجالة بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذا العمل الجليل إلى النور -وهم كثر- نسأل الله أن يكتب ذلك للجميع في ميزان الحسنات، وأن يجزل لهم الأجر والمثوبة.

وختاماً نتشرف بإهداء هذا العمل المتواضع إلى روح مولانا الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي -سلام الله تعالى عليه ورضوانه- باعثة كنوز أهل البيت (ع) ومفاخرهم، وصاحب الفضل في نشر تراث أهل البيت (ع) وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم.

وأدعو الله تعالى بما دعا به (ع) فأقول: اللهم صل على محمد وآله، وأتمم علينا نعمتك في الدارين، واكتب لنا رحمتك التي تكتبها لعبادك المتقين؛ اللهم علمنا ما ينفعنا،

وانفعنا بما علمتنا، واجعلنا هداة مهتدين؛ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر]، نرجو الله التوفيق إلى أقوم طريق بفضلته وكرمه، والله أسأل أن يصلح العمل ليكون من السعي المتقبل، وأن يتداركنا برحمته يوم القيام، وأن يختم لنا ولكافة المؤمنين بحسن الختام، إنه ولي الإجابة، وإليه منتهى الأمل والإصابة، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف ١٥].

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

مدير المكتبة/

إبراهيم بن مجد الدين بن محمد المؤيدي

مقدمة التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وعلى نبينا الكريم، محمد بن عبد الله الهادي إلى الصراط المستقيم، أزكى وأنمى وأكرم الصلاة والتسليم، وعلى آله حماة الدين القويم، كريم التحيات والتعظيم، وشريف التبجيل والتكريم،
وبعد:

فيسرنا -أخي القارئ الحصيف- أن نقدم لك هذا الكتاب الكريم، والسفر النفيس القويم، المطابق لاسمه، ولما حواه رسمه، من المعاني العظيمة، والمفاهيم السليمة، والأفكار السديدة، والتحليلات الرشيدة، لِحَقِّبِ من الزمان متواليه، وفترات متعاقبة، الموسوم بـ(شقاشق الأشجان شرح منظومة عقود المرجان)، والذي هو بحق آياتٌ للسائلين، ومنازةٌ هدى للمتأملين، وضالة مفقودة للمتوسمين، من ذوي العقول والألباب، ومحكمي نصوص السنة والكتاب، الذين لم يقربوا أبواب السلاطين، ولم يتدنسوا بالوقوف في جانب المتغلبين، ولم يلووا على الأهواء، أو يرجحوا طاعة الأسلاف والكبراء، ولم يرهم الباري تبارك وتعالى محامين عن منصب، أو متلفعين بجلباب تعسف أو تعصب، بل حموا أنفسهم وحصنوها عن هذه الأدواء وما شاكلها، مما يصرف الإنسان عن اتباع الحق والمحقين، والانخراط في سبيل الصادقين، وهؤلاء هم المعنيون بهذا الخطاب، وأما غيرهم فنقول لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾، وإن كانوا أكثر الخلق خصوصاً في هذا الزمان الذي مال أهله إلى الدنيا، وطغى عليهم التقرب من أربابها، والتكالب على حطامها، ومحبة التروؤس على العباد، والتعالي على حاضرهم والباد، كما صور ذلك

مولانا مؤلف هذا الشرح النفيس حجة العصر، ودرة الدهر، العلامة العبقري،
قاموس أهل البيت المحمدي: محمد بن عبد الله عوض المؤيدي، أيداه الله
بتأييده، وسربله بالطفاف عافيته وتسديده في قوله:

استهوت الناس دنياهم وزينتها واستعظموها ومالوا حيثما مالت
صارت لهم قبلة خرواً لهيبتها أعناقهم قد رأينا نحوها امتدت
الأمر والنهي بالدنيا أزمتهما فالحكم ما حكمت والأمر ما أمرت
وكما قال غيره:

رأت عيني المسوس وذا السياسة فلم يُخط العيان ولا الفراسه
ولم أر هالكاً في الناس إلا وباب هلاكه حبُّ الرياسه
ومن عجيب الاتفاق أن يصدر هذا الكتاب النفيس -والذي كان من أعظم أهدافه
نصرة مذهب أهل البيت، المذهب الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ، وبيان
حدوث المذاهب الزائفة، والطرائق الضالة، وما للدول الظالمة أمثال الأموية
والعباسية من أثر في صناعة تلك المذاهب، وحمل الناس على تلك الأفكار التي ما
أنزل الله بها من سلطان، وذلك يكفي في ضلالها وانحرافها عن المنهج السوي،
والطريق الرضي، الذي سلكه النبي، وسار عليه الوصي، وسائر الصالحين من
الصحابة، وانتهجه جميع القراة- في هذا الزمان العجيب، والوقت العصيب، الذي
يتلقى فيه هذا المذهب الحق (مذهب الزيدية) أشدَّ وأعظم، وأنكى وأظلم الهجمات
الشرسة، والضربات القاسية، من أرباب الكفر على اختلاف ملله، وبعض متحلي
الإسلام من الفرق الضالة التي وقعت بين الإفراط والتفريط، والتي لم يُر مثيل
لتلك الهجمات على الإطلاق في تاريخ الطائفة الزيدية، والفرقة الناجية المرضية، كما

حكى ذلك مولانا الشارح أيده الله بتأييده، حتى وصل الحال ببعض أهل الجهل الذين لا يفقهون هذه الهجمات إلى الترويج لهذه الفرق المنحرفة تارةً والتنكُّر لمبادئ هذا المذهب الشريف تارةً أخرى، والاستهزاء برموزه وأعلامه الذين ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين تارةً ثالثة، واتهامه بالانحراف والاعوجاج، والخلط في الطريقة والمنهاج تارةً رابعةً - لا قوة إلا بالله -.

هذا مع اعتراف الجميع بمضمون الحديث المتواتر: ((لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)) وصدق خير: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يقاتل آخرهم الدجال)) في الزيدية، وكذا كونهم سفينة نوح في كل زمان، وطلوع نجم هادٍ منهم كلما أفل نجمٌ بادٍ، وأنه لا يخلو زمان من وجود حجةٍ هادية، من أعلام الذرية المباركة، إما بطلاً هصوراً ظاهراً مشهوراً، أو مرشداً غيوراً، خائفاً مغموراً، كما في كلام الإمام إمام الكلام، المبين للأمة ما اختلفوا فيه بعد سيد الأنام، عليٍّ عليه السلام: (اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة؛ إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً .. إلخ) وقد تحقق إجماع أهل البيت الطاهرين على هذا المفهوم، فالمشكك فيه جاهل ملوم، وهذا عارضٌ، وعند الله تجتمع الخصوم.

نعم، وسيجد المطلع على هذا الشرح النفيس مصداقيةً هذا فيما سيقراه في طيَّاته، ويتنسمه من رحيق ثماره، وسينبهر أيضاً بغيره من المفاهيم الصحيحة، والأفكار الصائبة المليحة، التي اشتمل عليها هذا الشرح والمنظومة المشروحة التي ترك الحكمَ فيها للقارئ الفهيم، والمطلع ذي اللبِّ السليم حين يقرأها بنفسه، ويتفهمها بذوقه وحسِّه، لئلا نطيل عليه، أو نحصل له ما هو حاصلٌ لديه.

وماذا عسانا أن نقول في المنظومة الأصل (عقود المرجان) وناظم عقودها، وسابك ألفاظها ومعانيها، وحابك مبانيها، من لا يشق له غبار، ولا يلحق في مضمار، مولانا الإمام الحجة المجدد للدين المدافع عن شريعة سيد المرسلين والقامع لبدع المبتدعين، الذي أنفق عمره كله، وأنفذ بحق جميع وقته في بيان الحق والمحقين، ودحض شبه المبطلين، وتقطعت نياط قلبه شفقة على هذه الأمة، ورأفة بها أن تخطئ الطريق ورحمة، ربّ الفصاحة والبلاغة ومالك زمامها، ورُبّان سفيتها: أبو الحسين مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي عليه من ربه السلام الأبدي، والذي يعدّ تعريفنا به نقصاً في حقه كما قال القائل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا
ولقد صدق فيه قول الشاعر:

إذا كان فضل المرء في الناس ظاهراً فليس بمحتاج إلى كثرة الوصف
هذا، وقد احتذى مولانا الشارح لهذه المنظومة حذو شيخه وإمامه، واقتدى بسلفه ونجم زمانه، البحر الخضمّ، والطود الأشم، جامع شتات المحامد عن يد، مولانا مجد الدين بن محمد، في أرجوزة قصيرة، ومنظومة يسيرة، في تعداد ملوك العباسيين ليسهل على الطالب حفظهم، ويتيسر له ترتيبهم حسب أزمانهم، حيث قال حفظه الله ورعاه، ومن كل الأسواء والمكاره وقاه، (مجزوء الوافر):

أتى السفاح فالمنصو	رفالمهدي على الأثر
فهاديهم فهارون	وسمى ابنه للفخر
أميناً ثم مأموناً	وفاز الثان بالظفر
فمعتصم وواثقهم	تلاهم حارث القبر

أتى الأتراك من بعد
ولم يدعوا على السلط
فمنتصراً أتى والمسـ
فمعتزّ تلاه المهـ
فمعتمد فمعتضد
تلاه المكتفي عن ربـ
فمقتدر أتى فالقـ
فراض بالحنى فالمتـ
فمستكف أتى ثم الـ
فقادرهم أتى فالقـ
تلاه المقتدي في السكـ
وبعد المقتدي المستظـ
تولى بعده المستر
وجاءوا بعده بالرا
وجاء المقتفي من بعـ
وبعد المقتفي المستنـ
تلاه المستضي زوراً
فظاهرهم مع مستنـ
بقية ملكهم سلبت
فماج الغزو مكتسحاً
نهاية من طغى دوماً
فيا عجباً لمن أضحى

فكانوا ساسة الأمر
ان غير الاسم والتبر
تعيّن بشارب الخمر
تدي للوصل والهجر
بغير القاهر البر
ه المنان ذي البر
هر الأيتام في اليسر
قي المعروف ذو النكر
مطيع فطائع الفجر
ثم المحجور في القصر
ر محجوباً عن الأمر
هر المنبوذ في الحجر
شد المقتول بالغدر
شد المخلوع بالقهر
د في الإيوان والقصر
جد الوالي على الإثر
فناصرهم على الشر
صر بالترك والغجر
مع المستعصم الغمر
لكل الدور بالقسر
بخزي ثم في الجمر
بليداً تاه لا يدري

وصلى ربنا أبداً بتسليم مدى الدهر
على المختار من مضرٍ مع الآل ذوي الأمر

نعم، وقد نبه الشارح حفظه الله على أن هذه النسخة هي المعتمدة فقط دون المصفوفات السابقة؛ إذ حظيت هذه النسخة المباركة بالإصلاح والتنقيح والزيادة والتعليح، وروجعت مراراً، وأمرنا بتحرير هذا التنبيه جهاراً، فجزى الله المؤلف عنا خير الجزاء، وضاعف له الثواب والعطاء، وأعلى في الدارين مقامه، وبلغه منتهى سؤله ومرامه.

هذا وقد جادت القريحة بشيء بسيط من النظم الركيك مما يشبه الشعر قلناه كتقريض لهذا الشرح النفيس، وإن كان لا يفي ببعض حقه، وما اشتمل عليه من المؤهلات، وما ضمته دفتاه من الحقائق التاريخية، والمفاهيم الصحيحة الزكية، وغيرها من البيانات القوية، ولا يقوم بمعشار حَقِّي الشارح والناظم عليهما سلام الحي الدائم، ولكن جرياً على عادة الأصحاب، وما استحسنته المحققون من ذوي الألباب، وإن كان الجناح مهبطاً، والقدم كسيراً، والبضاعة نزرأً يسيراً، فقلت مستعيناً بالحي القيوم:

رَوْضُ فَوَادِكْ وَلَتَبُحُّ أَشْجَانُهُ	بَشَقَاشِقٍ عَمَّا حَوَاهُ جَنَانُهُ
حَلَلْتُ عَقُوداً مِنْ كَرِيمِ حَجَارِهَا	فَالدَّرُ مَنْشُورٌ بِدَا مَرْجَانُهُ
ثُمَّ الرَّبْرِجْدُ وَالزَّمْرُدُ قَدْ جَرَى	بِحَرٍّ يَهِيحُ بِمَوْجِهِ فَيضَانُهُ
مَدّاً وَجَزْراً قَاذِفاً بِجَسَانِهَا	وَبَعْقَرِيٍّ قَدْ أَضَا لِمَعَانُهُ
وَكَذَا الْعَقِيقُ الْفَذُّ لَبُّ فُصُوصِهَا	فِي خَيْطِ تَبْرِ نُظِّمَتْ عِقْيَانُهُ
سَبْحَانَ رَبِّي حِينَ هِيَ صَائِغاً	نَظَّمَ الْعُقُودَ وَأَحْكَمْتُهُ بِنَانُهُ

إيجاز (فصل) فصوصها تبيانُهُ
 ثم (استعارتُهُ) أصاغَ (بيانُهُ)
 ترقى ببرجٍ قد علا (كيوانُهُ)
 بل قد تفهَّقَ عندها (سحبانُهُ)
 ما اسطاعَهُ (الفيشيُّ) تاهَ جَنانُهُ
 جوداً وعلماً قد هَمَى هَتانُهُ
 كالليثِ يزأُرُ إن بدا خَوَانُهُ
 ما بينَ نصبٍ قد طغى غليانُهُ
 ثوبَ التشيعِ شابهَ روغانُهُ
 بصقيلِ حجتِه علا برهانُهُ
 للحق صار مُشيداً أركانُهُ
 للالٍ قد كان امَّحى عنوانُهُ
 عذاباً زلاً لا يرتوي ظمآنُهُ
 نِعَمَ الإمامِ إذا دعا دِيانُهُ
 صدَقَتِ فراستُكُمُ علا بنيانُهُ
 بل عيُنُ مقلَّتِه كذاك كيانهُ
 رَبَّانُ هذا العصرِ بل وأمانُهُ
 حِكْماً وعلماً يزدهي عرفانُهُ
 زانتَ به الأيامُ جاداً وأوانُهُ
 حتى سما فوق العلى إيوانُهُ
 ثم التواضعُ والزهادةُ شأنُهُ
 زهرا وأثماراً فذا برهانُهُ

بد (براعةٍ) و (بلاغةٍ) بد (القصر) و (الـ
 والوصلُ) في تلك الفصول لآلِيٍّ
 (يُكنى) (بديع) (محسّنات) جمالها
 لِمَ لا ومجدُ الدين كان (كُميتَها)
 أُنِّي لمثلي أن يخوضَ بوصفِهِ
 كالبحر من أيّ الجهاتِ أتيتهُ
 حلماءَ وليناً مع غيٍّ جاهلٍ
 كم معقلٍ شاد الغواةَ ببدعةٍ
 أو بالترفُّض لا بساً بخداعِهِ
 قد هَدَّها بيساره من أسَّها
 أما اليمينُ فكم أقامت معقلاً
 حقاً فمجدُ الدين جدّد منهجاً
 ولقد سقانا من غدير معينِهِ
 فلأنت هاديننا وناصرُ ديننا
 ثم ارتَضَيْتِ لنا الحسينَ خليفةً
 للدين رأسٌ للرشادِ عمودُهُ
 فسميَّ طه المصطفى وشبيهُهُ
 من صاغَ هذا الشرحَ من فيضانيهِ
 يا مفخرَ البيتِ الكريمِ وقطبَهُ
 فاضت محاسنُهُ بكل فضيلَةٍ
 خُلِقاً وعلماً بالدقائق كلها
 أترى لمذهبنا بفيض علومه

في كل فنِّ صاغَ حِزْرُ يراعِهِ زبراً وتفسيراً رقى تبيانُهُ
مستنبطاً حُكْمَ الإله بدقَّةٍ ورجاحةٍ يزكو بها إمعانُهُ
وكذاك حسنُ سياسةٍ وفراصةٍ وسدادِ رأيٍ يجتنيه جنائُهُ
يا سالكاً وَصَحَّ الطريق نصيحتي تابع هداه فالزمانُ زمانُهُ
صلى عليه الله مع مجد الهدى وكذا الحسينُ ويرتقى ميزانُهُ
بعد النبيِّ محمدٍ خير الورى والآل ثم سلامُهُ وحنانُهُ

حرر ليلة الشعبانية المباركة خامس عشر من شعبان الوسيم سنة ١٤٤٢ هـ، نسأل
الله بجلاله وبحق محمد وآله أن يجعلنا فيها من المقبولين، وأن يكتب لنا فيها ما
يكتبه لعباده الصالحين وأوليائه المقربين، وأن يعجل بالنصر والتمكين، لعباده
المستضعفين، ويحمي حوزة الدين، ويرفع راية الحق والمحقين.

اللهم إليك رفعت الأبصار، وبسطت الأيدي، وأفضت القلوب، ودعيت
بالألسن، وتحوكم إليك في الأعمال، اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير
الفاحين، نشكو إليك غيبة نبيئنا، وكثرة عدونا، وقلة عددنا، وتظاهر الفتن، وشدة
الزمن، فأغننا اللهم بفتح تعجله، ونصر تعز به، ولسان حق تظهره، إله الخلق آمين
رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد وعلى آله الطاهرين.

قسم التحقيق بمكتبة أهل البيت عليه السلام

١٥/شعبان / ١٤٤٢ هـ

منظومة عقود المرجان

للإمام الحجة المجدد للدين محمد بن محمد بن منصور الموصلي عليه سلام الله

ورضوانه

- (١) عَجَبًا لِهَذَا الدَّهْرِ مِنْ دَهْرٍ وَلَا أَمَّةٍ مَهْتُوكَةِ السَّيْرِ
- (٢) أَلِ التَّيِّ وَمَنْ يُتَابِعُهُمْ يَتَجَرَّعُونَ مَرَارَةَ الضَّرِّ
- (٣) يَا أُمَّةً عَلِمْتَ وَمَا عَمِلْتَ لِنَبِيِّهَا فِي أَهْلِهِ تَزْرِي
- (٤) أَضْحَى كِتَابُ اللَّهِ مُطَرَحًا وَتَرَكْتُمُ الْمَقْرُونِ بِالذِّكْرِ
- (٥) صَاقَتْ فَسِيحَاتُ الدِّيَارِ بِهِمْ وَتَوَسَّعَتْ لِأَيِّمَةِ الْكُفْرِ
- (٦) تَجْفُونَ آلَ مُحَمَّدٍ أَكْذَا عَهْدَ الْإِلَهِ بِآيَةِ الْأَجْرِ؟!
- (٧) سِرُّ الْخِلَافَةِ فِي قَرَابَتِهِ خَالَفْتُمُوهُ يَا ذَوِي الْعَدْرِ
- (٨) فَرَقَ تَضَلَّلْنَا عَلَى التَّقْوَى وَهِيَ الَّتِي ضَلَّتْ وَمَا تَذْرِي
- (٩) فَلَنَا مَقَامٌ سَوْفَ نُدْرِكُهُ حَيْثُ الْقَضَا عَنْ أَمْرِهِ يَجْرِي
- (١٠) وَإِلَيْكَ مِمَّا قَدْ مَضَى قَصَصًا عِبرًا لِذِي لُبٍّ وَذِي فِكْرِ
- (١١) يَوْمَ السَّقِيفَةِ كَانَ مَجْمَعُهُمْ مِنْ قَبْلِ وَضْعِ الطُّهْرِ فِي الْقَبْرِ
- (١٢) وَهَنَالِكَ اشْتَدَّ النِّزَاعُ وَقَدْ نَصَبُوا عَلَى عَجَلٍ أَبَا بَكْرٍ
- (١٣) وَلِعَهْدِهِ قَدْ بَايَعُوا عُمَرَا ثُمَّ ابْنُ عَفَّانٍ أَبَا عَمْرٍو
- (١٤) وَأَتَوْا عَلِيًّا طَائِعِينَ وَمِنْ بَعْدِ امْتِنَاعٍ قَامَ بِالْأَمْرِ
- (١٥) وَالسَّبْطُ مِنْ بَعْدِ الْوَصِيِّ وَقَدْ دَسُّوا إِلَيْهِ السُّمَّ فِي السَّرِّ
- (١٦) وَبِهِ انْقَضَى عَهْدُ الْخِلَافَةِ فَالْمُلْكُ الْعَضُوضُ أُنَى عَلَى الْإِثْرِ
- (١٧) رَأْسُ الْبَغَاةِ بَدَا مُعَاوِيَةَ نَصَّ صَرِيحُ جَاءَ كَالْفَجْرِ
- (١٨) وَيَزِيدُ عَهْدًا مِنْ أَبِيهِ فَمَا أَشَقَى يَزِيدَ سُلَالَةَ الْكُفْرِ
- (١٩) أَمَّا مُعَاوِيَةُ أَبُو لَيْلَى فَمُطِيبٌ مِنْ عُنْصُرِ الْخُسْرِ

- (٢٠) وابن الطريد لأحمد نصبوا
(٢١) ومؤمر الحجاج من هدمت
(٢٢) عبد المليك يعد رابعهم
(٢٣) فوليد أولهم وتابعه
(٢٤) والعاذل المرضي سيرته
(٢٥) ويزيد ثم أخوه رابعهم
(٢٦) قتل الإمام أبا الحسين وقد
(٢٧) الأحول الطاعي أزيرقهم
(٢٨) وسمي فرعون الوليد وقد
(٢٩) ويزيد ناقصهم وفعلته
(٣٠) قتل المريد وذاك من غضب
(٣١) ويعد أمثلهم طريقته
(٣٢) وأخوه إبراهيم ذو وهن
(٣٣) وبه تقضت دولة لعبت
(٣٤) فحسابها ضربت لهم أجلاً
(٣٥) وإليك عباسية عرفت
(٣٦) زعموا بثأر الآل قد نهضوا
(٣٧) حتى استقر سرير ملكهم
(٣٨) فبغوا على آل النبي وقد
(٣٩) فalcائم السفايح أولها
(٤٠) وأخوه مخذول الطغاة عتا
(٤١) ومضلهم سموه مهدياً
- مروان شلت من يد الحثر
أجناذه للبيت والحجر
وبنوه أربعة ذوو التكر
شره سليمان فخذ حصري
عمر الأشج معير الهجر
أعني هشاماً حامل الوزر
ذروه بعد الصلب في البحر
رصفت رصافته من الجمر
جاءت به الآثار فاستقر
رجحت به إذ قام بالأمر
لله في الإسرار والجهر
وطريقة الأقوام في الشر
ثم الحمار الجلد ذو الفجر
بالدين فاقراً سورة القدر
وتصرموا في عدة الشهر
بالعذر والطغيان والخمر
وأق الحراساني بالسمر
وتمكنوا بالفتح والنصر
نالوهم بالقتل والأسر
سفك الدماء كسافح القطر
ويل الشقي غداً لدى الحشر
وابناه موسى أقصر العمر

- (٤٢) وَأَخُوهُ هَارُونُ الْغَوِيُّ وَمَا
 (٤٣) وَابْنُ الرَّشِيدِ مُحَمَّدٌ نَفِدَتْ
 (٤٤) وَأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ قَاتِلُهُ
 (٤٥) وَأَخُوهُمَا سَمَوُهُ مُعْتَصِمًا
 (٤٦) وَالْوَائِقُ الْمَشْهُورُ بُغْيَتُهُ
 (٤٧) لَكِنَّهَا طَابَتْ شَمَائِلُهُ
 (٤٨) وَالْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ مَذْهَبُهُمْ
 (٤٩) وَالْحَقُّ مُتَّصِحُ السَّبِيلِ وَقَدْ
 (٥٠) هَذَا وَلَمَّا مَاتَ وَاثِقُهُمْ
 (٥١) مَتَوَكَّلٌ رِجْسٌ سَجِيَّتُهُ
 (٥٢) فَأُتِيحَ مُنْتَصِرٌ فَأُوجِرُهُ
 (٥٣) وَأَذَاقَ الْإِذَّةَ الْحِمَامَ بِمَا
 (٥٤) وَالْمُسْتَعِينُ تَلَاهُ مُعْتَزُّ
 (٥٥) وَأَنْصَبَ سَوْطُ عَذَابٍ نَاجِمَنَا
 (٥٦) دَارَتْ بِهِمْ أَسْيَافُهُ مَائِتَا
 (٥٧) أَفْنَاهُمْ وَأَسْأَلَ مَلَاحِمَهُ
 (٥٨) وَاعْدُدْ بِمُعْتَمِدٍ وَمُعْتَضِدٍ
 (٥٩) وَكَذَاكَ قَاهِرُهُمْ وَرَاضِيَهُمْ
 (٦٠) وَالْمُتَّقِي كَذِبٍ وَمُسْتَكْفٍ
 (٦١) وَبِقَادِرٍ ظَهَرَتْ لَهُمْ بِدَعُ
 (٦٢) وَبِمُقْتَدٍ مِنْ بَعْدِهِ وَأَبِي الْ—
 (٦٣) وَالرَّاشِدِ اسْتَغْوَتْهُ شِفْوَتُهُمْ
- قَصُرَتْ لِيَالِيهِ عَنِ السُّكْرِ
 أَيَامُهُ سَكْرَانٌ فِي الْبَحْرِ
 وَهُوَ الْخَوْنُ وَصَاحِبُ الْمَكْرِ
 مُتَقَمِّصُ الْجِلْبَابِ بِالْقَهْرِ
 مِنْ نَعَمَاتِ الْعُودِ فِي الْعَشْرِ
 وَتَهَلَّلَتْ لَلَالِ بِالْبِشْرِ
 وَكَذَا صَحِيحُ الْقَوْلِ فِي الذِّكْرِ
 تَاهَتْ عُقُولٌ فِي هَوَى الْفِكْرِ
 أَبْدَى أَخُوهُ فَضَاةَ الْكِبْرِ
 بُغْضُ الرِّسُولِ وَآلِهِ الْغُرِّ
 طَعْنًا فَخَرَّ مُعَفَّرَ الثَّغْرِ
 آذَى النَّبِيِّ فَفَازَ بِالْفَخْرِ
 وَالْمُهْتَدِي فِي غِيَّهِمْ يَجْرِي
 فَأَذَاقَهُمْ كَأْسًا مِنَ الْمُرِّ
 أَلْفٌ وَنِصْفُ النَّصْفِ لِلْقَفْرِ
 تُنْبِئُكَ عَمَّا عُدَّ فِي السَّفْرِ
 وَالْمُكْتَفِي وَكَذَا بِمُقْتَدِرٍ
 وَتَوَلَّى الْأَثْرَ الْإِمْرَ
 وَمُطِيعُهُمْ وَلَّى أَبَا بَكْرٍ
 ثُمَّ ابْنُهُ قَدْ قَامَ بِالنَّشْرِ
 عَبَّاسٌ وَالْمُسْتَرَشِدُ الْعُمَرِ
 وَالْمُقْتَفِي وَسَلِيلُهُ الْمُثْرِي

- (٦٤) والمستضي أعماه ناصرهم
 (٦٥) وهو ابنه فاعجب لبرهم
 (٦٦) والظاهر ابن الناصر استخفى
 (٦٧) وسليله المستعصم انخرمت
 (٦٨) وتصرمت أيامهم لما
 (٦٩) فانظر صروف الحادثات وغا
 (٧٠) أزكى الصلاة مع السلام على
- أصله في الحمام بالحر
 شنشنة ليست بذي بكر
 ثم ابنه لم يحض بالنصر
 أماله وأييد بالقسر
 ماج التتار كمائج البحر
 يات المدى ونهاية الأمر
 خير الأنام وآله الغر



[تقديم الشارح]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وترحم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، أما بعد:

فلما لدراسة التاريخ من الأهمية ولا سيما التاريخ الإسلامي لما يترتب عليه من تثبيت العقيدة وترسيخها، ومعرفة الحق من المَبطل، وتمييز المهتدي من الضال، مع ما في ذلك من العظة والاعتبار بما هنالك من حوادث الدهور وعواقب الأمور، رأيتُ أن أضع تعليقاً كالشرح على المنظومة التاريخية التي عنيت بتعداد ملوك بني أمية وبني العباس، لشيخنا ومولانا حجة الله على العباد، وهاديهم إلى سبيل الرشاد، المجدد للدين المحمدي أبي الحسين مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي أيده الله تعالى - المسماة بـ«عقود المرجان».

وخدمة لناظمها عليه السلام، وإسعافاً لرغبته فإنه عليه السلام قد كان حريصاً على شرحها كشرح أختها «الزُلف» فلم تسمح له الظروف بذلك، فطلب بعض تلامذته أن يقوم بشرحها فلم يتم له ذلك.

وقد كان بعض الإخوة الكرام أشار عليَّ بشرحها، فلذلك اندفعت إلى القيام بشرحها، مع علمي بالقصور في علم التاريخ، وقلة المراجع المحتاج إليها - ثقة بمعونة الله وتسديده، وتوفيقه وتيسيره.

فتم لي بفضل الله ما أردته على حسب ما أردته وتصورته، و ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة ٢٨٦]، و ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق ٧].

هذا، وقد سميت هذا الشرح بـ«شقاشق الأشجان» حتى يتوافق عنوان الشرح مع عنوان المنظومة، فيكون «شقاشق الأشجان شرح منظومة عقود المرجان». و«شقاشق»: جمع شقشقة، ومنها «الخطبة الشَّقْشَقِيَّة» لأمير المؤمنين، وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام التي أوردها الشريف الرضي في كتاب «نهج البلاغة».

وسميت هذا الشرح بهذه التسمية «شقاشق» لما بينهما -أي: بين الخطبة الشَّقْشَقِيَّة وشرح هذه المنظومة- من الاتفاق في الموضوع، وهو الحديث عن الذين استأثروا بحقوق آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخالفوهم.

ومع ما أحس به من الخجل إذ عرضت للناس في كتابي مدى تصوري وفكري وعقليتي بصورة مكشوفة فإني قد حاربت ذلك الخجل ودافعت بحسن الرجاء في الله سبحانه، فهو الذي يرفع ويضع، ويُعزُّ ويذل، ويستر ويفضح؛ لذلك فإني أرجوه سبحانه أن يزينه في أعين الناظرين، وأن يستره عن معائب العائين.

هذا، وقد ذكرت شيئاً من أسرار البلاغة والبيان في عدة أبيات من وجه القصيد؛ تنبيهاً على بلاغة قائلها عليه السلام.

والموضوع الأصلي الذي قصده في هذا الشرح هو بيان الصورة الحقيقية لخلفاء الدولتين (الأموية - العباسية)، وبيان تمردهم على الله وعتوهم وضلالهم وفسادهم، وحرهم للحق والمحقين، وفساد المذهب الرسمي للدولتين، وما يلحق بذلك أو يتصل به، ولم نتعرض لما سوى ذلك من الحوادث التاريخية التي حدثت في زمن أولئك الملوك، فهناك موسوعات كثيرة منتشرة تكفلت ببيانها، فيها كفاية وأي كفاية

لمن أحب معرفتها.

والغرض الذي نهدف إليه في كتابنا هذا من التاريخ - ذكر ما فيه تعزيز لحقائق الحق، وإعلاء لكلمة الصدق، ونصر لأئمة الدين، وأهل البيت المطهرين عليهم السلام، أو ما فيه تدليل على ظلم المتغلبين، وجور المتسلطين، وفسوقهم وخروجهم عن أحكام الإسلام ودين المسلمين.

وهذا هو الغرض الأصلي الذي قصده شيخنا الإمام الحجة عليه السلام في قصيدته هذه «عقود المرجان»، وكذلك في قصيدته «الزلف»، وشرحها «التحف»، فسلطنا تبعاً له ذلك المسلك.

ولم نتعرض إلى شرح مفردات القصيدة؛ لوضوح معانيها وعدم غرابتها. وكنا قد تعرضنا عند ذكر كل من خلفاء الدولتين إلى ذكر القائمين من أهل البيت عليهم السلام، وذكر من قُتل من أهل البيت عليهم السلام بسيفهم، أو مات في سجونهم، أو بسبب من أسبابهم، فذكرنا في ذلك ما ذكره الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في «الشافي»، وأبو الفرج في «مقاتل الطالبين»، ثم تركنا ذلك آخرًا؛ لكفاية دلالة على ما قصدنا من بيان سياسة جبابرة الدولتين الظالمتين تجاه أهل البيت عليهم السلام، ثم لعدم توفر المصادر التي تعنى بذلك.

وفي «التحف شرح الزلف» لشيخنا الإمام الحجة رضوان الله عليه العناية التامة بذكر القائمين من أهل البيت عليهم السلام على طول التاريخ الإسلامي، وذكر علمائهم المبرزين في كل عصر؛ فلا حاجة - حيثئذ - لوجود ما يغني.

وقد تعرضنا في هذا الكتاب إلى ذكر شيء من المذاهب الباطلة الناتجة عن سياسة

الدولتين الأموية والعباسية؛ لما لذلك من العلاقة بتاريخيهما.

وأيضاً، تعرضنا إلى ذكر بعض مذاهب أهل البيت عليه السلام؛ لما له من الروابط التاريخية الوثيقة بأئمة أهل البيت عليه السلام، وذلك من حيث أن الصراعات والعداء المحتدم بين خلفاء الدولتين من جهة، وبين أئمة أهل البيت عليه السلام من جهة أخرى - هو صراع وعداء عقائدي فكري مبدئي، تسعى كل جهة بكامل سعيها وقوتها إلى طمس معالم ومبدأ وفكر وعقيدة الجهة الأخرى ومحوها تماماً من الوجود، ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة ٣٢]، فقد تحققت الوعود الماثورة في النصوص المتواترة المشهورة: ((... لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)) ((كلما أفل نجم ظهر نجم)) ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين)).. إلخ.

هذا وقد سُوّد هذا الشرح عام ١٤١٩ هـ تقريباً، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المتجيين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مطلع القصيدة

١- عَجَبًا لِهَذَا الدَّهْرِ مِنْ دَهْرٍ وَلَأُمَّةٍ مَهْتُوكَةٍ السَّتْرِ
التعجب من الدهر هو من أجل الحوادث العجيبة التي تضمنها، والمراد بالدهر
الذي كان منشأً للتعجب الأزمان المتعاقبة والسنين المتوالية التي حاد فيها أكثر الأمة
عن أهل البيت المطهرين من العصور الأولى إلى اليوم.
ثم أردف الناظم رضي الله عنه وأرضاه التعجب من الدهر بالتعجب من أمة
مهتوكة الستر، والمراد بالأمة: أكثرها ممن عاش في ذلك الدهر الذي تعجب
منه أولاً.

والتعجب من أولئك خلال تلك الفترة قد كان نتيجة لأعمال كثيرة متلاحقة
كلها تستدعي العجب، وسنستعرض بعضها فيما يأتي إن شاء الله تعالى.
وقوله: (مَهْتُوكَةِ السَّتْرِ): إشارة إلى أن تلك الأعمال العجيبة أعمال سيئة
تكشفت بسببها سوءات الأمة وعوراتها.

فإن قيل: كيف صح له وصف هذه الأمة بذلك مع ما جاء في فضلها، من نحو
قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة ١٤٣]، وغيرها من المباحث القرآنية والنبوية؟
قلنا: أمة محمد ﷺ كغيرهم من الأمم ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

فَاسْقُونْ ﴿[الحديد ٢٦]﴾. يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف ١٠٣]، ونحوه. وكذلك أحاديث العرض على الخوض التي رواها أهل الصحاح، وفيها: ((إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيرٍ وبدل)) وستأتي.

وبناءً على هذا فيكون المراد بالثناء الوارد في القرآن الجماعة المهتدية من هذه الأمة، المستقيمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، التي لم تتجاوز حدوده سبحانه، بل جعلت نصب عينها أمره وتبانيه ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [١١٣] وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿[هود]﴾.

ويكون المراد بالذم هنا الكثرة التي تخلت عن ذلك. فلا منافاة - حيثئذ - بين ما في البيت وما في القرآن والسنة.

هذا، وتبعاً لمولانا الناظم عليه السلام فلنقتصر في تعليقنا هذا على ذكر الحوادث التاريخية العجيبة التي جنتها الأمة، وأغمض عنها التاريخ، أو جردها عن وزنها وقيمتها التاريخية وآثارها السلبية.

ولنقتصر من تلك الحوادث الجنائية على ذكر ما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام وبأتباعهم رضوان الله عليهم - تبعاً لمولانا عليه السلام.

شرح بلاغي

هذا، وفي البيت فنون بلاغية ولطائف سحرية، تحتاج إلى بيان وتوضيح وتفصيل، سنشير إلى شيء من ذلك، فنقول وبالله التوفيق:

بالإضافة إلى حسن المطلع وبراعة الاستهلال، فإن تنكير العجب هنا يفيد أنه قد

بلغ غايته في العظم، وحقاً فإن الحوادث التي تعجب منها مولانا الناظم عليه السلام تستدعي الغاية من العجب؛ فالتنكير هنا في أحسن مواقعه عند البلغاء.

وقد جاء البيان -لما كان منشأً للعجب- باسم الإشارة، الذي يفيد هنا التحقير والذم مع التمييز له غاية التمييز، ثم أردف ذلك التمييز بتمييز آخر، فأعاد لفظ الدهر مُنكراً ليفيد تحقير الدهر ثانياً.

والتنكير يراد به التنويع هنا، فتكون هنا استفادة التحقير إنما هي بالتبع مع ما يفيد ذلك من تَوَجُّعِهِ وشكايته من الدهر.

وقد اشتمل هذا الشطر من البيت -أيضاً- على إيجاز القصر، بحذف عامل «عجباً»، وعلى الإطناب، وذلك بالبيان بـ «مَنْ ومجروها». وفيه مجاز عقلي ضمنى، وذلك حيث بيّن العجب بالدهر، والدهر لا يستدعي العجب، وإنما يستدعيه الحوادث الواقعة فيه. ويحتمل أنه على حذف مضاف تقديره «عجباً لحوادث هذا الدهر»، فيكون في ذلك مجاز الحذف مع المجاز العقلي الصريح.

وكل هذا مع ما في الاستفتاح بلفظ العجب المُنكّر، ثم الإجمال^(١) في ذكر الباعث عليه -من الداعي إلى الإصغاء والاهتمام.

فقد جاء هذا الشطر مطابقاً للمعنى الذي سيق له ومصوراً له تصويراً يكاد يكون ملموساً من غير إفراط ولا تفريط، وتاماً كما يقول أهل البيان في حقيقة الكلام البليغ: إنه المطابق لمقتضى الحال.

وفي الشطر الثاني:

(١) وذلك في قوله: «من دهر» فإنه بيان للباعث على التعجب، وهو مجمل كما ترى.

- ١ - تعجب آخر معطوف على الأول بالواو مع إعادة لام الجرّ، إشعاراً بأن المعطوف على انفراده منشأً للعجب وباعثٌ عليه.
 - ٢ - العطف هنا بالواو للتفسير، فيكون المعطوف حينئذٍ هو الباعث الوحيد للعجب، والفائدة البيانية من ذلك هي: جرُّ أذن السامع وإعدادها للتلقي وذلك عند سماع المجمل، فإذا أُلقيَ إليها التفسير والتفصيل أصغت إليه إصغاء قبول ووعي.
 - ٣ - التنكير في «أمة» للتحقير.
 - ٤ - وقوله: «متهوكة الستر» -صفة للأمة- جاءت هنا للدّم؛ فالتحقير -حينئذٍ- قد أردف بتحقير آخر.
 - ٥ - «متهوكة الستر» كناية عن ظهور العورة، وظهور العورة استعارة عن اقتراف المآثم، وهذه الاستعارة ضمنية، اقتضاها الكلام. فيكون هذا التعبير قد اشتمل على بلاغة الكناية، استتبعها بلاغة الاستعارة.
- وهذا البيت بكلا شطريه -مع ما ذكرنا- قد استجمع مقومات البلاغة واكتنفها من جميع جوانبها؛ فألفاظه سَلِسَةٌ عَذْبَةٌ مَأْنُوسَةٌ الاستعمال مفهومه المعنى، خالية عن التنافر والغرابة والتعقيد، جارية على القوانين العربية.
- وبعد، فإن ما ذكرنا من أسرار البلاغة في هذا البيت قد جاء على حسب ما يستدعيه الواقع، ويتطلبه المقام من غير إفراط ولا تفريط.

٢- آل النَّبِيِّ وَمَنْ يُتَابِعُهُمْ يَتَجَرَّعُونَ مَرَارَةَ الضَّرِّ
البيت جملة استثنائية في جواب سؤال مقدر عن سبب تعجب الناظم لهذا ترك
العطف.

(آل النبي): مبتدأ. وجملة (يتجرعون): خبر المبتدأ. ولهذا التركيب أسرار
وفوائد عند علماء البلاغة والبيان:

أ- إضافة (آل) لـ(النبي) تفيد تعظيم الآل، فيتبع ذلك تعظيم الخبر الذي هو جملة
«يتجرعون»؛ وذلك أن الذنب يختلف في الكبر والصغر والعظم باختلاف مواقعه.

ب- الجملة الاسمية تفيد أن كون الضر بأهل البيت وأتباعهم مستمر في جميع الأزمنة
من غير توقف ولا انقطاع.

ج- أن لحوق الضر أمر مؤكد لا شبهة فيه، وذلك من تكرار الإسناد (آل النبي،
يتجرعون).

د- أن التجرع يتكرر ويتجدد مرة بعد مرة، وجرعة بعد جرعة، وذلك من الفعل
المضارع.

هـ- أن الضر النازل بأهل البيت عليه السلام وأتباعهم قد بلغ من الثقل والشدة عليهم إلى
غاية بعيدة، وذلك من زيادة «التاء» وتضعيف «الراء» في المضارع (يتجرعون).

و- في ذلك التركيب استعارة مكنية واستعارة تخيلية، في قوله: (يَتَجَرَّعُونَ مَرَارَةَ
الضَّرِّ). وفائدة ذلك: تصوير المعقول في صورة المحسوس، وفيه من توضيح
المعنى وتبيينه ما لا يخفى.

هذا، ومن المناسب أن نذكر ما يحضرنا في هذا المقام من أسرار البلاغة في البيت

٣- يَا أُمَّةً عَلِمَتْ وَمَا عَمِلَتْ لِنَبِيِّهَا فِي أَهْلِهِ تَزْرِي
وذلك لما بين الأبيات من الارتباط، فنقول: الشطر الأول، وهو قوله: (يَا أُمَّةً
عَلِمَتْ وَمَا عَمِلَتْ)، فيه من ذلك:

- ١- أنه مفيد لشيء من التفصيل الذي سبقت الإشارة إليه على سبيل الإجمال.
- ٢- وهذا بالإضافة إلى إفادة المبالغة في الذم؛ وذلك من جهة أنه يفيد الذم أصلاً، واستفيدت المبالغة فيه من:
- جهة القطع أولاً، ونعني به ما يشبه قطع الصفة^(١).
- ومن جهة حرف النداء، الذي هو «يا» ثانياً.
- ومن تنكير المنادى ثالثاً.

وتفصيل ذلك: أمّا القطع فدلالته على المبالغة في الذم أو المدح مشهورة، ذكرها أهل النحو والبيان، وما نحن فيه شبيه بذلك. وأمّا الياء -الذي هو حرف النداء- فتفصيله: أن «يا» موضوعة أصلاً لنداء البعيد، فتوسع المولى ﷺ هنا فيها توسعاً بيانياً على جهة الاستعارة التبعية، فأشار بها إلى أن الأمة قد أبعدت إلى غاية بعيدة في فعل ما يكسبها الذم والمقت، وأفرطت في الذهاب إلى ذلك، فنزل ذلك البعد المعقول منزلة بُعد المكان المحسوس، فجاء بـ«يا» الموضوعة لذلك.

وأمّا تنكير المنادى فدلالته على المبالغة في الذم من حيث أن التنكير يفيد الذم، فإذا جاء -أي: التنكير- في صفة تفيد الذم تَصَاعَفَ به الذم فتحصل حينئذ المبالغة.

(١) وذلك حيث انتقل إلى النداء للأمة بقوله: «يَا أُمَّةً عَلِمَتْ وَمَا عَمِلَتْ» فهو يشبه قطع الصفة المذكور في كتب النحو، والله أعلم. (محقق).

نعم، وفي هذا التعبير باب من أبواب البلاغة غير ما ذكرنا هو: الالتفات إلى الخطاب بعد الغيبة. وفي هذا الالتفات زيادة على ما ذكره علماء البلاغة من تطرية نشاط السامع... إلخ.

فائدة أخرى: وهي المبالغة في الذم، وذلك من حيث أن رمي المقذوف بقذائف الذم من قرب أَوْجَعُ له من رميه عن بعد.

٣- الإيجاز الكريم يتبين لك ذلك فيما ذكرنا من المعاني في قوله: (يا أُمَّةً).

٤- من البديع في هذا الشطر نوع من أنواع الطباق، وذلك في قوله: (عَلِمْتُ وَمَا عَمِلْتُ). توضيح ذلك: أنه مثل الذي يذكر في علم البديع، وهو قوله: ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح ٢٩]، حيث جمع بين الرَّحمة وبين الْمُسَبِّب عن نقيضها وهو الشدة، فإنها مُسَبِّبَةٌ عن الغِلظة التي هي نقيض الرحمة. وهاهنا كذلك، فقد جمع بين العلم وبين الْمُسَبِّب عن نقيضه الذي هو الجهل، فإنه سَبَّبَ لترك العمل.

٥- وهذا مع ما في هاتين الكلمتين من الجناس اللفظي الذي يكسب اللفظ رونقاً وحُسناً.

٦- النداء في (يا أُمَّةً) يحتمل -مع ما ذكرنا- التحسر والتحزن على ما فات الأمة من الخير، ثم التفجع والتوجع وإظهار الشكوى مما ارتكبت؛ وذلك أن النداء قد يخرج عن أصله وظاهره إلى هذه المعاني المجازية؛ والدليل قوله تعالى حكاية: ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف ٩٣]، إلى غير ذلك مما يشهد لما ذكرنا.

وهذا مع ما في مدَّة الياء من المناسبة لذلك.

هذا، والفِعْلَان (علمت، عملت) في الأصل متعديان وقد تُزَلَّ هُنا منزلة الفعل القاصر، فلم يذكر لهما مفعولان؛ ليفيدا زيادة الذم، وذلك من حيث أن الفعل الأول أثبت للأمة صفة العلم، والثاني نفى عنها صفة العمل على الإطلاق، وهذا أبلى في الذم مما لو ذكر المفعولان على أي صفة ذُكِرَ من تعميم أو تخصيص.

الشرط الأخير من البيت الثالث، وهو: (لِنَبِيَّهَا فِي أَهْلِهَا تَزْرِي)، فيه من أبواب

البلاغة:

١- أن هذا الشرط قد جاء على طريقة الاستئناف البياني، يفيد -زيادة على الدلالة الوضعية- فوائد عارضة تسببت عن هذا التركيب وهي:

أ- الارتباط والاتصال بما قبلها حتى صارت كالكلام الواحد، ومن هنا ترك الربط بحرف العطف.

ب- التوضيح والبيان والتفصيل لما سبق.

ج- والتعليل أيضًا.

د- وشيئاً من التوكيد.

هـ- الإطناب، وذلك من حيث الإجمال أولاً في الشرط الأول، ثم التفصيل في الشرط الثاني.

٢- إضافة النبي إلى الأمة يفيد التعريف أصلاً؛ غير أنه يفيد -مع ذلك- فوائد بيانية

عارضة، ترفع الكلام من الحضيض إلى منازل البلاغة العليا. والفوائد البلاغية هي:

أ- زيادة المبالغة في توبيخ الأمة حيث تعمدت بالإزراء نَبِيَّهَا الكريم، الذي أخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، والذي... إلخ.

ب- وكذلك المبالغة في تقبيح صنيع الأمة، وهو الإزراء والتجهيل لها من حيث أنها الفاعلة لذلك الصنيع، وزيادة الغفلة وكفر النعمة و... إلخ.

فانظر إلى هذه الفوائد العارضة التي أشارت إليها الإضافة ما أروعها! وفي هذه التي ذكرنا دلالة على ما ذكرنا أولاً من أن هذا الشطر قد كان بيانا للشطر الأول، ومفيداً للتوضيح والبيان والتفصيل؛ وذلك أن الشطر الأول أفاد أن الأمة علمت وما عملت، وهذا الشطر جاء فيه ما ذكرنا بيانياً لذلك.

٣- تقديم المفعولين (لِنَبِيِّهَا فِي أَهْلِهَا)، يفيد معاني شريفة هي:

أ- أن الأمة قد صدر ما صدر منها على سبيل القصد والعمد.

ب- أن ظلم الأمة وأذيتها لأهل البيت عليه السلام أذية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإساءة إليه أولاً وبالذات.

ج- أن الأمة قد خَصَّتْ بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتوجهت بقيح صنيعها إليه صلى الله عليه وآله وسلم، دون غيره.

د- وهذا بالإضافة إلى ما تقتضيه هذه الفوائد من التوبيخ والتقبيح والتجهيل للأمة كما لا يخفى.

هذا واللام في قوله: (لِنَبِيِّهَا) هي لام التقوية، زيدت في المفعول لضعف العامل بتقديم مفعوله عليه.

وقوله: (فِي أَهْلِهَا): «فِي» هنا تفيد أن الإزرء بأهل البيت عليه السلام إزرء عظيم. في القاموس: زَرَى عليه: عابه، مثل أزرى به، غير أن أزرى قليل. وبناء على هذا فالأحسن في البيت أن تقرأ لفظة «تَزْرِي» في البيت بفتح التاء.

وقد ضمنت (تَزْرِي) معنى فعل آخر يتعدى بنفسه، فيقدر تؤذي، وبذلك يتضاعف المعنى مع قلة اللفظ، فيكون في الكلام إيجاز القصر.

نعم، ما ذكرنا من أنواع البلاغة وأسرار البيان في هذه الأبيات قد كان على قدر ما توصلنا إليه، وعلى حسب ما فهمه الذوق القاصر، وإنما ذكرنا ذلك علماً منا بأن ناظمها شيخنا الإمام الحجة المولى مجد الدين المؤيدي - أيده الله - قد قصدها واعتبرها وأرادها؛ وذلك أنه - أيده الله - قاموس البلاغة والبيان، وسابق الأمة في ذلك الميدان، والمحيط بدقائق أنواع العلوم، وهو الكامل في جميعها وجمعها، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة ٢٦٩]، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد ٢١].

ولا أقول: إني - فيما لحظتُهُ في هذه الأبيات من أسرار البلاغة وأنواع البيان - قد جئت بكل ما تحمله من ذلك، وكتبت كل ما اعتبره ناظمها رفع الله قدره، ولا أدعي ذلك، فلعل ما فاتني منها أكثر مما عرفت، ونرجو أن ندرك بتوفيق الله شيئاً مما فات.

واعلم أخي المطلع أنه قد ذكر مولانا الإمام الحجة عليه السلام في هذا البيت عنواناً يستدعي كثير تفصيل، ولعلنا نذكر شيئاً من ذلك فيما يأتي - إن شاء الله تعالى -، غير أنا نذكر هنا على سبيل الإجمال ما يكون كالشرح لهذا البيت، فنقول وبالله التوفيق:

مما لا شك فيه بين الأمة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى الأمة في أهل بيته خصوصاً وعموماً، كما في حديث الكساء، و ((فاطمة بضعة مني...))، وحديث المنزلة، وخبر الغدير، و ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))، وحديث الثقلين، و ((...أحبوا أهل بيتي لحبي...))، إلى غير ذلك مما ورد في الصحيحين، وغيرهما من كتب

المحدثين ودواوين السنة عند كل فرقة من الفرق الإسلامية والمذاهب المختلفة، كل هذا تأكيد لما جاء في القرآن، كآية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة، و... إلخ.

وقد أراد الرسول الكريم ﷺ بهذه الوصايا وهذا البلاغ بيان مكانة أهل البيت المطهرين والحقوق الواجبة لهم على هذه الأمة، ولزوم اتباعهم والاهتداء بأنوارهم والتمسك بمنهاجهم، والتوضيح لهذه الأمة أنهم هم الذين سيقومون مقامه بعد موته، ويسدّون الفراغ الذي ستجده الأمة بعد موته، وأنهم هم الذين يتحلون بصفات الكمال التي كان ﷺ يتحلّى بها، وأنه يجب لهم على الأمة مثل ما كان يجب له ﷺ.

وكل هذا بلغه إليهم النبي ﷺ، وسمعوه منه، ووعوه، وصحّ به الحديث عن النبي ﷺ، ورواه أهل الصحاح.

غير أنها تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن!! فلم تعمل الأمة^(١) بوصية نبيها

(١) والمراد الأكثر أو الأغلب من الأمة الذين بغضوا أهل البيت ﷺ ولم يحفظوا وصية الله فيهم كما بيّنته في أول هذا الشرح وكما سيأتي فافهم هذا القيد واستعمله في جميع الإطلاقات التي ترد عليك في هذا الكتاب. تمت مؤلفاً.

قلت: ويدل على هذا وأن سيدي الشارح حفظه الله لم يرد إلا من نصب العداوة لأهل البيت ﷺ وارتكب الجرائم سواء كان من الصحابة أو ممن بعدهم - ما زبره في المبحث الآتي بعنوان (نماذج أخبار عن رجال من هذه الأمة)؛ لأنه - حفظه الله - ذو صدر رحب وقلب وسيع سموح يتأول للمخطئ مهما وجد للتأويل مجالاً كما أشار إلى ذلك ص ٨٩، وليكن ببالك أخي المطلع ما قاله الناظم مولانا الإمام الحجة مجد الدين المؤيدي ﷺ في هامش نسخته على قوله: (يا أمة علمت وما عملت): وليس المقصود كل الأمة وإنما المقصود المناصبون لأهل البيت ﷺ كما هو معلوم. تمت من ديوان الحكمة ص (١٤).

ﷺ مع علمها بهذه الوصية، بل أعرضت عنها كل الإعراض، بل تجاوزت إلى ظلم أهل بيت النبي ﷺ، والأذية لهم، والتصغير لشأنهم، والازدراء بهم بعد ما سمعت ورأت وعلمت، وهذه كلها حقائق تاريخية ثابتة مشهورة ومتواترة.

٤- أَضْحَى كِتَابُ اللَّهِ مُطَرَّحًا وَتَرَكْتُمُ الْمُقْرُونَ بِالذِّكْرِ

- الجملة الأولى مستأنفة استئنافاً بيانياً من الجملة قبلها في البيت السابق؛ فلهذا ترك العطف.

- الجملة الثانية معطوف عليها، والعطف بالواو هنا في أحسن مواقع؛ لوجود المناسبة الكاملة بين أجزاء الجملتين، فالترك والاطراح يكاد أن يكونا بمعنى واحد.

- و«كتاب الله» و«المقرون بالذكر» شيان متلازمان ديناً وشرعاً؛ لقوله ﷺ: ((علي مع القرآن، والقرآن مع علي))، و((إني تارك فيكم...)) الخبر.

- إضافة الكتاب إلى لفظ الجلالة تفيد تعظيم شأن الكتاب إلى غاية من العظم بعيدة. ويفيد مع ذلك تعظيم قبح اطراح الكتاب؛ وذلك أن القبيح يعظم قبحه ويتزايد في الفحش إذا وقع على شيء عظيم، وكما قلنا سابقاً فإن ذلك يختلف باختلاف موقعه.

- الجملة اسمية، فتفيد أن الاطراح صفة ثابتة للكتاب على الاستمرار والدوام.

فإن قيل: كيف تجعلونها اسمية وهي مصدرة بفعل وهو «أضحى»؟

قلنا: «أضحى» ليس مسنداً ولا مسنداً إليه، وإنما جيء به للتقيد.

- صيغة «مُطَرَّحًا» تفيد أن اطراح الأمة لكتاب الله قد كان أمراً مُتَعَمِّدًا، تعمده الأمة وتكلفته، وتوجهت إليه وقصدته، وهذا هو السر في عدول شيخنا الناظم -حفظه الله- إلى هذه الصيغة بدلاً عن الأصل الذي هو «مطروحاً».

- هاهنا مجاز عقلي، وذلك حيث أسند الاطراح إلى الكتاب، وإنما هو سبب للمعنى الحقيقي الذي هو العمل. وفائدة هذا المجاز الزيادة في تقييح صنيع الأمة حيث تركت العمل بأوامر الكتاب.
- في لفظة «مُطَرَّحاً» مجاز لغوي، والفائدة من ذلك المجاز تصوير ترك العمل بأوامر الكتاب وأحكامه بصورة محسوسة تكاد العين أن تنظر إليها.
- وفي التعبير فائدة أخرى، وهي المبالغة، وذلك من حيث نسب الاطراح إلى كتاب الله تعالى جملة، فيكون في المعنى مشابهاً لما يذكر في النحو: «طاب زيد نفساً، واشتعل الرأس شيباً، وفجرنا الأرض عيوناً».
- قوله: **(وَتَرَكْتُمُ الْمَقْرُونِ بِالذِّكْرِ)**: المقرون بالذكر هم أهل البيت عموماً وأمير المؤمنين عليه السلام خصوصاً، والفائدة البيانية من تسميته بذلك - زيادة على المعنى الأصلي - ما يلي:
- ١- المدح لعل عليه السلام.
- ٢- التذكير بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((علي مع القرآن)) ((إني تارك فيكم...)) الخبر.
- ٣- زيادة التقييح لترك الأمة لعل عليه السلام، وذلك حيث تركوا شيئاً مذكوراً مع القرآن؛ فإن الترك يعظم على حسب عظمة المتروك.
- وقد اشتمل هذا البيت على عنوانين هما:
- ١- اطراح الأمة لكتاب الله تعالى.
- ٢- ترك الأمة لعل عليه السلام ولأهل بيته.
- وَلُنُسِّرْ هُنَا إِلَى نِمَاجِ مِمَّا تَرَكَ الْعَمَلُ فِيهَا بَكْتَابِ اللَّهِ عِنْدَ الْكَثِيرِ مِنَ الْأُمَّةِ:

١ - فمن ذلك حرمان فاطمة بنت محمد ﷺ من ميراث أبيها، مع أن الله تعالى يقول في القرآن: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النحل: ١٦]، وقد حاجبت الزهراء أبا بكر في ذلك كما في رواية البخاري [رقم: ٣٠٩٢، ٣٠٩٣] ومسلم [رقم: ١٧٥٩] وغيرها فكانت حجتها ظاهرة ودليلها قوياً، غير أن الأمر كما قال الشاعر:

ومن يكن القاضي له من خصومه أضرب به إقراره وجحوده

٢ - ومن ذلك آية الخمس، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، فقد حُرِمَ ذوو قربي رسول الله ﷺ مما جعله الله تعالى لهم من الخمس.

٣ - ومن ذلك آية المودة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]. والمراد بالقربي: قربي رسول الله ﷺ، الذين هم علي، فاطمة، الحسن، الحسين عليهما السلام، صحت بذلك الرواية عند البخاري وأحمد بن حنبل وغيرهما^(١)، فإن الأمة أطرحَتْ هذه الآية أطراحاً، ولم تكتف باطراحها فيكون الأمر كفافاً، بل نصبت من نفسها حرباً على أهل بيت نبيها ﷺ، لم تزل ألسنة لهبها ساطعة عالية إلى اليوم.

(١) انظر: فضائل الصحابة (١١٤١) (٢/٦٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٢٥٩) (١١/٤٤٤)، والهيتمي في مجمع الزوائد (١١٣٢٦) (٧/٢٢٩)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣٤٨/٧) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه. وأورده الشوكاني في فتح القدير (٦١٥/٤) نقلاً عن السيوطي، وأورده النسفي في مدارك التنزيل (٢٥٣/٣)، وأبو السعود في تفسيره (٣٠/٨)، والثعلبي في تفسيره (٣٧/٨) (٨/٣١٠)، وأورده الرازي في تفسيره نقلاً عن صاحب الكشاف (٥٩٥/٢٧). اهـ.

هذا، ولنكتف بهذه الأمثلة الثلاثة؛ إذ ليس الغرض هنا إلا الإشارة الإجمالية، ولعلنا نذكر شيئاً من ذلك فيما يأتي عند ذكر ما يناسبه.

أما العنوان الثاني الذي اشتمل عليه البيت، فهو ترك الأمة لعلي عليه السلام ولأهل بيته عليهم السلام، فنقول: إن ترك الأمة له عليه السلام ولأهل بيته عليهم السلام يتمثل فيما يأتي:

إبعاده عليه السلام عن منصة الخلافة مع ورود النصوص الصحيحة باستحقاقه لها، وأيضاً قد كان عليه السلام هو الجدير بها؛ لقربته من رسول الله ﷺ، ولسابقته في الإسلام، فهو عليه السلام أسبقهم إلى الإسلام على الإطلاق، ثم لجهاده مع رسول الله ﷺ وعلمه، وإلى آخر ما كان يتحلّى به من الفضائل التي لم يسبقه إليها سابق ولا يلحقه فيها لاحق.

وهذا، بالإضافة إلى ما تقتضيه أعراف البشر من الأولين والآخرين من أن القريب أحق بتراث الميت من البعيد، وقد أشار الله تعالى إلى تقرير هذه السنة البشرية في قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الأحزاب ٦].

وعلى هذا مضت سنة الله تعالى في أمم الأنبياء السابقين، يتبين صحة ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [٣٣] ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ [آل عمران ٣٣-٣٤]، وقد قال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء ٧٧].

فعلى هذا يجب أن يكون آل نبينا محمد ﷺ صفوة الله وخيرته، وذوي الملك

والحكمة كما كان آل إبراهيم وآل عمران.

هذا، ولم يكتف النبي ﷺ بما دلت عليه سنة الله في الأولين، بل عزز هذه الأدلة بما لا يدخل تحت الحصر من البيان في أهل بيته. ومن أراد المزيد فعليه بكتاب «لوامع الأنوار»، لمولانا الحجة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي عليه السلام، ففيه ما يشفي ويغني.

والمراد بـ«المقرون بالذكر» في البيت: هو علي عليه السلام، أطلق عليه ذلك لقوله ﷺ: ((علي مع القرآن والقرآن مع علي...)) الحديث^(١)، وأهل البيت أيضاً على العموم، يقال عليهم ذلك، وعلي عليه السلام كبيرهم ورأسهم وأولهم وسيدهم، وأطلق عليهم ذلك لقوله ﷺ في الحديث المعلوم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))^(٢).

(١) أورده الإمام الحجة مجد الدين بن محمد المؤيدي عليه السلام في لوامع الأنوار ط ٥ (ج ١ / ٢٨١) الفصل الأول حيث قال: أخرجه الحاكم (رقم ٤٦٢٨)، والطبراني في الصغير (رقم ٧٢٠)، والكنجي (المناقب ص ٣٩٩). اهـ وقد أورده السيوطي في الجامع الصغير برقم (٤٦٢٨)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين برقم (٤٦٢٨)، والطبراني في الأوسط رقم (٤٨٨٠)، والمتقي الهندي في كنز العمال رقم (٣٢٩١٢)، وغيرهم.

(٢) هذا الحديث مما رواه المؤلف والمخالف حتى بلغ حد التواتر، وقد رواه أهل البيت عليهم السلام في كتبهم ومسانيدهم، ورواه عامة المحدثين وسنذكر بعضاً من مصادرهم فمن ذلك ما في: صحيح مسلم (٤ / ١٨٧٣) رقم (٢٤٠٨)، مسند ابن الجعد (ص ٣٩٧) رقم (٢٧١١)، مسند ابن أبي شيبة (١٣٥ / ١) رقم (١٠٨)، مسند أحمد بن حنبل (١١١٠٤ / ١٧) (١٦٩)، السنن الكبرى للنسائي (٧ / ٣١٠) رقم (٨٠٩٢)، حلية الأولياء (١ / ٣٥٥)، المنتخب من مسند عبد بن حميد رقم (٢٤٠) (١ / ٢١٤)، السنة لابن أبي عاصم رقم (٧٥٤) (١ / ٣٥١)، مسند أبي يعلى رقم =

- ٥- صَاقَتْ فَسِيحَاتُ الدِّيَارِ بِهِمْ وَتَوَسَّعَتْ لِأَيِّمَةِ الْكُفْرِ
- تَرَكُ الْعُطْفَ، وَعَطَفُ الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى الْأَوَّلَى هُوَ كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ (أَضْحَى كِتَابُ اللَّهِ مَطْرَحاً...) تَمَاماً. وَالْبَيْتُ خَبَرٌ عَمَّا صَارَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَتْبَاعُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَعَمَّا صَارَ إِلَيْهِ أَعْدَاؤُهُمْ وَظَالِمُوهُمْ.

ويستفاد منه مع ذلك فوائد بيانية:

- الشعور بتوجع الناظم وشكايته من ذلك المصير البائس حتى كأنك تحس من البيت نفثة صدره وتنفس صعدائه.
- استدعاء السامع وَجَرَّه إِلَى التَّوَجُّعِ لِأُولَئِكَ الْمَظْلُومِينَ، وَنَفَرْتَهُ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَذَلِكَ مِنْ حَيْثُ أَنَّ النُّفُوسَ جَبَلَتْ عَلَى ذَلِكَ.
- فِي الْبَيْتِ كُنَيَاتَانِ: الْأَوَّلَى: (صَاقَتْ فَسِيحَاتُ الدِّيَارِ بِهِمْ). وَالثَّانِيَةِ: (وَتَوَسَّعَتْ لِأَيِّمَةِ الْكُفْرِ). هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا عَلَى هَاتَيْنِ الْكُنَيَاتَيْنِ مِنْ جَمَالِ ثَوْبِ الْمِطَابَقَةِ الْبَدِيعِيَّةِ الَّتِي أَوْرَثَهُمَا جَمَالاً إِلَى جَمَالٍ، وَحَسَناً إِلَى حَسَنٍ.

= (١٠٢١) (٢/٢٩٧)، شرح مشكل الآثار للطحاوي (٥/١٣) رقم (١٧٦٠) ابن عساكر (١٠٢٦) (٢/٨١٨)، البزار (٤٣٢٥) (١٠/٢٣٢)، الشريعة للأجري (١٧٠٣) (٥/٢٢١٧)، المعجم الصغير للطبراني (٣٦٣) (١/٢٢٦) والأوسط (٣/٣٧٤) (٣٤٣٩) والكبير (٤٩٢٢) (٥/١٥٤)، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٩٩٠) (٢/٥٩٥)، (١٠٣٢) (٢/٦٠٣)، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١/٣٤٧) (١٥/٤٧٨)، المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (٢٠/٤٢٩) وذكر تعليق الألباني بقوله: صحيح، سنن الترمذي (٣٧٨٨) (٥/٦٦٣)، المستدرک علی الصحيحین (٤٥٧٦) (٣/١١٨)، موسوعة أطراف الحديث عن أبي سعيد الخدري (٥٦٤٧٠) وعن حذيفة بن أسيد (٥٦٤٧٢)، وعن زيد بن أرقم (٨٢٤٥٠)، وعن زيد بن ثابت (٨٢٧٣٦)، وغيرها كثير تركتها اختصاراً.

- (لَأُثَمَّةُ الْكُفْرِ) هذه الإضافة تفيد التعريف أصلاً. ومع هذه الفائدة فوائد أخرى عارضة، بها يرتفع الكلام إلى أعالي درجات البلاغة هي:
- ١- غاية الذم، حيث جعلهم أئمة الكفر ورؤوسه وسماهم به، وسيأتي تعيين المقصودين بأئمة الكفر (ص: ٨٥).
- ٢- الإيجاز والاختصار.
- ٣- التعجب والتعجيب مما صاروا إليه من البسطة والنفوذ في الدنيا مع ما هم عليه من الكفر والضلال.

الأمة بعد موت النبي ﷺ

كما ذكرنا سابقاً فإن الأمة بعد موت النبي ﷺ لم تلتزم بما عهد إليها نبيها ﷺ في حق علي وفاطمة وأولادهما، والمراد بذلك هو الجمهور والغالب، لا كل أفراد الأمة على سبيل الاستغراق، فإنه قد بقي على عهد النبي ﷺ جماعة قليلة؛ غير أن الظروف السياسية في ذلك العهد الأول لم تسمح لهم بالتعبير والإعلان عما يذهبون إليه من الرأي في أهل البيت عليهم السلام.

موقف خالد لجابر بن عبد الله رضي الله عنه (ت ٧٢هـ):

وبلى، فقد أعلن بعضهم شيئاً من السر المكتوم، نفثت بها صدورهم. من ذلك: ما رواه السيد أبو طالب الهاروني عليه السلام في أماليه [١٠٦/١] بسنده عن عطية العوفي، قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائر قبر الحسين عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثم اترز بإزار، ثم ارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها (طيب) فثره على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى دنا من القبر، قال: يا عطية، أَلَمْسْنِيهِ، فألمسته، فخرَّ على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين، يا حسين، يا حسين -ثلاثاً-، ثم قال: حبيب

لا يجب حبيبه، ثم قال: وأنى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك^(١) على أشباحك^(٢)، وفرق بين بدنك ورأسك، فأشهد أنك ابن خير النبيين، وابن سيد الوصيين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد الثُّبَاء، وابن فاطمة سيده النساء، وما بالك ألا تكون هكذا وقد غدتك كفُّ محمدٍ سيد المرسلين، وربيت في حجور المتقين، ورضعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك، ولا شاكاة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، فأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه يحيى بن زكريا.

قال عطية: ثم جال ببصره حول القبر، فقال: السلام عليكم أيتها الأرواح الطيبة التي حلت بفناء الحسين عليه السلام، وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمت الصلاة، وأديتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتهم عن المنكر، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين. والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق لقد شاركناكم فيها دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت لجابر بن عبد الله: وكيف! ولم تهبط وادياً، ولم تغلّ جبلاً، ولم تضرب بسيف، والقوم فرقت بين رؤوسهم وأبدانهم، فأيتمت الأولاد وأرملت الأزواج؟

فقال: يا عطية، سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((من أحبّ قوماً حشر معهم، ومن أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم))، أهدرني نحو بيوت كوفان.

(١) قال في لسان العرب: شَخَبَ أوداجه دماً، فانشَخَبَتْ: قطعها فسالَتْ. اهـ

(٢) قال في لسان العرب: الشَّبَحُ: مَا بَدَا لَكَ شَخْصُهُ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ. يُقَالُ: شَبَحَ لَنَا أَيْ مَثَلَ، وَأَنشَدَ: «رَمَقْتُ بَعْينِي كُلَّ شَبَحٍ وَحَائِلٍ». الشَّبَحُ والشَّبَحُ: الشَّخْصُ، وَالْجَمْعُ أَشْبَاحٌ وَشُبُوحٌ. وَقَالَ فِي التَّصْرِيفِ: أَسَاءُ الْأَشْبَاحِ، وَهُوَ مَا أَدْرَكَتْهُ الرُّؤْيَةُ وَالْحِسُّ. اهـ

قال: فلما صرنا في بعض الطريق قال لي: يا عطية، هل أوصيك؟ وما أظنني بعد هذه السفرة ألاقيك: أحبَّ محبَّ آل محمد صلَّى الله وسلَّم ما أحبهم، وأبغض مبغض آل محمد صلَّى الله وسلَّم وإن كان صواماً قواماً. انتهى الحديث.

وجابر بن عبد الله الأنصاري هو من كبار أصحاب رسول الله صلَّى الله وسلَّم المشهورين بالفضل والعلم والإيمان.

موقف خالد لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه (ت ٣٢٢هـ)

ومن هذه الجماعة الصحابي الكبير أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، وكان شجاعاً جريئاً في إعلان الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، وقد أثر عنه الكثير من الحديث في بيان فضل أهل البيت عليهم السلام، من ذلك ما رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه [٢٤٣/١] بسنده عن حنش الكناني، قال: سمعت أبا ذر يقول -وهو أخذ بباب الكعبة-: أيها الناس، مَنْ عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله صلَّى الله وسلَّم يقول: ((مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا...))^(١)، وله أحاديث كثيرة في بيان فضل أهل البيت عليهم السلام.

وقد لحقه رضي الله عنه بسبب ذلك وبسبب إنكاره على الولاة ألوان من البلاء دُكرها مشهور.

(١) هذا الحديث مشهور في كتب الشيعة والسنة، ومن رواه من محدثي السنة بهذا اللفظ أو قريباً منه: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١٤٠٢) (٢/٧٨٥)، المعجم الكبير للطبراني (٢٦٣٧) (٣/٤٥)، المستدرک علی الصحیحین (٣٣١٢) (٢/٣٧٣)، مناقب ابن المغازلي (١٧٣) (١٨٧)، البلدانيات للسخاوي (٢٩) (١٨٦)، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٣٩٧٣) (١٦/٢٢٠)، كنز العمال (٣٤١٦٩، ٣٤١٧٠) (١٢/٩٨)، وغيرهم كثير.

موقف خالد لسلمان الفارسي رضي الله عنه (ت ٣٥هـ):

ومن تلك الجماعات سلمان الفارسي رضي الله عنه، كان يقول: «أنزلوا آل محمد صلوات الله وسلامه عليه بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة العين من الرأس، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس، وإن الرأس لا يهتدي إلا بالعين»^(١). وله في هذا الباب آثار جمعة رضوان الله عليه.

موقف خالد لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت ٣٢هـ):

ومنهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كان يقول: «إن لهذه الأمة فُرقةً وجماعةً، فجامعوها إذا اجتمعت، فإذا افرقت فارقوا أهل بيت نبيكم، فإن سالموا فسلموا، وإن حاربوا فحاربوا، فإنهم مع الحق والحق معهم، لا يفارقهم ولا يفارقونه»^(٢).

موقف خالد لعمار بن ياسر رضي الله عنه (ت ٣٧هـ):

ومنهم عمار بن ياسر رضوان الله عليه، روي عنه الكثير من الحديث في فضل أهل البيت عليهم السلام، وكان شديد التعلق بعلي عليه السلام وأهل بيته، خالص الود، قُتل - رحمه الله - يوم صفين قتلته الفئة الباغية، فقال علي عليه السلام عندما وقف عليه مجدلاً: (إنا لله وإنا إليه راجعون، إن امرأً لم تدخل عليه مصيبه من قتل عمار فما هو من الإسلام في شيء).

ثم قال: (رحم الله عماراً يوم قتل، ويوم يُبعث، ويوم يُسأل، فو الله لقد رأيت

(١) الأمالي الخميسية (١/ ٣٠٠)، المعجم الكبير للطبراني (٢٦٤٠) (٣/ ٤٦)، مجمع الزوائد (١٥٠١٢)، تاريخ أصبهان لأبي نعيم (١/ ٩٦).

(٢) الأمالي الإثنينية (١/ ٥٠٠)، الأمالي الخميسية (١/ ٢٩٦)، تنبيه الغافلين للحاكم الجشمي (١/ ٨٢)، المناقب لمحمد بن سليمان الكوفي (٦٠٨) (٢/ ١٢١) وكتاب الشافي (١/ ١٧٢).

عماراً وما يُذكر من أصحاب النبي ﷺ ثلاثة إلا كان رابعهم، ولا أربعة إلا كان خامسهم، إن عماراً وجبت له الجنة في غير موطن، فهنيئاً له الجنة، ولقد قُتل مع الحق والحق معه، فقاتل عمار، وسالب عمار، وشاتم عمار في النار^(١). وصلى عليه عليٌّ عليه السلام ودفنه. انتهى من الحقائق الوردية^(٢).

وهناك بقية من هذه الجماعة أسكتهم الخوف، لكنهم تثبتوا على دين الله، فلم يغيروا ولم يبدلوا رحمة الله ورضوانه عليهم.

وهناك جماعة أخرى كبيرة أخطأوا بعد موت النبي ﷺ فدخلوا مع الداخلين، ثم تداركتهم رحمة الله في آخر الأمر فأحسنوا والله يحب المحسنين، وإلى

(١) كلام الإمام علي عليه السلام هذا رواه بهذا اللفظ ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٤٢) والبلاذري في أنساب الأشراف (١/ ١٧٤) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/ ٤٧٦)، والذي قتل عماراً هو أبو الغادية والعجيب أنه هو الذي كان يروي الحديث عن رسول الله ﷺ: ((قاتل عمار في النار)) والمعلوم والمشهور في كل كتب التاريخ والحديث بأن قاتل عمار هو أبو الغادية، ذكر رواية أبي الغادية لحديث رسول الله ﷺ: ((قاتل عمار في النار)) ابن أبي حاتم في العلل (٦/ ٥٧٢) برقم (٢٧٦٩) وابن عدي في الكامل (٣/ ١٢٣) والذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ٤٨٨) وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان (٣/ ٤٢) برقم (٢٢٦٩).

وأيضاً الحديث الذي يرويه عمرو بن العاص، قال في مسند أحمد (٢٩/ ٣١١ ط الرسالة): عَنْ أَبِي غَادِيَةَ، قَالَ: قُتِلَ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَأُخْبِرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِي، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّ قَاتِلَهُ، وَسَالِبَهُ فِي النَّارِ))، فَقِيلَ لِعَمْرٍو: فَإِنَّكَ هُوَ ذَا ثِقَاتِلَهُ، قَالَ: إِنَّمَا قَالَ: ((قَاتِلُهُ، وَسَالِبُهُ)) وذكره بلفظه في الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٤١) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٤٣/ ٤٧٣) وفي سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٤٢٥) وفي الجامع الكبير للسيوطي (٢١/ ٧٥٠) وفي (تاريخ الإسلام) للذهبي (٣/ ٥٨٢) وسيأتي تخريج حديث: ((تقتل عماراً الفئة الباغية...)) وتواتره عند الكلام على رأس الفئة الباغية (صفحة ١٤٣ من هذا الكتاب).

(٢) الحقائق الوردية ط (١/ ٩٦)، وذكره في أنوار اليقين (٢/ ٣٦).

هذه الجماعة قصد أمير المؤمنين عليه السلام بقوله - كما في نهج البلاغة: (لَيْسَبَقَنَّ قَوْمٌ كَانُوا قَصْرُوا، وَلَيْقُصَّرَنَّ قَوْمٌ كَانُوا سَبَقُوا...)، والأعمال مرهونة بخواتمها.

وهذه الجماعة أكثر من الجماعة السابقة، وجُلُّهم من أهل بدر وأهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم وأرضاهم، وقُتِل كثير منهم في الحروب مع أمير المؤمنين عليه السلام ^(١).

(١) ذكر في كتاب (مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ٦/ ٣٠١) لسبط بن الجوزي ما لفظه: وقال الزبير بن بكار: شهد صفين مع علي من أهل بدر سبعة وثمانون رجلاً، منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وتسعون صحابياً ممن شهد بيعة الرضوان. اهـ. وقال ابن الوردي في تاريخه (١/ ١٥٠): وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ خَمْسَةَ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا وَمِنْ الْعِرَاقِ خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ أَلْفًا مِنْهُمْ سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ. اهـ.

وقد استنكر الذهبي - وهو المعروف بالنصب - رواية ابن حنبل لقول شعبة: (فَمَا وَجَدْنَا شَهِدَ صَفِّينَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ غَيْرَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ) حيث قال الذهبي في كتابه (ميزان الاعتدال ١/ ٤٧) ما لفظه: قلت: سبحان الله، أما شهدا علي! أما شهدا عمار. اهـ. وقال الذهبي أيضاً في كتابه (تاريخ الإسلام تدمري: ٣/ ٥٤٥): وقال خليفة: شهد مع علي من البدرين: عمار بن ياسر، وسهل بن حنيف، وخوات بن جبير، وأبو سعد الساعدي، وأبو اليسر، ورفاعة بن رافع الأنصاري، وأبو أيوب الأنصاري بخلف فيه، قال: وشهد معه من الصحابة ممن لم يشهد بدراً: خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وقيس بن سعد بن عبادة، وأبو قتادة، وسهل بن سعد الساعدي، وقرظة بن كعب، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، والحسن، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأبو مسعود عقبة بن عمرو، وأبو عياش الزرقعي، وعدي بن حاتم، والأشعث بن قيس، وسليمان بن صرد، وجندب بن عبد الله، وجارية بن قدامة السعدي. اهـ.

وذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج خطبة للأشتر (٥/ ١٢١) قال فيها: واعلموا أنكم على الحق وأن القوم على الباطل، إنما تقاتلون معاوية وأنتم مع البدرين، قريب من مائة بدري، سوى من حولكم من أصحاب محمد، أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله، ومع معاوية رايات قد =

ثم تلى هاتين الجماعتين جماعةً قليلةً من التابعين أقاموا على سَنَنِ الطريق فلم يُغَيِّرُوا، ولم يبدلوا، تعرضوا للمحنة والبلاء في حُبِّ أمير المؤمنين علي عليه السلام وأهل بيته، حصدتهم سيوف بني أمية على يد زياد وابنه والحجاج عليهم سخط الله وغضبه.

وهذه الجماعات القليلة التي تمسكت بولاء أهل البيت عليهم السلام يسميهم أهل السنة والجماعة: روافض وشيعة وغلاة، و... إلخ^(١)، منذ زمن معاوية إلى اليوم. وقد لحقهم بسبب ذلك من آل أمية ما لا يوصف من ألوان العذاب؛ غير أنَّ الموعد القيامة، والشهود الجوارح، والحاكم عالم الغيب والشهادة، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء].

وغرضنا في هذا هو التنبيه على أن الدخول في الفتنة واهتضام حقوق أهل البيت النبوي في تلك العصور لم يكن شاملاً لجميع أفراد الأمة، بل إنَّ هناك جماعات منهم وَفَتْ بعهودها ومواثيقها، واستقامت وثبتت ثبوت الجبال الرواسي، وباعت في سبيل ذلك الحياة الدنيا بالآخرة، ومن أولئك حجر بن عدي وأصحابه، وستأتي قصتهم -إن شاء الله- عند ذكر معاوية.

^(١) كانت مع المشركين على رسول الله. اهـ وأوردها نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين (١/٢٣٨).
(١) قال ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/٤٥٩): والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غالٍ في تشيعه ويُطلق عليه رافضي وإلَّا فشيوعي، اهـ.

أقسام الصحابة

فإن قال قائل: إن من المستبعد غاية الاستبعاد أن يفتن أكثر الأمة بعد نبيها مع قرب العهد بالنبي ﷺ، ومعرفتهم بهديه وسنته حتى لا يبقى منهم على الهدى والاستقامة إلا جماعة قليلة.

قلنا: كان أصحاب رسول الله ﷺ على ثلاثة أقسام، هي: العلماء، والعوام، والمنافقون.

وقد كان العلماء منهم جماعة قليلة بالنسبة إلى جماعة الصحابة، والغالب من الصحابة والجمهور كانوا خليطاً من العوام والمنافقين.

فلما مات النبي ﷺ وأخذ أبو بكر الخلافة تبعه العوام من غير نظر ولا تفكير كما هو شأن العوام الذين جاء في وصفهم عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ).

وكما قلنا فإن هذا النوع هو غالب الصحابة.

وقد كان أهل مكة الذين أسلموا يوم الفتح حديثي عهد بالإسلام، فلم يكونوا علماء ولا ثابتين في الإسلام، بل كانوا إما منافقين قهرهم الإسلام بسيفه فأسلموا كرهاً، وإما مسلمين غير ثابتين لجهلهم بالإسلام وعاميتهم، مع ذلك فقد كانوا موتورين وتركهم الإسلام ونبي الإسلام ﷺ. لذلك مالوا عن أهل البيت عليه السلام أشد الميل، وكرهوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وصادفوا في ولاية أبي بكر بسبب ذلك ما يوافق أهويتهم.

إذاً فليس من الغريب ولا من المستبعد أن يفتن الكثير بعد موت النبي ﷺ، بل من البعيد والغريب أن يحصل خلاف ما حصل؛ فإن طبيعة البشر على العموم

هو الميل مع الدنيا ومع الملوك، وعلى هذه العادة البشرية كان ما كان من أغلب المسلمين بعد موت النبي ﷺ، فإنهم مالوا عن خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام في أول الأمر^(١)، وأفطع منه ميلهم بعد ذلك مع معاوية، فيزيد و... إلخ، وتركوا أهل بيت نبيهم ﷺ، وأعرضوا عنهم تماماً، ثم دانوا بدين سلطانهم، كل ذلك من أجل الميل مع الدنيا والملوك.

ومن هنا قال تعالى -وهو يتحدث عن مثل ما ذكرنا-: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبا: ١٣]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

الخوض فيما جرى من الصحابة وفيما شجر بينهم

قد يقول القائل: إن الأقرب إلى الصواب هو ما يذهب إليه أهل السنة والجماعة

من وجوب ترك الخوض فيما جرى من الصحابة أو فيما شجر بينهم؛ للاثي:

- أولاً: لأن ذلك هو الأسلم والأحوط.
- ثانياً: لما جاء من الثناء في الكتاب والسنة عليهم.
- ثالثاً: للمحافظة على حرمة النبي ﷺ في أصحابه.

(١) وقد تقدم كلام مولانا الشارح حفظه الله (ص ٥٥) خلال حديثه عن هؤلاء: بأن جماعة أخرى كبيرة أخطأوا بعد موت النبي ﷺ فدخلوا مع الداخلين، ثم تداركتهم رحمة الله في آخر الأمر فأحسنوا والله يحب المحسنين... إلخ فراجع له لتكن على بصيرة ومعرفة تامة بمراد المؤلف الشارح أيده الله تعالى.

فتقول: لا شك أن الصحبة منقبة عظيمة، ومزية كريمة، يستحق بها من تفضل الله عليه بلبس جلبابها - مع الاستقامة على الدين والهدى - أرفع الدرجات، وأقصى الغايات، كما قدمنا ذلك في شرح مطلع القصيدة، إلا أن الأجدر بنا الرجوع عند الاختلاف في مثل ذلك إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله المجمع عليها بين الفريقين، ثم العمل على حسب مقتضى ذلك.

وعند الرجوع إلى الكتاب نجده يقول في أصحاب أحد الذين كان من ضمنهم أهل بدر: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران ١٥٢].

ونجده سبحانه يستنكر على بعضهم -أيضاً- التراجع عن دينهم والانقلاب على أعقابهم حينما ظنوا أن رسول الله ﷺ قد قُتل، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران ١٤٤].

ثم قال سبحانه وتعالى ناعياً على البعض منهم وهنهم وضعفهم عن الجهاد وجزعهم مما أصابهم في سبيل الله واستكانتهم وقلة ثباتهم وصبرهم، وأنهم لم يكونوا مثل أصحاب كثير من الأنبياء ﷺ في ذلك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَل مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران ١٤٦].

جاءت هذه الآيات في أصحاب أحد وفيهم أهل بدر، ولهذا الضعف والخور استنكر الله عليهم ووبخهم في آية أخرى، فقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ

الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ.. ﴿٣٩﴾ الآية [النوبة ٣٨-٣٩]، إلى غير ذلك من الآيات المتكاثرة في هذا المجال وهذا المعنى.

وجاء من السنة كما في الصحيحين بطرق كثيرة الحديث المشهور قال في آخره: ((فأقول: يا رب، أصحابي أصحابي؟! فيقال: إِنَّكَ لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم الْقَهْقَرَى، فأقول: سُحْقًا، سُحْقًا))^(١).

وفي بعض طرق الصحيحين: ((فلا أراه ينجو منهم إلا مثل همل النعم))^(٢). وبعد، فإنه لا شك في وجود المنافقين وكثرتهم بين مسلمي الصحابة، يتبين لنا

(١) روي بهذا اللفظ أو قريباً في: صحيح البخاري (١٣٩/٤) رقم (٣٣٤٩) وفيه أيضاً (٨/ ١٢٠) رقم (٦٥٨٢، ٦٥٧٦، ٦٥٨٧) وفيه (٤٦/٩) برقم (٧٠٤٩-٧٠٥٠) وفي صحيح مسلم (٢١٨/١) برقم (٢٤٩) وفيه ج ٤: (٢٣٠٤، ٢٢٩٧، ٢٢٩٠)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٠٧/٦) رقم (٣١٦٧٣، ٣٧١٧٧، ٣٤٣٩٧) وسنن ابن ماجه (١٤٣٩/٢) برقم (٤٣٠٦)، ومسنند إسحاق بن راهويه (٣٧٩/١) برقم (٤٠٣) ومصنف عبد الرزاق (٤١٨/١٠) برقم (٢١٩٣٢-٢١٩٣٣) وفي تفسير عبد الرزاق أيضاً (٢٨٧/٢) برقم (١٥٢٩-١٥٣٠) ومسنند أحمد في أجراء متفرقة برقم (٢٢٨١، ٢٠٩٦، ٣٦٣٩، ٣٨٥٠، ٣٨٦٦، ٤٠٤٢، ٤١٨٠، ٤٣٥١، ١١٢٢٠، ٢٠٤٩٤، ٢٣٣٣٧، ٢٣٣٩٣) مسند البزار - البحر الزخار (١٠٦/٥) ومسنند أبي يعلى (٣٤/٧) برقم (٣٩٤٢) وفيه ج ٩ برقم (٥١٦٨) ورقم (٥١٩٩) وفيه (٣٨٧/١١) برقم (٦٥٠٢) وصحيح ابن حبان (٣٤٤/١٦) برقم (٧٣٤٧) والطبراني في الأوسط (٣٥١/٦) رقم (٦٥٩٨) وأيضاً الطبراني في الكبير (٢٠٧/٧) برقم (٦٨٥٦) وسنن الترمذي (٦١٥/٤) رقم (٢٤٢٣، ٣١٦٧) ومسنند البزار (البحر الزخار) (٣١٥/١) وسنن النسائي الكبرى والمعجم الكبير للطبراني، والخلاصة فالحديث متواتر.

(٢) انظر صحيح البخاري (٨/ ١٢١) رقم (٦٥٨٧) وكتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي (٣/ ١٩٥) رقم (٢٤٣٤) وفي كتب المعاجم والقواميس في باب (همل).

ذلك من قوله سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ الآية [التوبة ١٠١].

وغير خاف أن هؤلاء المنافقين الذين تحدّث عنهم هذه الآية غير المنافقين المعروفين الذين كان يتزعمهم عبد الله بن أبي بن سلول، وقد كان أتباع ابن سلول كثرة غالبية، يظهر ذلك - فيما ذكر - من رجوعه بثلاث الجيش الذين خرجوا من المدينة يوم أحد، فلم يشهدوا مع الرسول ﷺ الواقعة يومئذ، وهؤلاء معروفون يعلمهم الرسول ﷺ وأصحابه.

وهذه الآية التي ذكرنا تحدّث عن منافقين آخرين لا يعلمهم الرسول ﷺ مع زكاء فطنته ﷺ فإنه ﷺ أركى البشر فطنة وعقلاً.

فلما سبق نقول: لا داعي إلى الاستنكار على الزيدية في خوضهم فيما شجر بين الصحابة، وفيما جرى منهم مع ما ذكرنا من الآيات السابقة والأحاديث المشهورة التي تتحدّث عما جرى منهم.

وبذلك الذي تقدم من الآيات يتبين للناظر أن المراد من الآيات التي وردت في الثناء على الصحابة الثابت منهم على الهدى والاستقامة، دون من تخلى عن ذلك واقترب المآثم، أو كان من أهل النفاق، فإنه لا حظّ له في رضوان الله ورحمته.

ولا تكون الزيدية بذلك قد تجاوزت حدود القرآن، ولا دليل لأهل السنة والجماعة على تزكية كل فرد من أفراد الصحابة على الإطلاق، أو على بلوغه حدّ العصمة، أو على أن الصحبة قداسة لا يُسأل معها الصحابي عما يفعل، أو على أنها حصانة تُحوّل صاحبها أن يعمل ما شاء من غير حساب ولا عقاب، بل قامت دلائل الكتاب والسنة على خلاف ذلك كله.

وقد خاطب الله تعالى أهل بدر وأحد وبيعة الرضوان وسائر الصحابة فيما نزل عليهم من القرآن بقوله جل شأنه: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء ١٢٣]، فحسم بذلك سبحانه وتعالى طمع الطامعين، وقطع أمانى المتمنين.

وعلى ما ذكرنا يتبين أن مذهب السكوت هو الأولى بالاستنكار؛ لمخالفته وشذوذه عن أحكام القرآن، ومع شذوذ هذا المذهب ومخالفته للقرآن، فإن أهله يتشددون في التمسك به حتى جعلوه من أركان الإسلام ولوازم الإيمان، فقالوا كما ذكره ابن حجر العسقلاني في تراجم الصحابة: «إذا رأيت الرجل يتكلم فيما جرى من الصحابة من سوء فاعلم أنه زنديق!!»، أو كما قال^(١).

وأكبر من ذلك وأدهى أن يتكلم الرجل في أمر الخلفاء الثلاثة وما جرى منهم من أخذ الولاية على أهلها، أو فيما حصل من أخطاء بعضهم، أو أن يذكر معاوية، أو مروان، أو الوليد بن عتبة، أو من شاكلهم، وفاعل ذلك عندهم زنديق شيعي رافضي، ماله وعرضه ودمه حلال، ولا تقبل شهادته ولا روايته، ولا... إلخ.

وتجدهم مع هذا التشدد يتساهلون غاية التساهل في من يشتم ويلعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أو الحسن أو الحسين، وإن كانوا صحابة وقرابة، فلا يرفعون لشتمهم رأساً. ومن هنا فإننا نجد صحيح البخاري مليئاً بروايات الرجال الذين كانوا يلعنون علياً، ويتحاملون عليه وعلى أهل بيته غاية التحامل،

(١) القائل هو أبو زرعة الرازي كما في الإصابة (١/١٦٢)، ولفظه: إذا رأيت الرجل يتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق. اهـ.

كحريز بن عثمان، وزياذ بن أبيه، وعمران بن حطان^(١)، ومَن على شاكلتهم^(٢)، فيجعلون حديثهم أصح الحديث بعد كتاب الله تعالى.

ونظير هذا الإفراط والتفريط والتناقض قولهم في الذين خرجوا عن طاعة عثمان وحاربوه: إنهم ملعونون،... إلخ، وقولهم في الذين خرجوا عن طاعة علي بن أبي طالب عليه السلام وحاربوه: إنهم مؤمنون، مجتهدون، مأجورون.

نماذج أخبار عن رجال من هذه الأمة

أبو بردة بن أبي موسى الأشعري:

روى ابن أبي الحديد قال: وروى عبد الرحمن بن جندب، قال: قال أبو بردة لزياد: أشهد أن حجر بن عدي قد كفر بالله كفر صلاء، قال عبد الرحمن: إنما عنى بذلك نسبة الكفر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنه كان أصلع^(٣). اهـ فشهد أبو بردة

(١) انظر على سبيل المثال رواية البخاري عن حريز بن عثمان الحديث رقم (٣٥٤٦) وعن عمران بن حطان الحديث رقم (٥٨٣٥) ورقم (٥٩٥٢) وسمى زياد بن أبيه بـ (زياد بن أبي سفيان) حيث ألحقه بأبي سفيان في الحديث رقم (١٧٠٠) (ج ٢ / ١٦٩).

(٢) كخالد بن سلمة بن العاص، وثور بن يزيد الكلاعي، وزياذ بن جبير الثقفي، وزياذ بن علاقة، والسائب بن فروخ، وداود بن الحصين الأموي، وأبي محصن الحصين بن نمير الواسطي، وعبد الله بن سالم الأشعري الحمصي، ونعيم بن النعمان بن أشيم، وزهير بن معاوية بن خديج، وأغلب هؤلاء روى لهم أهل الكتب الستة جميعاً، البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه، فلترجع تراجمهم في تهذيب التهذيب، وتقريبه، والهدي الساري، جميعها لابن حجر العسقلاني، والميزان والكاشف للذهبي، ولبعضهم كتاب عدّد فيه جملة من ضعفاء الصحيحين قد زاد على مائتي راوٍ، لا زال في حرف السين. نسأل الله أن يعينه على إتمامه.

(٣) شرح النهج (٩٩/٤)، وقال البلاذري في كتابه (أنساب الأشراف ج ٥ / ٢٦٢): فأمر زياد [بن أبيه] وجوه أهل المصر أن يكتبوا شهادتهم عليهم، فكتب أبو بردة بن أبي موسى أولهم: هذا ما شهد عليه الشهود أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خلع

بنسبة الكفر إلى أمير المؤمنين عليه السلام وإلى حجر بن عدي.

وقال ابن أبي الحديد: وقد روى عبد الرحمن المسعودي عن ابن عيَّاش المتوفى، قال: رأيت أبا بردة قال لأبي الغادية الجهني -قاتل عمار بن ياسر-: أنت قتلت عمار بن ياسر؟ قال: نعم. قال: ناولني يدك؛ فقبَّلَهَا وقال: لا تمسك النار أبداً^(١)!!
وروى ابن أبي الحديد أيضاً عن أبي نعيم عن هشام بن المغيرة، عن الغضبان، قال: رأيت أبا بردة قال لأبي الغادية -قاتل عمار بن ياسر-: مرحباً بأخي هاهنا، فأجلسه إلى جانبه^(٢).

الطاعة وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه جموعاً يدعوهم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين معاوية، فكفر بالله كفره صلحاء، وأتى معصية شنعاء فقال زياد: اشهدوا على مثل شهادته... ثم عدد البلاذري كل من شهد كذلك. وأورد هذا وما بعده في كتاب (قبول الأخبار ومعرفة الرجال - للكعبي البلخي ت: ٣١٩ هـ) في ترجمة أبي بردة رقم (٢٨) (ج ١/ ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧).

وأورده الطبري في تاريخه (ج ٥/ ٢٦٩) بلفظه، وأتبعه بتعداد الشهود حيث بدأ بتعداد أسماء القرشيين، ثم من يليهم، وذكرهم الإمام عبد الله بن حمزة في الشافي ط (٤/ ١٣٤ - ١٣٥) نقلاً عن الطبري. وذكر السهيلي في (الروض الأنف) (٦/ ١٩١) عند ذكره عتاب عائشة لمعاوية على قتل حجر بن عدي وأصحابه، فقال لها معاوية: أَوَأَنَا قَتَلْتُهُمْ؟ إِنَّمَا قَتَلْتَهُمْ مَنْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ، اهـ. (١) شرح النهج (٤/ ٩٩). رواه الثقفى في كتاب الغارات (ج ٢/ ٥٦٧) ورواه البلخي في كتابه (قبول الأخبار ج ١/ ٢٥٧) كما ذكر سابقاً.

(٢) شرح النهج (٤/ ١٠٠) ورواها في تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١) وأن القائل هو أبو بكر بن أبي موسى أخو أبي بردة حيث قال ما لفظه: وأبو بكر أرضى عندهم من أبي بردة، وكان يذهب مذهب أهل الشام، جاءه أبو غادية الجهني قاتل عمار فأجلسه إلى جانبه وقال مرحباً بأخي.. إلى قوله: وقال عبد الله بن أحمد في العلل قلت لأبي: فأبو بكر بن أبي موسى سمع من أبيه؟ قال لا، وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا إسحاق يقول: أبو بكر بن أبي موسى أفضل من أخيه أبي بردة. اهـ.

قيس بن أبي حازم:

ذكر عنه ابن أبي الحديد أنه قال: سمعت علياً عليه السلام يخطب على المنبر ويقول:
(انفروا إلى بقية الأحزاب)، فدخل بغضه في قلبي^(١).
وقيس بن أبي حازم هذا هو الذي روى حديث: «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»، وغيره من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما من الأمهات الست.
وقد جاء في الحديث الصحيح كما رواه مسلم وغيره: ((لا يُحبك إلا مؤمن، ولا ييغضك إلا منافق))^(٢).

(١) شرح النهج (٤/١٠١) وفي كتاب (قبول الأخبار ومعرفة الرجال: ١/١٩٧) لأبي القاسم البلخي: «وروى ابن إدريس، عن سفيان بن عيينة، عن إسماعيل عن قيس قال: سمعت علياً وهو يستنفر الناس إلى معاوية فقال: انفروا إلى بقية الأحزاب. قال: فوالله ما زلت مبغضاً له منذ سمعت ذلك منه. انتهى».

وقال السيد محمد بن إبراهيم الوزير في كتابه (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ج ٥/٢٣٤): أنه كان يرى رأي الخوارج، يُروى أنه قال: منذ سمعت علياً على منبر الكوفة يقول: انفروا إلى بقية الأحزاب -يعني أهل النهروان- دخل بغضه قلبي، ومن دخل بغض أمير المؤمنين قلبه، فأقل أحواله ألا يُعتمد على قوله، ولا يُحتجّ بخبره. انتهى.

(٢) هو في صحيح مسلم برقم (٧٨) (ج ١/٨٦)، رواية عن علي عليه السلام بلفظ: ((..لا يحبني ..إلخ))، وفي مسند الحميدي (ج ١/١٨٢) رقم (٥٨) ومن رواه: أحمد بن حنبل في مسنده برقم (٦٤٢) ورقم (٧٣١) ورقم (١٠٦٢) (ج ٢/٧٢ و ١٣٦ و ٣١٦)، ورقم (٢٦٥٠٧) (ج ٤٤/١١٧) وفي فضائل الصحابة عن علي عليه السلام في موضعين رقم (٩٤٨) ورقم (٩٦١) (ج ٢/٥٧٠، ٥٦٣)، وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه يروي خطبة رسول الله برقم (١٠٦٦) (ج ٢/٦٢٢) وعن أم سلمة برقم (١١٠٢) (ج ٢/٦٤٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه عن علي عليه السلام (ج ٦/٣٦٥) رقم (٣٢٠٦٤) والطبراني في الأوسط بطريقين عن عمران بن الحصين (٢١٥٦) (ج ٢/٣٣٧)، وعن ابن عباس (٤٧٥١) (ج ٥/٨٧)، والترمذي في السنن =

ابن شهاب الزهري:

قال ابن أبي الحديد: كان الزهري من المنحرفين عن علي عليه السلام.
وروى جرير بن عبد الحميد، عن محمد بن شيبة، قال: شهدت مسجد المدينة
فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران علياً عليه السلام، فنالا منه، فبلغ ذلك علي
بن الحسين عليه السلام فجاء حتى وقف عليهما فقال: ... إلخ ^(١).

مكحول:

قال ابن أبي الحديد: روى زهير بن معاوية عن الحسن بن الحر، قال: لقيت
مكحولاً فإذا هو مطبوع - يعني مملوءاً - بغضاً لعلي عليه السلام ^(٢).

حماد بن زيد:

قال ابن أبي الحديد: روى عنه المحدثون أنه قال: أرى أن أصحاب علي أشد حُباً
له من أصحاب العجل لعجلهم ^(٣).

عن علي عليه السلام (٣٧٣٦) (٩٣/٦)، وابن المغازلي في المناقب عن علي عليه السلام (٢٢٥)
(ج ١/٢٥٢)، وابن ماجه في سننه (ج ١/٨٣) برقم (١١٤) في باب فضل علي بن أبي طالب،
وابن أبي عاصم في السنة (ج ٢/٥٩٨) برقم (١٣٢٥) والبزار في مسنده (ج ٢/١٨٢)
برقم (٥٦٠) والنسائي في سننه بطريقين (ج ٨/١١٧، ١١٥) برقم (٥٠١٨، ٥٠٢٢) وفي
خصائصه وفي فضائل الصحابة وفي سننه الكبرى، ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده من
طريقين عن زر بن حبیش عن علي (ج ١/٣٠٧) برقم (٢٩١) والأخرى عن الحارث الهمداني
عن علي (ج ١/٤٢٧) رقم (٤٤٥) وهو في صحيح ابن حبان (ج ١٥/٣٦٧) برقم (٦٩٢٤).

(١) شرح النهج (٤/١٠٢) ورواه الثقفى في كتاب الغارات (٢/٥٧٨).

(٢) شرح النهج (٤/١٠٣).

(٣) شرح النهج (٤/١٠٣) وذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/٢١٠) أنه كان عثمانياً، وهو
صاحب المقالة المشهورة: (لَيْتَن قُلْتُ إِنَّ عَلِيًّا أَفْضَلُ مِنْ عُثْمَانَ؛ لَقَدْ قُلْتُ: إِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ

المغيرة بن شعبة:

هو الذي أمر حجر بن عدي رضي الله عنه أن يقوم في الناس فيلعن علياً صلى الله عليه وآله وسلم فأبى ذلك، فتوعده، فقام حجر فقال: أيها الناس، إن أميركم أمرني أن ألعن علياً فآلعه. فقال أهل الكوفة: لعنه الله ^(١).

أبو هريرة:

ذكر ابن أبي الحديد عن الأعمش، قال: لَمَّا قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثى على ركبتيه، ثم ضرب على صلته مراراً، وقال: يا أهل العراق، أترعمون أني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحرق نفسي بالنار؟ والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إن لكل نبي حرماً وإن حرمني بالمدينة ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين))، وأشهد أن علياً قد أحدث فيها. فلما بلغ معاوية قوله أجازته وأكرمه وولاه إمارة المدينة ^(٢).

حريز بن عثمان:

قال ابن أبي الحديد: كان حريز بن عثمان يبغيض علياً عليه السلام ويتقصه، ويروي فيه أخباراً مكذوبة ^(٣).

⁼ اللَّهُ ﻻ ﻋِﻠَﻴْﻪ ﻭَﺳَﻠَﻮَﺗُﻪُ ﻭَﺍﻟَﻪِ ﻭَﺍﻟَﻪُ ﻭَﺳَﻠَﻮَﺗُﻪُ قَدْ خَاثُوا) التي تدل عن انحرافه عن علي عليه السلام.

(١) شرح النهج (٤/ ٥٨)، وأورده في المستدرک علی الصحیحین (٣٣٦٦) (٢/ ٣٩٠) ونسب الأمر باللعن إلى أحمد بن إبراهيم ولعله أحد أعوان المغيرة بن شعبة.

(٢) شرح النهج: (٤/ ٦٧).

(٣) شرح النهج (٤/ ٦٩)، ومن هذه الأحاديث المكذوبة ما ذكره حافظهم الذهبي في تاريخ الإسلام (١٠/ ١٢٢) أنه قال في حديث المنزلة: أنت مني بمنزلة قارون من موسى. ثم ذكر

وذكر أيضاً عن محمد بن عاصم صاحب الخانات قال: قال لنا حريز بن عثمان: أنتم -يا أهل العراق- تحبون علياً ونحن نبغضه. قالوا: لِمَ؟ قال: لأنه قتل أجدادي^(١).
وذكر غيره أن حريزاً هذا كان يلعن علياً عليه السلام كل صباح كذا كذا مرة^(٢).

بعد هذه الصفحة عدة روايات في أنه كان يشتم علياً عليه السلام.

(١) شرح النهج (٤/ ٧٠)، وفي تاريخ الإسلام (١٠/ ١٢٤) أنه قال عندما عاتبوه على لعنه لعلي عليه السلام: هو القاطع رأس أجدادي بالفؤوس، وقريب من لفظه في كتاب المعرفة والتاريخ لأبي يوسف الفسوي المتوفى سنة ٢٧٧هـ (٢/ ٣٨٨)، وانظر كتب التراجم فهو مشهور ببغض علي عليه السلام، من ذلك ما في مرآة الزمان (١٢/ ٣٣٨)، تاريخ بغداد (مدينة السلام) للخطيب البغدادي (٩/ ١٨٤)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٨٠)، الأعلام للزركلي (٢/ ١٧٤).

(٢) ذكر في تاريخ الإسلام (١٠/ ١٢٣ - وما بعدها): لعنه لعلي عليه السلام، ثم أورد رواية عن يحيى بن صالح أنه لم يكتب عنه الحديث وذكر السبب، فقال: «صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً سبعين مرة كل يوم». اهـ. وذكر ذلك كله وأكثر ابن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب) (ج ٢/ ٢٤٠) ومن ذلك قوله: وحكى الأزدي في الضعفاء أن حريز بن عثمان روى أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم لما أراد أن يركب بغلته جاء علي بن أبي طالب فحل حزام البغلة ليقع النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم، قال الأزدي: من كانت هذه حاله لا يُروى عنه، قلت [أي ابن حجر]: لعله سمع هذه القصة أيضاً من الوليد، وقال ابن عدي: قال يحيى بن صالح الوحاظي: أُملى عليَّ حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم حديثاً في تنقيص علي بن أبي طالب لا يصلح ذكره، حديث معضل منكر جداً لا يروي مثله من يتقي الله، قال الوحاظي فلما حدثني بذلك قمت عنه وتركته، وقال غنجار: قيل ليحيى بن صالح: لم لم تكتب عن حريز؟ فقال: كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً سبعين مرة، وقال بن حبان: كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرة، وبالعشي سبعين مرة، فقليل له في ذلك فقال هو القاطع رؤوس آبائي وأجدادي، وكان داعية إلى مذهبه يتنكب حديثه، انتهى.

سَمْرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ:

كان سمرة بن جندب أيام مسير الحسين عليه السلام إلى الكوفة على شرطة عبيد الله بن زياد، وكان يُحرّض الناس على الخروج إلى الحسين عليه السلام وقاتله^(١).
وقال ابن أبي الحديد: إن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى

(١) شرح نهج البلاغة (٤/ ٧٩). قال البخاري في (التاريخ الكبير) (٥/ ٢٧٠): (وَكَانَ زَيْدًا يَسْتَخْلِفُ سَمْرَةَ عَلَى الْبَصْرَةِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَعَلَى الْكُوفَةِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ) وذكره أيضاً ابن عبد البر في (الاستيعاب ج ٢/ ٦٥٤) وقد كانت مثالبه كثيرة جداً؛ لو لم يكن إلا قول النبي ﷺ: ((أَخْرَجْتُمْ مَوْتًا فِي النَّارِ)) الحديث المشهور، الذي رواه البخاري في التاريخ الأوسط (١/ ١٠٦) وابن أبي شيبة في المسند (٢/ ٣٢٩) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ٣٦٥) وابن قتيبة في المعارف (١/ ٣٠٥) والبلاذري في أنساب الأشراف (٥/ ٢١٢) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٤/ ٤٨٧) والطبراني في الأوسط والكبير، وابن عبد البر في الاستيعاب، والمزي في تهذيب الكمال، والذهبي في كتابيه السير وتاريخ الإسلام، وابن كثير في البداية والنهاية، ... وغيرهم كثير. ثم يتأولون ذلك بأنه مات بالفالج وحوله مجامير من نار، فللمطلع أن يتأمل حال أبي هريرة الذي يطل تأويلهم، والذي وصف المقبل هذا التأويل في الأبحاث المسددة (ص ٤٠٩) بأنه من قسم تأويل الباطنية، فقد كان يُغشَى على أبي هريرة عندما يقال له: قد مات سمرة؛ خوفاً من أن يتحقق فيه الحديث، انظر إلى ما أورده الذهبي في (سير أعلام النبلاء - ط الرسالة) (٣/ ١٨٥) حيث قال ما لفظه: وَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - لِأَبِي هُرَيْرَةَ، وَسَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، وَآخَرَ: ((أَخْرَجْتُمْ مَوْتًا فِي النَّارِ)). فَمَاتَ الرَّجُلُ قَبْلَهُمَا، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يُعِظَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: مَاتَ سَمْرَةُ. فَيُغْشَى عَلَيْهِ، وَيُضَعَّقُ، فَمَاتَ قَبْلَ سَمْرَةَ... إلى قوله: وَقَتْلَ سَمْرَةَ بِشَرٍّ كَثِيرٍ.... حَدَّثَنَا عَامِرُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ، قَالَ: كُنَّا فِي مَجْلِسِ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، فَقَالُوا: مَا فِي الْأَرْضِ بُقْعَةٌ تَشْفَتْ مِنَ الدَّمِ مَا تَشْفَتْ هَذِهِ - يَعْنُونَ دَارَ الْإِمَارَةِ - قَتِلَ بِهَا سَبْعُونَ أَلْفًا. فَسَأَلْتُ يُونُسَ، فَقَالَ: نَعَمْ، مِنْ بَيْنِ قَتِيلٍ وَقَطِيعٍ. قِيلَ: مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: زَيْدًا، وَابْنُهُ، وَسَمْرَةُ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ: تَرَجُّوْهُ بِصُحْبَتِهِ، انْتَهَى الْمَنْقُولُ مِنْ كَلَامِ الذَّهَبِيِّ.

وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف (ص ٣٠٥) أن سمرة مات سنة بضع وستين.

يروى أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ» ﴿٢٠٦﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ» ﴿٢٠٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ» ﴿٢٠٨﴾ [البقرة]، وأن الآية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» ﴿٢٠٧﴾ [البقرة]، فلم يقبل سمرة، فبذل معاوية مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف درهم فقبل، وروى ذلك ^(١).

وذكر أيضاً عن الأعمش عن أبي صالح قال: قيل لنا: قدم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فأتيناه فإذا هو سمرة بن جندب، وإذا عند إحدى رجله خمر، وعند الأخرى ثلج، فقلنا: ما هذا؟ قالوا: إنه النقرس ^(٢).

وإذا قوم قد أتوه، فقالوا: يا سمرة، ما تقول لربك غداً، تؤتى بالرجل فيقال لك: هو من الخوارج، فتأمر بقتله، ثم تؤتى بآخر فيقال لك: ليس الذي قتلته بخارجي، ذلك فتى وجدناه ماضياً في حاجته فشُبِّه علينا، وإنما الخارجي هذا، فتأمر بقتل الثاني؟ فقال سمرة: وأيُّ بأسٍ في ذلك؟ إن كان من أهل الجنة مضى إلى الجنة، وإن كان من أهل النار مضى إلى النار. انتهى ^(٣).

(١) شرح النهج (٧٣/٤).

(٢) شرح النهج (٧٨/٤).

(٣) شرح النهج (٧٨/٤)، وفي تاريخ الطبري (٢٣٧/٥) في ذكر سمرة ما لفظه: وهل يُخْصَى من قَتَلَ سَمُرَةَ بْنَ جَنْدَبٍ! استخلفه زيادٌ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَأَتَى الْكُوفَةَ، فَجَاءَ وَقَدْ قَتَلَ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ تَخَافُ أَنْ تَكُونَ قَدْ قَتَلْتَ أَحَدًا بَرِيئًا؟ قَالَ: لَوْ قَتَلْتُ إِلَيْهِمْ مِثْلَهُمْ مَا

فهذه نماذج أخبار رويت عن كبار رجال من أوائل هذه الأمة، وهي على الجملة مشهورة ومتواترة عنهم، وقد ذكر بعض ذلك ونحوه عن الكثير ابن حجر في مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري^(١)، وأورده محمد بن عقيل - رحمه الله - في «العتب الجميل على رجال الجرح والتعديل»؛ أتينا بذلك لنبين أن هناك مذاهب ناتجة عن سلاطين بني أمية.

اعتماد بعض رواة الحديث على مبغضي الإمام علي عليه السلام

وإذا أردت أن تعرف صحة ما ذكرناه فما عليك إلا أن تقرأ في كتب التراجم عند المحدثين من أهل السنة كتهذيب التهذيب، وتقرّيه، وهدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري - ثلاثتها لابن حجر العسقلاني - وميزان الاعتدال، وسير أعلام النبلاء للذهبي، والمجروحين لابن حبان، والضعفاء للعقيل، والتاريخ الكبير للبخاري، وغيرها، فتراهم كيف يهونون بغض علي عليه السلام، ولا يرفعون رأساً لِسَبِّهِ أو لعنه أو بغضه، بل يقولون: «كان من الثقات، وإنما وضع منه بغض علي»، «شامي ثقة، وكان يحمل على علي»، «حروري المذهب، وكان صلياً في السنة»، «تابعي ثقة، وكان يحمل على علي»، «وعاب عليهم بعضهم

= خشيت - أو كما قال. اهـ. وفيه أيضاً: عَنْ أَبِي سَوَّارٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: قَتَلَ سَمُرَةَ مِنْ قَوْمِي فِي غَدَاةٍ سَبْعَةً وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ. اهـ. ومثله في الكامل في التاريخ (٣/ ٦٠ وما بعدها) وفيها قصص أخرى من بطشه، وفيه أيضاً ص (٨٩) مقولة سمرة المشهورة لما عزله معاوية من ولاية البصرة: لَعَنَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ وَاللَّهِ لَوْ أَطَعْتُ اللَّهَ كَمَا أَطَعْتُهُ مَا عَذَّبَنِي أَبَدًا.

(١) وقد أوردهم ابن حجر في هدي الساري مقدمة فتح الباري من صفحة (٣٨٥) إلى صفحة (٤٦٤) وذكر من غلاة النواصب: قيس بن أبي حازم في (١/ ٤٣٦) وحريز بن عثمان في (٣٩٦/١)..... الخ.

أنه كان يحرس خشبة زيد بن علي لما صلب»، «روى عنه الناس، وهو تابعي ثقة، وهو الذي قتل الحسين» ونحوها من العبارات القاسية، التي جعلت بعض المنصفين منهم يتعجبون غاية العجب لمثل هذا التعامل من رجال الجرح والتعديل المأمونين في ذلك حسب زعمهم، إلا أن العصبية والتقليد الأعمى ربما جرهم إلى مستنقع أولئك الذين تعجبوا منهم، كما قال ابن حجر العسقلاني في كتابه المشهور (تهذيب التهذيب) [٤٥٨/٨] الذي هو عمدة جميعهم ما لفظه: وقد كنت استشكل توثيقهم - أي عامة المحدثين من أهل السنة - الناصبي غالباً وتوهينهم الشيعة مطلقاً؛ ولا سيما أن علياً ورد في حقه: ((لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق)) اهـ.

ثم حاول ابن حجر - وهو أعلمهم على الإطلاق - أن يجيب على هذه الشبهة وهذا الاستفسار فجاء بما لا يفيد^(١)، وأتى له بالجواب، وقد نطق النبي ﷺ في

(١) حيث قال ابن حجر في تمة كلامه المذكور في الأصل ما لفظه: ثم ظهر لي في الجواب عن ذلك أن البغض ها هنا مقيد بسبب؛ وهو كونه نصّر النبي ﷺ، لأن من الطبع البشري بغض من وقعت منه إساءة في حق المبغض، والحب بعكسه، وذلك ما يرجع إلى أمور الدنيا غالباً، والخبر في حب علي وبغضه ليس على العموم، فقد أحبه من أفرط فيه حتى ادعى أنه نبي، أو أنه إله، تعالى الله عن إفكهم، والذي ورد في حق علي من ذلك قد ورد مثله في حق الأنصار، وأجاب عنه العلماء أن بغضهم لأجل النصر كان ذلك علامة نفاقه، وبالعكس فكذا يقال في حق علي، وأيضاً فأكثر من يوصف بالنصب يكون مشهوراً بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة، بخلاف من يوصف بالرفض، فإن غالبهم كاذب ولا يتورع في الإخبار، والأصل فيه أن الناصبة اعتقدوا أن علياً رضي الله عنه قتل عثمان أو كان أعان عليه، فكان بغضهم له ديانة بزعمهم، ثم انضاف إلى ذلك أن منهم من قتلت أquareه في حروب علي، انتهى كلام ابن حجر.

قال ابن عقيل رحمه الله تعالى في الرد على ذلك: ليس الأمر كما ظهر له، ودعواه التقييد وذكره السبب مما لا دليل عليه....

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدياء والصواب إن شاء الله تعالى إن بغض علي عليه السلام لا يصدر من مؤمن أبداً؛ لأنه ملازم للنفاق، وحبه لا يتم من منافق أبداً؛ لأنه ملازم للإيمان، فتقييد الشيخ بغض علي الدال على النفاق بأنه الذي يكون سببه نصره للنبي ﷺ خطأ وغفلة ظاهرة؛ لأنه يلزم منه إلغاء كلام المعصوم بتخصيصه علياً بهذا؛ لأن البغض لأجل نصر النبي (ﷺ) كفر بواح؛ سواء كان المبغض بسببه علياً عليه السلام أو غيره، مسلماً كان أو كافراً، حيواناً أو جماًداً.... ولو أن آخر أبغض كلباً من أجل حراسته للنبي ﷺ أو حماراً من أجل حمله إياه أو الغار من أجل ستره له عن المشركين لكان كافراً بذلك اتفاقاً!! فما هي إذا فائدة تخصيص علي عليه السلام بالذكر فيما يعم المسلم والكافر، والحيوان والجماهد؟ فتقييد الشيخ إلغاء وإهدار لكلام المعصوم وإبطال له.

والحق إن شاء الله تعالى إن حب علي عليه السلام مطلقاً علامة لرسوخ الإيمان في قلب المحب، وبغضه علامة وجود النفاق فيه خصوصية فيه كما هي في أخيه النبي (صلوات الله وسلامه عليهما وعلى آلهما). ويؤيد هذا قوله تعالى ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ وقول النبي ﷺ: ((علي مني وأنا من علي...)) الحديث، وما يشابه هذا..

ثم قال الشيخ رحمه الله ((لأن من الطبع البشري بغض من وقعت منه إساءة في حق المبغض والحب بالعكس)). اهـ.

وأقول: ليس هذا من هذا الباب، فإن علياً عليه السلام لم يسئ إلى أحدٍ من مبغضيه، ومن قتلته علي من آباء مبغضيه وقراباتهم فإنما قتله الحق، ونفذ فيه علي عليه السلام أمر الله جل جلاله، وأمر رسول الله ﷺ فهو في قتله لهم محسن، مستحق لشكر أولئك الذين أبغضوه.

ولو جاز بغضه على ذلك أو عذرناهم في بغضهم له لذلك لكان لمنافقي قريش وأشباههم عذر في بغضهم النبي ﷺ لقتله صناديدهم؛ ولا قائل بذلك، كيف لا وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] نعم لو وجد في قلب ضعيف الإيمان شيء لا يملكه من نفسه ولا يستطيع دفعه فقد يعذر فيه إذا عمل بخلافه واستغفر، ولم يظهر منه شيئاً، وحاول دفعه بكل ما في وسعه، وهذا شأنه شأن ما يلقيه الشيطان في الأنفس من الوسوسة في الخالق عز شأنه. أما عقد القلب على بغض علي عليه السلام وثبوت ذلك البغض فيه فلا يكون مطلقاً إلا في منافق قطعاً، ولعنة الله على الكاذبين. وإذا انضم إلى البغض سبب أو تنقيص

فأمره أشد، وصاحبه مارقٌ مُحَادٌُّ لله ولرسوله بدون شك، فلا يغرنك ما تتابع فيه رجال بدون تحقيق وتمحيص... ((من أذى علياً بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا))....

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى: (والخبر في حب علي وبغضه ليس على العموم، فقد أحبه من أفرط فيه حتى ادعى أنه نبي أو أنه إله، تعالى الله عن إفكهم). اهـ.

وأقول: هذه القضية لا تخص علياً وحده فمن أحب النبي ﷺ واعتقد أنه إله فهو كافر ضال مثل الذين زعموا أن المسيح أو عزيزاً (عليهما السلام) إله، ولا دخول لهذا فيما نحن بصدد... إلى قوله: ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى: (والذي ورد في حق علي من ذلك قد ورد مثله في حق الأنصار). اهـ. وأقول: قد اعتاد بعض من كُمنَ في سُويداء قلبه بغضُ مولى المؤمنين علي عليه السلام أن يتبعَ ذكرَ كُلِّ مَنْقَبَةٍ من مناقب عليٍّ - لا يستطيع جحدها - بما يشوهها أو يوهم مساواة غيره له فيها؛ حسداً من عند أنفسهم، ولو بأن يكذبوا ويخترعوا أو ينقلوا ما يعرفون بطلانه أو ضعفه، كثرَ هذا حتى صار من ليس مثلهم في مرض القلب يتبعهم في صنيعهم هذا؛ هبةً للانفراد، أو احتراساً عن أن يُنبَرَّ بالرفض، أو انقياداً للتقليد، أو بلهاً، أو غفلة، ولعل الحامل للشيخ على ما ذكره هنا بعض هذا.

ثم إني أقول كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: ((اللهم اغفر للأَنْصار ولأبناء الأَنْصار ولأبناء أبناء الأَنْصار)) فقد آووا ونصروا، واستؤثِرَ عليهم، وقُتِلوا مع النبي، ثم مع الوصي، ثم مع أهل البيت، وادخر الله لهم أجرهم عنده، فلا عجب إن شاركوا علياً في هذه المنقبة، ولا يلزم من مشاركتهم له عليه السلام في أن بغضهم من علامات النفاق مساواتهم له في الفضل، ولا بغض من عالي مقامه كرم الله وجهه مشاركتهم رضي الله عنهم له في هذا، كما لا ينقص من فضلهم العظيم علو علي عليه السلام، والحق إن شاء الله أن بُغِضَ عليٍّ ومثله بغض الأَنْصار من أقوى علامات النفاق..... إلى آخر كلام السيد ابن عقيل في كتابه العتب الجميل.... فليراجع.

وقد أجاب عليهم أيضاً وأوضح تهافتهم في نحو هذه المقالة العلامة الحافظ حواري أهل البيت أحمد بن سعد الدين المسوري رحمه الله في (الرسالة المنقذة من الغواية في طرق الرواية) والحافظ المقبل في كتابه (العلم الشامخ والأرواح النوافخ) وابن الأمير الصنعاني في كتابه (ثمرات النظر)، وغيره، وفي لوامع الأنوار لإمام زماننا مجد الدين بن محمد المؤيدي عليه السلام، ورد عليهم الكثير الطيب والغزير الصيب، وبالله الثقة.

ذلك بفصل الخطاب، وهو لا ينطق عن أهوى، والله يحكم لا مُعَقَّب لحكمه، ﴿وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لَكَٰذِبُوْنَ ۝١﴾ [المنافقون]، فلم يبقَ بعد حكم الله ورسوله إلا الكُفر أو الإيمان.

غير أن بعض المحدثين لم يلتفتوا إلى حكم الرسول ﷺ، ولم يرفعوا له رأساً، فحكموا لروايات المنافقين وأخبارهم بغاية الصحة واعتمدوها، وحكموا على روايات المؤمنين العدول بالرّد والرفض لها تماماً، وبالبطلان رأساً، مع علمهم المستحكم أن رسول الله ﷺ جرح مبغضي علي، وسماه منافق، وحكم لمحبيه بالإيمان.

والسبب في ذلك هو ما ذكرنا من ارتباط بعض المذاهب بسياسة بني أمية. وقد عرفت بما ذكرنا أن سنة النبي ﷺ هي تعديل محبي علي عليه السلام، وجرح مبغضيه، فتركوا هذا النصّ النبوي الصحيح، وآثروا السنة الأموية، فعدّلوا مبغضي علي عليه السلام وجرحوا محبيه.

وعلى هذه السّنة الأموية وُضع كثيرٌ من كتب الحديث. ولأجل صنيعهم هذا يقول شيخنا ومولانا الإمام الحجة المجدد للدين مجد الدين بن محمد المؤيدي عليه السلام في كتابه لوامع الأنوار طه (ج ١٢/٣) توضيحاً لحقيقة حالهم، وبياناً للغالب من ممارساتهم، وتعليقاً على من قال فيهم:

يَقُولُونَ: صَحَّحْنَا الْحَدِيثَ بِجُهْدِنَا نَعْم! صَدَقُوا لَوْلَا التَّعَصُّبُ فِيهِمْ
إِذَا نَحْنُ عَارِضْنَا حَدِيثًا بِمِثْلِهِ أَبَوَا غَيْرَ مَا قَالَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ
ما لفظه (شعراً):

يَقُولُونَ: صَحَّحْنَا الْحَدِيثَ بِجَهْدِنَا وَمَا صَحَّ ذَا، وَالْإِفْكَ عَيْبٌ وَمَأْتُمْ
وَكَيْفَ وَمَا عَابُوهُ مِنْ صُنْعٍ غَيْرِهِمْ أَتَوْهُ عَيَانًا؟ كَيْفَ يُخْفَى وَيُكْتَمُ؟
فَقَدْ سَلَكَوا كُلَّ الَّذِي يَنْقُمُونَهُ بِحَقٍّ وَغَيْرِ الْحَقِّ وَاللَّهُ يُحْكِمُ
شُدُودًا وَإِرْسَالًا وَضَعْفًا وَعِلَّةً وَجَرَحًا صَرِيحًا وَالْجَهَالَةَ فِيهِمْ
أَيَفْلِحُ قَوْمٌ مِنْ ثِقَاتِ رِوَاتِهِمْ مُعَاوِيَةُ عَمْرُو وَمَرْوَانُ مِنْهُمْ
كَذَا الْأَشْعَرِيُّ وَالْمُنْغِيرَةُ وَالَّذِي حَكَى فَسَقَهُ نَصُّ الْكِتَابِ^(١) الْمُقَدَّمُ

(١) هو الوليد بن عقبة، وقد حكى القرآن الكريم فسقه في آيتين: الأولى منهما: في قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة ١٨]، فإنه المقصود بالفاسق.

قال الحافظ السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٤١ ط: (دار الكتب العلمية)، في الكلام على هذه الآية الكريمة: أخرج أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني، والواحدي، وابن عدي، وابن مردويه، والخطيب، وابن عساکر من طريق عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: قال الوليد بن عقبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أحدُ منك سنائًا، وأبسطُ منك لسانًا، وأملأُ للكتيبة منك. فقال له علي عليه السلام: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾، يعني بالمؤمن: عليًا، وبالفاسق: الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

وأخرج ابن اسحاق، وابن جرير، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت بالمدينة في علي بن أبي طالب، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وساق في السبب، إلى أن قال: وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه مثله. إلى أن قال: وأخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساکر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾، قال: أمّا المؤمن فعلي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّا الفاسق فعقبة بن أبي معيط، وذلك لسباب كان بينهما فانزل الله ذلك. انتهى. ودونك تفاسير القوم لتعرف جليّة الأمر. انظر الكشف (٣/ ٤٩٩ ط: (دار الكتب العلمية)، وتفسير ابن جرير الطبري (١٠/ ٢٤٤)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٩٨)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٧٣٦)، وتفسير الشوكاني (٤/ ٣١٧)، وغيرها كثير. وقد قوّى الذهبي إسناده في السير (٤/ ٤٩٦ ط: (دار الفكر). وانظر أيضًا: لباب النقول في أسباب التزول للسيوطي

وَقَاتِلْ سَبْطَ الْمُصْطَفَى مِنْ عَدُوهِمْ^(١) وَمَادِحُ أَشْقَاهَا ابْنُ حِطَّانٍ مُكْرَمٌ^(٢)
 أَبَى اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ وَالْعِلْمَ وَالتَّقَى وَقُرْبَى رَسُولِ اللَّهِ تَقَبَّلْ عَنْهُمْ
 فَهَلْ تُهَمَّةٌ فِي الدِّينِ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِهِمْ؟ وَمَا الْجُرْحُ إِنْ كَانُوا عَدُولًا وَهُمْ هُمْ؟
 قُلِ الْحَقُّ يَا هَذَا وَإِنْ رَغِمَتْ لَهُ أُتُوفُ لَعْمَرِ اللَّهِ لَسْنَا نُسَلِّمُ
 وَقُلْ لِلدَّعَاوَى الْفَارِغَاتِ وَأَهْلِهَا هَلُمَّ إِلَى الْبُرْهَانِ فَالْحَقُّ أَقْوَمُ

وما أجزل هذا الكلام العظيم وما أعظم وقعه في قلوب من بقي فيه مثقال ذرة
 من إنصاف، وخوف من المعاد، والسؤال بين يدي رب العباد، فهو جدير بأن يشرح

(ص / ١٧٠ ط: (دار إحياء العلوم).

والآية الثانية: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾، فإنَّ
 الوليد بن عقبة هذا هو المراد بالفاسق، كما نصَّ على ذلك كبار المفسرين وكثير من الحفاظ
 والمحدثين، وعلماء السير والتواريخ. قال المحدث الكبير ابن عبد البر في الاستيعاب
 (٤/ ١٥٥٣): لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أنَّ قوله عز وجلَّ
 ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾، نزلت في الوليد بن عقبة. انتهى. وذكره عنه الحافظان المزي في
 تهذيب الكمال (٧/ ٤٧٨) رقم الترجمة (٧٣١٨)، وابن حجر في تهذيب التهذيب (١١/ ١٢٥)
 رقم (٧٧٦٣)، ولم يعترضاه بشيء. وانظر في ذلك تفسير الطبري، والقرطبي، وابن كثير، وابن
 الخطيب الرازي، والشوكاني، وغيرهم، بل قال ابن كثير: وقد ذكر كثير من المفسرين أنَّ هذه
 الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني
 المصطلق. انتهى. وقال الشوكاني: وقد رويت روايات كثيرة متفقة على أنه سبب نزول الآية،
 وأنه المراد بها، وإن اختلفت القصص. انتهى. وانظر أيضًا تفسير السيوطي المسمى الدر المنثور
 فلقد أُنْطِبَ في تخريج هذه الآية الكريمة وبيان سبب نزولها، وأنها في الوليد بن عقبة.

(١) عمر بن سعد بن أبي وقاص.

(٢) عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ الَّذِي مَدَحَ أَشْقَى الْآخِرِينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَلْجَمٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ رَوَايَاتِهِ فِي
 كِتَابِ أَهْلِ السَّنَةِ.

في مؤلفات، وتبسط فيه الأمثلة على صنيع القوم في عشرات المصنفات. نعم، ولمعرفة الزيدية لهذا المنهج الأموي الذي بُنيت عليه بعض كتب الحديث فإنهم لم يلتفتوا إليها، ولم يقيموا لها وزناً، بل أعرضوا عنها غاية الإعراض -إلا ما كان متواتراً أو مجمعاً عليه أو موافقاً لشيء من نصوص القرآن المحكم، أو السنة الصحيحة- يرون ذلك حتماً لازماً في دينهم، وديناً مفروضاً عليهم، وما فعلوا ذلك إلا عن بصيرة واستبصار بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ المُجمع عليها، فبهداية ذلك اهتدوا، وعلى أثر أنواره ساروا، ولم يدينوا الله في دينهم بالعصبية والتقليد.

ومن هنا فإنك لا تجد في كل ما يذهبون إليه في مذهبهم إلا ما حجته قائمة من الكتاب والسنة المتفق على صحتها بين الطرفين.

وهذا بخلاف ما عليه بعض أهل المذاهب الأخرى، فإنهم قد بنوا مذاهبهم على التقليد الأعمى بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وتعصبوا على ذلك أشد التعصب، ورفضوا في سبيل ذلك أدلة الكتاب والسنن الواضحة.

ومن هنا فإنك تجد مذاهبهم خليطاً من الخرافات والمتناقضات والسخافات، وما إلى ذلك مما تستنكره الفطرة ويُقَبِّحه العقل، وتحكم ببطلانه البداهة والضرورة. وصدق الله العظيم: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ولن يقبل تلك المذاهب إلا مَنْ كان مرتكس الفطرة، منكوس الفؤاد، أو مَنْ مسح الله إنسانيته إلى الحيوانية المهينة، فجعله حماراً في صورة إنسان، أو حيواناً أرذل من الحمار.

وتدليلاً على ما قلنا، فإليك هذا المثال الذي تكتنفه أشنع القبائح من فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله، ومن خلفه وأمامه:

قالوا في توحيدهم^(١): ما من طاعة ولا عصيان: من زناً ولواط، وكذب وزور، وكُفر وشرك، وباطل ولغو، وإثم وعدوان وظلم، وفسوق وعصيان، إلا والله - سبحانه وتعالى - هو الذي خلقه وأرادَه وشاءَه وقضاه وقَدَّرَه وتولاه وحده دون الإنسان ودون الشيطان.

فبذلك نَزَّهوا الإنسان والشيطان، وَقَدَّسُوهُمَا عن فعل شيءٍ من ذلك أو إرادته ومشيئته، وحملوا كل تلك الفواحش على خالقهم، ولطخوا جلاله وعظمته بقبحها وشناعتها، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾^(٢) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ الآية [الإسراء]. وبناءً على هذا المذهب الخبيث ينبغي أن يكون التقديس والتسبيح للشيطان والإنسان، دون المجيد الرحمن!!

وبناءً على قواعد اللغة العربية التي نزل بلسانها القرآن العظيم - لو كان الأمر كما يقولون - كان ينبغي علينا أن نسمي الله جَلَّ شَأْنُهُ، وتعالى سلطانه، ونطلق عليه

(١) انظر على سبيل المثال كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص (٩٠) والذي قدّم له عدّة من كبار السلفية المعاصرين، وكتاب الجوهرة الخالصة عن الشوائب للعلامة المتحرر الدامغاني ص (٥١ - ٥٥) الذي ربما طاف أكثر الأقطار الإسلامية في القرن السابع الهجري وعرف جميع المذاهب (إيجابياتها وسلبياتها) وتحدث عنها بتجرد عن العصبية، وأناخت به المطي إلى الإشادة بمذهب الزيدية، وما هم عليه من العقائد السوية، وفي هامشه ذكر المصادر لمقاتلهم الشنيعة في تقدير المعاصي من الله، فقال: انظر: الأشعري مقالات الإسلاميين (١/ ٣٢١)، الإبانة (٤٤) .. ٤٧، إثبات الحق على الخلق (٢٤٧ - ٢٧١)، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٢١).

أسماء العصاة، كظالم وسارق وزانٍ وكذّاب، ونحو ذلك؛ لأنه فاعل ذلك وخالقه ومريده، لا الإنسان والشيطان، سبحانه الله وتعالى عما يقولون، وتقدّس عما يفترّون.

زيادة توضيح في تخلف الأمة عن الالتحاق بركب أهل بيت نبيها

صلوات الله عليهم

وقد ذكر مولانا الناظم أيده الله في البيت السابق: «ضَاقَتْ فَسِيحَاتُ الدِّيَارِ بِهِمْ... إلخ» وما قبله من الأبيات شيئاً من الحالة التي كان عليها آل النبي ﷺ وأتباعهم في العصور الأولى وما بعدها إلى اليوم، فنقول:

كان من الحق الواجب الذي تقضي به فطرّ العقول، وتستدعيه النعم التي أفاضها الرسول ﷺ على أمته أن تُحِلَّ قرابته ﷺ في المحل الأعلى من التوقير والتبجيل، وخالص المودة والرحمة، وما يتبع ذلك من ولاية أوليائهم ومعاودة أعدائهم و... إلخ.

غير أن ما وقع من الأكثر في حق أهل البيت ﷺ قد كان خلاف ذلك الذي ذكرناه؛ فاستبدلوا المودة بالعداوة، والرحمة بالغلظة، والتوقير بالإهانة، ثم عَادُوا أولياءهم ووالوا أعداءهم، وضيقوا عليهم فسيحات الديار، ووسعوا على أعدائهم، فقربوا آل أمية ومكنوا لهم في الأرض، وسلطوهم على العباد والبلاد، ومهدوا لهم أمر الخلافة، وهذا في حال مباعدتهم لأهل بيت النبي ﷺ، فإنهم لم يجعلوا لهم أيّ دور في تدبير شئون الخلافة، بل أبعدوهم عنها كل الإبعاد، بالإضافة إلى حرمانهم مما جعل الله لهم من النصيب في الفيء، اللهم إلا النادر اليسير، كيف وقد حرمت فاطمة الزهراء ﷺ من مالها الذي أنحله إياها أبوها رسول الله ﷺ

فحاجبت وخاصمت وتظلمت، فلم تجد لذلك أذنًا صاغية، ثم ماتت رضوان الله عليها متلفعة بجلباب القهر، واجدة على من حرمها، غاضبة عليه؛ حتى أوصت بأن تدفن ليلاً، وأن لا يؤذن بجنازتها فلان وفلان!! وقُتِلَ خير الخلق بعد رسول الله ﷺ عليٌّ عليه السلام ظلماً في مسجده بعد معاناة شديدة وعداوات ظاهرة، وكذلك الحسن عليه السلام، عانى من عداوة الأمة ما هو ظاهر ومشهور، ثم مات شهيداً بالسُّم.

ثم بعد ذلك ما وقع بالحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء. وما نزل بأصحاب علي عليه السلام وشيعته من القتل والتشريد في ولاية معاوية وما بعدها، ومن قبل ما لحق أبا ذر وعماراً وابن مسعود وغيرهم من الصالحين. فهذا حال أهل البيت الذين ضمهم الكساء، وقال في حقهم النبي ﷺ: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)).

وهكذا كان حال أهل البيت -سلام الله عليهم- فيما بعد، وشرُح شيء من ذلك يطول، والغرض هنا هو الإشارة لا التفصيل.

هذا، ومن نظر بعين الإنصاف واطّرح التعصب والاعتساف؛ متأملاً في الأحداث المتزامنة مع مرض رسول الله ﷺ وحين وفاته -ظهر له أمور مقلقة بالنسبة لحقوق أهل بيت النبوة، وتعددت عنده النتائج والأحكام، والله المستعان، فمن ذلك:

تباطؤ الصحابة في تنفيذ جيش أسامة، حيث كان النبي ﷺ قد أمر في مرضه أسامة بن زيد بالمسير إلى حيث قتل أبوه، وجعله ﷺ أميراً في هذا المسير، وأمر ﷺ كبار الصحابة بالمسير معه تحت إمارته وتحت رايته بما فيهم الشيخان

أبو بكر وعمر^(١)، فتباطأ الصحابة وثاقلوا وتعللوا، تارة بالظعن في تأمير أسامة، وتارة بمرض النبي ﷺ حتى غضب النبي ﷺ مما تعللوا به، وقال ﷺ: ((إن أسامة لخليق بالإمارة...)) الحديث^(٢). وكرر عليهم الأمر بتنفيذ جيش أسامة، فلم يلتفتوا إلى أمر النبي ﷺ ولم يستجيبوا له^(٣)، حتى قال

(١) قال في أنساب الأشراف للبلاذري (١/٤٧٤): وَكَانَ فِي جَيْشِ أُسَامَةَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَوُجُوهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، اهـ. وقال ابن الأثير في الكامل (٢/١٨٠): وَأَوْعَبَ مَعَ أُسَامَةَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ، مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . اهـ. وقال اليعقوبي في تاريخه دار صادر (٢/١١٣): وكان في الجيش أبو بكر وعمر. اهـ. وقال في شرح مقامات الحريري (١/٢٠٣) استشهاداً على ذلك ما لفظه: ولما دخل عبد الملك البصرة رأى إياساً وهو صبي، وخلفه أربعة من القراء أصحاب الطيالة، وإياس يقدمهم، فقال عبد الملك: أف هذه العثانين؟ أما فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث! ثم التفت إليه، وقال: كم سنك؟ فقال: سني - أطال الله بقاء الأمير - سن أسامة بن زيد بن حارثة حين ولّاه رسول الله ﷺ جيشاً فيهم أبو بكر وعمر، اهـ.

(٢) انظر مغازي الواقدي (٣/١١١٩) و سيرة ابن هشام - ت السقا (٢/٦٥٠) حيث قال: فَخَرَجَ عَاصِبًا رَأْسَهُ حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ - وَقَدْ كَانَ النَّاسُ قَالُوا فِي إِمْرَةِ أُسَامَةَ: أَمْرٌ غُلَامًا حَدَثًا عَلَى جِلَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ -. فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ، فَلَعَمْرِي لَئِنْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ لَخَلِيقًا هَذَا)). قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « اهـ . وانظر الطبقات الكبرى (٢/١٧١) وتاريخ الطبري (٣/١٨٦) وتاريخ دمشق (٢/٥١) والمتنظم في تاريخ الملوك والأمم (٤/١٦).

(٣) قد ذكر في كثير من المصادر التاريخية والحديثية تشديد النبي ﷺ في بعث جيش أسامة بألفاظ متعددة ، قال في «مغازي الواقدي» (٣/١١٢١): وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ! اهـ. وانظر سيرة ابن هشام - ت السقا (٢/٦٥٠) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٢١٨) وتاريخ خليفة بن الخياط (١٠٠) وتاريخ دمشق لابن

ﷺ أخيراً كما في بعض الروايات: ((أنفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة))^(١).

ومن ذلك: الحيلولة بين رسول الله ﷺ وبين كتابة الكتاب في مرضه ﷺ، وذلك حين أمرهم ﷺ بأن يعطوه قلماً ودواة ليكتب لهم كتاباً لا يضلون من بعده، فقال قائلهم -كما في صحيح البخاري-: «غلب عليه الوجع»^(٢)، وفي رواية: «فقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟»^(٣).

عساكر (٢/٤٧-٥٧) وأنساب الأشراف للبلاذري (١/٤٧٤) وتاريخ الطبري (٣/١٨٦) وكتاب البدء والتاريخ للمقدسي (٥/٥٩) والروض الأنف للسهيلى (٧/٥٧٠، ٥٠٨)...
(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/٢١)، شرح نهج البلاغة (٦/٥٢).

(٢) صحيح البخاري (٤٤٣٢) (٦/٩)، (٥٦٦٩) (٧/١٢٠)، (٧٣٦٦) (٩/١١١) وانظر مصنف عبد الرزاق ت الأعظمي (٥/٤٣٨) رقم (٩٧٥٧) ومسنند أحمد ط الرسالة (٥/٢٢٢) رقم (٣١١١) وصحيح مسلم ط التركية (٥/٧٦) رقم (١٦٣٧) والسنن الكبرى للنسائي (٥/٣٦٦) رقم (٥٨٢١) وصحيح ابن حبان (١٤/٥٦٢) رقم (٦٥٩٧) والجمع بين الصحيحين للحميدي (٢/٤٠٨) رقم (١٧٠٣) ومستخرج أبي عوانة ط الجامعة الإسلامية (١٢/٥٨٩) رقم (٦١٩٣).

(٣) صحيح البخاري رقم (٣٠٥٣) (٤/٧٠) ورقم (٣١٦٨) (٤/٩٩) ورقم (٤٤٣١) (٦/٩) ومصنف عبد الرزاق ت الأعظمي (٦/٥٧) رقم (٩٩٩٢) ومسنند الحميدي (١/٤٥٧) رقم (٥٣٦) والطبقات الكبير ط الخانجي (٢/٢١٣) ومسنند أحمد ط الرسالة (٣/٤٠٩) رقم (١٩٣٥) «السنن الكبرى للنسائي» (٥/٣٦٧) رقم (٥٨٢٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٧/١٨١) وشرح السنة للبغوي (١١/١٨٠) رقم (٢٧٥٥).

قال في لسان العرب: وَهَجَرَ الْمَرِيضُ يَهْجُرُ هَجْرًا، فَهُوَ هَاجِرٌ، وَهَجَرَ بِهِ فِي النَّوْمِ يَهْجُرُ هَجْرًا: حَلَمَ وَهَذَى... [إلى قوله]: قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: مَعْنَاهُ وَلَا تَهْذُوا، وَهُوَ مِثْلُ كَلَامِ الْمَحْمُومِ وَالْمُبْرَسَمِ. اهـ.

هذا، وأئمة الكفر المذكورون في قوله: (وَتَوَسَّعَتْ لِأُئِمَّةِ الْكُفْرِ) هم: معاوية ويزيد ومن تعقبهم من ملوك بني أمية وبني العباس، اللهم إلا عمر بن عبد العزيز، ومعاوية بن يزيد، ومن له في الصلاح نصيب كيزيد بن الوليد الملقب بالناقص كما سيأتي. والدليل على كفرهم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة ٤٤].

وقد ذكر مولانا الإمام الحجة عليه السلام بحثاً حول هذا الموضوع في كتابه: «لوامع الأنوار» [طه (ج ٢٩٩/١)]، ولا شك أن معاوية قد استلحق زياداً وحكم بأنه ابن أبي سفيان من الزنا، وخالف في ذلك الحكم القطعي عناداً، ورَدَّ ما عُلِمَ من الدين ضرورة من أن الولد للفراش وللعاهر الحجر؛ فاتبع غير سبيل المؤمنين، وركب غروره، وحكم بقتل محبِّي علي عليه السلام، وقضى بلعن علي في الجمع والأعياد، ومضى على ذلك الملوك من بعده، ومن قبل ذلك حارب علياً عليه السلام وحكم بفسقه وبغيه، و... إلخ.

فإن قيل: قولكم هذا في معاوية وفيمن بعده مخالف لما عليه جمهور علماء المسلمين؟

قلنا: الحق أحق أن يتبع، وقد رأينا أنَّ من الإنصاف أن نُنزِل معاوية في المحل الذي نزل نفسه فيه، ونحكم عليه بما حكمت عليه الأدلة.

وهذا، في حين أن ما احتج به أولياء معاوية لا يعدُّ واحداً من ثلاثة: إما أنه مُتأول مخطئ، أو أنه صحابي، أو أنه مسلم مقر بالشهادتين.

وذلك الاحتجاج عندنا احتجاج مدحوض؛ فالخطأ في الاجتهاد والتأول يأباه

عقيدة الزيدية العادلة

فإن قيل: قد صرحتم -أو كِدْتُمْ- بما يمس كرامة كبار الصحابة مع ما لهم من حق الكرامة عند عامة المسلمين ووجوب المحافظة عليها؛ لما لهم من السوابق في الإسلام، وحق الصحبة، وما تلى ذلك من الجهاد والفتوح و... إلخ.

قلنا: نحن معاشر الزيدية قد بنينا ديننا على قواعد ومبادئ مؤيّدة بالحجج والبراهين القطعية:

- **منها:** أن الناس في ظل أحكام الله على سواء ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة ٢٨٦]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت ٤٦]. فكل عباد الله أمام هذه العدالة على سواء، ولكل منهم ما اكتسب من الثواب والعقاب.

وقد خاطب الله تعالى الصحابة خصوصاً وسائر الأمة عموماً، فقال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء ١٢٣].

- **ومنها:** أن السنة إذا صحت إنما هي في المنزلة الثانية بعد القرآن، فمن هنا فإننا لا نلتفت إلى ما عارض القرآن من السنة، ومثل هذا الاحتجاج لا يحتاج إلى تدليل؛ فإن القرآن مقطوع بصحته، ومأمون من التحريف والزيادة والنقصان بلا خلاف، وهذا بخلاف السنة فليست كذلك.

- وجوب متابعة الدليل من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الصحيحة.

- اتباع حكم العقل في التمييز بين العاصي والمطيع، والمحق والمبطل، والحسن

والقبيح، والحقائق والخرافات.

لهذا، فإننا نحكم على فاعل المعصية بالعصيان، وعلى فاعل الظلم بأنه ظالم، و... إلخ، وسواء في ذلك جميع المكلفين من الصحابة وغيرهم، ولم نرَ للصحابة أيَّ حصانة أو حالة تستثيهم أو تخرجهم من ظلال الحكم بالثواب والعقاب، والطاعة والعصيان.

وبناءً على هذا فإننا لا نتحاشى من الحكم على أحد من المكلفين بما يظهر من عمله، وسواء أكان ذلك من الصحابة أم من القراية^(١) أم من غيرهما!

(١) قال الإمام المجدد مجد الدين المؤيدي عليه السلام في لوامع الأنوار ط ٥ (ج ١ / ٣٠٤) في الفصل الثاني ما لفظه: قال والدنا الإمام الهادي إلى الحق المبين، عز الدين بن الحسن بن أمير المؤمنين (ع) في المعراج؛ في سياق كلام، أجاب به على صاحب البهجة العامري: وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرف ورفعة؛ ولكن لم يثبت أنها تبيح المحرمات، ولا تكفر الذنوب الموبقات؛ بل العقل والنقل يقضيان بعكس ذلك... إلى قول الإمام مجد الدين عليه السلام: ولقد قارب حد الإنصاف، والخروج عن التورط في دائرة الانحراف والاعتساف، العلامة المحقق، سعد الدين التفتازاني، حيث قال في شرح المقاصد ما نصه (ج ٣ / ص ٥٣٦) (ط: دار الكتب العلمية): إن ما وقع من الصحابة من المشاجرات، على الوجه المسطور في كتب التواريخ، والمذكور على ألسنة الثقات، يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق، وبلغ حد الظلم والفسق، وكان الباعث له الحقد، والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملك والرئاسة، والميل إلى اللذات والشهوات؛ وليس كلُّ صحابي معصوماً، ولا كلُّ من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخير موسوماً... إلى قوله: وأما ما جرى بعدهم من الظلم على أهل البيت عليهم السلام، فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء، ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء، تكاد تشهد به الجماد والعجماء، وتبكي له الأرض والسماء، وتنهد منه الجبال، وتنشق منه الصخور، ويبقى سوء عمله على كثر الشهور، ومَرَّ الدهور؛ فلعنة الله على من باشر أو رضي أو سعى؛ ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.. إلى آخر كلامه. انتهى من اللوامع.

- وجوب البيان وتحريم الكتمان؛ لما قد ورد من الوعيد الشديد على كاتمي العلم والهدى.
- نرى أن الدعاية والترويج للصحابة عموماً وخصوصاً، والتغطية على ما صدر منهم، وعلى ما شجر بينهم على حد ما يذكره بعض المذاهب الأخرى- نرى أن ذلك من التلبيس والتضليل للأمة، ومن الخيانة في الأمانة، وأنه من الغلو الممقوت الذي تجاوزوا فيه حدود الحق والحقائق.

الموقف العدل من الخلفاء الثلاثة

فمن أجل هذه القواعد الثابتة والمبادئ الصحيحة ذكرنا ما ذكرنا، ولم نذكر فيما ذكرنا شتماً ولا سباً؛ وإنما ذكرنا الحوادث التاريخية التي ثبتت صحتها، وسمينا فاعلها بما يستحقه؛ قضاءً منّا بما قضت به الدلالات الواضحات، وقياماً منا بحق الأمانة في النقل، وبما ألزم الله تعالى به من نصرة المظلوم على ظالمه.

وهذا مع فتحنا لباب التأويل إن أمكن وتبين له وجهٌ صحيح، ولهذا فإننا نرى

وقال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في شرح الرسالة الناصحة (٣٣٦): ومن حيث فضّلوا وجب عليهم من الاجتهاد في الطاعة أكثر مما وجب على غيرهم، وضوعف لهم الأجر- كما قدمنا- على الطاعة، وضوعف العقاب على المعصية، ولا نعلم بين أحد من علماء آل الرسول ﷺ -فيما قلنا من مضاعفة الثواب لمطيعهم، والعقاب لعاصيهم- اختلافاً... إلى قوله: وكانت المعصية منهم لذلك التفضيل والاختصاص أقيح وأشنع، والعقوبة على عاصيهم أشد؛ لأن المعصية تعظم بعظم النعمة، وجلالة المنعم، ولا أعظم منها نعمة، ولا أجل منّة، فله الحمد منعماً، ثم أورد كلام الإمام الناصر الأطروش، ومنه: إني لا أُمْنِي نفسي ولا أخدعها بالأمان، ولا أطمع أن أنال الجنة بغير عمل، ولا أشك في أن من أساء وظلم منّا ضوعف له العذاب، وأنا ولد الرجل الذي دلّ على الهدى، وأشار إلى أبواب الخير، وشرّع هذه الشرائع، وسنّ هذه السنن، فنحن أولى الناس باتباعه، واقتفاء أثره، واحتذاء مثاله، والافتداء به انتهى.

أثمتنا عليه السلام وعلماءنا رضي الله عنهم يغمضون شيئاً من الإغماض في هذا الباب، أعني فيما يتعلق من الحكم في المشايخ الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، أما معاوية فإنهم يبتون فيه الحكم بتأ.

ولعل هذا قد كان منهم إما لشيء من التأويل في حق الثلاثة، أو لعدم القطع بكون خطئهم في ذلك كبيرة من الكبائر يذهب معها كل ما لهم من السوابق، والعناية التامة في رفعة الإسلام، والهجرة والجهاد، أو للسلامة من ألسنة الجهال، ونحو ذلك.

هذا، وقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام كثيراً ما يظهر الشكوى من اغتصابهم لأمر الخلافة، ثم التصغير لشأنه عليه السلام، والتمهيد لملك معاوية وبنو أمية، فمن ذلك قوله عليه السلام: كما في «نهج البلاغة» [ج ١/ ٣٠ ط - دار المعرفة] من خطبته المعروفة بالشتقية: (أما والله، لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وإنه يعلم أن محلي منها محل القطب من الرّحى، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير)، إلى أن قال فيها: (فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً، أرى ثراثي مهباً...) (١) إلخ.

(١) في «صحيح البخاري - ط السلطانية» (١٤٠/ ٥) رقم (٤٢٤٠ - ٤٢٤١) قول عليه السلام «وَلَكِنَّكَ اسْتَبَدَدْتَ عَلَيْنَا بِالْأَمْرِ، وَكُنَّا نَرَى لِقَرَاتِنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَصِيْبًا، حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ». إلخ، وفيه أيضاً (١٤٠/ ٥) كلام علي عليه السلام على المنبر - وأن الحامل له على ما صنع - أي من اعتزال الصحابة والتخلف عن أمر أبي بكر - ما ذكره بقوله: «وَلَكِنََّّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ نَصِيْبًا، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا» وهو في «صحيح مسلم» (٣/ ١٣٨٠) رقم (١٧٥٩) بلفظ: «وَلَكِنَّكَ اسْتَبَدَدْتَ عَلَيْنَا بِالْأَمْرِ، وَكُنَّا نَحْنُ نَرَى لَنَا حَقًّا لِقَرَاتِنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ» وهو بلفظه في صحيح ابن حبان (١١/ ١٥٣) برقم (٤٨٢٣) ومسند الشاميين للطبراني (٤/ ١٩٨) رقم (٣٠٩٧) ودلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٢٨٠).

وفي النهج أيضاً [ج ٨٥/٢ ط - دار المعرفة]: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَجْمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي (... الخ).

وحين قال له قائل: إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص [ج ٨٤/٢ ط - دار

المعرفة]!

فقال له عليه السلام: بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَخْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَحْصُ وَأَقْرَبُ؛ وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقَّاي، وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ).

وقوله عليه السلام: فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلَى مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا [ج ٤٢/١ ط - دار المعرفة].

وقوله عليه السلام في كتاب كتبه إلى أخيه عقيل كما في النهج: (فَجَزْتُ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي فَقَدْ قَطَعُوا رَجْمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي) [ج ٦١/٣ ط - دار المعرفة].

وقال عليه السلام فيه أيضاً: (فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخَذِ الْكُظْمِ، وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ) [ج ٦٧/١ ط - دار المعرفة] (١).

(١) ومن أمثال ذلك ما رواه ابن عبد البر في «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٢/٤٩٧) ما لفظه: «لَمَّا خَرَجَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ كَتَبَتْ أُمُّ الْفَضْلِ بِنْتُ الْحَارِثِ إِلَى عَلِيٍّ بِخُرُوجِهِمْ، فَقَالَ عَلِيٌّ: الْعَجَبُ لَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا قَبَضَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: نَحْنُ أَهْلُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ، لَا يُنَازِعُنَا سُلْطَانُهُ أَحَدٌ، فَأَبَى عَلَيْنَا قَوْمُنَا قَوْلُوا غَيْرَنَا. وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ لَا مُحَافَةُ الْفُرْقَةِ وَأَنْ يَعُودَ الْكُفْرُ وَيَبُوءَ الدِّينُ لَغَيْرِنَا، فَصَبَرْنَا عَلَى بَعْضِ الْأَلَمِ... الخ» أشار إليه الإمام مجد الدين في اللوامع - طه ٥ (ج ١٣٢/٤) في الفصل التاسع.

وهذا مع فتحنا لباب التأويل في حق الثلاثة وحملهم على أحسن المحامل
المحتملة!

الآثار والنتائج التي نتجت عن أخذ الخلافة على أمير المؤمنين عليه السلام

الآثار والنتائج التي نتجت عن أخذ الخلافة على أمير المؤمنين عليه السلام قد كانت
كثيرة، فمنها:

- عداوة الكثير لأهل البيت عليهم السلام، مع ما يتبع ذلك من تصغير قدرهم، وتحقير فضلهم، ثم قتلهم أخيراً، ولعنهم على رؤوس المنابر وفي الجمع والأعياد.
- ولادة مذهب أهل السنة والجماعة، فقد تمخضت ولاية معاوية والوليد بن عقبة والمغيرة بن شعبة والنعمان بن بشير وأمثالهم عن ولادة عدد من المذاهب.
- ضعف مذهب أهل البيت إلى غاية من الضعف بعيدة إلى حدّ خلّت منه الساحة الإسلامية، فلم يبق له وجود، اللهم إلا في غيابات صدور حائفة.
- تهوين أمر الخلافة والتقليل من شأنها؛ حتى طمع فيها من ليس لها بأهل، وحتى تحولت إلى مُلك خالٍ من معنى الخلافة تماماً، بل إلى حد أبعد من ذلك تماماً، كما قال الشاعر^(١):

ولوجاءوا برملة أو بهندٍ لبايعنا أميرة مؤمنينا

- غرابة الحق، فقد أصبح الحق مستنكراً والقائل به غريباً، خصوصاً في أيام الأموية والعباسية، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، وتجلّى ذلك فيما يأتي:
- ١- تقديس الصحابة والغلوّ فيهم، لا سيما من ولي أمر الأمة بما فيهم معاوية ومروان

(١) هو: عبد الله بن همام أبو عبد الرحمن السلولي. (تاريخ الإسلام ٥/ ٤٧٠).

ومن يتصل بهم.

٢- الإفراط في ذم القرابة، الذين هم أهل البيت عليه السلام بما فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتى اتهموا محبَّ علي عليه السلام وأهل بيته بأنواع التُّهم، وسموهم بشتى الأسماء القبيحة، فقالوا فيهم: روافض، وغلاة، وكذَّابون، وزنادقة، و... إلخ، مع ما صح عن النبي ﷺ كما في مسلم وغيره، من أن حُبَّ علي إيمان، وبغضه نفاق^(١)، وكما في البخاري: ((ارقبوا محمداً في أهل بيته))^(٢)، وكما في غيرهما من الأمهات الست، مثل: ((... وأحبوا أهل بيتي لحبي))^(٣)، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى ٢٣].

(١) مسلم (٧٨) (١/٨٦) وقد سبق تحريجه.

(٢) البخاري (٣٧٥١) (٥/٢٦) وهو في فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (ج ٢/٥٧٤) وصنف ابن أبي شيبة (٣٧٤/٦) وشعب الإيمان للبيهقي (٣/١٥٦) والجمع بين الصحيحين للحميدي (١/٨٩) وكلهم ينسبونه إلى أبي بكر.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (ج ٢/٩٨٦) رقم (١٩٥٢)، وسنن الترمذي ت بشار (ج ٦/١٢٦) رقم (٣٧٨٩)، والمعجم الكبير للطبراني رقم (٢٦٣٩) (ج ٣/٤٦)، والشرعية للأجري (ج ٥/٢٢٧٦) برقم (١٧٦٠) وشعب الإيمان رقم (٤٠٤) (ج ٢/١٢)، ورقم (١٣١٥) (ج ٢/٥٠٤)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/١٦٢) وحلية الأولياء لأبي نعيم برقم (٤٧١٦) (ج ٣/٢١١)، وتاريخ بغداد ت بشار (٥/٢٥٩) رقم (٢١٠٣) ومناقب علي لابن المغازلي (ص ١٩١)، وتاريخ دمشق (٥٤/٣٦٣)، وأسد الغابة (٢/١٨) ترجمة الحسن بن علي رقم (١١٦٥)، وذخائر العقبين للمحب الطبري (ص ١٨) والتحجير للمروزي (ج ١/٢٤٧)، ورواه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩/٥٨٢) وميزان الاعتدال (٢/٤٣٢) وتاريخ الإسلام (٨/٢٢٤) ورواه ابن كثير في التفسير عن الترمذي، (٧/٢٠٣) والمقرئ في إمتاع الأسماع (١١/١٧٨) والسيوطي في الدر المنثور (٧/٣٤٩) الخ.

٣- التساهل في عصيان الله تعالى، والدعوة الضمنية إلى اقتراف الكبائر وارتكاب الجرائر؛ وذلك بما وضعوه - أي أهل المذاهب المحدثه - في أصول العقيدة من أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، ومن أن من قال: «لا إله إلا الله» دخل الجنة وإن سرق وإن زنى... إلخ، وقولهم: إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يخلق معاصي العباد، ويريدها ويشاؤها، ويقدرها ويفعلها، دون العباد ودون الشيطان، فقد نزهوا بقولهم هذا أنفسهم وقدسوها وكذلك الشيطان، ثم حملوا خالقهم سبحانه وتعالى المسئولية عن فعلها، وقد قدمنا شيئاً من ذلك.

وعلى الجملة فقد عمَّ البلاء معظم عقائد الإسلام إن لم نقل كلها وكثيراً من أحكام الشريعة، وكذلك تأريخ الإسلام، فقد عمَّ البلاء ودخله التشويه والتحريف.

٦- تَجْفُونِ آلَ مُحَمَّدٍ أَكْذًا عَهْدَ الْإِلَهِ بِآيَةِ الْأَجْرِ!!
يتعجب شيخنا الناظم أيداه الله تعالى من هذا الجفاء المتناهي المستمر بأهل بيت النبوة، وما لحقهم من أكثر هذه الأمة من المضايقات وأخذ الأموال وانتهاك الحرمات في غالب الأحوال، وقد كان ذلك على مراحل.
ففي المرحلة الأولى أقصي أمير المؤمنين عن منصة الخلافة، وأخذ مال زوجته فاطمة الزهراء حتى ماتت مغاضبة ودفنت ليلاً^(١)، وتتمثل هذه المرحلة في الزمن

(١) انظر «صحيح البخاري - ط السلطانية» (١٤٠/٥) رقم (٤٢٤٢-٤٢٤٠) عن عائشة رواية طويلة وفيها: «فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئًا، فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ، فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُؤْفَيْتَ، وَعَاشَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا تُؤْفِيَتْ دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيٌّ لَيْلًا، وَلَمْ يُؤْذَنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَصَلَّى عَلَيْهَا» وهي في البخاري أيضاً (٧٩/٤)

الممتد من أول خلافة أبي بكر إلى آخر أيام خلافة عثمان، ولم يحدث في هذه المرحلة قتلٌ أحدٍ من أهل البيت عليه السلام.

أما المرحلة الثانية فتمتد من أوائل خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، ثم إلى تسلط معاوية وابتزازه لأمر الأمة، وقد بلغ الجفاء في هذه المرحلة الثانية التي طالت واستطالت الغاية والنهاية، وذلك بالقتل والقتال وإيقاد نار الحرب في الجمل وصفين والنهروان.

وقد كان أول من استوقد نار الحرب في هذه المرحلة الطويلة بقية أهل الشورى: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وساعدهم على ذلك بعض أزواج الرسول ﷺ (عائشة) والله المستعان، وهؤلاء الثلاثة هم القواد لأول حربٍ على علي عليه السلام وأهل بيته في وقعة الجمل، وإن كان هؤلاء مكانة في الإسلام، وقد صحح توبتهم الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام كما نقل ذلك إمامنا الحجة مجد الدين بن محمد في لوامع الأنوار [طه (ج ٢٧٩/٥)]، والله أعلم بحقيقة الحال.

هذا وأما المرحلة الثالثة فبدأت بأيام الشؤم في مُسمى جميع المحدثين ورواة التاريخ والآثار حين تولى يزيد بن معاوية عليه وعلى أبيه غضب الله ومقتته إلى يوم القيامة، وفيها قتل سيد شباب أهل الجنة الحسين السبط عليه وعلى الشهداء معه سلام الله ورحمته، وأوشك اللعين على استئصال الذرية الزكية، ويأبى الله إلا أن يتم

رقم (٣٠٩٣) ورقم (٣٧١١) ورقم (٦٧٢٦) وهو وفي «صحيح مسلم» (٣/ ١٣٨٠) رقم (١٧٥٩) وفي «مسند أحمد» (١/ ٢٠٥ ط الرسالة) رقم (٢٦) وفي «مصنف عبد الرزاق» (٦/ ١١١ ط التأصيل الثانية) رقم (١٠٦٤٠) وفي «الطبقات الكبرى لابن سعد ط دار صادر» (٢/ ٣١٥) وفي «تاريخ المدينة لابن شبة» (١/ ١٩٧) ...

نوره، .. إلى غير ذلك من أعماله القبيحة الشنيعة، ثم ما زالت نيران الحرب مشتعلة على أهل البيت عليهم السلام، لم تطفأ نيرانها على طول التاريخ.

وقد كان هذا الجفاء المتطاوّل الذي أَبَدَتْهُ الأُمَّةُ لأهل بيت نبيّها صلّى الله عليه وآله غريباً وعجيباً؛ لهذا استفهم شيخنا الناظم عليه السلام استفهام المتعجب والمستنكر، فقال:

(أَكْذَا... عَهْدَ الإِلَهِ بِآيَةِ الأَجْرِ).

وذلك أن المفروض والمتوقع من الأمة الإسلامية أن تتلقى آيات الله وما عهد الله فيها إليهم بالقبول والامتثال، مع الرضا بذلك والخضوع لحكم رب العباد، وغاية التواضع في الانقياد، لا أن تتلقى تلك الآيات وما عهد الله فيها من الأحكام والشرائع بالرفض لها، والثورة والصياح في وجهها، والإصرار والتفاني على ذلك.

وهكذا كانت أمة محمد صلّى الله عليه وآله -إلا من وَفَّى- في تلقيها لما عهد الله إليها في قُرْبَى النبي صلّى الله عليه وآله في آية المودة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى ٢٣]، الذين هم: علي وفاطمة وابناهما، كما في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير [١٢٩/٦] وغيره، فاستبدلت الأمة ذلك العهد المأخوذ عليها بما ذكرنا سابقاً من الجفاء والأذى، و... إلى آخره.

شرح بياني

تَجْفُونَ آلَ مُحَمَّدٍ أَكْذَا عَهْدَ الإِلَهِ بِآيَةِ الأَجْرِ؟!

الجملة الأولى استفهامية؛ لهذا ترك حرف العطف. وحرف الاستفهام مقدر.

أسرار البلاغة في هذه الجملة هي:

- ١- أن الاستفهام يفيد قُبْح الفعل أولاً، ثم توبيخ الأمة وتجهيلها والاستنكار عليها.
- ٢- يستفاد من هذه الجملة أن الاستنكار واقع على فعل متجدد متلاحق الأحداث من

غير توقف ولا انقطاع، وذلك من صيغة الفعل المضارع (تَجْفُونُ).

٣- إضافة آل محمد ﷺ تفيد التعظيم للمضاف كما ذكرنا سابقاً، فيتزايد الاستنكار، و... إلخ بوقوع الفعل على ذلك المضاف العظيم.

٤- ثم أردف ذلك الاستفهام وتلك الجملة باستفهام آخر وجملة أخرى فقال: (أَكْذَا .. عَهْدَ إِلَهِ بِآيَةِ الْأَجْرِ)، من غير أن يأتي بحرف العطف؛ إعلاناً بأنه قد أنشأ واستأنف تقريراً جديداً، وتوبيخاً آخر. فيستفاد من ذلك: أن كلا الجملتين كافٍ في حصول التوبيخ والتجهيل، ولو جيء بحرف العطف -الذي هو الواو- لاحتمل أن التوبيخ إنما حصل بمجموع الأمرين.

٥- قوله: (أَكْذَا .. عَهْدَ إِلَهِ بِآيَةِ الْأَجْرِ) الكاف هنا كناية، مثلها في قولهم: «مثلك لا يبخل»، وفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى ١١]، على أحد احتمالاتها. والفائدة من ذلك المبالغة في الاستنكار.

٦- وجيء باسم الإشارة القريب «ذا» ليفيد تمييز المشار إليه، وتنزيله منزلة المحسوس، فكانه لذلك حاصل لدى المتكلم والسامع، وحاضر في مجلس الخطاب في صورة واضحة لا التباس فيها ولا خفاء، فيكون الاستنكار حينئذٍ قد وقع على شيء ملموس حاضر معلوم. ومثل هذا يكون أدخل في الاستنكار وأشد في التقريع والتوبيخ.

- قدم المفعول المطلق في هذه الجملة (أَكْذَا عَهْدَ) لأنه المقصود بالاستنكار لا أصل العهد.

- واختار لفظ العهد على لفظ الأمر أو الحكم؛ لأنه أنسب في المبالغة والاستنكار كما لا يخفى.

- والباء في قوله: (بِآيَةِ الْأَجْرِ): للظرفية المجازية. و(آيَةُ الْأَجْرِ) هي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى ٢٣]. وغير خاف أن تعيين محل العهد في هذا المقام أدخل في تمام المقصود الذي أراده الناظم عليه السلام من حيث أنه أغلق بذلك على المخاطب الخروج عن دائرة الاستنكار والتقبيح والتفريع.

٧- سِرُّ الْخِلَافَةِ فِي قَرَابَتِهِ خَالَفْتُمُوهُ يَا ذَوِي الْعَدْرِ

مقومات الإمامة ومؤهلاتها

«سِرُّ الْخِلَافَةِ» هي مقوماتها ومؤهلاتها التي لا يصلح للخلافة إلا من استجمعها، وهي: القرابة القريبة التي بينها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم في حديث الكساء، موضحاً تطهير الله تعالى لها في آية التطهير، وأوجب سبحانه مودتها في آية المودة، وحكم بأنها صمام الأمان لهذه الأمة من كل ضلال أو فتنة غوية، كما تواتر ذلك في أحاديث الثقلين الواضحة الجلية، وما سوى ذلك من مؤهلات الخلافة؛ كأن يكون معه منها ما يتمكن به من القيام بالأعمال التي كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقوم بها من تبليغ الشريعة، والحكم بالحق والعدل، والجهاد وتبدير شؤون الخلافة، و... إلخ. ولا يتمكن من ذلك إلا من رسخ في علم الكتاب والسنة وما يلحق ذلك أو يتبعه من سائر العلوم، مع وفارة العقل والذكاء، والحلم والورع، وبلوغ الغاية من التقوى والتواضع والرحمة والرأفة بالمؤمنين، والشدة والغلظة على الظالمين، و... إلى آخر ما يذكر في علم الكلام.

وقد كان الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلم هياً الأسباب لخلافة أهل بيته بالوعد

والوعيد، والترغيب والترهيب، وطمأن الأمة من الهلاك والضلال بعد موته ﷺ إن تعلقوا بأهل بيته واتبعوهم، وأنه لا يفوتهم من نبينهم ﷺ بعد موته ﷺ إلا مجرد شخصه إن اهتدوا بهم، فنزلهم ﷺ فيهم بعد موته منزلة نفسه ﷺ؛ فبين أن حربهم حربهم، وسلمهم سلمهم، وعداوتهم عداوته، ومحبتهم محبته، وأن من تبعهم نجا، ومن تخلف عنهم غرق وهوى، وأن الحق معهم وفيهم إلى يوم القيامة... إلى آخر ما طفحت به كتب السنة مما لا يدخل تحت الحصر.

وقد جاء شيخنا أيداه الله في كتابه «لوامع الأنوار» بالكثير من ذلك، فليرجع إليه من أراد المعرفة الكاملة بما يتعلق بهذا الباب.

غير أن الغالبية نكثت ما كان رسول الله ﷺ أحكم فتله، ونفسته في مهب الرياح من غير مبالاة بوثائق العهود المؤكدة، والأحكام المشددة، فخلفت نبينا ﷺ بعد موته بخلاف ذلك.

فإن قيل: من هم ذوو الغدر المذكورون في البيت؟

قلنا: ذوو الغدر هم الذين قالوا: سمعنا وأطعنا حين جاءهم الرسول ﷺ بأحكام الإسلام وشرائعه، ثم أحدثوا بعد وفاته ﷺ ولم يفوا بما التزموا به من الطاعة لما جاءهم به الرسول ﷺ اتباعاً لأهواء أنفسهم، ومعاذة لأحكام ربهم، وكذلك من نصب العداوة لأهل البيت على مر العصور، ولم يرض بما قضاه لهم العزيز الغفور، فعارض وصاة الله فيهم، وخلف نبينهم بمحاربتهم، والمبالغة في التنكيل بهم.

والحكم بالغدر هنا هو حكم حتمي، فرضه الواقع التاريخي على أولئك المذكورين.

فإن قيل: قولكم هذا يدخل فيه بعض الصحابة وحكمكم عليهم بالغدر حكم تجاوزتم فيه الحدود؛ لأن الصحابة خير هذه الأمة وفيهم فضل عظيم؟

قلنا: للصحابة فضل، ولهم حقوق كما قدمناه مراراً؛ غير أنهم بالاتفاق لم ينالوا بالصحبة مقام القداسة، ولم يدخلوا بها في حصانة العصمة، بل لم يبلغوا إلى منازل أصحاب كثير من الأنبياء السابقين. ومن هنا فإننا نجد الله سبحانه وتعالى قد نعى عليهم الوهن والاستكانة والضعف وقلة الصبر مع نبيهم ﷺ، عكس ما كان عليه أصحاب الرسل قبلهم؛ فقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران ١٤٦]، ونجده سبحانه قد وصف بعضهم ممن شهد أحداً بقوله: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران ١٥٢].

ونجده سبحانه وتعالى استنكر عليهم ضعف الإيمان والتراجع على الأعقاب، فقال سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران ١٤٤]. وهناك أدلة كثيرة تبين مكانة الصحابة الحقيقية.

أما تلك المكانة التي يذكرها بعض أهل المذاهب فإنها هي دعاية مزيفة، وترويج اصطنته معاوية ومن بعده من خلفاء بني أمية لأغراض ومصالح سياسية، ولذا فإنك تجد عندهم حباً علي بن أبي طالب جريمة مخلة بالإيمان مع أنه صحابي!! ومعاداته وسبه وشتمه من مصححات الإيمان وشرائطه!! لذلك فإن ثقاتهم الذين رويوا أحاديث البخاري ومسلم كثيراً منهم ممن يشتم علياً عليه السلام، أو يلعنه، أو يعاديه، أو... إلخ، كما أسلفنا ذلك.

قال مولانا الناظم رضوان الله عليه:

٨- فَرَقٌ تُضَلِّلُنَا عَلَى التَّقْوَى وَهِيَ الَّتِي ضَلَّتْ وَمَا تَدْرِي

أي الفريقين أهدي

هاهنا يخبر سلام الله عليه عن شيء من أسباب تعجبه وشكايته، وذلك من هذه الفرق المتعددة، والمذاهب الكثيرة المتفرقة، التي تُنسبُ أهل البيت النبوي إلى الضلال في مذهبهم، والانحراف في منهجيتهم، مع أن هؤلاء المضللين لنا أولي بوسام الضلال، وأحق وأجدر بسمة مخالفة ذي الجلال؛ إذ لا ذنب لنا في ذلك إلا الالتزام بمؤهلات التقوى وأسبابها، والتمسك بأهدابها وعراها، ومراعاة أوامر الحي القيوم، والانتباه عن ملابسة نواهي علام الغيوب؛ فالحكم الله والموعود القيامة، حين جُثِّتِ الأُمم، والأخذ بالكظم.

نعم، وقد قامت الدلالة القاطعة، وثبتت الحجة الواضحة على أن الحق في جانب أهل البيت عليهم السلام دون من خالفهم، فمن تلك الأدلة القطعية:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

ذُرِّيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ [آل عمران].

ولا شك أن نبينا محمداً صلوات الله وسلامه عليه خير الأنبياء وأتمه خير الأُمم، فيجب أن يكون آله خير آل، وأنهم المصطفون على سائر الناس، وذلك قضاءً بما قضت به سنة الله في أنبيائه صلوات الله وسلامه عليه.

٢- يؤكد ذلك ويعززه ما ثبت عن النبي صلوات الله وسلامه عليه كما في البخاري وغيره من كتب

الحديث من أنه أمر المسلمين بكيفية الصلاة عليه، فقال صلوات الله وسلامه عليه: ((قولوا: اللَّهُمَّ

صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ...)) إلخ^(١)، وإجماع المسلمين على شرعية هذه الصلاة في الصلوات المفروضة والمسنونة.

٣- حديث الثقلين: وهو قوله ﷺ: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض))^(٢). وهذا الحديث متواتر مجمع على صحته بين طوائف المسلمين، وهو في صحيح مسلم [٢٤٠٨ (٤/١٨٧٣)]. وهناك أحاديث كثيرة لا تكاد تُحصى طفحت بها الصحاح والسنن والمسانيد من كتب أهل السنة.

٤- آية التطهير: وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الشورى ٢٣]، تواترت الرواية عن النبي ﷺ أنها نزلت في أهل الكساء. ومن روى ذلك مسلم في صحيحه^(٣).

(١) البخاري (ج ٤/١٤٦) برقم (٣٣٧٠) و(ج ٦/١٢٠) برقم (٤٧٩٧-٤٧٩٨) و(ج ٨/٧٧) برقم (٦٣٥٧)، صحيح مسلم (١/٣٠٥) برقم (٤٠٥-٤٠٦)، مسند أحمد برقم (١٣٩٦) و(١١٤٣٣) و(١٧٠٦٧) و(١٧٠٧٢) و(١٨١٠٤) و(١٨١٢٧)، سنن ابن ماجه (١/٢٩٣) رقم (٩٠٤)، سنن أبي داود (٢/٢٢٥) رقم (٩٧٨)، سنن الترمذي ط ٢ (٢/٣٥٣) برقم (٤٨٣) و(٥/٣٥٩) برقم (٣٢٢٠)، المعجم الكبير للطبراني (٢٧١) (١٩/١٢٥)، سنن النسائي (١٢٩١) (٣/٤٨)، موطأ مالك بتحقيق الأعظمي رقم (٥٧٣) (ج ٢/٢٣٠) السنن المأثورة للشافعي (١٧١) برقم (١٠١) مسند أبي داود الطيالسي (٢/٣٨٨) رقم (١١٥٧) مصنف عبد الرزاق (٢/٤٩٦-٤٩٧) بالأرقام (٣٢١١-٣٢١٥) مسند الحميدي (١/٥٦٤) رقم (٧٢٨) مسند ابن الجعد (ص ٤٠) برقم (١٣٨) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٢٤٦-٢٤٧) بالأرقام (٨٦٣١-٨٦٣٥) وغيرها.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه عن عائشة برقم (٢٤٢٤) (٤/١٣٨٣)، ومما يدل على تواتر نزول هذه الآية فيهم ما

ظهر واشتهر من كثرة الرواة لذلك، وسنذكر بعض من رواها غير مسلم باختصار:
 رواه أحمد حنبل في مسنده عن واثلة بن الأسقع، برقم (١٦٩٨٨) ومن عدة طرق بالأرقام:
 (٢٦٥٤٠) و (٢٦٥٥٠) و (٢٦٥٩٧) و (٢٦٦٠٠) و (٢٦٧٤٦). ورواه أيضاً في فضائل
 الصحابة (٩٩٤) و (٩٩٥) و (٩٩٦). وأخرجه مختصراً الطحاوي في شرح مشكل الآثار
 (٧٦٦)، والطبراني في الكبير (٢٦٦٨) من طريق جعفر بن زياد الأحمر، عن عبد الملك بن أبي
 سليمان، عن عطاء، عن أم سلمة.
 وأخرجه الطحاوي (٧٦٧)، والطبراني في الأوسط (٢٢٨١)، وفي الصغير (١٧٧)، وأبو نعيم
 في أخبار أصبهان ١/ ١٠٨ من طريقين عن داود أبي الجحّاف.
 وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٦٦)، والطبراني في الكبير (٢٦٦٥) و (٧٧٣) و
 (٧٨٣) من طرق عن شهر بن حوشب.
 وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٢/ ١٩٦-١٩٧، والطحاوي في شرح مشكل الآثار
 (٧٦٢)، والطبراني في الكبير ٢٣/ (٧٥٠) من طريق عثمان بن محمد، عن جرير، عن الأعمش،
 عن جعفر بن عبد الرحمن البجلي، عن حكيم بن سعد، عن أم سلمة، به، مختصراً.
 وأخرجه الطبري في تفسيره (ط هجر) (١٩/ ١٠٧) عن ابن حميد، عن عبد الله بن عبد القدوس،
 عن الأعمش، عن حكيم بن سعد، عن أم سلمة، نحوه.
 وأخرجه أبو يعلى (٦٨٨٨)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٠٢)، والطحاوي في شرح مشكل
 الآثار (٧٦٨)، والطبراني في الكبير (٢٦٦٢) من طريق فضيل ابن مرزوق، عن عطية العوفي،
 عن أبي سعيد الخدري، عن أم سلمة بنحوه.
 وأخرجه الطبراني أيضاً ٦/ ٢٢ من طريق مندل، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري.
 وأخرجه الطبري أيضاً (١٩/ ١٠٥)، والطبراني في الأوسط (٧٦١٠) من طريق سعيد بن زربي،
 عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن أم سلمة.
 وأخرجه الطبري أيضاً (١٩/ ١٠٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٦٣)، والطبراني في
 الكبير (٢٦٦٣)، من طريق يعقوب بن موسى الزمعي، عن هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي
 وقاص، عن عبد الله بن وهب بن زُمعة، عن أم سلمة، نحوه.
 وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٦٥) و (٧٧٢) من طريق عمّار الدُّهني، عن عمرة
 بنت أفعى، عن أم سلمة نحوه.

٥- آية المودة: وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾

[الشورى ٢٣]، صحت الرواية بنزولها في مودة قريبي رسول الله ﷺ الذين هم: علي

وفاطمة وابناهما. ومن روى ذلك البخاري في صحيحه^(١).

وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٥١ و ٣/ ١٥٨)، والبيهقي في السنن (٢/ ١٥٠)، والبغوي في تفسيره (ط طيبة) (٦/ ٣٥١) من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن شريك بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة أنها قالت: في بيتي نزلت هذه الآية ... فذكر نحوه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

وعن عمر بن أبي سلمة عند الترمذي (٣٢٠٥) و (٣٧٨٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٧١)، والطبري في تفسيره (١٩/ ١٠٦).. ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٣١٣١) بعدة طرق عن أبي سعيد الخدري، وعن عائشة، وعن واثلة بن الأسقع، وعن أم سلمة. ابن راهويه في مسنده رقم (١٢٧١) (٣/ ٦٧٨)، أحمد بن حنبل في الفضائل (٩٧٨) (٢/ ٥٧٧) وفي المسند عن ابن عباس وذكر غيره من فضائل علي عليه السلام برقم (٨٠٦١) (٥/ ١٨٠)، البزار في مسنده (٢٢٥١) (٦/ ٢١٠)، ابن حبان في صحيحه (٦٩٧٦) (١٥/ ٤٣٢، ٤٣٣)، الطبراني في المعجم الكبير (٢٦٧٠) (٣/ ٥٥)، المستدرک على الصحيحين عن أم سلمة (٣٥٥٨) (٢/ ٤٥١) وقال: صحيح على شرط البخاري، وعن واثلة بن الأسقع (٣٥٥٩) (٢/ ٤٥١) وقال: صحيح على شرط مسلم، وعن ابن عباس (٤٦٥٢) (٣/ ١٤٣)، وعن عائشة (٤٧٠٧) (٣/ ١٥٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين، السنن الكبرى للبيهقي (٢٨٦١) (٢/ ٢١٤).

وأورده الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) (٨/ ٢٤٧) وقال ما لفظه: «وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ كَالْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهَا بَيْنَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ» وفي تفسير ابن كثير - ت السلامة (٦/ ٤١١) أورد معظم تلك الروايات... اهـ.

(١) قد سبق تخريجه، ونزيدك هنا أن رواية البخاري لتغليط ابن عباس لسعيد بن جبير لما قال فيها: «قريبي آل محمد» غير صحيحة، وذلك لصحة الرواية عن ابن عباس بأنها لما نزلت هذه الآية قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ قَرَابَتُكَ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟ قَالَ: ((عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا)) رواها أحمد بن حنبل في «فضائل الصحابة» (٢/ ٦٦٩) والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٤٧) رقم (٢٦٤١) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٧٦) وأخرجها أيضاً الحافظ ابن

وهناك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة في هذا الباب ومن أراد المعرفة فعليه بكتاب «لوامع الأنوار» لشيخنا ومولانا مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي أيده الله تعالى.

٩- فَلَنَّا مَقَامَ سَوْفَ نُدْرِكُهُ حَيْثُ الْقَضَا عَنْ أَمْرِهِ يَجْرِي

مبحث حول الإمام المهدي عليه السلام

استروح شيخنا الناظم هنا وتعزى إلى ذكر ما سبق به القضاء على لسان النبي الصادق عليه السلام من قيام سلطان أهل البيت عليه السلام بقيادة الإمام المهدي عليه السلام، الذي

=
حجر العسقلاني في «فتح الباري» (٨/ ٥٦٤) في شرح حديث الباب من طريق قيس بن الربيع عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عند الطبراني وابن أبي حاتم، وما حاول به من تضعيف إسناده بقيس بن الربيع فهو مردود عليه، فقد وثقه عفان وأبو داود الطيالسي، وقال كما في الخلاصة (٢/ ٤٥٠) وغيرها: ثقة حسن الحديث، وقال الذهبي في ترجمته في تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٦): كان شعبة يثني عليه... إلى قوله: وأما ابن عدي فقواه وقال لا بأس به، عامة رواياته مستقيمة، القول فيه ما قال شعبة، وقال أبو الوليد: شهد جنازة قيس بن الربيع شريكاً، فقال: ما ترك بعده مثله... الخ، وقد أورد ابن عدي في كامله (٧/ ١٥٩) مقالة شعبة: ألا تعجبون من هذا الأحوال - يعني يحسن القطان - يقع في قيس الأسدي، قلت: وكفى بشعبة وتزكيته، !!! كيف وقد قال فيه ابن حجر نفسه في التقریب (٢/ ١٢٨): صدوق، وإنما راموا تضعيفه لتشييعه، كما قال الحافظ عبد الله بن الهادي في الجداول: عداؤه في ثقات محدثي الشيعة وأتباع الإمام زيد بن علي عليه السلام، والراوين عنه، وقد نال منه بعضهم، احتج به الأربعة إلا النسائي، اهـ. ويرد تضعيف ابن حجر ما ذكره الحافظ القسطلاني في كتابه عمدة القارئ (١٦/ ١٧) وهو يذكر الأقوال في تفسير القريبى حيث قال: الثالث: المراد علي وفاطمة وولدها، ذكر ذلك عن رسول الله ﷺ، وبه قال ابن عباس، اهـ. فقد جزم بأنه رأي ابن عباس، فلا صحة لما قاله ابن حجر، والله المستعان.

سوف يبدد بسلطانه جحافل الظلام المتراكم، ويُطَهِّر الأرض من الأنداس والأرجاس.

وقد ذكر شيخنا الناظم في كتابه الكبير (لوامع الأنوار) [طه (ج/١٢٦)] موضوعاً مطوّلاً حول أخبار الإمام المهدي عليه السلام نقله في هذا المقام ليتبين به شرح هذا البيت، فنقول وبالله التوفيق:

قال أيده الله تعالى:

الدليل الأول قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((الْمَهْدِيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ))

أخرجه ابن أبي شيبة^(١)، وأحمد^(٢)، وابن ماجه^(٣) عن علي^(٤).

وأخرج أبو داود^(٥) - أيضاً - عن علي وقد نظر إلى الحسن ابنه وقال: ((إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، كَمَا سَمَّاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ يُشَبِّهُهُ فِي الْخَلْقِ، وَلَا يُشَبِّهُهُ فِي الْخَلْقِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا)).

وأخرج الترمذي وصححه^(٦) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَوْ لَمْ يَتَّقِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي)).

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢١ / ٢٩٠)، رقم (٣٨٧٩٩)، ط: (قرطبة).

(٢) مسند أحمد بن حنبل (١ / ١٠٥ - ١٠٦)، رقم (٦٤٧)، ط: (دار الكتب العلمية).

(٣) سنن ابن ماجه، (ص / ٦٦٤)، رقم (٤٠٨٥)، ط: (دار الكتب العلمية).

(٤) وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٦ / ٣٨).

(٥) سنن أبي داود (٤ / ١٠٨) رقم (٤٢٩٠)، ط: (المكتبة العصرية).

(٦) سنن الترمذي (ص ٦١١)، رقم (٢٢٣١)، ط: (دار إحياء التراث العربي)، وقال: «حديث

حسن صحيح». وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٦ / ٣٩).

وأخرج أبو داود^(١)، والحاكم^(٢)، وابن ماجه^(٣)، والطبراني^(٤)، عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: ((الْمَهْدِيُّ مِنْ عِثْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ)) فدلّت هذه الأخبار على أن اللاحقين يكونون من أهل البيت كالسابقين. والأحاديث في المهدي وكونه من أهل البيت متواترة^(٥).

قلت: الأخبار النبوية، والبشائر العلوية، بإمام الأمة، وختم الأئمة، المهدي لدين الله، محمد بن عبد الله ابن رسول الله ﷺ أكثر من أن تحصر؛ والأمر فيه كما قال شارح نهج البلاغة، عند قول الوصي عليه السلام (قَدْ لَبَسَ لِلْحِكْمَةِ جُتَّتَهَا)؛ ما نصه^(٦): وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أن الدنيا والتكليف لا ينقضي إلا عليه. انتهى^(٧).

وما زال أئمة آل محمد عليه السلام يبشرون به ويتنظرون الفرج من الله تعالى بأيامه، يوصي بذلك أولهم آخرهم، ويبلغ سابقهم لاحقهم. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أولنا محمد بن عبد الله، وأوسطنا محمد بن عبد الله، وآخرنا محمد بن عبد الله).

(١) سنن أبي داود (١٠٧/٤) رقم (٤٢٨٤).

(٢) مستدرک الحاكم (٦٠١/٤)، رقم (٨٦٧٢).

(٣) سنن ابن ماجه (ص/٦٦٤)، رقم (٤٠٨٦).

(٤) المعجم الكبير للطبراني (٥٢/١٠)، رقم (١٩٠٦٩) ط: (دار الكتب العلمية).

(٥) انظر: الدر المشور للسيوطي (٣٨/٦)،

(٦) شرح نهج البلاغة (٩٦/١٠).

(٧) من شرح نهج البلاغة [ط١/ج١٠/ص٩٦ ط: دار الجليل/تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم].

فالأول محمد بن عبد الله النبي ﷺ والأوسط محمد بن عبد الله النفس الزكية، والآخر محمد بن عبد الله المهدي؛ رواه الإمام المتوكل على الرحمن، أحمد بن سليمان عليه السلام.

وبهذا وأمثاله من أوصافه المعلومة يتبين أنه ليس الإمام المهدي النفس الزكية عليه السلام وإن كانت البشارات وردت به؛ فإنها هي كالبشارات الواردة في غيره؛ كالإمام الأعظم زيد بن علي، والإمام نجم آل الرسول، وحفيده الهادي إلى الحق وغيرهم - صلوات الله وسلامه عليهم - وليس بالمهدي الذي وعد الله به الأمة، وختم به الأئمة.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (وإلينا مَصِيرُ الْأُمَرِ، وَبِمَهْدَيْنَا تَنْقَطِعُ الْحُجَجُ؛ خَاتَمُ الْأَئِمَّةِ، وَمُنْقِذُ الْأُمَّةِ)؛ رواه المسعودي في مروج الذهب، عن الصادق، عن آبائه، عن علي (ع) ^(١).

وروى الحافظ أبو العلا الهمداني، من حديث علي بن علي الهلالي، عن أبيه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في الحالة التي قُبِضَ عليها؛ فإذا فاطمة عند رأسه، فبكت عند رأسه حتى ارتفع صوتها، فرفع عليه السلام طرفه إليها، فقال: ((حببتي فاطمة ما الذي يبكيك؟)).

فقلت: أخشى الضيعة من بعدك.

فقال: ((يا حببتي، أما علمت أن الله اطلع على أهل الأرض اطلاعة فاختر منها أباك فبعثه نبياً برسالته؛ ثم اطلع عليها اطلاعة فاختر منها بعلك، وأوحى إلي أن أنكحك إياه؛ يا فاطمة، ونحن أهل بيت قد أعطانا الله خمس خصال لم يعطها

(١) مروج الذهب للمسعودي (١/ ٢٧)، ط: (المكتبة العصرية).

أحداً قبلنا ولا يعطيها أحداً بعدنا: أنا خاتم النبيين وأكرمهم على الله عز وجل، وأحب المخلوقين إليه، وأنا أبوك؛ ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله تعالى، وهو بعلك؛ وشهيدنا خير الشهداء وأحبهم إلى الله تعالى، وهو حمزة بن عبد المطلب، عم أبيك وعم بعلك؛ ومنا من له جناحان أخضران يطير في الجنة حيث يشاء مع الملائكة، وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك [جعفر بن أبي طالب] ^(١)؛ ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابنك الحسن والحسين، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما؛ والذي بعثني بالحق، إن منا مهدي هذه الأمة؛ إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرت الفتن، وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبيرهم يرحم صغيرهم، ولا صغيرهم يوقر كبيرهم، فيبعث الله -عز وجل- عند ذلك من يفتح حصون الضلالة، وقلوباً غلفاً؛ يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمتُ به في أول الزمان، ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً)). انتهى من شرح التحفة ^(٢)، للسيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير، وهو في ذخائر العقبين للمحب الطبري الشافعي ^(٣)، والأمير ناقل منها ^(٤).

وروى نحوه ابن المغازلي ^(٥)، عن أبي أيوب رضِيَ اللهُ عَنْهُ وفيه: ((إن الله عز وجل اطلع

(١) زيادة من شرح التحفة العلوية المنقول منها.

(٢) شرح التحفة العلوية (ط ١ / ص ٢٨٢)، ط: (مكتبة بدر).

(٣) ذخائر العقبين (ص / ١٣٥).

(٤) وروى نحوه الطبراني في الكبير (٣ / ١٩٠)، رقم (٢٦٠٩)، ط: (دار الكتب العلمية)، عن علي الهاللي.

(٥) المناقب لابن المغازلي (ص ٨١-٨٢)، رقم (١٤٤).

إلى الأرض اطلعة فاختار منها أباك فبعثه نبياً؛ ثم اطلع إليها ثانية فاختار منها بعلك، فأوحى إلي فأنكحته واتخذته وصياً؛ أما علمت - يا فاطمة - أن لكرامة الله إياك زوجك أعظمهم حلماً، وأقدمهم سلماً، وأعلمهم علماً)).

إلى قوله: ((يا فاطمة، له ثمانية أضراس ثواقب: إيمان بالله، ورسوله، وحكمة، وتزويجه فاطمة، وسبطاه الحسن والحسين، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، وقضاؤه بكتاب الله - عز وجل -)) إلى قوله - صَلَّواتُ الله عَلَيْهِ وآله -: ((نبينا أفضل الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمك، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء، وهو جعفر ابن عمك، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك، ومنا - والذي نفسي بيده - مهدي هذه الأمة))؛ رواه في تفريج الكروب.

قلت: والاطلاع من الله تعالى مُسْتَعَارٌ؛ لِتَوَجُّهِ الْحُكْمِ بِالاخْتِيارِ في تلك الحالة، أو نحو ذلك من وجوه التأويل؛ إذ لا يمكن حمله على الظاهر بمقتضى الدليل.

وفي تخريج الشافي، بعد أن ساق الرواية للخبر الأول من تحفة الأمير ما لفظه^(١): وروى ما يقاربه ابن المغازلي عن أبي أيوب الأنصاري، ورواه عيسى بن حفص بطريقه إلى أبي أيوب إلى قوله: ((ومنا مهدي هذه الأمة)) ذكره في الكامل المنير^(٢)؛ ورواه محمد بن سليمان الكوفي بسنده إلى أبي أيوب^(٣)؛ والاختلاف في الروايات

(١) الشافي مع التخریج (٢/ ٩٨).

(٢) الكامل المنير (ص ٧١-٧٣).

(٣) المناقب لمحمد بن سليمان الكوفي (١/ ٢٥٣-٢٥٥)، رقم (١٦٨).

يسير؛ ورواه أبو القاسم محمد بن جعفر، في كتابه إقرار الصحابة^(١)، بسنده إلى عثمان، انتهى^(٢).

هذا، وروى في تفريج الكروب: ((أَبْشُرُوا أَبْشُرُوا؛ إِنَّمَا أُمَّتِي كَالْغَيْثِ، لَا يُدْرَى آخِرُهُ خَيْرٌ أَمْ أَوَّلُهُ؛ أَوْ كَحَدِيقَةِ أَطْعَمَ مِنْهَا فَوْجٌ عَامًّا؛ لَعَلَّ آخِرَهَا فَوْجًا يَكُونُ أَعْرَضَهَا عَرَضًا، وَأَعَمَّقَهَا عُمُقًا، وَأَحْسَنَهَا حُسْنًا؛ كَيْفَ تَهْلِكُ أُمَّةٌ أَنَا أَوَّلُهَا، وَالْمَهْدِيُّ أَوْسَطُهَا، وَالْمَسِيحُ آخِرُهَا؟ وَلَكِنْ يَبَيِّنُ ذَلِكَ تَبَيُّجٌ^(٣) أَعْوَجُ، لَيْسُوا مِنِّي، وَلَا أَنَا مِنْهُمْ))، أخرجه النسائي^(٤) عن جعفر بن محمد عن آبائه مرفوعاً^(٥).

((أَبْشُرُوا بِالْمَهْدِيِّ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ مِنْ عَتْرَتِي يُخْرِجُ فِي اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلْزَلَةٍ؛ فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأْتَ ظِلْمًا وَجَوْرًا، وَيَرْضَى عَنْهُ سَاكِنٌ

(١) إقرار الصحابة (مخ)، لأبي القاسم محمد بن جعفر الجابري، الورقة (١٧٠)، في الباب الثالث: فيما جاء عن عثمان بن عفان من الروايات في فضل أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) من تخريج الشافي (٢/٩٨). وروى نحوه الطبراني في الأوسط، كما ذكره عنه الشريف السمهودي في جواهر العقدين (ص/٣٠٨).

(٣) التَّبَيُّجُ -بفتحتين-: الكاهل إلى الظهر، وقيل: تَبَيُّجُ كُلِّ شَيْءٍ: وَسْطُهُ. تمت مختار الصحاح. تمت من مولانا الإمام المؤلف عليه السلام. قلت: لفظُهُ (فبيج) في المطبوعة من جامع الأصول لابن الأثير (٩/٢٠٢)، ومشكاة المصابيح (١١/٤١٨)، (مع مرقاة المفاتيح، للقاري). قال ابن الأثير: «الفبيج أو الفوج: الجماعة من الناس...». وقال علي القاري: «فَبَيُّجٌ -بفتح فاء، وسكون ياء، فجيئ-: أي فوج».

(٤) كذا في تفريج الكروب (مخ)، ورواه ابن الأثير في جامع الأصول (٩/٢٠٢)، ويصَحُّ لتخريجه. وقال المحقق في الحاشية: «كذا في الأصل بَيَّاضٌ بعد قوله: أخرجه... وفي المطبوع: أخرجه رَزِينٌ». اهـ. وعزاه إلى رَزِينٍ أيضًا التبريزي في مشكاة المصابيح (١١/٤٢٠)، (مع المرقاة).

(٥) قال علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح المشكاة (١١/٤١٨): «وَيُسَمَّى مثل هذا السند سلسلة الذهب».

السماء وساكن الأرض، ويقسم المال صحاحاً - قال: بالسوية -، ويملاً قلوب أمة محمد غنى؛ ويسعهم عدله)) إلى قوله: ((فيلبث في ذلك ستاً أو سبعاً أو ثمانياً أو تسع سنين، ولا خير في الحياة بعده)) أخرجه أحمد^(١) والباوَرْدِيُّ^(٢) عن أبي سعيد^(٣).

قلت: وما ورد من تقدير مدته بالست إلخ المراد فيه على حالة مخصوصة، أشار إليها في الخبر؛ لا جميع أيامه؛ وقد ورد ما يدل على ذلك كما في قوله ﷺ: ((المهدي من ولدي، وجهه كالقمر الدري؛ اللون لون عربي)) إلى قوله: ((يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا، كَمَا مُلِئْتُ جَوْزًا؛ يَرْضَى بِخِلَافَتِهِ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالطَّيْرُ فِي الْجَوِّ؛ يَمْلِكُ عَشْرِينَ سَنَةً)) أخرجه الديلمي في الفردوس، عن حذيفة^(٤)، مرفوعاً.

قلت: وفي الجواهر^(٥): أخرجه الروياني^(٦)، وكذا الطبراني؛ وعند أبي نعيم والديلمي في مسنده: وعن حذيفة رفعه ((يلتفت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم ﷺ كأنها يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي: تقدم فصل بالناس، فيقول عيسى ﷺ: إنما أقيمت الصلاة لك؛ فيصلي خلف رجل من ولدي)) وذكر باقي

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٦/٣)، رقم (١١٣٣٢)، ط: (دار الكتب العلمية). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٧/٧): «رواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى - باختصار كثير - ورجاهما ثقات».

(٢) انظر جمع الجوامع للسيوطي (٣٤/١)، رقم (٨٨)، وكُنْزُ الْعَمَالِ (١١٧/١٤)، رقم (٣٨٦٥٠)، ط: (دار الكتب العلمية).

(٣) وروى بعضاً من فصوله الحاكم (٦٠١/٤)، رقم (٨٦٧٣) عن أبي سعيد، وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبي في التلخيص: «صحيح». وانظر لزيادة البحث كُنْزُ الْعَمَالِ (١١٧/١٤ - ١٢٣).

(٤) الفردوس للديلمي (٢٢١/٤)، رقم (٦٦٦٧).

(٥) جواهر العقدين للشريف السّمهودي (ص/٣٠٧).

(٦) انظر: كُنْزُ الْعَمَالِ (١١٨/١٤)، رقم (٣٨٦٦٣).

الحديث؛ أخرجه الطبراني^(١). انتهى^(٢).

فهذا منطوق صريح بالزيادة، وليس في الأول ونحوه، إلا مفهوم عدد، مع إمكان تأويله كما سبق؛ وهذا الحديث أيضاً محتمل للزيادة والأمر واضح. وروي: ((الْمُهْدِيُّ مِنِّي، أَجَلُ الْجُبَّةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْزًا وَظُلْمًا))، أخرجه أبو داود^(٣)، والحاكم في المستدرک^(٤) عن أبي سعيد، انتهى^(٥).

وعن علي عليه السلام: ((الْمُهْدِيُّ مِنَّا، يُحْتَمُّ الدِّينُ بِنَا كَمَا فُتِحَ بِنَا)) أخرجه الطبراني ورفع^(٦)؛ رواه في السبل الأربعة عن السمهودي^(٧)؛ وفيه: «قال: وعن نعيم بن حماد^(٨)، عن علي - كرم الله وجهه - قال: المهدي بالمدينة من أهل بيت النبي ﷺ اسمه اسم نبي، ومهاجره بيت المقدس؛ أكحل العينين، بَرَّاق الثنايا، في وجهه خال، في كتفه علامة النبي ﷺ يخرج براية النبي ﷺ من مرط حلة سوداء مرقعة، فيها حجر، لم تنشر منذ توفي النبي ﷺ، ولا تنشر حتى يخرج المهدي؛ ويمده الله ثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفه وأدبارهم؛

(١) وانظر الصواعق المحرقة (ص/ ١٦٤)، والاستجلاب للسخاوي (ص/ ١٣٨).

(٢) من جواهر العقدين.

(٣) سنن أبي داود (٤/ ١٠٧)، رقم (٢٤٨٥). وقال الألباني: «حسن».

(٤) مستدرک الحاكم (٤/ ٦٠٠)، رقم (٨٦٧٠) وقال: «صحيح على شرط مسلم».

(٥) من تفريغ الكروب من قوله: هذا وروى في تفريغ الكروب.

(٦) المعجم الأوسط للطبراني (١/ ٥٦)، رقم (١٥٧)، ط: (دار الحرمين).

(٧) جواهر العقدين (ص/ ٣٠٤).

(٨) الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٣٦٦)، رقم (١٠٧٣)، ط: (مكتبة التوحيد).

يبعث وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين)).

إلى قوله: قال: وفي حديث آخر عند الحاكم في صحيحه^(١): ((يحل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم)) إلى قوله: ((فيبعث الله رجلاً من عترتي من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يحبه ساكن السماء وساكن الأرض)) إلى آخره. انتهى^(٢).

قال الأمير الناصر للحق، حافظ العترة، الحسين بن بدر الدين (ع) في ينابيع النصيحة^(٣): وعن أنس، عن النبي ﷺ: ((نحن سادات أهل الجنة، أنا، وعلي، وجعفر بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، والحسن، والحسين، والمهدي))^(٤).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ((أول سبعة يدخلون الجنة: أنا، وحمزة، وجعفر، وعلي، والحسن، والحسين، والمهدي محمد بن عبد الله)) انتهى^(٥).

قلت: وروى خبر سادات أهل الجنة الأول الطبري^(٦)، وقال: أخرجه ابن السري عن أنس؛ ورواه ابن المغازلي^(٧) أيضاً عن أنس بلفظ: ((نحن بنو عبد

(١) مستدرک الحاكم (٤/ ٥١٢)، رقم (٨٤٣٨)، وقال: «صحيح الإسناد».

(٢) من السبل الأربعة نقلاً عن الجواهر.

(٣) ينابيع النصيحة (ص/ ٤٢٠)، ط: (دار الحكمة البيانية).

(٤) وهو في سنن ابن ماجه، (ص/ ٦٦٤)، رقم (٤٠٨٧)، بلفظ: ((نحن —ولد عبد المطلب— سادة أهل الجنة...))، ونحوه في المستدرک للحاكم (٣/ ٢٣٣)، رقم (٤٩٤٠)، وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم».

(٥) من الينابيع.

(٦) المحب الطبري في ذخائر العقبين (ص/ ٨٩).

(٧) مناقب ابن المغازلي (ص ٤٩-٥٠)، رقم (٧١).

المطلب)) إلى ((الحسن والحسين)) أفاده في تفريج الكروب؛ وروى الخبر الأول إلى قوله: ((والمهدي)) في الجواهر^(١)، وقال: أخرجه السدي، والديلمى في مسنده^(٢). انتهى^(٣).

قال في السبل الأربعة: وحديث خروج المهدي وظهوره - في كتب المحدثين من أهل الصحاح وغيرهم؛ وذكروا أنه يحثو المال حثوا، ولا يعدّه عدّا^(٤).

قال: ووجدت في بعض الكتب - ورواه عن الإمام الناصر الأطروش عليه السلام أن المهدي عليه السلام في بعض شعاب اليمن، أو كما قال؛ ولا بُعد ولا مناقضة بين الأحاديث؛ لأنه يمكن أنه قبل ظهوره يكون سائحا متنقلا، من المدينة، إلى بيت المقدس، إلى مكة، إلى اليمن، والله أعلم.

قال: فإذا عرفت هذا، عرفت أن أهل البيت النبوي سلسلة منوط بعضها ببعض، لا تنفك حلقة عن حلقة منها، من زمن رسول الله ﷺ إلى قيام المهدي، إلى ورود الحوض على النبي ﷺ كما أخبر ﷺ عن الله تعالى، أن كتاب الله

(١) من الجواهر (ص ٢٩٤)، وفيه: ابن السري بدل السدي.

(٢) الفردوس للديلمى (٤/ ٢٨٤).

(٣) من الجواهر.

(٤) حديث ((يكون في آخر الزمان خليفة يحثي المال حثيا، ولا يعدّه عدّا))، أخرجه أحمد (٣/ ٤٨)، رقم (١١٤٧٤)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٤)، رقم (٢٩١٣)، وأخرجه أيضا ابن حبان (١٥/ ٧٥)، رقم (٦٦٨٢).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣١٩)، في: (باب ما جاء في المهدي): «وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: ((يكون في أمتي خليفة يحثو المال في الناس حثيا لا يعدّه عدّا)). قال الهيثمي: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح».

وعترة رسول الله ﷺ لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض.

قال: وهذا الحديث من المعجزات الغيبية، التي تُخبرُها كما أخبر به الصادق الأمين؛ فإنهم كما سمعنا في الأخبار والسير، وشاهدنا؛ وهم الحجج في كل زمان وحين.

قال: حتى لقد انقرض سلطان قريش بأجمعها، إلا سلطان العترة النبوية، فإنه ظاهر في كل زمان إلى يوم الدين... إلى آخره.

قلت: ونختم الكلام في خاتم الأئمة بما قاله إمام اليمن، الهادي إلى أقوم سنن، يحيى بن الحسين بن القاسم رحمته الله في الأحكام^(١)، وهو ما نصه: وبلى وعسى؛ فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً؛ عسى الله أن يرتاح لدينه، ويعز أوليائه ويذل أعداءه؛ فإنه يقول عز وجل: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢]، وفي ذلك ما يقول رسول رب العالمين ﷺ: ((اشتدي أزمة تنفرجي))، وفي ذلك ما يقول جدي القاسم بن إبراهيم (ع):

عَسَى بِالْجُنُوبِ الْعَارِيَاتِ سَتُكْتَسِي - وَبِالْمُسْتَدَلِّ الْمُسْتَضَامِ سَيُنْصَرُ
عَسَى مَشْرَبٌ يَصْفُو فَرَوَى ظَمِيئُهُ - أَطَالَ صَدَاهَا الْمَنْهَلُ الْمُتَكَدِّرُ

.. إلى قوله:

عَسَى اللَّهُ لَا تَيَأْسُ مِنَ اللَّهِ إِنَّهُ - يَسِيرُ عَلَيْهِ مَا يَعَزُّ وَيَكْبُرُ

.. إلى قوله:

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ عَاجِلًا - بِدَوْلَةٍ مَهْدِيٍّ يَقُومُ فَيُظْهِرُ

(١) الأحكام (ط ١/ ج ٢/ ص ٣٥).

وقال عليه السلام^(١): المنتظر للحق والمحقين، كالمجاهد في سبيل رب العالمين؛ وفي ذلك ما بلغنا: عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((من حبس نفسه لداعينا أهل البيت أو كان منتظراً لقائنا، كان كالمتشحط بين سيفه وترسه في سبيل الله بدمه)).

وقال بعد أن أطنب في صفات الإمام المهدي - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا^(٢) -:

كَرِيمٌ هَاشِمِيٌّ فَـ	طِمِيٌّ جَامِعُ الْقُلُوبِ
رَوْوْفٌ أَحْمَدِيٌّ لَا	يَهَابُ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ
يَرَى أَعْدَاؤَهُ مِنْهُ	حَذَارَ الْمَوْتِ فِي الْكَرْبِ
شُجَاعٌ يُثْلِفُ الْأَرْوَ	حَ فِي الْهَيْجَاءِ بِالضَّرْبِ
رَحِيمٌ بِأَخِي التَّقْوَى	شَدِيدٌ بِأَخِي الذَّنْبِ
حَكِيمٌ أَوْقَى التَّقْوَى	وَفَضْلَ الْحُكْمِ فِي الْخُطْبِ
بِعَدْلِ الْقَائِمِ الْمُهْدِي	غَوْثُ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

انتهى ما أخذناه من كتاب (لوامع الأنوار) لمولانا وشيخنا أيده الله تعالى، وقد أخذنا جميع الموضوع^(٣).

ويحتمل أن المقام المذكور في قوله: (فَلَنَّا مَقَامٌ سَوْفَ نُدْرِكُهُ) هو مقام العرض والحساب في يوم القيامة، حيث يتتصف تبارك وتعالى لعنة نبيه ممن ظلمهم أو آذاهم، أو خلف نبيه فيهم بسوء، فإليه المشتكى، وهو المستعان، وعليه التكلان.

(١) أي الإمام الأعظم الهادي (ع) في الأحكام (٢/ ٥٠٢).

(٢) الأحكام (٢/ ٤٧٠).

(٣) وقد قمنا بإلحاق التخاريج كما هي في كتاب لوامع الأنوار ط ٥ (ج ١/ ١٢٦) الفصل الأول.

- ١٠- وَإِلَيْكَ مِمَّا قَدْ مَضَى قَصَصاً عِبْرًا لِذِي لُبٍّ وَذِي فِكْرٍ
 ١١- يوم السقيفة كان مَجْمَعُهُمْ من قبل وَضْعِ الطُّهْرِ فِي الْقَبْرِ
 ١٢- وهنالك اشتدَّ النَّزَاعُ وَقَدْ نَصَبُوا عَلَى عَجَلٍ أَبَا بَكْرٍ
 ١٣- وَلِعَهْدِهِ قَدْ بَايَعُوا عُمَرَا^(١) ثُمَّ ابْنُ عَفَّانٍ أَبَا عَمْرٍو

[ذكر ما جرى بعد وفاة النبي ﷺ]

من هنا بدأ شيخنا الناظم ﷺ في تفصيل المقصود بموضوع القصيدة. ولنبدأ في تفصيل الموضوع بما ذكره شيخنا ﷺ في (لوامع الأنوار)^(٢) من خبر وفاة النبي ﷺ فقد جاء بحديث عن ابن عباس الذي رواه البخاري^(٣)، ومسلم^(٤) وهو: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي ﷺ: ((هلموا إليّ أكتب لكم كتاباً لن تَضِلُّوا بعده)). قال عمر -وفي رواية قال بعضهم -: رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسبكم كتاب الله.

قلت -والقائل شيخنا ﷺ -: سبحان الله! وَمَنْ جَاءَهُمْ بكتاب الله، وأيُّ وثوق به إن لم يكن معصوماً فيما طريقه التبليغ على كل حال؟!!

كلا، ولكن فهم عمر مراد الرسول ﷺ من التأكيد في خلافة أخيه، كما

(١) صرف عمر وعفان لضرورة الشعر، وهو كثير عند العرب.

(٢) لوامع الأنوار للإمام الحجة مجد الدين المؤيدي ﷺ ط ٥ (ج ١ / ٢٧٠) نهاية الفصل الأول.

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٣٦٦)، ورواه أيضاً بأرقام (٤٤٣٢)، و(١١٤)، و(٤٤٣١)، ط: (المكتبة العصرية).

(٤) صحيح مسلم بأرقام (٤٢٣٢)، و(٤٢٣٣)، و(٤٢٣٤)، ط: (المكتبة العصرية).

صَّرح به عمر في رواية ذكرها في شرح النهج وغيره.

رجعنا إلى تمام خبر الوفاة:

قال: واختلف أهل البيت، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر.

انظر كيف رجعت مسألة خلاف بين رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب، إنا لله وإنا إليه راجعون!!

قال: وفي رواية: ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال رسول الله ﷺ: ((قوموا عني)).

قال: وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب.

وساق رواية أخرى قال فيها: ثم بكى - أي ابن عباس - حتى بل دمه الحصى. وأمر هذه الواقعة معلوم، وإنما أثرت رواية الصحاح لتسليم الخصوم. انتهى من (لوامع الأنوار) [طه ج ١/٢٧١].

ومن هذه الرواية المعلوم صحتها يتبين لنا نقاط كثيرة، كما يتبين ذلك من قصة جيش أسامة، حيث تباطأ الصحابة عن تنفيذ البعث تحت إمرة أسامة وثاقلوا وماطلوا، والنبي ﷺ يحثهم على المسير... إلى آخر القصة^(١).

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد [٤٠/٢]: روى جميع أصحاب السير أن رسول الله ﷺ لما توفي - كان أبو بكر في منزله بالسنع (بعوالي المدينة) فقام عمر بن

(١) انظر القصة في مغازي الواقدي (٣/ ١١١٩) وقد سبق تخريجه.

الخطاب فقال: ما مات رسول الله ﷺ، ولا يموت حتى يظهر دينه على الدّين كله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته، ولا أسمع رجلاً يقول: «مات رسول الله» إلا ضربته بسيفي.

فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله ﷺ وقال: بأبي وأمي طبت حياً وميتاً، والله لا يذيقك الله الموتين أبداً.

ثم خرج والناس حول عمر وهو يقول لهم: إنه لم يمّت، ويحلف. فقال له: أيها الخالف، على رسلك.

ثم قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال عمر: فوالله ما ملكت نفسي حيث سمعتها أن سَقَطَتْ إلى الأرض وعلمت أن رسول الله ﷺ قد مات. انتهى من شرح النهج.

فقد يقول قائل: ربما أن عمر لا يجهل حقيقة موت النبي ﷺ ولكنه قد قصد بها تكلم به تسكين الناس وكسر أنفسهم عن حدث يحدثونه في أمر الخلافة، فلما حضر أبو بكر هداً عمر واطمأن على أمر الخلافة.

وإليك خبر السقيفة من شرح النهج^(١) نقلاً عن تاريخ الطبري (٣/ ٢١٨)، وما بعدها)، وهو: أن رسول الله ﷺ لما قُبِضَ اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة وأخرجوا سعد بن عبادَةَ ليوثوه الخلافة وكان مريضاً، فخطبهم ودعاهم إلى

(١) شرح النهج (٢/ ٣٨)، تاريخ الطبري (٢/ ٢٨٢) ط دار الكتب العلمية.

إعطائه الرياسة والخلافة، فأجابوه، ثم تراءؤوا الكلام فقالوا: فإن أبى المهاجرون، وقالوا: نحن أولياؤه وعترته.

فقال قوم من الأنصار: نقول: منا أمير ومنكم أمير.

فقال سعد: فهذا أول الوهن.

وسمع عمر الخبر، فأتى منزل رسول الله ﷺ وفيه أبو بكر فأرسل إليه: أن اخرج إليّ.

فقال: إني مشغول.

فأرسل إليه عمر: أن اخرج فقد حدث أمر لا بد أن تحضره.

فخرج فأعلمه الخبر، فمضيا مسرعين نحوهم، ومعهما أبو عبيدة، فتكلم أبو بكر فذكر قرب المهاجرين من رسول الله ﷺ، وأنهم أولياؤه وعترته، ثم قال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا نفتات عليكم بمشورة، ولا نقضي دونكم الأمور.

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الأنصار، أملكوا عليكم أمركم، فإن الناس في ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا يصدر أحد إلا عن رأيكم، أنتم أهل العزة والمنعة، وأولوا العدد والكثرة، وذووا البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس ما تصنعون، فلا تختلفوا فتفسد عليكم أموركم، فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمننا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع سيفان في غمد، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبياها من غيركم، ولا تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة منهم، من ينازعنا سلطان محمد، ونحن أولياؤه وعشيرته؟

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار، أملكوا أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنفيكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم فأجلوهم من هذه البلاد فأنتم أحق بالأمر منهم، فإنه بأسيا فكم دان الناس بهذا الدين، أنا جديلاًها المحكك^(١)، وعذيقها المرجب^(٢)، أنا أبو شبل في عريسة الأسد^(٣)، والله إن شئتم لنعيدنها جذعة^(٤).

فقال عمر: إذا يقتلك الله.

قال: بل إياك يقتل.

فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار، إنكم أول من نصروا وآزروا فلا تكونوا أول من بدّل وغير.

فقام بشير بن سعد والد النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار، ألا إن محمداً

(١) قال في لسان العرب بعد أن أورد كلام الحباب: قَالَ يَعْقُوبُ: عَنِ الْجَدِيلِ هَاهُنَا الْأَصْلُ مِنَ الشَّجَرَةِ تَحْتَكَ بِهِ الْإِبِلُ فَتَشْتَفِي بِهِ، أَيْ قَدْ جَرَّبْتَنِي الْأُمُورَ وَلِي رَأْيٍ وَعِلْمٌ يُشْتَفَى بِهِمَا كَمَا تَشْتَفِي هَذِهِ الْإِبِلُ الْجَرْبَى بِهَذَا الْجِدْلِ، وَصَغَرَهُ عَلَى جِهَةِ الْمَدْحِ، وَقِيلَ: الْجِدْلُ هُنَا الْعُودُ الَّذِي يُنْصَبُ لِلْإِبِلِ الْجَرْبَى. اهـ (١٠٧/١١)

(٢) قال في لسان العرب بعد أن أورد كلام الحباب: قَالَ يَعْقُوبُ: التَّرْجِيْبُ هُنَا إِرْفَادُ النَّخْلَةِ مِنْ جَانِبٍ، لِيَمْنَعَهَا مِنَ السَّقُوطِ، أَيْ إِنْ لِي عَشِيرَةٌ تُعْضِدُنِي، وَتَمْنَعُنِي، وَتُرْفِدُنِي. وَالْعُدِيُّ: تَصْغِيرُ عَدْقٍ، بِالْفَتْحِ، وَهِيَ النَّخْلَةُ. اهـ (٤١٢/١).

(٣) قال في لسان العرب: وَالْعَرِيْسَةُ وَالْعَرِيْسُ: الشَّجَرُ الْمُتَلْتَفُ، وَهُوَ مَأْوَى الْأَسَدِ فِي خَيْسِهِ. اهـ (١٣٦/٦).

(٤) قال في لسان العرب: وَأَعَدْتُ الْأَمْرَ جَذَعًا أَيْ جَدِيدًا كَمَا بَدَأَ. وَفَرَّ الْأَمْرَ جَذَعًا أَيْ بُدِئَ. وَفَرَّ الْأَمْرَ جَذَعًا أَيْ أَبْدَاهُ. وَإِذَا طُفِنَتْ حَرْبٌ بَيْنَ قَوْمٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ شِئْتُمْ أَعَدْنَاهَا جَذَعَةً أَيْ أَوَّلَ مَا يُبْتَدَأُ فِيهَا. اهـ (٤٤/٨).

من قريش، وقومه أولى به، وإيم الله لا يراي الله أنازعهم هذا الأمر.

فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عبيدة بايعوا أيهما شئتم.

فقالا: والله لا نتولى هذا الأمر عليك وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله ﷺ في الصلاة - وهي أفضل الدين - أبسط يدك.

فلما بسط يده ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر: يا

بشير، عقلت عقاق^(١)، أنفست على ابن عمك الأمانة؟!

فقال أسيد بن حضير رئيس الأوس لأصحابه: والله لئن لم تبايعوا ليكونن للخزرج عليكم الفضيلة أبداً؛ فقاموا فبايعوا، فانكسر على سعد بن عباد والخزرج ما اجتمعوا عليه، وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب، ثم حمل سعد بن عباد إلى داره، فبقي أياماً، وأرسل إليه أبو بكر ليبايع فقال: لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي، وأخضّب سنان رمحي، وأضرب بسيفي ما أطاعني، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني، ولو اجتمع معكم الإنس والجن ما بايعتكم حتى أعرض على ربي.

فقال عمر: لا تدعه حتى يبايع.

فقال بشير: إنه قد لجج^(٢)، وليس بمبايع لكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته، ولا يضركم تركه، إنما هو رجل واحد، فتركوه.

وجاءت أسلم، فبايعت فقوي بهم جانب أبي بكر، وبايعه الناس. انتهى من

(١) قال في لسان العرب: والعُقُقُ أيضاً: قَاطِعُو الأَرْحَامِ. وَيُقَالُ: عَاقَقْتُ فُلَانًا عَاقَقَهُ عَقَاقًا إِذَا خَالَفْتَهُ. قَالَ ابْنُ بَرِّي عَقَّ والدَه يَعُقُّ عُقُوقًا وَمَعَقَّةً؛ قَالَ هُنَا: وَعَقَاقٍ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الكَسْرِ مِثْلُ حَدَامٍ وَرَقَاشٍ. اهـ (١٠/٢٥٧).

(٢) قال في لسان العرب: لَجَجَ فِي الأمر: تَمَادَى عَلَيْهِ وَأَبَى أَنْ يُنْصَرَفَ عَنْهُ. اهـ (٢/٣٥٣).

شرح نهج البلاغة.

فهذا هو حديث السقيفة، وقد كان أول حدث للأمة أساءت فيه إلى آل الرسول ﷺ، وتقمصت به حقهم من خلافة النبوة.

وقد كان ذلك الحدث بكامله ورسول الله ﷺ على فراش الموت لم يُقبر بعد، ولم يُقبر ﷺ إلا بعد أن تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة، ثم في المسجد النبوي. وكما سمعت في حديث السقيفة فإن للأنصار دورهم الرئيسي في غمط حق آل محمد من الخلافة، وفي خروجها عنهم، وليس ذلك خاصاً بالمهاجرين وإن كانوا هم الذين تولوا كبر ذلك، وانتصروا على الأنصار في أخذها.

ومن هنا فإنك تجد مصداق توجع شيخنا الناظم ﷺ وشكايته من أكثر الأمة. وبعد موت الرسول ﷺ تمت البيعة لأبي بكر، كما سمعت في حديث السقيفة ثم أوصى بها أبو بكر عند موته إلى عمر، ثم لما طعن عمر أوصى بها إلى ستة وهم: علي ﷺ، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

ولنستمع إلى أمير المؤمنين ﷺ في خطبته الشقشقية وهو يتحدث عن الحال خلال تلك الفترة وأحداثها، من أول يوم أبي بكر إلى مقتل عثمان بما في ذلك حديث شورى عمر، قال ﷺ كما في نهج البلاغة (ج ١ / ٣٠ ط - دار المعرفة):

(أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ^(١)، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مُحَلِّي مِنْهَا مُحَلُّ الْقُطْبِ مِنْ

(١) في متن نهج البلاغة: (أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ) وقوله: تقمصها: أي جعلها كالقميص مشتملة عليه، والضمير للخلافة، ولم يذكرها للعلم بها كقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص].

الرَّحَى^(١) يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ^(٢)، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ^(٣)، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا^(٤)،
وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا^(٥)، وَطَفِقْتُ أَرْتِي^(٦) يَبْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَذَاءٍ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ
عَمِيَاءَ، يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ^(٧).
فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبَرَ عَلَى هَاتَا أَحَجَى^(٨) فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى وَفِي الْخَلْقِ شَجَا
أَرَى ثَرَاتِي مَهْبَأً، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَذَلَّ بِهَا إِلَى فَلَانٍ بَعْدَهُ، ... فَيَا عَجَبًا!! بَيْنَا
هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرَّعَيْهَا^(٩) فَصَيَّرَهَا
فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كُلُّمَهَا وَيَخْشُنُ مَسَّهَا^(١٠) وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالْإِعْتِدَارُ

(١) وقوله: محلي منها محل القطب من الرحى: تشبيهه، يقول كما أن الرحى لا تدور إلا على القطب
كذلك نسبتي إلى الخلافة فإنها لا تقوم إلا بي. من شرح النهج (١/١٥٣).

(٢) قوله: يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ: يعني برفعة منزلتي عليكم كأنه في ذروة جبل. من شرح النهج.
(٣) وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ: هذه أعظم في الرفعة والعلو من التي قبلها، كأنه يقول: إني لعلو منزلتي
كمن في السماء. انتهى من شرح النهج.

(٤) قوله: سَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا: أي أرخيت، يقول ضربت بيني وبينها حجابا. شرح النهج.
(٥) وقوله: وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا: أي قطعها وصرمتها، وهو مثل؛ لأن من كان إلى جانبك
الأيمن مائلاً فطويت كشحك الأيسر فقد ملت عنه. والكشح: ما بين الخاصرة والجنب. انتهى
من شرح النهج.

(٦) قوله: أَرْتِي: من ارتأى يرتي أي نظر وفكر وتأني، وهو من رؤية القلب، أفاده في النهاية.
(٧) بِيَدِ جَذَاءٍ: اليد الجذاء بالذال المهملة وبالذال المعجمة، والحاء المهملة مع الذال المعجمة، كله
بمعنى المقطوعة. والطخية: قطعة من الغيم والسحاب. و (عَمِيَاءَ)، تأكيد لظلام الحال
واسودادها. و(يَكْدَحُ): يسعى ويكدح مع مشقة، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾..
(٨) هاتا: بمعنى هذه، (ها) للتنبيه، و (تا) للإشارة، ومعنى (تا): ذا، وهذا أحجى من كذا أي
أليق بالحجاء، وهو العقل.

(٩) تَشَطَّرَا ضَرَّعَيْهَا: اقتسما فائدتها ونفعها.

(١٠) فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ: أي في جهة صعبة المرام، شديدة الشكيمة. والكلم: الجرح.

مِنْهَا^(١)، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا حَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَلَهَا تَقَحَّم^(٢)،
فَمُنِّيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوْنٍ وَاعْتِرَاضٍ^(٣)، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ
الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لِلَّهِ
وَلِللشُّورَى؛ مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ
النَّظَائِرِ!! لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفَوُا^(٤)، وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضْغَنِهِ،
وَمَالَ الْآخَرَ لِصَهْرِهِ، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ^(٥)، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ تَافِجاً حِضْنِيَّ بَيْنَ نَيْلِهِ
وَمُعْتَلَفِهِ^(٦)، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يُخَضُّمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنْ
انْتَكَتْ عَلَيْهِ قَتْلُهُ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَكَبَتْ بِهِ بَطْنَتُهُ^(٧).

(١) يَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالْإِعْتِدَارُ مِنْهَا: يقول هي كطريق كثيرة الحجارة، لا يزال الماشي فيه عاثراً.
وأما (مِنْهَا) في قوله عليه السلام: "والاعتذار منها"، فيمكن أن تكون (من) على أصلها، يعني أن
عمر كان كثيراً ما يحكم بالأمر ثم ينقضه، ويفتن بالفتيا ثم يرجع عنها، ويعتذر مما أفتى به أولاً.
(٢) الصعبة من النوق: ما لم تترك ولم تُرَضَّ، إن أشنق لها راكبها بالزمام خرم أنفها، وإن أسلس
زمامها تقحم في المهالك.

(٣) قوله عليه السلام: (فَمُنِّيَ النَّاسُ) أي يُلَيَّ النَّاسُ، والخبط: السير على غير جادة، والشَّمَّاسُ:
التفّار. والتلون: التبديل. والاعتراض: السير لا على خط مستقيم.
(٤) أَسْفَفْتُ: أَسَفَّ الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه.

(٥) فصغى رجل منهم لضغنه: صغى صغياً، وصغوا صغواً: مال، والضغن: الحقد، يشير إلى
سعد. ولصهره: إلى عبد الرحمن. (هن وهن): كناية عن أمور لا يصرح بها، يكره ذكرها..

(٦) ثالث القوم: يشير إلى عثمان. (تَافِجاً حِضْنِيَّ): رافعاً ما بين إبطه وكشحه، يقال للمتكبر،
ولمن امتلأ بطنه طعاماً. و (النَّيْلُ): الرُّوث. و (المُعْتَلَفُ): موضع العلف.

(٧) الحَضْمُ: الأكل مطلقاً، أو بأقصى الأضرار أو ملاء الفم بالمأكول، أو خاص بالرطب،
والقَضْمُ: الأكل بأطراف الأسنان، أخف من الحضم. و (النَّيْتَةُ) بكسر النون: كالنبات. وانتكت
قتله: انتقض، وأجهز عليه عمله تم قتله. وكبت به مطيته: كبا الجواد إذا سقط لوجهه. والبطنة
بالكسر: الإسراف في الشبع.

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرفِ الصَّبُعِ إِلَيَّ يَتَشَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وَطِئَ الْحَسَنَانِ وَشَقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِضَةِ الْغَنَمِ^(١)، فَلَمَّا مَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زَبْرُجُهَا^(٢)، أَمَّا وَالَّذِي فَلقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِطَّةٍ ظَالِمٍ وَلَا سَعْبٍ مَظْلُومٍ؛ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أَوْهَاهَا، وَلَا لَقَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ^(٣). انتهى^(٤).

(١) وَعُرفُ الصَّبُعِ: ما كثر على عنقها من الشعر، يضرب به المثل في الكثرة والازدحام. ويتشالون: يتتابعون مزدحمين. (وَشَقَّ عِطْفَايَ): العطفان الجانبان من المنكب إلى الورك، ويروى: (عِطْفَايَ)، والعِطاف الرداء، وهو أشبه بالحال. و (كَرَبِضَةِ الْغَنَمِ): أي كالقطعة الرابضة من الغنم، يصف شدة ازدحامهم حوله، وجثومهم بين يديه.

(٢) قوله: حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ: يقال: حَلَا الشيء في فمي يحلو، وَحَلَيْ بَعْضِي يحل. والزَّبْرُجُ: الزينة، من وَشِي أو غيره، ويقال: الذهب.

(٣) قوله: عَلَى كِطَّةٍ ظَالِمٍ: الكِطَّةُ (بكسر الكاف): ما يعتري الإنسان من الثقل والكرب عند الامتلاء من الطعام. والسَّعْبُ: الجوع. وقولهم: قد ألقى فلان جبل فلان على غاربه، أي: تركه هملاً يسرح حيث يشاء من غير وازع ولا مانع. وعفطة عنز: ما تنثره من أنفها، عَفَطَتْ تَعْفُطُ بالكسر، وأكثر ما يستعمل ذلك في النعجة، فأما العنز فالمستعمل الأشهر فيها (النفطة) بالنون، ويقولون: ما له عافط ولا نافط، أي نعجة ولا عنز، فلعله استعمله في العنز مجازاً. انتهى تفسير غريب هذه الخطبة من كتب البحث عن إملاء مولانا الإمام الحجة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي رحمته الله. [وكتب السيد العلامة الحسن بن محمد الفيشي رحمته الله] (منقول من كتاب الشافي (١/ ٤٦٠)).

(٤) - قال السيد العلامة الحسن بن الحسين الحوثي في التعليق الوافي في تخريج أحاديث =

هذا، واعلم أخي القارئ الكريم أنه قد جرى خلال تلك الفترات ما يستنكر عليهم عند كل ذي عقل سليم ولبّ قويم، وسنشير إلى شيء منها على سبيل الإجمال:

١ - إبعاد بني هاشم عن ساحة الخلافة، فلا ترى لهم أي دور في قيادة، ولا إدارة، ولا أمارة أو ولاية.

٢ - تقريب الطلقاء والمشبهين وضعفاء الإسلام، وتسليم القيادات والإدارات إليهم، وإعطائهم الإمارات والولايات، كيزيد بن أبي سفيان، ومعاوية، وأبيهما أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وسمرة بن جندب، والنعمان بن بشير، وأشباههم من الطلقاء الذين لم

الشافى (١/٤٦٢): قال الإمام محمد بن عبد الله الوزير: وهذه الخطبة مروية في أمالي أبي طالب، وفي الجامع الصغير للسيوطي، وفي كتاب الجاحظ، وذكرها ابن الأثير، وذكر النظام ألفاظاً منها كثيرة في موارد الكلمات.. إلخ كلامه عليه السلام. قال أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي شيخ ابن أبي الحديد لأبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب: أقول إن هذه الخطبة منحولة؟ قال: لا والله وإني لأعلم أن هذه الخطبة كلام علي كما أعلم أنك مصدق، قال: فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون إنها من كلام الرضي، فقال: أغنى للرضي، ولغير الرضي هذا النفس، وهذا الأسلوب قد عرفنا طريقة الرضي، ووقفنا على رسائله وفنه في الكلام، وما يقع مع هذا الكلام في خل، ولا خمر ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صُنِّفَتْ قبل أن يخلق الرضي ببائتي سنة، ولقد وجدت مسطورة بخطوط أعرفها، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد، والد الرضي.

قال ابن أبي الحديد: وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر (٢٩٥هـ - ٣١٧هـ) قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة من متكلمي الإمامية، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف، وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي موجوداً، انتهى من شرح ابن أبي الحديد للخطبة الشقشقية من نهج البلاغة.

يتحققوا حقائق الإيمان، ولم يشموا رائحة الإسلام، مما تسبب في حصول آثار غير مرضية، وصفت لبني أمية بخلافة عثمان، وتوضح فيها الاحتكار، وأصبحت الخلافة بيد مروان وأبيه الحكم، ومعاوية وأبيه، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح^(١)، وكلهم غير مرضي وليس فيهم رشيد.

فمروان وأبوه طريدا رسول ﷺ ولعيناه^(٢).

ومعاوية وأبوه أعداء الرسول، وأعداء الإسلام، ورأسا الشجرة الملعونة في القرآن^(٣).

(١) وقد سئل المقبل كما في الأبحاث المسددة (ص ٧١٢) عن الحامل لعثمان بن عفان على تولية ابن أبي سرح؟ فقال: إنَّ فعل عثمان مع ابن أبي سرح كفعله مع أقربائه من بني أمية، وعذر عثمان العام أن ذلك من صلة الرحم بزعمه، ولا شك أنها أضرار غير سائغة في الجملة، وهل أعجب من تولية الوليد الفاسق وعزل سعد به؟! انتهى.

(٢) شرح نهج البلاغة (١٥/٢٣٩)، روى الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين للحاكم (٤/٥٢٦): عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ لَا يُؤَلِّدُ لِأَحَدٍ مَوْلُودًا إِلَّا أَتَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَدَعَا لَهُ، فَأُذِخِلَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، فَقَالَ: ((هُوَ الْوَرَعُ بْنُ الْوَرَعِ الْمَلْعُونُ ابْنُ الْمَلْعُونِ)) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُحَرِّجَاهُ. ورواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن (١/١٣١) رقم (٣١٧)، البداية والنهاية (٨/٢٨٠)، أسد الغابة (٣٣٧) (٢/٤٨)، الملل والنحل (١/٧)، المعارف (١/٣٥٣)، النصائح الكافية (١/٥١). وفي تفسير القرطبي (١٠/٢٨٦): وَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ لِمَرْوَانَ: لَعَنَ اللَّهُ أَبَاكَ وَأَنْتَ فِي صُلْبِهِ فَأَنْتَ بَعْضُ [فَضْضٍ] مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ. وهو في أغلب التفاسير، وقد رواه النسائي في السنن الكبرى (١١٤٢٧) (١٠/٢٥٧) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٦/٤١١) وابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير (٢/٧٠) والسيوطي في جمع الجوامع (٢٠/١٠٠) وهو في تفسير القرطبي (١٠/٢٨٦) وتفسير ابن كثير (٧/٢٨٤) واستشهد به أصحاب كتب غريب الحديث والأثر والمعاجم في مادة [فَضْضٍ].

(٣) العواصم والقواصم نقلاً عن الرازي (٢/٤٠١)، فتح القدير (٣/٢٨٥)، تفسير الرازي (٢٠/١٨٨)، الدر المنثور (٥/٣١٠).

وعبد الله بن سعد أحد أربعة أمر النبي ﷺ بقتلهم يوم الفتح وإن كانوا تحت أستار الكعبة^(١).

والوليد بن عقبة هو الفاسق بنص القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٢) [الحجرات: ٦].

٣- وكذا مضايقة أصحاب علي عليه السلام وملاحقتهم بالأذى، وقد حظي أبو ذر رضي الله عنه بالنصيب الأوفر من ذلك، فإنه أُخرج أخيراً إلى الربذة وهي أرض مقفرة خالية عن الناس وحيداً مع زوجته^(٣) بعد تعرضه لأنواع الإهانة والأذى على يد

(١) معجم الصحابة للبغوي (٣/٣٨٦) السنن الكبرى للبيهقي (١٩/١٠١) تفسير البغوي (٥/٣٢٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/٣٢) البداية والنهاية (٤/٣٤٠)، أسد الغابة ترجمة ابن أبي سرح (٢٩٧٦) (٣/٢٦٠) وترجمة سعيد بن يربوع (٢١٠٢) (٢/٤٩١)، فتح الباري لابن حجر (٤/٦٠)، تهذيب التهذيب (٤/١٠٠) الوافي بالوفيات (١٧/١٠١)، وغيرها.

(٢) شرح نهج البلاغة (٣/١٨)، الاستيعاب (٤/١٥٥٣)، تفسير الطبري (٢١/٣٥٠)، تفسير ابن عطية (٤/٣٦٣)، تفسير الرازي (٢٨/٩٨)، وقد مر ذكر ذلك في (ص ٧٧).

(٣) الحادثة مشهورة ومعروفة، وقد ذكرها ابن هشام في سيرته ت السقا (٢/٥٢٤) والواقدي في مغازيه (٣/١٠٠٠) وابن سعد في الطبقات الكبير (٤/٢٢١ ط الخانجي) والطبري في تاريخه (٣/١٠٧) عند ذكرهم الحديث عن عزوة تبوك ولحق أبي ذر لرسول الله ﷺ وقول رسول الله ﷺ لأبي ذر: ((رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُيَعِّثُ وَحْدَهُ)) اهـ. والربذة تقع على بعد حوالي ٢٢٠ كيلومتر شرق المدينة المنورة، قال في معجم البلدان (٣/٢٤): الربذة: (بفتح أوله وثانيه) ... من قرى المدينة على ثلاثة أيام، قرية من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري، رضي الله عنه، واسمه جندب بن جنادة، وكان قد خرج إليها مغاضباً لعثمان بن عفان، فأقام بها إلى أن مات في سنة ٣٢هـ. اهـ. قال الإمام الحجة مجد الدين بن محمد المؤيدي عليه السلام في ترجمته في لوامع الأنوار طه (٥/٢٤٤): من السابقين الأولين، الرفقاء النجباء المقربين، لازم النبي ﷺ حتى

عثمان ومعاوية^(١).

من ذلك: أنه أركب على مركب وعر بغير وطاء من الشام إلى المدينة بأمر عثمان^(٢)،

قبضه الله تعالى، ثم سكن المدينة حتى نفاه عثمان إلى الربذة وبها مات؛ وكان قولاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم؛ قال فيه النبي ﷺ: ((ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أصدق لهجة من أبي ذر))، وقال أمير المؤمنين فيه: وعاء ملئ علماً، وقد ضيعة الناس. انتهى.

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب (١/٢٥٢) في ترجمة جندب بن جنادة (أبي ذر): ثم خرج بعد وفاة أبي بكر إلى الشام، فلم يزل بها حتى ولي عثمان. ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية به وأسكنه الربذة، فمات بها، وصلى عليه عبد الله بن مسعود، صادفه وهو مقبل من الكوفة، مع نفر فضلاء من أصحابه، منهم: حجر بن الأديب، ومالك بن الحارث الأشتر، وفتى من الأنصار، دعته امرأته إليه، فشهدوا موته، وغمضوا عينيه، وغسلوه وكفنوه في ثياب الأنصاري في خبر عجيب حسن فيه طول. اهـ. ثم ذكر القصة بتفاصيلها وذكر أقوال رسول الله في أبي ذر، ومناقبه وفضائله. وذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف (ص ١٩٥) أن من مآخذ عثمان تسييره أبا ذر إلى الربذة.

وقال في تاريخ المدينة لابن شبة (٣/١٠٣٤): عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: كنت أسمع بأبي ذر، فلم يكن أحد أحب إلي أن أراه أو ألقاه منه، فكتب معاوية إلى عثمان: إن كان لك في الشام حاجة فأخرج أبا ذر منه، فإنه قد نفل الناس عندي، فكتب إليه عثمان يأمره بالقدوم، فلما قدم تصايح الناس: هذا أبو ذر، فخرجت أنظر إليه فيمن ينظر، فدخل المسجد فصلى ركعتين، ثم أتى عثمان حتى وقف عليه، فما سبه ولا أنبه، فقال له عثمان: أين كنت حين أغير على لقاح رسول الله ﷺ؟ قال: كنت على البئر أستقي، ثم رفع أبو ذر بصوته الأشد فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [التوبة: ٣٤] إلى آخر الآية، فأمره عثمان أن يخرج إلى الربذة، فخرج. اهـ. وانظر السنن الكبرى للنسائي (١٠/١١٤) رقم (١١١٥٤) والكامل في التاريخ (٢/٤٨٣)، وتاريخ الطبري (٣/١٠٧)، وأنساب الأشراف (١١/١٢٧).

(٢) الكامل في التاريخ (٢/٤٨٣)، تاريخ اليعقوبي (١٧٥)، أنساب الأشراف (٥/٥٤٣)، نهاية الأرب (٥/٣٩٢). وهذا الكلام وما بعده كاملاً بلفظه أو قريب منه موجود في شرح نهج

ثم ساروا به في ذلك السفر سيراً حثيثاً بأمر عثمان أيضاً، فما وصل إلى المدينة إلا وقد تسلخ لحم فخذه، ثم أمر عثمان الناس بعدم مجالسته ومحادثته^(١). وأدخل يوماً على عثمان فقال له عثمان في ذلك المجلس: أيها الشيخ الكذاب^(٢)، ورفسه برجله.

وكل هذا من أجل أنه رضي الله عنه كان ينهى الولاة عن الظلم، ويذكرهم ويعظهم. فقد كان هذا ذنب أبي ذر رضي الله عنه، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

ثم يتلوه عمار بن ياسر رضي الله عنه، فإنه حظي من الأذى بنصيب، ونذكر شيئاً واحداً من ذلك هو: أنه ديس بالأقدام حتى كاد يموت، وفقد في ذلك الوعي وأغمي عليه ثلاثة أيام، وقد كان هذا في خلافة عثمان على يد غلمانه^(٣).

وليس ما نال ابن مسعود بأهون من ذلك فقد ديس بالأقدام حتى تفقت فحلته على أيدي غلمان عثمان وبمرأى ومسمع من عثمان^(٤).

وهناك جماعة من أهل الكوفة ممن يحبُّ علياً ويشايعه، أمر عثمان والي الكوفة أن

=
البلاغة (٣/ ٥٥، وما بعدها).

(١) تاريخ يعقوبي (٢/ ١٧٢) ومروج الذهب (٢/ ٣٤٠).

(٢) ذكره بلفظ قريب من هذا في أنساب الأشراف (١٣٩٤) (٥/ ٥٤٤).

(٣) الإمامة والسياسة (١/ ٣٢)، الأوائل للعسكري (١/ ١٩٣)، شرح نهج البلاغة (٣/ ٧٤) (١٠/ ١٠٢)، الاستيعاب (٣/ ١١٣٦) ذكر فيه فتق بطنه وكسر بعض أضلعه، وهو في الوافي بالوفيات (٢٢/ ٢٣٢) حيث ترجم له ترجمة مستفيضة وذكر قصة مقتله في صفين.

(٤) في شرح نهج البلاغة: وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلعه. اهـ (١/ ١٩٩)، (٣/ ٤٠ وما بعدها)، وذكر مثل ذلك يعقوبي في تاريخه (٢/ ١٧٠) حيث ذكر أنه كُسر له ضلعان، وذكر أن ابن مسعود مات ودفن ولم يعلم عثمان بذلك... الخ.

يسيرهم إلى معاوية لتأديبهم، فسيرهم إلى معاوية، ثم أمر بتسييرهم بعد ذلك إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد للمبالغة في تأديبهم، وقد كان على رأس هؤلاء الجماعة المسيرين الأشتر النخعي رضوان الله عليه^(١).

هذا، ولم يحصل في تلك المدة أيُّ قتل لأشباع علي ومحبيه، وإنما هو الأذى: بالشتم، والضرب، والدوس بالأقدام، والتغريب والتسيير، والتهديد والاحتقار، وما يشبه ذلك.

فهذه نماذج مما نال محبي أهل البيت -رضوان الله عليهم- خلال تلك الفترة، أتينا بها دليلاً على ما وراءها، وبها يعرف البصير الشخصية الحقيقية للخلافة الراشدة.

٤- خلال هذه الفترة استبدت قريش بالخلافة واحتكرت تدبير شؤونها، وأبعدت الأنصار عن ساحتها كل الإبعاد، ولم تنل الأنصار من الخلافة إلا الحرمان والأذى، والهجو بالأشعار، وأخيراً اغتيال سعد بن عبادة ثم قالوا: إن الجُنَّ قتلته، لأنه بال قائماً!! فقال الشاعر:

وما ذنب سعد أنه بال قائماً ولكنَّ سعداً لم يسايح أبا بكر^(٢)
وقال الدكتور إمام عبد الفتاح في كتابه (الطاغية) ط ٣ (ص ٢٣٤): لقد وضع

(١) ذكرهم بالتفصيل الطبري في تاريخه (٣١٧-٣٢٦) وهم: مالك بن الحارث الأشتر، وثابت بن قيس النخعي، وكميل بن زياد النخعي، وزيد بن صوحان العبدي، وجندب بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق الخزاعي... وانظر الكامل لابن الأثير (٥١١/٢) والمختصر في تاريخ البشر (٦٨/١) وتاريخ ابن الوردي (١٤٤/١) والبداية والنهاية (٢٥٨/١٠) وهي ضمن أحداث سنة (٣٣ هـ).

(٢) شرح نهج البلاغة (١١١/١٠) وفي هامش مجمع الآداب (٤٢/٤) عزاه إلى بعض الأنصار.

الأمويون منذ بداية حكمهم ثلاث نظريات تبرر استيلاءهم على السلطة:
الأولى: أن الخلافة حق من حقوقهم، وأنهم ورثوها عن عثمان بن عفان؛ لأنه
نالها من الشورى، ثم قُتل ظلماً، فخرجت الخلافة منهم وانتقلت إلى غيرهم فقاتلوا
حتى استردوها، ولقد عبر الشعراء عن هذه الفكرة فقال الفرزدق:

تراث عثمان كانوا الأولياء له سربال ملك عليهم غير مسلوب^(١)
ويقول للوليد:

كانت لعثمان لم يظلم خلافتها فانتهك الناس منه أعظم الحرم^(٢)
وغير ذلك كثير مما قاله الأخطل لبشر بن مروان^(٣)، وما قاله الفرزدق أيضاً.

الثانية: أنهم أشاعوا في أهل الشام بصفة خاصة أنهم استحقوا الخلافة لقربتهم
من رسول الله ﷺ؛ فقد كان الشيوخ من أهل الشام يُقسِمون لأبي العباس
السفاح أنهم ما علموا لرسول الله ﷺ قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية
حتى وليتم الخلافة. على ما يروي المسعودي [٣٣/٣].

الثالثة: ثم استقروا على النظرية التي حكموا على أساسها، ودعموا بها ملكهم
الاستبدادي وهي أن الله اختارهم للخلافة وآتاهم الملك، وأنهم يحكمون بإرادته
ويتصرفون بمشيئته.

وأحاطوا خلافتهم بهالة من القداسة، وأسبغوا على أنفسهم كثيراً من الألقاب

(١) ديوان الفرزدق (٢٧)، دواوين الشعر العربي (٣٧/ ٤٤٥)، الدولة الأموية عوامل الازدهار
وتداعيات الانهيار (١/ ٧١٠).

(٢) ديوان الفرزدق في قصيدة يمدح بها الوليد (٥٣٧).

(٣) انظر ديوان الأخطل (٧٠)، وغيرها من القصائد.

الدينية، فقد كان معاوية في نظر أنصاره (خليفة الله على الأرض)، و(الأمين المأمون)، وكان ابنه يزيد (إمام المسلمين)، وكان عبد الملك بن مروان (أمين الله) و(إمام الإسلام).

ولكي يؤكدوا هذه النظرية الأخيرة أشاعوا مذهب الجبر، فالسلطة يتم تحديدها من الله، وليس للناس فيها رأي ولا مشورة، والخليفة هو (خليفة الله) (ابتداء من عبد الملك بن مروان) وأن على الناس الاستسلام والطاعة.

وكان زياد بن أبيه الذي عينه معاوية والياً على البصرة أول من بشر بهذا المذهب، يقول في خطبته المسماة (البترء) التي أعلن فيها أن الله اختارهم للخلافة وأنهم يحكمون بقضائه ويعملون بإذنه: أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خول لنا. فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما وُلِّينا^(١).

ولقد تبارى الشعراء في دعم هذه النظرية الثالثة وشرحها، وأعني بها (نظرية التفويض الإلهي) لبني أمية لكي يمارسوا الحكم، فهم أجدر الناس به وأقدرهم عليه؛ من ذلك: قول الأخطل لعبد الملك بن مروان [ديوان الأخطل: ص ٤٣]:

وقد جعل الله الخلافة فيكم بأبيض، لا عاري الخوان ولا جذب
ولكن رآه الله موضع حقها على رغم أعداء وصدادة كذب

(١) خطبة زياد حين قدم البصرة مشهورة وتدعى البترء، في أحداث سنة (٤٥ هـ) رواها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين (٢/ ٤٠) والزبير بن بكار في كتابه (الموفقيات) والطبري في تاريخه (٥/ ٢١٧)، وابن الأثير في الكامل (٣/ ٤٤)، وابن مسكويه في تجارب الأمم وتعاقب الهمم (٢/ ١٥)..الخ.

وقوله لبشر بن مروان [ص ٢٦٠]:

أعطاكم الله ما أنتم أحق به إذا الملوك على أمثاله اقترعوا
وقول جرير لعبد الملك مؤكداً أن الله حباه الخلافة، لأنه أحق بها وأجدر [ديوان
جرير: ص ٩٤]:

الله طوقك الخلافة والهدى والله ليس لما قضى تبديل
ولي الخلافة والكرامة أهلها فالملك أفيح والعطاء جزيل
وقوله أيضاً [ص ٢٩٥]:

أنت الأمين أمين الله لا سرف فيما وليت ولا هيابة ورع
أنت المبارك يهدي الله شيعته إذا تفرقت الأهواء والشيع
يا آل مروان إن الله فضلكم فضلاً عظيماً على من دينه البدع
انتهى^(١).

قال شيخنا الناظم أيده الله:

١٤- وَأَتَوْا عَلِيّاً طَائِعِينَ وَمِنْ بَعْدِ امْتِنَاعِ قَامَ بِالْأَمْرِ

[لمحة عن خلافة علي عليه السلام]

يريد سلام الله عليه أنه لما قتل عثمان بن عفان أتى المسلمون أفواجاً وفرداً
يطالبون أمير المؤمنين علياً عليه السلام بالقيام بخلافة المسلمين وتولي شؤون هذه الأمة
بعد أن أصيبت بشلل بعض الأعضاء، وتناثر بعض الأشلاء؛ فامتنع أمير المؤمنين

(١) أي ما قاله الدكتور إمام عبد الفتاح.

عن ذلك زهداً عن الدنيا وعدم ثقة بنصيحة الكثير؛ فلماً لم يجد بُدّاً من ذلك نهض فيها كما أوضحه شيخنا الناظم حفظه الله في قصيدته وهو الذي أراد أمير المؤمنين بقسمه العظيم في قوله المأثور: (أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ .. إلخ).

قال شيخنا عليه السلام في التحف شرح الزلف [٦٤/٤٩]: بويع له ﷺ يوم الجمعة الثامن عشر في ذي الحجة الحرام سنة خمس وثلاثين، وفي مثل هذا اليوم كان غدير خم، ولهذا الاتفاق شأن عجيب!! وفي سنة ست وثلاثين كان قتال الناكثين، وهم: أصحاب الجمل طلحة، والزبير، وعائشة وأتباعهم، كان عدة القتلى ثلاثين ألفاً، وفي سنة سبع وثلاثين كان قتال القاسطين - معاوية وأهل الشام ومن معهم - بصفين، انقضت وقعاته عن سبعين ألف قتيل، منها: (ليلة الهير) قتل فيها الوصي عليه السلام ستمائة قتيل بستمائة ضربة، مع كل ضربة تكبيرة. وفي سنة تسع وثلاثين كان قتال المارقين وهم الخوارج بالنهروان. انتهى.

وتوفي أمير المؤمنين عليه السلام كما في (التحف) [٦٤/٥٧] لإحدى وعشرين ليلة من شهر رمضان بعد أن ضربه أشقى الآخرين ابن ملجم - لعنه الله - يوم الجمعة ثامن عشر من شهر رمضان، لأربعين من الهجرة، وقبر في المشهد المقدس بالكوفة، وعمره كعمر النبي ﷺ ثلاث وستون سنة. انتهى من التحف.

وهكذا انتهت حياة أمير المؤمنين عليه السلام بعد معاناة شديدة من الأمة، فإنه في أيام خلافته لم يهناً بالاستقرار والأمن يوماً ما، فقد قامت الدنيا حين بويع له بالخلافة وقعدت، فنكثت بيعته طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون.

وقد قُتِلَ في عهده - زيادة على المئات من المهاجرين والأنصار وأبنائهم في المعارك الثلاث المتقدمة - ربيبه وحبيبه محمد بن أبي بكر، وألبس جلد حمار ثم أحرق بالنار^(١).

وفي عهده اغتال معاوية - لعنه الله - الأشر النخعي بالسهم^(٢).
وفي عهده أيضاً قُتِلَ عمار بن ياسر - رضوان الله عليه - في أيام صَفَيْنَ قتلَه أصحاب معاوية^(٣). وقد تحقق بمقتله علم من أعلام الغيب الخفي، ومعجزة متواترة واضحة الدلالة على صدق نبوة النبي، وبرهان قاطع لا يخالجه شك على أحقية مولانا أمير المؤمنين علي، وأن طريقته كفيلة بالنجاح، وخطه هو الوحيد

(١) السيرة النبوية لابن حبان (٢/ ٥٤٧)، سمط النجوم (٢/ ٤٦٣)، مرآة الزمان (٦/ ٤٠١).
(٢) النصائح الكافية (١/ ٨٧) نقلاً عن ابن الأثير، مروج الذهب (٢/ ٤٠٩) شرح النهج (٦/ ٧٦).
(٣) قال في تاريخ الطبري (١١/ ٥٠٩): وكان الذي قتل عمار بن ياسر أبو غادية المزني، طعنه برمح فسقط، وكان يومئذ يقاتل في محفة، فقتل يومئذ وهو ابن أربع وتسعين، فلما وقع أكب عليه رجل آخر فاحتز رأسه، فاقبلاً يختصمان فيه؛ كلاهما يقول: أنا قتلته، فقال عمرو بن العاص: والله إن يختصمان إلا في النار، فسمعها منه معاوية؛ فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمرو: ما رأيت مثل ما صنعت، قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لها: إنكما تختصمان في النار! فقال عمرو: هو والله ذاك، والله إنك لتعلمه، ولوددت إني مت قبل هذا بعشرين سنة. اهـ. وفي الكامل في التاريخ (٢/ ٦٦٢): وَقَدْ كَانَ ذُو الْكَلَّاعِ سَمِعَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: (تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ، وَآخِرُ سَرِيَّةٍ تَشْرِبُهَا صَيَّاحٌ مِنْ لَبْنٍ)، فَكَانَ ذُو الْكَلَّاعِ يَقُولُ لِعَمْرُو: مَا هَذَا وَيَحْكُ يَا عَمْرُو؟ فَيَقُولُ عَمْرُو: إِنَّهُ سَيَرْجِعُ إِلَيْنَا، فَقُتِلَ ذُو الْكَلَّاعِ قَبْلَ عَمَّارٍ مَعَ مُعَاوِيَةَ، وَأُصِيبَ عَمَّارٌ بَعْدَهُ مَعَ عَلِيٍّ، فَقَالَ عَمْرُو لِمُعَاوِيَةَ: مَا أَذْرِي بِقَتْلِ أَحَدٍمَا أَنَا أَشَدُّ فَرَحًا، بِقَتْلِ عَمَّارٍ أَوْ بِقَتْلِ ذِي الْكَلَّاعِ، وَاللَّهِ لَوْ بَقِيَ ذُو الْكَلَّاعِ بَعْدَ قَتْلِ عَمَّارٍ (لَمَالَ بِعَامَّةٍ) أَهْلُ الشَّامِ إِلَى عَلِيٍّ. اهـ وانظر: البداية والنهاية (٧/ ٢٩٧)، الاستيعاب (٣/ ١١٣٩)، تاريخ دمشق (٤٣/ ٤٧٦)، أسد الغابة (٤/ ٣٨٠) (٤/ ١٢٢).

لتحقيق الفوز والفلاح، وأن أتباعه الفائزون، وفتته هم الصادقون، حماة الحق، ودعاة الصدق، الذين سلكوا مسلك عمار، واقتدوا به في ثباته مع مولاه وإمامه، والذي ما زال واقفاً في صفه، ثابتاً ثبات الجبال الرواسي في جنبه منذ أيامه الأول، متألماً مما حصل من تنحيته بعد وفاة رسول الله ﷺ عن الإمامة العظمى، وإقصائه عما هو به جدير وأولى، حتى حفظت عنه في تلك الأيام نفثة من نفثات صدره، وشقشقة لم تقر مما انطوى عليه من مكنون سره، وذلك بيتاه المشهوران الذين ظهرا ظهور الشمس والأقمار، وارتجز بهما العشرات من رواة الحديث والآثار، وحدا بهما الكثير من نقلة السير والأخبار:

يَا نَاعِي الْإِسْلَامِ قُمْ فَأَنْعِهِ قَدْ مَاتَ عُرْفٌ وَبَدَا مُنْكَرٌ
مَا لِقْرِيشٍ لَا عَلا كَعْبُهَا مَنْ قَدَّمُوا الْيَوْمَ وَمَنْ أَخَّرُوا

قال شيخنا الناظم أيده الله:

١٥- وَالسَّبْطُ مِنْ بَعْدِ الْوَصِيِّ وَقَدْ دَسُّوا إِلَيْهِ السُّمَّ فِي السَّرِّ
١٦- وَبِهِ انْقَضَى عَهْدُ الْخِلَافَةِ قَالَ مَلِكُ الْعَضُوضِ أَتَى عَلَى الْإِثْرِ

[لمحة عن خلافة الإمام الحسن السبط ثم بداية الملك العضوض]

كان مولد الإمام أبو محمد الحسن بن علي سبط رسول الله وريحانته في الدنيا وسيد شباب الجنة كما في الحديث المتواتر بلا امتراء، المحكوم بإمامته قائماً وقاعداً- في المدينة المنورة في شهر رمضان عام ثلاثة من الهجرة على أصح الأقوال، ببيع له لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة في الكوفة، وخرج منها في ذي الحجة حتى نزل المدائن، فخذله أصحابه ونفروا عنه وانتهبوا رداءه، وطعن في

فخذه الشريف؛ فاضطر لمهادنة معاوية بن أبي سفيان وترك قتاله والدخول في مصالحته كما تشهد بذلك خطبه التي خطبها قبل الصلح وحال الصلح ورواها عنه الموالف والمخالف من المؤرخين.

قال مولانا الناظم أيداه الله في لوامع الأنوار [طه ج ٤٦/٥]: وحكى ابن عبد ربه في عقده [١٠٣/٤] والمسعودي في مروجہ [٨/٣ - ٩] ما معناه: إن معاوية قال للحسن عليه السلام: قم فأعلم الناس أنك قد سلمت الأمر إليّ؛ فقام الحسن وشكا من أهل العراق وكان مما قاله: أما والله، يا أهل العراق، لو لم أذهل عنكم إلا لثلاث لكانت كافية: وهي قتلکم لأبي، وسلبکم لرحلي، وطعنکم لفخذي. ثم قال: وإنما الخليفة من عمل بكتاب الله وسنة نبيه صلی اللہ علیہ وسلم؛ فأما صاحبکم هذا فإنما هو رجل قد ملك ملكاً، يتمتع به قليلاً، ويعذب بسببه طويلاً. وروي: وتبقى تبعته؛ **﴿وَأَنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾** ^(١). أهـ.

وقد اعترف ابن حجر في شرح الهمزية بانتشار النظام وتفرق الناس عن الإمام الحسن السبط، وأقرّ به المقبلي في الأبحاث المسددة []، ورواه الحاكم في مستدرکه [برقم ٤٨٠٧]، والذهبي في سير أعلام النبلاء [٣٩٤/٤].

وبعد هذه المصالحة رجع الحسن السبط عليه السلام إلى المدينة المنورة فأقام بها عشر سنين، حتى سقته امرأته جعدة بنت الأشعث سماً في لبن بأمر قائد البغاة معاوية اللعين، فمات سلام الله عليه سنة خمسين من الهجرة، عن ست وأربعين سنة كما

(١) ونسب هذه الرواية في الهامش إلى ابن جرير الطبري في تاريخه (٣/ ١٦٧)، وابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٣٨٨)، وابن الأثير في أسد الغابة (١/ ٥١٢)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧١)، وغيرهم.

حققه شيخنا الناظم في التحف الفاطمية، ومنع من القبر عند جده المصطفى ﷺ فدفن بالبقيع إلى جنب أمه فاطمة عليهما السلام ورحمة الله وبركاته .

نعم، وأما قول شيخنا الناظم عليه السلام: (وَبِذَا انْقَضَى عَهْدُ الْخِلَافَةِ ..) إلخ- فالمراد به أنها تمت الثلاثون عاماً المذكورة في بعض الأخبار أنها خلافة النبوة بإمامة الحسن السبط إلى أن صالح معاوية في شهر ربيع الأول عام واحد وأربعين من الهجرة، وبدأت مرحلة جديدة في التاريخ الإسلامي سميت بـ(الملك العضوض) في هذه الأخبار النبوية؛ ومعنى ذلك أنه يصيب الرعية فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه عضاً، والعضوض من أبنية المبالغة كما في النهاية لابن الأثير... فقد أخرج أحمد في المسند [رقم (٢١٩١٩) (٢١٩٢٣)]، والترمذي في سننه [رقم (٢٢٢٦)]، وأبو داود في السنن [رقم (١٢٠٣)]، وابن حبان في صحيحه [رقم (٦٩٤٣)]، والحاكم في مستدركه [رقم (٤٤٣٨)] عن سفينة وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مَلِكٌ بَعْدَ ذَلِكَ)).

وقال ابن حجر في فتح الباري [٧٧/٨] أخرجه أحمد وأصحاب السنن، وصححه ابن حبان وغيره من حديث سفينة أن النبي ﷺ قال: ((الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَصِيرُ مُلْكًا عَضُوضًا)) انتهى.

وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن [رقم (٢٤٠، ٢٣٥)]، والبيهقي في دلائل النبوة [رقم (٣٤٠/٦)]، وأحمد في مسنده [رقم (١٨٤٠٦)]، والدارمي في سننه [رقم (٢١٤٦)]، وأبو يعلى الموصلي في مسنده [رقم (٨٧٣)] والطبراني في الأوسط [رقم (٦٥٨١)] وهو في جامع المسانيد والسنن [رقم (٢٢٦٨)]، وغيره عن حذيفة وأبي عبيدة ومعاذ ولفظه: ((ثم يكون ملكاً

عضوياً)).

وقد تحقق الملك العضوض الذي لا يمت إلى الإسلام بصلة - بجرائم معاوية^(١) وفعلاته الشنيعة وصفحاته السوداء في تاريخ الإسلام والله المستعان.

قال مولانا الناظم أيده الله:

١٧- رَأْسُ الْبَغَاةِ بَدَا مُعَاوِيَةً نَصَّ صَرِيحُ جَاءَ كَالْفَجْرِ

[رأس الفئة الباغية الداعية إلى النار]

بدأ رضوان الله عليه في الكلام على معاوية بن أبي سفيان وابتزازه لأمر الأمة، وتوليّه على خيار الصحابة من المهاجرين والأنصار، واستثثاره عليهم، ووَسَمَهُ برأس البغاة للحديث الصحيح المتواتر لفظاً ومعنى، وذلك قوله ﷺ لعمار بن ياسر: ((تقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار)) المروي

(١) انظر: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ص(٢٠٢) وفيه ص(١٨) المقولة المشهورة للحسن البصري رحمه الله: أربع خصال في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة منها لكانت موبقة: انتزاهه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه من بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطناير، وادعاه زياداً وقد قال: رسول الله ﷺ: ((الولد للفراش وللعاهر الحجر))، وقتله حجراً وأصحاب حجر، ويا وياً له من حجر وأصحاب حجر. (انتهى بحروفه من الكامل). اهـ انظر: الكامل في التاريخ (٣/٣٣٧)، وتاريخ الطبري (٥/٢٧٩)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/٢٤٣)، المختصر في أخبار البشر (١/١٨٦)، النجوم الزاهرة (١/١٤١)، الموفقيات للزبير بن بكار (١/٢١٧)، شرح نهج البلاغة (٢/٢٦٢)، خزنة الأدب (٦/٥١)، نهاية الأرب (٢٠/٣٤٠)، وغيرها.

بطرق كثيرة تفوق حد التواتر^(١)، وممن أثبت تواتره من علماء السنية الذهبي وابن عبد البر وابن حجر وغيرهم.

(١) أورد في موسوعة أطراف الحديث النبوي وفيه: ((يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)) عن: أبي سعيد صحيح البخاري: ج ٣/ص ١٠٣٥ ح ٢٦٥٧، وصحيح البخاري: ج ١/ص ١٧٢ ح ٤٣٦، ومسند أحمد: ج ٣/ص ٩٠ ح ١١٨٧٩، وصحيح ابن حبان: ج ١٥/ص ٥٥٤ ح ٧٠٧٩، وعن أبي سعيد أخرجه البخاري كتاب الجهاد باب مسح الغبار عن الرأس (٢٥٤) كنز العمال: ج ١١/ص ٧٢٢ ح ٣٣٥٣١.

وأورده فيها بألفاظ متقاربة: عن أبي هريرة في سنن الترمذي: ج ٥/ص ٦٦٩ ح ٣٨٠٠، أخرجه الترمذي كتاب المناقب باب مناقب عمار بن ياسر رقم (٣٨٠٠) وقال حسن صحيح غريب - عن أبي هريرة كنز العمال: ج ١١/ص ٣٦٧ ح ٣١٧٦٢. وعن زيد بن أبي أوفى كنز العمال: ج ٩/ص ١٦٠ ح ٢٥٥٥٥، وعن أبي سعيد مسند أحمد: ج ٣/ص ٥ ح ١١٠٢٤، وعن أم سلمة المعجم الكبير: ج ٢٣/ص ٣٦٣ ح ٨٥٢، وعن مسند أبي يعلى: ج ٣/ص ٢٠٩ ح ١٦٤٥، وعن أنس بن مالك المعجم الأوسط: ج ٦/ص ٢٤٨ ح ٦٣١٥، وعن ابن أبي الهذيل مسند أبي يعلى: ج ٧/ص ١٩٥ ح ٤١٨١، ومسند الحارث (زوائد الهيثمي): ج ٢/ص ٩٢٤ ح ١٠١٨، ومسند الطيالسي: ج ١/ص ٩٠ ح ٦٤٩، وعن أبي سعيد المستدرك على الصحيحين: ج ٢/ص ١٦٢ ح ٢٦٥٣، وعن عثمان كنز العمال: ج ١٣/ص ٥٢٨ ح ٣٧٣٦٨، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص مصنف ابن أبي شيبة: ج ٧/ص ٥٤٨ ح ٣٧٨٤٥، ومسند أحمد: ج ٢/ص ١٦٤ ح ٦٥٣٨، ومسند أحمد: ج ٢/ص ٢٠٦ ح ٦٩٢٩، والسنن الكبرى: ج ٥/ص ١٥٧ ح ٨٥٥٠، وعن مولا لعمار مسند أبي يعلى: ج ٣/ص ١٨٩ ح ١٦١٤، وابن عساكر عن عائشة ذكره في كنز العمال: ج ١١/ص ٧٢٥ ح ٣٣٥٤٨، وعن عمرو بن العاص مسند أحمد: ج ٤/ص ١٩٧ ح ١٧٨٠١، وعن خزيمة بن ثابت المعجم الكبير: ج ٤/ص ٨٥ ح ٣٧٢٠، وعن أم سلمة مسند الطيالسي: ج ١/ص ٢٢٣ ح ١٥٩٨، وعن عمار مسند الحارث (زوائد الهيثمي): ج ٢/ص ٩٢٤ ح ١٠١٧، وعن ابن أبي ليلى عن عمار المعجم الأوسط: ج ٧/ص ٢٩١ ح ٧٥٢٦، وعن عمرو بن العاص مسند أبي يعلى: ج ١٣/ص ٣٣٠ ح ٧٣٤٦، ومسند أبي يعلى: ج ١٣/ص ١٢٣ ح ٧١٧٥، وسنن البيهقي الكبرى: ج ٨/ص ١٨٩ ح ١٦٥٦٧، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص مسند أحمد: ج ٢/ص ٢٠٦ ح ٦٩٢٦، وعن حذيفة المستدرك على الصحيحين: =

ج ٢/ص ١٦٢ ح ٢٦٥٢، والمستدرك على الصحيحين: ج ٣/ص ٤٤٢ ح ٥٦٧٦، وعن زيد بن أبي أوفى في حديث طويل الأحاد والمثاني: ج ٥/ص ١٧٠ ح ٢٧٠٧، والمعجم الكبير: ج ٥/ص ٢٢٠ ح ٥١٤٦، وعن عبد الله بن عمرو المستدرك على الصحيحين: ج ٣/ص ٤٣٦ ح ٥٦٦٠، والمعجم الأوسط: ج ٨/ص ٤٤ ح ٧٩٠٨، وعن أبي قتادة كثر العمال: ج ١١/ص ٧٢٢ ح ٣٣٥٣٣، وعن أبي هريرة كثر العمال: ج ١٣/ص ٥٣٦ ح ٣٧٣٩٩، وعن أنس أخرجه الترمذي كتاب المناقب باب عمار بن ياسر رقم ٣٨٠٠ وعن أبي هريرة وقال حديث حسن صحيح غريب. كثر العمال: ج ١٣/ص ٥٤٠ ح ٣٧٤١٧، وعن أبي اليسر وعن زياد بن الفرد كثر العمال: ج ١٣/ص ٥٣٦ ح ٣٧٤٠٢، وعن ابن مسعود كثر العمال: ج ١٣/ص ٥٣٨ ح ٣٧٤١١، وعن عاصم بن ضمرة كثر العمال: ج ١١/ص ٣٥١ ح ٣١٧١٦، وعن الحسن كثر العمال: ج ١٣/ص ٥٣٨ ح ٣٧٤٠٩، وعن جابر كثر العمال: ج ١٣/ص ٥٣٠ ح ٣٧٣٧٣، وعن عبد الله بن عمرو كثر العمال: ج ١١/ص ٣٤٤ ح ٣١٦٩٨، وكثر العمال: ج ١٣/ص ٥٣٧ ح ٣٧٤٠٧، وعن معاوية كثر العمال: ج ١٣/ص ٥٣٤ ح ٣٧٣٩٢، وعن سعيد بن جبير كثر العمال: ج ١٣/ص ٥٣٨ ح ٣٧٤١٠، وعن عائشة كثر العمال: ج ١٣/ص ٥٣٧ ح ٣٧٤٠٥، وعن عمار بن ياسر كثر العمال: ج ١٣/ص ٥٣٠ ح ٣٧٣٧٥، وعن مولاة لعمار عنه كثر العمال: ج ١٣/ص ٥٣٠ ح ٣٧٣٧٦، وعن خزيمة بن ثابت المستدرك على الصحيحين: ج ٣/ص ٤٣٤ ح ٥٦٥٧، والمستدرك على الصحيحين: ج ٣/ص ٤٤٨ ح ٥٦٩٧، وعن أبي سعيد مسند الطيالسي: ج ١/ص ٢٩٣ ح ٢٢٠٢، عن أم سلمة المعجم الكبير: ج ٢٣/ص ٣٦٣ ح ٨٥٣، وعن معاوية المعجم الكبير: ج ١٩/ص ٣٩٦ ح ٩٣٢، وعن أبي هريرة مسند أبي يعلى: ج ١١/ص ٤٠٣ ح ٦٥٢٤، وعن أم سلمة مسند إسحاق بن راهويه: ج ٤/ص ١١٠ ح ٦٣، وعن أبي سعيد المعجم الأوسط: ج ٨/ص ٢٥٢ ح ٨٥٥١، وعن عبد الله بن عمرو السنن الكبرى: ج ٥/ص ١٥٦ ح ٨٥٤٩، وعن عمرو بن العاص المستدرك على الصحيحين: ج ٣/ص ٤٣٦ ح ٥٦٥٩، والمستدرك على الصحيحين: ج ٢/ص ١٦٨ ح ٢٦٦٣، ومسند أحمد: ج ٤/ص ١٩٩ ح ١٧٨١٣، وعن أم سلمة السنن الكبرى: ج ٥/ص ١٥٥ ح ٨٥٤٥، والسنن الكبرى: ج ٥/ص ١٥٦ ح ٨٥٤٦، ومسند إسحاق بن راهويه: ج ٤/ص ١٤٥ ح ١٠٥، ومسند أحمد: ج ٦/ص ٣١٥ ح ٢٦٧٢٢، وعن خزيمة بن ثابت مصنف ابن أبي شيبة: ج ٧/ص ٥٥٢ ح ٣٧٨٧٥، ومسند أحمد: ج ٥/ص ٢١٤ ح ٢١٩٢٢، وابن عساكر عن عمار بن ياسر كثر العمال: ج ١١/ص ٦١٣ ح ٣٢٩٧٠، وابن عساكر - عن

زيد ابن أبي أوفى كنز العمال: ج ١١ / ص ٧٢٧ ح ٣٣٥٦١، وابن عساكر عن عمرو بن ميمون كنز العمال: ج ١١ / ص ٧٢٧ ح ٣٣٥٦٢، ومسند أبي يعلى عن معاوية: ج ١٣ / ص ٣٥٣ ح ٧٣٦٤.

وسنذكر بعض الإجماليات هنا: ففي سنن النسائي (١٠) روايات من رقم (٨٥٤٣) إلى رقم (٨٥٥٣)، وقد تتبع طرقه في المكتبة الشاملة فوجدتها: عن أبي سعيد (٢٣) طريقاً، وعن أم سلمة (٢٤) طريقاً، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (١٨) طريقاً، وعن عمرو بن العاص ومعاوية (٩) طرق، وعن خزيمة بن ثابت (٤) طرق.

وفي مسند أحمد ت شاكر (٥٣/٦) تعليقاً على الحديث رقم (٦٥٠٠) قال فيه: إسناده صحيح.... إلى قوله: قال الحافظ في الفتح (٤٥٢/١): روى حديث ((تقتل عماراً الفتنه الباغية)) جماعة من الصحابة منهم: قتادة بن النعمان - كما تقدم، وأم سلمة - عند مسلم، وأبو هريرة - عند الترمذي، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي، [يريد في الخصائص، فإنه ليس في السنن الصغرى، وهو حديث المسند هذا]، وعثمان بن عفان، وحذيفة، وأبو أيوب، وأبو رافع، وخزيمة بن ثابت، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبو اليسر، وعمار نفسه، وكلها عند الطبراني وغيره، وغالب طرقها صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عددهم. وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلي ولعمار، ورد على النواصب أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه. اهـ أقول: وهو حديث متواتر، لا شك في تواتره عند أهل العلم. والحمد لله على التوفيق. اهـ.

قال ابن الوزير في إثبات الحق على الخلق (٨٣/١): وَمِمَّا تَوَاتَرَ مِنْ ذَلِكَ حَدِيثٌ (تقتل يا عمار الفتنه الباغية) كَمَا ذَكَرَهُ الدَّهْلَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ عِمَارٍ مِنَ النَّبَلَاءِ، وَاتَّفَقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى صِحَّتِهِ وَتَخْرِيجِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ (وَيُحِ عِمَارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ) وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ وَكُلَّهَا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي الْمُسْنَدِ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ وَالطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعِمَارَ وَحُذَيْفَةَ وَأَبِي أَيُّوبَ وَزِيَادَ وَعَمْرُو بْنَ حَزْمٍ وَمُعَاوِيَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو وَأَبِي رَافِعٍ وَمَوْلَاةَ لِعِمَارٍ وَغَيْرِهِمْ، وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ بِذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ أَصَحِّ الْحَدِيثِ، وَقَالَ ابْنُ دُحْيَةَ: لَا مَطْعَنَ فِي صِحَّتِهِ وَلَوْ كَانَ فِيهِ مَطْعَنٌ لَرَدَّهُ مُعَاوِيَةُ وَأَنْكَرَهُ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْمُؤَيَّدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كِتَابِهِ فِي النَّبَوَاتِ، وَعَنْ أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ رَوَى مِنْ ثَمَانِيَةِ وَعَشْرِينَ

وهو نص صريح كما قال شيخنا في بغي معاوية ودعائه إلى النار ومن خرج في صفه كائناً من كان؛ لأنهم القاتلون لعمار بن ياسر بلا نزاع - ومعاوية أميرهم وقائدهم - إلا أن تنطلي شبهة معاوية على أغبياء هذا العصر كما انطلت على أغبياء أهل الشام: أن القاتل لعمار رضوان الله عليه هو من جاء به!!! فنقول: سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين.

نعم، قال شيخنا الإمام الحجة عليه السلام في (لوامع الأنوار) [طه ج ١/٣٦١]: قال أيده الله تعالى في التخريج [أي تخريج الشافي وهو ناقل عن مقدمة كتاب المقصد الحسن]: قال ابن حجر في فتح الباري شرح البخاري - وقد وقع الإجماع على أن معاوية لم تصح له فضيلة، وتواتر عن إسحاق بن راهويه، أن كل فضيلة تُروى لمعاوية فإنها كذب على النبي ﷺ ^(١) - قال ^(٢): وإنما ذكر البخاري معاوية - وإن لم يكن له فضيلة - دمعاً لرؤوس الروافض. انتهى.

طريقاً، وإِنَّمَا ذكرت طرفاً من أسانيده على طريق الإجمال لوقوعه على مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ فِي عَصْرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَوْ لَا خَشْيَةُ الإِطَالَةِ لَذَكَرْتُ الْأَسَانِيدَ فِي كُلِّ حَدِيثٍ. اهـ. وجزم بتواتره المقبل في الأبحاث المسددة ص ٤٤٦.

وَمِنْ نَقْلِ تَوَاتُرِهِ: ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١١٤٠) وابن حجر في الإصابة (٤/ ٤٧٤)، وفي تهذيب التهذيب (٧/ ٤٠٩)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٥ ط دار الحديث)، والمزي في تهذيب الكمال (٢١/ ٢٢٤)، والصفدي في الوافي بالوفيات (٢٢/ ٢٣٣)، وابن مخلوف في شجرة النور الزكية (٢/ ١٠٢)، وصاحب الجوهرة في نسب الإمام علي (١٠٢).

(١) ما بين هذين الرمز - - هو جملة اعتراضية من كلام القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس رحمته الله كما ذكره في (مقدمة المقصد الحسن)، وما بعد هذه الجملة الاعتراضية هو معنى كلام ابن حجر الذي سنذكره بلفظه إن شاء الله تعالى في الحاشية التالية.

(٢) من هنا يبدأ النقل من كلام ابن حجر في فتح الباري، وهو نقل بالمعنى، واللفظ من بداية البحث في فتح الباري المطبوع هكذا: «عَبَّرَ الْبُخَارِيُّ فِي هَذِهِ التَّرْجُمَةِ بِقَوْلِهِ (ذِكْرٌ) وَلَمْ يَقُلْ (فَضِيلَةٌ) =

قلت: وقد جاءت السنة بدم معاوية ولعنه، فمن ذلك قول النبي ﷺ في معاوية وعمرو بن العاص وقد سمعهما يغنيان: ((اللهم اركسهما في الفتنة ركساً، ودعهما في النار دعاً)). أخرجه أحمد [رقم (١٩٦٦٨)] وأبو يعلى [رقم (٢٧٤٣٦)] عن أبي برزة، وذكره ابن الأثير في النهاية [٢/٢٥٩ مبهين]، وأخرجه الطبراني في الكبير [رقم (١٠٩٧٠)] عن ابن عباس، أفاد ذلك في لوامع الأنوار [طه ج ١/٣٦٢].

وروى الذهبي في الميزان [ترجمة عبد الرزاق (٦١٣/٢)]: ((إذا ارتقى معاوية على منبري فاقتلوه))، وفي رواية: ((فابقروا بطنه))، وأورد أيضاً [٢/٦١٣]: ((إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)) بثلاثة أسانيد عن أبي سعيد، وأخرجه العقيلي، أفاد ذلك في لوامع الأنوار [طه ج ١/٣٦٤].

وقال شيخنا الإمام الحجة ﷺ في لوامع الأنوار [طه ج ١/٢٩٩]: أخرج ابن أبي حاتم [في تفسيره برقم (١٣٣٢٤)]، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل [٥٠٩/٦]، وابن عساكر [في تاريخ دمشق (٥٧/٢٦٦)] عن سعيد بن المسيب قال: رأى النبي ﷺ بني أمية على منابرهم فسأه ذلك، فأوحى الله إليه: إنما هي دنيا أعطوها فقرت عينه، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

ولا متنبه؛ لكون الفضيلة لا تؤخذ من حديث الباب، إلى أن قال: عن إسحاق بن راهويه أنه قال: لم يصح في فضائل معاوية شيء، فهذه النكتة في عدول البخاري عن التصريح بلفظ متنبه اعتماداً على قول شيخه [إسحاق]، لكن بدقيق نظره استنبط [أي البخاري] ما يدفع به رؤوس الروافض، إلى أن قال: وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد، وبذلك جزم إسحاق بن راهويه، والنسائي، وغيرهما، والله أعلم. انتهى.

قال فخر الدين الرازي في تفسيره (ج ٢٠ ص ٢٣٧ - ٢٣٨) - وهذه رواية عطاء عن ابن عباس -: ثم قال أيضاً: الشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية.

وقال النيسابوري في تفسيره سورة القدر: ذكر القاسم بن مفضل عن عيسى بن مازن عن الحسن بن علي عليه السلام: أن رسول الله ﷺ رأى في منامه بني أمية يطئون منبره واحداً واحداً. وفي رواية: ينزون على منبره نزو القردة، فشق ذلك عليه، فأنزل الله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر]، يعني: ملك بني أمية.

وروى السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص ٢٠) عن الترمذي بسنده إلى الحسن بن علي عليه السلام: أن النبي ﷺ رأى بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، ونزلت: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.. إلى قوله: ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١-٣]، يملكها بنو أمية.

قال القاسم - أحد رواة الخبر -: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص. قال: وأخرج هذا الحديث الحاكم في مستدركه، وابن عباس في تفسيره. ثم ساق شيخنا عليه السلام في تخريج هذا الحديث، ثم قال بعد ذلك: وعنه ﷺ: ((إن أهل بيتي يلقون من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم)). أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/٨٧)، وقال: صحيح الإسناد.... إلخ. انتهى من هامش التحف.

وفي الشافي [ج ١/٤٤٣] نقلاً عن أبي العباس الحسني رحمته الله بسنده إلى عائشة ذكر رؤيا هند بنت عتبة أم معاوية،.... إلى آخره، فقال رسول الله ﷺ: ((اللهم

العنها والعن نسلها)). فقالت عائشة: أوليس قد أسلمت؟ فقال: ((والله ما أسلموا إلا رعباً وخوفاً من السيف)) فقلت: يا رسول الله، فيئن لي رؤياها؟ قال: ((أما ما زعمت رؤياها أن الشمس طلعت عليها فإن تلك الشمس التي طلعت عليها فعلي بن أبي طالب، وأما القمر الذي خرج من فرجها فابن لها يناوئ علي بن أبي طالب، وهو معاوية مفتون فاسق جاحد لله، فتلك الظلمة التي زعمت، ورأت كوكباً خرج من القمر أسود، فشد على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها، فاسود لابتلاعها الأفق، فذلك ابني الحسين يقتله ابن معاوية؛ فأما الكواكب المسوذة التي أحاطت بالأرض من كل جانب، فتلك ملوك بني أمية يقتلون ولدي، وينالون من أهل بيتي حتى يملك منهم أربعة عشر))^(١). انتهى.

بداية سلطان معاوية العام

ببيع لمعاوية بن أبي سفيان في شوال سنة ١ هـ بيت المقدس، فكانت أيامه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر، وتوفي في رجب سنة ٦٠ هـ، وله ثمانون سنة، من مسلمة الفتح، وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم، رأس الفئة الباغية، الداعية إلى النار. تخلى الحسن بن علي عليه السلام عن القيام بتدبير شؤون الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ للهجرة لخمس بقين من شهر ربيع الأول.

وكان تخلي الحسن عليه السلام بسبب خذلان أصحابه وخيانتهم — كما تقدم برهانه — فبايع الناس معاوية، فسمي ذلك العام عام الجماعة، كما أظهر لعن عليّ على المنابر

(١) المصابيح لأبي العباس (١/ ٣١٥).

وسماه عام السنة، وقال: لأجرينه حتى إذا قُطِع قيل قُطعت السنة^(١).

نعم، من سوء شقاء معاوية بن أبي سفيان قيامه بعداوة خير الخلق بعد رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وإشعال نار الحرب في وجه خلافته حتى قُتل بينه وبين أمير المؤمنين قتلى كثيرة؛ ففي التحف: أن عدد القتلى سبعون ألف قتيل، وكل ذلك بسبب بغى معاوية على الخليفة العادل.

ومن عيون القتلى الذين قتلهم معاوية في تلك الحرب الظالمة الصحابي الكبير عمار بن ياسر رضي الله عنه - وقد أشرنا إليه فيما تقدم - الذي قال فيه الرسول ﷺ كما في الصحاح: ((ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار))، ((تقتلك الفئة الباغية)) و((آخر زادك من الدنيا شربة لبن..)) أو كما قال. وتاماً كما أخبر الرسول ﷺ فقد قتل عماراً الفئة الباغية على إمام الحق علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان آخر زاده من الدنيا شربة من لبن.

ومما أثر عن عمار رضي الله عنه في بعض أيام صفين ما رواه الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام في الشافي [ج ٤٤٦/١] عن الأصمغ بن نباتة قال: إنه - أي عماراً - خرج في بعض أيام صفين والقراء محدقون به حتى دنا من مقام علي عليه السلام في الصف، ثم وقف فقال: ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ في هذا الواقف يعني علياً عليه السلام؟ قلنا: هات يا أبا اليقظان. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لهذا: ((يا علي، إن الله زينك بزينة لم يزين أهل الدنيا بزينة هي أحبُّ إلى الله منها، وهي زينة الأبرار عند الله - الزهد في الدنيا، فجعلك لا تميل إليها، ولا تميل إليك، ووهب

(١) الشافي (١/ ٣٦١).

لك مع ذلك حبّ المساكين، فجعلهم يرضون بك إماماً، وترضى بهم أتباعاً، فطوبى لمن صدق عليك، وويل لمن كذب عليك، فإني أقسم بالله ليقفّنهم الله موقف الكذابين^(١)؛ ثم قال: قاتلوا هذه الراية -يعني راية معاوية- فوالله لقد قاتلتها مع رسول الله ﷺ ثلاث عشرة مرة بهذه المرة، والله ما هي في هذه المرة بأبرئها من الشرك. ثم نظر إلى راية علي عليه السلام ثم قال: قاتلوا مع هذه الراية فوالله لقد قاتلت معها اثنتي عشرة مرة والله ما هي في هذه المرة بأقلهنّ براً. انتهى.

وذكر ابن عبد البر [الاستيعاب: ١١٣٨/٣]: عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: شهدنا مع علي عليه السلام صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا وادٍ من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم، وسمعتهم يقول لهاشم بن عتبة: ياهاشم، تقدم، الجنة تحت البارقة،

اليوم ألقى الأجابة محمدًا وحزبه

والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعات هجر^(٢) لعلمنا أنّا على الحق وأنهم على

(١) قال في هامش الشافي (١/٤٤٦): أخرجه: ابن المغازلي في المناقب (٨٤) رقم (١٤٨) والكنجي في الكفاية (١٦٦) والمحب الطبري في الذخائر (١٠٠) وقال: أخرجه أبو الخير الحاكمي، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٢١) وقال: رواه الطبراني، وأبو نعيم في الحلية (٧١/١).

(٢) هَجَرَ: هي أكبر مدن مملكة البحرين قديماً وقصبتها، حيث كانت مملكة البحرين تمتد من حدود البصرة شمالاً وعلى امتداد ساحل الخليج العربي حتى عمان جنوباً، وهَجَرَ الآن في منطقة الأحساء، تتبع السعودية، وهي على مسافة ٥٥ كيلومتراً من ساحل الخليج الذي يحاذي السواحل الغربية لقطر، اشتهرت هجر بوفرة النخيل وإنتاج التمور. قال في معجم البلدان في تعداد مناطق إقليم البحرين (١/٣٤٧): والبحرين هي الخطّ والقطيف والآرة وهجر وبينونة =

الباطل، ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله فالיום نصرئكم على تأويله
ضرباً يُزيل الهام عن مقيله ويذهب الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

فلم أر أصحاب محمد ﷺ قتلوا في موطن ما قتلوا يومئذ. انتهى من شرح
النهج [١٠٦/١٠].

ومن قتله معاوية من البدرين: أبو الهيثم بن التيهان. ذكره ابن عبد البر، وأبو
نعيم، وصالح بن الوجيه، أفاد هذا شارح نهج البلاغة^(١).

وقال — أي ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة [١٠٨/١٠] — قال (أبو عمر) بن
عبد البر في كتاب الاستيعاب: وشهد — أي ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت
الأنصاري — صفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما قُتل عمار قاتل حتى قُتل، وإنه
كان يقول في صفين: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تقتل عماراً الفئة الباغية))
فقاتل حتى قتل.

والزارة وجواثا والسابور ودارين والغابة،... قال: وقصة هجر الصفا والمشقر [الهفوف
حالياً]، اهـ.

(١) شرح النهج (١/١٠٧، ١٠٨)، وفي وفاته أقوال نقلها أهل التراجم، ولكن الحق أنه
استشهد مع علي عليه السلام بصفين، كما يظهر ذلك بوضوح في تأوّه أمير المؤمنين عليه في آخر خطبة
له قبل أسبوع من ضرب ابن ملجم لعنه الله له، وهي قوله: ((أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ؟
وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ وَأُبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى
الْفَجَرَةِ...)) النخ، وهي في نهج البلاغة خطبة رقم (١٧٢) على ترتيب الديباج الوضي، والتي
رواها نوف البكالي، وانظر: الاستيعاب (٣/١٣٤٨) والإصابة (٧/٣٦٦).

وممن قتله معاوية صبراً الصحابي الصابر حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وأصحابهما رضي الله عن أرواحهم الطاهرة، وستأتي قصتهم. وقد كان معاوية طلب منهم أن يتبرؤوا من علي بن أبي طالب عليه السلام ليعفيهم من القتل فأبوا، فضربت أعناقهم، رحمة الله عليهم.

وفي شرح نهج البلاغة [١١/٤٤]: وروى أبو الحسن المدائني في كتاب الأحداث، قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويتبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضم إليه البصرة، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.

وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم، وقربوهم، وأكرمواهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعّلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه؛ لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك

في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا.

ثم كتب إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضل الصحابة، والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتون بمناقضٍ له في الصحابة، فإن هذا أحب إليّ وأقرّ لعيني، وادحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس؛ فرويت أخبارٌ كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى شادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلماهم في ذلك الكثير الواسع حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيعة أنه يحبّ علياً وأهل بيته، فاحموا من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه.

وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم فنكّلوا به، واهدموا داره؛ فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة، حتى إن رجلاً من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأبيان الغليظة ليكتُمَنَّ عليه؛ فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة.

وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القراء المراءون، والمستضعفون الذين يظهرون

الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما روهها ولا تدينوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحدٌ من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض... انتهى من شرح نهج البلاغة^(١).

ثم قال - أي شارح النهج -: وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه^(٢) - وهو

(١) نقل الطبري في تاريخه (٢٥٣/٥) في حوادث سنة إحدى وخمسين كلاماً لمعاوية يوصي به المغيرة بن شعبة، منه: ولست تاركاً إيصاءك بخصلة: لا تتحمَّ عن شتم علي وذمِّه، والترحم علي عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي، والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والإدناء لهم، والاستماع منهم. اهـ، وابن الأثير في الكامل (٦٩/٣) بلفظ: لَا تَتْرُكُ شَتْمَ عَلِيٍّ وَذَمَّهُ... الخ، وهو في أنساب الأشراف (٢٥٢/٥) بلفظ: لَا تَكْفُكَنَّ عَنْ شَتْمِ عَلِيٍّ وَذَمِّهِ... الخ.

(٢) قال الزركلي في الأعلام (١/ ٦١) في ترجمته: إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي (٢٤٤ - ٣٢٣ هـ)، أبو عبد الله، من أحفاد المهلب ابن أبي صفرة، إمام في النحو. وكان فقيهاً، رأساً في مذهب داود، مسنداً في الحديث ثقة، قال ابن حجر: جالس الملوك والوزراء، وأتقن حفظ السيرة ووفيات العلماء، مع المروءة والفتوة والطرف. ولد بواسط (بين البصرة والكوفة) ومات ببغداد،... وكان يؤيد مذهب (سيبويه) في النحو فلقبوه (نفطويه) ونظم الشعر ولم يكن بشاعر، وإنما كان من تمام أدب الأديب في عصره أن يقول الشعر. سمى له ابن النديم وياقوت عدة كتب، منها (كتاب التاريخ) و (غريب القرآن) و (كتاب الوزراء) و (أمثال القرآن) ولا نعلم عن أحدها خبراً. اهـ.

من أكابر المحدثين وأعلامهم — في تاريخه ما يناسب هذا الخبر. انتهى.

ومن كلام رواه صاحب شرح نهج البلاغة [٤٣/١١]، عن أبي جعفر الباقر: وكان عِظْمُ ذَلِكَ (الخوف والقتل) وكِبْرُهُ زَمَنَ معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظُّنَّة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سُجِنَ أو نُهِبَ ماله، أو هُدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد -قاتل الحسين-، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظُنَّةٍ وتهمة حتى إن رجلاً ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال: شيعي علي... إلخ. انتهى.

ومن عظام معاوية قتله للإمام الحسن السبط بالسُّم على يد زوجته جعدة بنت الأشعث.

ومن ولاته الذين أسرفوا في قتل المؤمنين زياد بن سمية، وسمرة بن جندب، وقد تولى زياد الكوفة ثم أضاف له معاوية البصرة، فكان زياد إذا خرج إلى البصرة استخلف على الكوفة سمرة بن جندب، وكان زياد على كثرة إسرافه في دماء المسلمين كثيراً ما يستنكر على سمرة الإسراف في قتل المسلمين في الكوفة.

وفي الطبري [٢٠٨/٣]: قال أبو السوار العدوي: قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين رجلاً كلهم قد جمع القرآن^(١).

ومن عظام معاوية بعثه لبسر بن أبي أرطأة إلى شيعي علي في اليمن، وقد كانت همدان شيعي لعلي عليه السلام، فدخل بسر إلى اليمن في جيش من أهل الشام فجلس في ديار همدان وأفرط في القتل، فقتل نحواً من ثلاثين ألف رجل كلهم من همدان، وأخذ

(١) وقد تقدم ذكر شيء من مثالبه.

نساء هم سبايا، ثم باعهنَّ في طريق عودته إلى الشام. فقدم على معاوية بهال كثير، فسَرَّ معاوية بذلك المال الذي جمعه بسر من أثمان نساء همدان فكانت نساء همدان أول نساء سُيِّت في الإسلام. ذكر ذلك في الاستيعاب، وهذه القصة مشهورة^(١).

ومن موبقات معاوية استلحاقه زياد بن سمية حيث جعله أخاه وابن أبيه من الزنا، وأثبت نسبه بذلك، وذلك خلاف المعلوم من دين الإسلام، وحكم العلماء على معاوية لذلك بالكفر حيث خالف ما علم من الدين ضرورة، وذلك قول النبي ﷺ: ((الولد للفراش وللعاهر الحجر)).

وكثيراً ما يطلق شيخنا الناظم عليه السلام على معاوية بأنه رأس الضلال ومنبع الجبر؛ لعدة أسباب هي:

(١)- لأنه رأس الفرقة الباغية الداعية إلى النار بنص الرسول ﷺ المتقدم: ((ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار))، ((ويح عمار تقتله الفئة الباغية)).

(٢)- لأنه أوَّل من سن لعن أهل البيت على منابر المسلمين حتى صار ذلك سُنَّة داخلية في صلب العقيدة.

(٣)- لأنه أول من سن الفكر المنحرف الذي بناه على اتجاهاته الأموية المعادية للإسلام.

(٤)- لأنه أول من بذر بذور الجبر في نحو قوله: أُعطي من أعطى الله، وأمنع من

(١) الاستيعاب في ترجمة بسر بن أبي أرطأة (١/ ١٦١) وتاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٣٦٩) والوافي بالوفيات للصفدي (١٠/ ٨١) وأسد الغابة لابن الأثير (١/ ٣٧٣) والمقفى للمقرئزي (٢/ ٢٤١).

منع^(١)..، حتى شاع وذاع، وجرى مجرى الأمثال أن العدل هاشمي، والجبر أموي.
وفي عهده وبعده راج هذا المذهب المنحرف، وحظي بالدعم المادي والمعنوي،
واستحكمت قواعده المبنية على خدمة المصالح السياسية لسلطان معاوية
فمن بعده.

(٥)- أول من مهد السبيل لسلطان بني أمية تمهيداً كاسحاً، فحارب علياً عليه السلام،
ثم سمَّ الحسن بن علي عليه السلام، ثم قضى على رجال الإسلام المخلصين، ثم الترويج
والدعاية لما يُنَبِّت دعائم السلطان: من تحريم الخروج على الخليفة، وطاعة الخليفة،
والحصانة الدينية لفسقة بني أمية، وذلك عن طريق الفكر القائل: (من أقر
بالشهادتين فهو مؤمن)، لا يضره ولا يخل بإسلامه ارتكاب الكبائر،
واقتراف العظائم.

وفي الشافي [٤٧٣/١]: ومات معاوية بدمشق سنة ستين يوم الخميس لثمان بقين من
رجب، فكانت ولايته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً من يوم
تخلي الحسن عليه السلام من الأمر. انتهى.

وقد كان معاوية منذ سنة ست وخمسين يمهد ليزيد ولاية العهد بالترغيب

(١) في الأدب المفرد للبخاري برقم (٦٦٦): قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى الْمُنْبَرِ: «إِنَّهُ لَا مَنَعَ
لِمَا أُعْطِيَتْ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ اللَّهُ. اهـ ثم بعد ذلك ذكر بأنه سمعه من رسول الله ﷺ.
وهناك رواية عن معاوية يرفعها إلى النبي ﷺ في مسند أبي يعلى (٣١٤ / ١٣)، ومسند أحمد
برقم (١٦٩٢١)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٧) قال فيه: «إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ، وَإِنَّمَا يُعْطِي اللَّهُ،
فَمَنْ أُعْطِيَتْهُ عَطَاءً وَأَنَا بِهِ طَيِّبُ النَّفْسِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أُعْطِيَتْهُ عَطَاءً عَنْ شَرِّهِ نَفْسٍ وَشِدَّةٍ
مَسْأَلَةٍ فَهُوَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ». اهـ

والترهيب، وبذل في ذلك جزيل الأموال، وتآلف الناس لذلك وصانعهم، وساعده على ذلك ولاته على الأمصار وعماله، وأطلق أيديهم في أموال المسلمين في سبيل ما قصده من ولاية يزيد حتى تمّ لمعاوية الأمر وطاوعه أكثر الأمة، إلا نفرأ يسيراً على رأسهم الحسين بن علي عليه السلام.

[نماذج من أفعال معاوية وعماله بشيعة علي عليه السلام]

قال الحافظ الذهبي كما في النصائح الكافية [١٠٣]: قتل زيادُ رشيداً الهجري؛ لتشيعة، فقطع لسانه وصلبه. انتهى.

وفيها: أتي زياد برُشيدٍ الهجري هذا، وكان من خواص أصحاب علي عليه السلام فقال له زياد: ما قال خليلك أنّا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يديّ ورجليّ وتصلبونني. فقال زياد: أما والله لأكذبن حديثه، خلّو سبيله؛ فلما أراد أن يخرج قال زياد: ردوه، لا نجد شيئاً أصلح مما قاله صاحبك، إنك لن تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت، اقطعوا يديه ورجليه، فقطعوها وهو يتكلم، فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه؛ فقال رشيد: قد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه؛ فقال زياد: اقطعوا لسانه؛ فلما أخرجوا لسانه ليقطع قال: نفّسوا عني أتكلم بكلمة واحدة، فنفّسوا عنه فقال: هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين، أخبرني بقطع لساني. فقطعوا لسانه وصلبوه. انتهى^(١).

أما أصحاب حجر الذين قتلوا معه فهم: شريك بن شداد الخضري، وصفي بن

(١) شرح نهج البلاغة (٢/ ٢٤٩) وقد ذكر الخبر جملة بقطع لسانه وصلبه كل من ابن حبان في كتابه المجروحون (ج ١/ ٢٩٨، ٣٦٨) والسمعاني في الأنساب (ج ١٣/ ٣٨٥) والذهبي في كتابيه ميزان الاعتدال (ج ٢/ ٥٢) وسير أعلام النبلاء (ج ٥/ ١٨٠) وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان (٣/ ٤٧٢).

فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، ومحرز بن شهاب السعدي التميمي، وكدام بن حيان العنزي، وعبد الرحمن بن حسان العنزي.

أخرج يعقوب بن سفيان في تاريخه، والبيهقي في الدلائل عن عبد الله الغافقي قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: يا أهل العراق؛ سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء، مثلهم كمثّل أصحاب الأخدود. فقتل حجر وأصحابه.

وأخرج ابن عساكر عن عائشة أنها قالت لمعاوية: يا معاوية، قتلت حجر بن الأديب وأصحابه! أما والله لقد بلغني أنه سيقتل بعذراء سبعة نفر يغضب الله لهم وأهل السماء^(١).

وأورد ابن الأثير قصة قتلهم^(٢)، فقال ما مفاده كما في النصائح الكافية (ص ٩٦): إنهم أحضروا فقيلاً لهم: تبرأوا من علي والعنوه، فإن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم؛ فقالوا: لسنا فاعلين ذلك.

فحفرت القبور وأحضرت الأكفان، وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل، فلما كان الغد قدموهم ليقتلوهم، فقال لهم حجر بن عدي: اتركوني أتوضأ وأصلي فإنني ما توضأت إلا صليت، ولو لا أن تظنوا فيّ جزءاً من الموت لاستكثرت منها.

قال: فقتلوه وقتلوا ستة من أصحابه؛ فقال اثنان حينئذٍ من أصحاب حجر وهما

(١) تاريخ دمشق (٢٢٧/١٢) وانظر كتاب المعرفة والتاريخ للفسوي (٣/ ٣٢٠) ودلائل النبوة للبيهقي (٤٥٦/٦) والبداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٢٥٢) وإمتاع الأسماع للمقريزي (١٢/ ٢١٩) والخصائص الكبرى للسيوطي (٢/ ٢٤١) وكتر العمال رقم (٣٥٤٣٧، ٣٦٥٣٠).

(٢) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣/ ٨٠) وهو أيضاً في أنساب الأشراف للبلاذري (٥/ ٢٥٧ وما بعدها) وفي تاريخ ابن خلدون (٣/ ١٦).

عبد الرحمن العنزي وكريم الخثعمي: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته؛ فاستأذنوا معاوية فيها فأذن بإحضارهما، فلما دخلا عليه قال الخثعمي: الله الله يا معاوية فإنك متقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ثم مسؤول عما أردت بسفك دمائنا، فقال له: ما تقول في علي؟ قال: أقول فيه قولك؛ قال: أتَبْرَأُ من دين علي الذي يدين الله به؟ فسكت؛ وقام شمر بن عبد الله من بني قحافة ابن خثعم فاستوهبه فوهبه له، على أن لا يدخل الكوفة فاختر الموصلي.

ثم قال لعبد الرحمن بن حسان: يا أخا ريعة ما تقول في علي؟ قال: دعني ولا تسألني، فهو خير لك. قال: والله لا أدعك، قال: أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً، الأمرين بالحق والقائمين بالقسط والعافين عن الناس، قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم وأغلق أبواب الحق. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت. فرده معاوية إلى زياد وأمره أن يقتله شر قتلة فدفنه حياً. اهـ.

وفي النصائح: أن بِسْرَ بن أرطاة حلف على منبر النبي ﷺ: لولا أنه منع لما ترك في المدينة محتملاً.

وبسر هذا هو قاتل الصَّيَّيْن: عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله بن العباس في حجر أمهما فجئت بعد ذلك ووسوست، وهو السابي للنساء المسلمات من نساء همدان في اليمن، وبائعهن في الأسواق، وهو الفاعل الأفعال القبيحة.

قال الطبري [١٧٥/٣]: وجد بِسْرُ قوماً من بني كعب مع غلمانهم على بئرهم فألقاهم في البئر. وقال: أقام بسر في المدينة شهراً، يستعرض الناس، ليس أحد ممن

يُقال إنه أعان على عثمان إلا قتله.

قال الجاحظ كما في النصائح [١٠٦]: خطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال: تباً لهم إنما هم يطوفون بأعواد ورمّة بالية، هلاً طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك، ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله؟! وفي النصائح [٦٢ص]: ذكر ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة [١٧٣/١])، والبيهقي في (المحاسن والمساوي [ص٣١]): قال أبو معشر: دخل رجل من أهل الشام على امرأة نفساء من نساء الأنصار ومعها صبي لها، فقال لها: هل من مال؟ قالت: لا والله ما تركوا شيئاً؛ فقال: والله لتُخرجنَّ إليَّ شيئاً أو لأقتلنك وصبيك هذا. فقالت: ويحك! إنه ولد أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ، ولقد بايعتُ رسول الله ﷺ معه يوم بيعة الشجرة على ألا أسرق، ولا أزني، ولا أقتل ولدي، ولا آتي ببهتان أفتريه، فما أتيت شيئاً، فاتق الله، ثم قالت لابنها: يا بني، والله لو كان عندي شيءٌ لافتديتك به. قال: فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها، فضرب به الحائط فانتثر دماغه في الأرض. انتهى^(١).

وفيها [٧٥]: ذكر الطبري في تأريخه وغيره: أن عبيد الله بن زياد كتب إلى عمرو بن سعيد بن العاص -وهو والٍ على المدينة المنورة- يشره بقتل الحسين ﷺ، فقرأ سعيد كتابه على المنبر، وأنشد رجزاً، ثم أوماً إلى القبر الشريف وقال: يا محمد يومٌ بيوم بدر! وعمرو هذا هو أحد ولادة معاوية، وكان مشهوراً بالتكبر، وهو الجبار الذي رعى على منبر النبي ﷺ كما ذكره ابن قتيبة وغيره، فعن أبي هريرة قال:

(١) السيرة الحلبية (١/ ٢٤٠).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ليرعفن على منبري هذا جبار من جبابرة بني أمية فيسيل رعافه))؛ فحدثني من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعن على منبر النبي ﷺ حتى سال رعافه على درج المنبر. انتهى من النصائح^(١).
وعمره هذا هو الذي يقال له الأشدق، وكان يسمى لطيم الشيطان^(٢)، قتله عبد الملك بن مروان غدرًا بدمشق.

١٨- وَيَزِيدُ عَهْدًا مِنْ أَبِيهِ فَمَا أَشَقَى يَزِيدَ سُلَالَةَ الْكُفْرِ

يزيد بن معاوية (ت ٦٤هـ):

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. قام بتدبير شؤون المُلْك بعد موت أبيه، وقد كان أبوه أخذ له البيعة في حياته.

قال الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام في (الشافي) [١/٤٧٤]: وباع الناس يزيد الرجس بعد موت معاوية، وكانت أيامه تسمى الشؤم، لأنها أصيب فيها ابنُ رسول الله ﷺ الحسين بن علي عليه السلام الذي بكت عليه الأرض والسماء، وقطرت - كما روينا بالنقل الصحيح - دماء، وأهل بيته الطاهرون سلام الله عليهم، ومُحِلَّت نساؤهم إلى الشام كالسبي المجلوب، وقتل من أولاد المهاجرين والأنصار ستة

(١) انظر تاريخ الإسلام (٥/٢٠٤)، البداية والنهاية (٨/٣٤٢)، تاريخ دمشق (٤٦/٣٦)، أنساب الأشراف (٣/٢١٨).

(٢) قال في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: قالوا للذي به لقوة أو شتر، إذا سُبَّ: يا لطيم الشيطان. اهـ (١٢/٣٠٩).

آلاف، قتلى حرّة واقم^(١). وأبيح حرم رسول الله ﷺ وأوطئت الخيل حوامي قبره ﷺ. وحصر بيت الله الحرام وأهله، وحرّق بالنار... إلخ. انتهى.

وقد كان يزيد مشهوراً بالخمّر، وكثرة السكر، واللعب بالديكة والقروود والفهود، بإجماع المؤرخين ونقله السير والآثار^(٢).

وفي الشافي [٤٧٩/١] أيضاً: يزيد -لعنه الله تعالى- الذي نكت فم الحسين بن علي بالقضيب بقرع ثنياه، وتمثل بأبيات ابن الزُبَيْرِ:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
وزاد فيها:

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد، لا شلل
لست من عتبة إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
فقال له بعض القائلين: نح قضيبك عن فمه، فأشهد لقد رأيت رسول الله ﷺ يُقبّل موضع قضيبك منه^(٣).

(١) إحدى حرّتي المدينة، وهي الشرقية، سميت برجل من العماليق اسمه واقم، وكان قد نزلها في الدهر الأول، وقيل: واقم اسم أطم من أطام المدينة إليه تضاف الحرة. اهـ (معجم البلدان ٢/٢٤٩).

(٢) تاريخ الخلفاء (١٥٩)، مروج الذهب (٦٧/٣)، وانظر ما وصفه به الشوكاني في نيل الأوطار (٢٠٨/٧) حيث يقول: وَلَقَدْ أَفْرَطَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ كَالْكَرَامِيَّةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ فِي الْجُمُودِ عَلَى أَحَادِيثِ الْبَابِ حَتَّى حَكَمُوا بِأَنَّ الْحُسَيْنَ السَّبْطَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ بَاغٍ عَلَى الْخُمَيْرِ السَّكَّيرِ الْهَاتَاكِ حُرْمِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لَعْنَهُمُ اللَّهُ. اهـ.

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢٧٨/١)، البدء والتاريخ (١٢/٦)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٣٤٣/٥)، البداية والنهاية (٢٢٤/٨)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى

وروى السيد أبو العباس الحسني عليه السلام رفعه إلى ابن عباس قال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه، فحضرتة وقد ضم الحسين عليه السلام إلى صدره، يسيل من عرقه عليه، وهو يجود بنفسه، وهو يقول: ((ما لي وليزيد؟ لا بارك الله في يزيد، اللهم العن يزيد)) ثم غشي عليه طويلاً وأفاق، فجعل يُقبّل الحسين، وعيناه تذرفان، ويقول: ((أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله))^(١).

وتوفي يزيد في صفر سنة (٦٤هـ) بموضع يقال له: حوارين، وحمل إلى دمشق فدفن بها، وصلى عليه ابنه معاوية. انتهى من الشافي.

نعم، كان قائد يزيد في حملته على المدينة المنورة مسلم بن عقبة المري، التي قتل فيها خلقاً كثيراً من أبناء المهاجرين والأنصار، ونُهبت المدينة واستبيحت، وافتُصّ فيها ألف عذراء. انتهى من تاريخ الخلفاء [١٥٨]^(٢).

(١) المصابيح لأبي العباس (٣٥٤/١).
(٢) (٤٠/٦)، أنساب الأشراف (٢١٤/٣)، مقاتل الطالبين (١١٩/١)، أنساب الأشراف (٣٣٣/٥)، بعضها يذكر تمثله بأبيات ابن الزبيري وبعض الكتب يروي الزيادة.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري (٧١/١٣): «وَبَايَعَ مُسْلِمُ النَّاسِ عَلَى أَنَّهُمْ حَوْلَ لِيَزِيدَ يَحْكُمُ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ بِمَا شَاءَ، وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ بَنِ رُمَاطَةَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِيَزِيدَ: قَدْ وَطَّأْتُ لَكَ الْبِلَادَ وَمَهَّدْتُ لَكَ النَّاسَ وَلَسْتُ أَخَافُ عَلَيْكَ إِلَّا أَهْلَ الْحِجَازِ فَإِنْ رَأَيْتَ مِنْهُمْ رَيْبٌ فَوَجِّهْ إِلَيْهِمْ مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ فَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُهُ وَعَرَفْتُ نَصِيحَتَهُ، قَالَ فَلَمَّا كَانَ مِنْ خِلَافِهِمْ عَلَيْهِ مَا كَانَ دَعَاهُ فَوَجَّهَهُ فَأَبَاحَهَا ثَلَاثًا ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ وَأَتَمَّهُمْ عَبْدُ لَهُ قِنْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ» اهـ. ورواه السمهودي في خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى (٢٩٠/١) قال فيه: وبايع مسلم الناس على أنهم حول يزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم بما شاء،.. إلى قوله: وذكر المجد وغيره أنهم سبوا الذرية واستباحوا الفروج، وإنه كان يقال لأولئك الأولاد من النساء اللاتي حملن: أولاد الحرية، اهـ. وفي كتاب «المنتظم في»

وقد كان هذا القائد يأخذ البيعة ليزيد من أهل المدينة على أنهم عبيد ليزيد، ومن قال: أبايعه على سنة الله ورسوله ضربت عنقه بالسيف، وقد ختم في هذه البيعة على أعناق وأيدي بقية الصحابة، على أنهم خول وعبيد ليزيد، كما تعلم الخيل وتوسم، علامة لاستعبادهم^(١).

وبعد أن استباححت جيوش يزيد المدينة اتجهت جيوشه إلى مكة، فرميت الكعبة بالمجانيق من الجبال حتى تهدمت، وذلك لإجبار الناس على السمع والطاعة، وعلى أن يكونوا عبيداً لفرعون الصغير (يزيد بن معاوية)^(٢).

تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (١٥ / ٦): «ولدت ألف امرأة بعد الحرة من غير زوج، ثم دعا مسلم بالناس إلى البيعة ليزيد، وقال: بايعوا على أنكم خول له، وأموالكم له». اهـ. وفي السيرة الحلبية (٢٣٩ / ١): ووقع من ذلك الجيش الذي وجهه يزيد للمدينة من القتل والفساد العظيم والسبي وإباحة المدينة، وقتل من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن التابعين خلق كثير، وكانت عدة المقتولين من قريش والأنصار ثلاثمائة وستة رجال ومن قراء القرآن نحو سبعمائة نفس، اهـ. وفي كتاب «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» لسبط ابن الجوزي (٢١٦ / ٨) مال لفظه: «وقال الزُّهري: كان القتلى يوم الحرة من أهل المدينة سبعمائة من وجوه قريش وأعيان المهاجرين والأنصار والموالي، وأما من لا يُعرف من عبد وحرٍّ وامرأة؛ فعشرة آلاف. وقال الحسن البصري: قتلوا ابني زينب بنت أم سلمة ربيبة رسول الله ﷺ. وافتَضَ أهل الشام ألف عذراء، وقال مالك بن أنس: قُتل من وجوه القراء سبعمائة» اهـ. ومثله ذكره في كتاب (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) لابن مسكويه (٨٨ / ٢).

(١) تهذيب التهذيب (٣٦١ / ١١)، السيرة الحلبية (٢٣٩ / ١)، مروج الذهب (٦٩ / ٣)، البداية والنهاية (٢٢٢ / ٨)، خلاصة الوفاء للسهمودي (٢٩٠ / ١)، مرآة الزمان (٢٣٤ / ٨)، وهذه الجرائم مذكورة في أغلب كتب التاريخ.

(٢) مروج الذهب (٧١-٧٢ / ٣)، السيرة الحلبية (٢٤٢ / ١)، البداية والنهاية (٢٢٥ / ٨)، المختصر في تاريخ البشر (٢٩٨ / ١)، وغيرها كثير.

قال المسعودي [٧٢/٣]: ليزيد أخبار عجيبة ومثالب كبيرة: من شرب الخمر، وقتل ابن رسول الله ﷺ، ولعن الوصي، وهدم البيت وإحرقه، وسفك الدماء، والفسق، والفجور، وغير ذلك مما قد ورد الوعيد باليأس من غفرانه. اهـ (من مروج الذهب).

ومن ولاية يزيد عبيد الله بن زياد -لعنهما الله تعالى- وهو الذي تولى قتل الحسين وأهل بيته وأصحابه -رضوان الله عليهم- في كربلاء.

وفي واقعة كربلاء هذه قُتل تسعة رجال من صلب علي بن أبي طالب عليه السلام على رأسهم الحسين، وسبعة رجال من صلب عقيل بن أبي طالب رضوان الله عليهم، ولذلك قال ناعيمهم^(١):

عين جودي بعبرة وعويلٍ واندي إن ندبت آل الرسول
تسعة كلهم لصلب عليٍّ قد أصيبوا وسبعة لعقيل
وفي الشافي [٤٧٥/١]: وكان يزيد أول من شرب الخمر ممن ادعى الخلافة^(٢)،
وسمع الغناء والزمر، ولعب بالكعاب والكلاب، وكان لا يُمسي إلا سكراناً، ولا
يصبح إلا مخموراً، وكان ابن الزبير يذكر ذلك في خطبته، ويقول: السَّكَّيرُ الخُمَيْرُ
.. إلخ^(٣).

(١) هو مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم ذكره في مروج الذهب (٣/ ٦٢)، ونسب الأبيات في مرآة
الزمان في تواريخ الأعيان (٨/ ١٤٦) لسراقة البارقى.

(٢) الأغاني (١٧/ ٣٠١)، وفيه من أخبار لهُو ومجون ملوك بني أمية وبني العباس الكثير، وهي
مشهورة في أغلب كتب التاريخ.

(٣) التنبيه والإشراف (١/ ٢٦٣) وذكره المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف (ص ٢٦٣).

ولما ندب الناس إلى الخروج إلى ابن الزبير هاب الناس الحرمين الشريفين، فأجزل العطاء، فتبادر عبيد الدنيا، فنهض مع مسلم بن عقبة المري - من مرة غطفان الذي سمي مسرفاً بعد ذلك - اثنا عشر ألف مقاتل، غير الأتباع.

وكان عبد الملك أحزم القوم، فكان لا يسكر في كل شهر إلا مرة^(١)، بحيث لا يعقل السماء من الأرض، ويقول: إنما أقصد إشراق الذهن، وتقوية الحفظ، وتصفية موضع الفكر، غير أنه كان إذا بلغ آخر حد السكر أفرغ ما كان في بدنه حتى لا يبقى في أعضائه شيء فيصبح خفيف البدن، ذكي الذهن، نشط النفس، قوي المنة.

وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويدع يوماً.

وكان سليمان يشرب في كل ثلاث ليال ليلة.

ولم يشرب عمر بن عبد العزيز إلا الماء، ولا طن في أذنه نعمة غناء حتى لقي الله.

وكان هشام يسكر في كل أسبوع مرة.

وكان يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد يدمنان الشرب على ما حكينا من يزيد بن معاوية إمام هؤلاء الأئمة وأتباعهم من ضلال متفقهة الأمة، وكان لهما اختصاص بالتغاري في اللهو، وللوليد خاصة إظهار الكفر والتصريح به ورفع الحشمة في بابه، فمن ذلك قوله^(٢):

تَلَعَّبَ بِالْبَرِّيَّةِ هَاشِمِيٌّ بلا وحي أتاه ولا كتاب

(١) ذكر هذا الكلام في شربهم للخمر من أولهم إلى آخرهم الجاحظ في كتابه التاج في أخلاق الملوك (١/ ١٥١)، وما بعدها، وبعضه في محاضرات الأدباء (١/ ٨١١).

(٢) مروج الذهب (٣/ ٢١٦)، شذرات الذهب (٢/ ١١١)، شمس العلوم (٣/ ١٨٩١) وكلها بتغيير في الألفاظ.

وقوله^(١):

لو وجدنا لسليماً أثراً لسجدنا ألف ألف للأثر
وبعد في البيت الذي يليه:
وكان يزيد بن الوليد الملقب بالناقص لا يشرب، وله مذهب جميل، وهو القاتل
لابن عمه الوليد غضباً لله تعالى.

وإبراهيم بن الوليد كان ردياً في جميع أحواله فاعتقر الخمر وشربه في جنب ذلك.
وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت.. انتهى من الشافي.

١٩- أمّ معاوية أبو ليلى فمُطِيبٌ مِنْ عُنْصُرِ الْخُسْرِ

معاوية بن يزيد بن معاوية (ت ٦٦هـ):

هذا هو أبو ليلى معاوية بن يزيد بن معاوية، بويح له بعد موت أبيه يزيد.
في الشافي [٤٨١/١]: وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة، فأقام أربعين يوماً،
وقيل أربعة أشهر، وقيل: ثلاثة. وفي المدة خلاف أوضحها وأصحها ما ذكرناه
أولاً، وكان له مذهب جميل في أهل البيت عليه السلام.

ولما بويح خطب^(٢) الناس فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧/ ٢٤٠)، مرآة الزمان (١١/ ٢٩٤)، تاريخ دمشق (٦٩/ ٢٢٣) والبيت الأخير كاملاً:

إنما بنت سعيد قمر هل حرجنا إن سجدنا للقمر

(٢) أورد خطبته هذه بتمامها اليعقوبي في تاريخه (٢/ ٢٥٤) وانظر مرآة الزمان في تواريخ الأعيان
لسبط ابن الجوزي (٨/ ٢٤٤) وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي المكي
(٣/ ٢١٣) والبحور الزاخرة في علوم الآخرة للسفاريني الحنبلي (٢/ ٤٨٤).

ﷺ: أيها الناس، إنا بُلينا بكم وبُليتم بنا، فما نجعل كراحتكم لنا وطعنكم علينا،
 ألا وإن جَدِّي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة من
 رسول الله ﷺ وأحق في الإسلام، سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم
 رسول رب العالمين، وأبا بقية^(١) خاتم النبيين، فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه
 ما لا تنكرون، حتى أتته منيته فصار رهيناً بعمله، ثم قلّد الأمر أبي، وكان غير خليف
 بالخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الأمل، وقصر عنه
 الأجل، فقلّت متعته، وانقطعت مدته، فصار في حفرته رهيناً بذنبه، وأسيراً بجرمه،
 [والله لأسفنا له أعظم من أسفنا عليه]، ثم بكى، وقال: إن أعظم الأمور علينا
 علمنا بسوء مصرعه، وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول ﷺ، وأباح الحرمه،
 وحرّق الكعبة، وما أنا بالمتقلّد أموركم، ولا المتحمّل تبعاتكم، فشأنكم وأمركم،
 فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظنا، وإن تكن شراً فحسب آل أبي
 سفيان ما أصابوا منها، فقال مروان بن الحكم: سُنّها فينا عمرية!! قال: ما كنت
 أتقلّدكم حياً وميتاً، ومتى صار معاوية بن يزيد مثل عمر، ومن لي برجال عمر.

وبلغ ذلك من بني أمية كل مبلغ، وكانت آخر جمعة جمعها، وقيل سمّته بنو أمية،
 ولقيته أمه -وقد شاع الخبر- فقالت: أنت الساب أباه على المنبر؟ قال: نعم. قالت:
 فليت أنك كنت حيضة. قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو وددت أني كنت حيضة،
 ولم أعلم أن الله نارا يدخلها من عصاه.

وتوفي عليه السلام وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وصلى عليه خالد بن يزيد، ودفن

(١) أي: الحسن والحسين عليهما السلام إذ هما ابنا رسول الله ﷺ وسبطاه بالنصوص القطعية.

بدمشق، وكان يكنى أبا ليلى، وهو الذي قال فيه الشاعر:
والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

... انتهى من الشافي.

قوله: «فمُطِيبٌ مِنْ عُنْصُرِ الْخُسْرِ» المعنى في ذلك أن معاوية بن يزيد نبات طيب من منبت خبيث، وقلما يحصل مثل ذلك، والغالب الكثير هو ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

فإن قيل: إذا كان خُبث المكلف ناشئاً من خُبث منبته فالمستول عن ذلك غيره لا هو؛ إذ لا اختيار له في حصول الخُبث والاتصاف به؟

قلنا: ليس الخُبث طبيعة خلقية، وإنما هو طبيعة خلقية يكتسبها المولود عن والديه، وينشأ عليها، وَيَتَمَرَّنُ وَيَتَدَرَّبُ، وتاماً كما جاء في الحديث الذي رواه أهل الصحاح: ((كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه))^(١).

وفي هذا الحديث الصحيح -عند أهل السنة والجماعة وغيرهم- دلالة واضحة على أنه لا دخل لإرادة الله ومشيتته وقدرته في كفر الكافرين، وضلال الضالين، وظلم الظالمين، وعصيان العصاة، وذلك أن الحديث أخبر أن كل مولود يولد على

(١) هذا الحديث مروي في أغلب المصادر الحديثية بألفاظ متقاربة، ومن رواه: البخاري (١٣٥٨) (٢/ ٩٤)، وأبو داود (٤٧١٤) (٤/ ٢٢٩)، ومسلم (٢٦٥٨) (٤/ ٢٠٤٧)، وابن حبان (١٢٨) (١/ ٣٣٦).

الفطرة، والفطرة هي كما أخبر الله تعالى في قوله عز وجل: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

ثم إن الحديث قال على سبيل الحصر والقصر في سبب ضلاله وخروجه عن مقتضى الفطرة: ((حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه...)) إلخ.

فإن قيل: الأبوان إنما فعلا ما فعلا بإرادة الله ومشئته وقدره وقدرته.

قلنا: الحديث عم كل مولود، فضلال الأبوين وكفرهما قد كان نتيجة لإغواء أبوي كل منهما.

ومع ذلك فإن الأبوين، وإن أضلا ولدهما أو هوداه... إلخ، فإن الولد غير مقيد بذلك الضلال، بل هو مطلق الاختيار متمكّن بما جعل الله له من العقل والسمع والبصر والقدرة من الخروج منه إلى الهدى، ومن المعرفة الكاملة والتمييز بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

ودليل ذلك ما نراه أو نسمعه عن مثل معاوية بن يزيد، وغيره ممن أسلم بعد الكفر، أو اهتدى بعد التوغل في الضلال، أو نجا بعد الارتطام في مهامه الخسران، وحبائل الشيطان.

٢٠- وابن الطريد لأحمد نصبوا مروان شلت من يد الخثر

مروان بن الحكم (ت ٦٥هـ)

في الشافي [٤٨٢/١]: ثم قام بالأمر بعده [أي بعد معاوية بن يزيد] مروان بن الحكم، وهو طريد رسول الله ﷺ، وأبوه الحكم، وإيواء عثمان له ولأبيه أحد أحداثه التي عدها عليه المسلمون فقتلوه لأجل ذلك، وهو الذي أشار على الوليد

وهو والي المدينة بقتل الحسين عليه السلام، وهو الذي بايع علياً عليه السلام ثم نكث البيعة مع أهل الجمل، وأسر في الوقعة، وجيء به إلى علي عليه السلام فلما رآه قال:

فإمّا تثقفوني فإقتلوني وإن أسلم فلست إلى خلود

فقام الحسن بن علي عليه السلام، وشفع فيه، ومدّ يده إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: هو يبايعك يا أمير المؤمنين، فنفع يده وقال: أمطها عني فإنها كف يهودية، أفليس قد بايعني في المدينة؟ قال: بلى، قال فأمطها عني أما والله لتكوننّ له إمرة كلعة الكلب أنفه، وإنه لأبو الأكبش الأربعة^(١).

وبويع في الجابية^(٢) في رجب سنة أربع وستين، وجددت له البيعة في ذي القعدة من سنة أربع أيضاً، قيل: توفي بالطاعون، وقيل: قتله امرأته أم خالد، وهو أظهر القولين.

وصلّى عليه ابنه عبد الملك، توفي سنة خمس وستين في شهر رمضان، وكان قصيراً دقيقاً أوقص. انتهى.

ولد مروان في سنة اثنين من الهجرة، وكان قصيراً أحمر أوقص^(٣)، وفي عهد مروان كانت ولاية العراق ومكة والمدينة في يد عبد الله بن الزبير.

والطريد: هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن

(١) شرح نهج البلاغة خطبة رقم (٧٢) (١٤٦/٦)، وربع الأبرار للزنجشري (ج ٥/ ١٩٢) (رقم ١٨٧) وكتاب مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (١٧٤/٦).

(٢) الجابية: قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران (معجم البلدان ٩١/٢).

(٣) الوقص: قُصِرَ العنق. (قاموس).

قصي. كان يحاكي مشية رسول الله ﷺ ويتخلج^(١) فيها، استهزاء برسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ((كن كما أنت))^(٢).

وكان يتجسس على رسول الله ﷺ، ويستمع له ساعة خلوته، ثم طرده لذلك رسول الله ﷺ عن المدينة ولعنه، فسمي لذلك طريد رسول الله ﷺ ولعينه، وحين مات رسول الله ﷺ وتولى أبو بكر جاء عثمان إليه يشفع عنده في رجوع عمه الحكم بن أبي العاص إلى المدينة، فأبى ولم يقبل شفاعته، فلما مات أبو بكر جاء عثمان إلى عمر يشفع في رجوع عمه فأبى عمر، ولم يقبل شفاعته عثمان، واستعظم عمر أن يرد طريد رسول الله ﷺ ولعينه؛ فلما استولى عثمان بعد موت عمر كان أول أعماله أن رد الحكم بن أبي العاص وأولاده إلى المدينة، وقد كان ذلك أحد الأمور والأحداث التي نقتم على عثمان^(٣)، وتوفي الحكم في خلافة عثمان.

قوله: (شُلْتُ من يد الخُتْرِ)، هذا دعاء على من نصب ابن الطريد (أي: مروان) خليفةً للمسلمين وقائماً مقام رسول رب العالمين، وهو وأبوه عدوًّا رسول الله ﷺ ولعينا وطريداً.

وقد كان الواجب على المسلمين طرد الطريد ولعن اللعين، لا أن ينزلوه منازل النبيين، ويسموه أمير المؤمنين، ويجعلوه خليفة رسول رب العالمين، وهو لعين الله في

(١) تخلج المفلوج في مشيته: تفكك وتهايل. قاموس.

(٢) شرح نهج البلاغة (١٥/١٧٥)، تاريخ الطبري (٥/٦٢٢)، الكامل في التاريخ (٤/١٤).

(٣) شرح نهج البلاغة (١/٣٣٥)، الكامل في التاريخ (٤/١٥)، الاستيعاب (١/٣٥٩)، تاريخ اليعقوبي (٢/١٦٤)، الإصابة (٢/٩١)، الوافي بالوفيات (١٣/٧٠)، سير أعلام النبلاء

(٣/٤٠٧)، أسد الغابة (١/٥١٤)، وغيرها.

كتابه ولعين رسوله.

فأبعد الله أمةً فعلت ذلك ورضيت به ثم أبعدها، فبدلاً من أن تلعن اللعين، وتطرد الطريد، لعنت علي بن أبي طالب وأهل بيته، وطاردتهم وشردتهم، وجعلوا ذلك ديناً يتعبدون الله تعالى به، أوحاه إليهم معاوية وأمرهم به، ثم التزمت الأمة دين معاوية الذي شرعه لهم، وتركوا دين الله تعالى الذي جاء به رسوله الكريم ﷺ، وهذا الصنيع من هذه الأمة خيانة لله ولرسوله وللمسلمين.

هذا، وبعد موت معاوية بن يزيد اضطرب أهل الشام فيمن ينصبونه للخلافة، فممنهم من يشير إلى ابن الزبير القائم في مكة، ومنهم من كان هواه مع خالد بن يزيد، غير أنه كان صغيراً.

ومروان بن الحكم كان ممن يرى الدخول في طاعة بن الزبير، غير أن عبيد الله بن زياد صرف مروان عن هذا الرأي، وزين له ترشيح نفسه للخلافة وقال له: أنت كبير قریش وشيخها.. إلخ. وهذا في حين أن مروان لم يكن يفكر في ذلك^(١).

ومما يلفت النظر هنا أن التاريخ لم يذكر أن أحداً من أهل الرأي أدلى برأي يرشح فيه أحداً من أهل البيت ﷺ للخلافة، مع صلاحيتهم للخلافة واستجماعهم لشروطها المعتمدة عند القوم، بالإضافة إلى امتيازهم بالقرابة القريبة من رسول الله ﷺ، والسبب في ذلك ظاهر، وهو أن أهل الشام هم صنائع معاوية وصنائع بني أمية، ومن دينهم الذي شرعه لهم معاوية لعن علي ﷺ وأهل

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٣٤) وأورده الذهبي في تاريخ الإسلام (٥/ ٣٦) وأبو حنيفة الدينوري في كتابه (الأخبار الطوال) (ص ٢٨٥) وانظر المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء الملك المؤيد صاحب حمة المتوفى سنة ٧٣٢هـ (ج ١/ ١٩٣) وتجارب الأمم وتعاقب الهمم (٢/ ١٠١).

بيته وشيعته وأنصاره؛ فمن البعيد حيثئذ أن يدور في أفكارهم ترشيح أحد من أهل البيت عليه السلام. وقد كان بنو أمية وأهل الشام يسمون علياً عليه السلام وأولياءه: روافض، ويسمون أنفسهم: أهل السنة والجماعة.

وقد رأيت في كتاب كتبه معاوية إلى بعض ولاته -رواه صاحب الفتوح في التاريخ- تسمية معاوية لعلي وأنصاره بالروافض، فقال فيه: وقد خرج ابن أبي طالب إلى البصرة في رَفْضَةِ أهل الحجاز.

وفي كتاب كتبه أحد الولاة إلى يزيد: وقد بعثت بالرسالة مع رجلين من أهل الطاعة ومن أهل السنة والجماعة. روى ذلك صاحب الفتوح.

وما زالت تلك التسمية للفريقين قائمة عند أهل السنة والجماعة إلى اليوم، فالروافض عندهم اسم لكل من أحب علياً عليه السلام وأهل بيته، وهذا الاسم عندهم من أعظم ما يذم به المسلم، وصاحب هذا الاسم عندهم غير مقبول الرواية، ولا مرضي العدالة، بل إنه عندهم بمنزلة الزنديق، يعرف ذلك من طالع في كتب الجرح والتعديل عندهم.

يدنون بذلك في حين أنك لا تجد لما يذهبون إليه أي أثارة من علم، ولا حتى شبهة دليل، شرعه معاوية في شريعته وجعله ديناً وسنةً.

وهذا في حين أن الأدلة المُجمعة عليها عند جميع طوائف المسلمين تُقنّد سبتهم الأموية، فقد جاء في صحيح مسلم [٧٨] ٨٦/١ وغيره بأسانيد صحيحة عندهم أن ((حَبَّ عليٍّ إيمان وبغضه نفاق))^(١).

[من هم الروافض]

فحينئذ فالروافض هم الذين يرفضون سنة رسول الله ﷺ الصحيحة التي تحث على محبة عليٍّ وأهل بيته وأتباعهم، من أي فرقة كانوا، فمن رفض حديث (حبُّ عليٍّ إيمان وبغضه نفاق)، وحديث الثقلين، وآية المودة وآية التطهير، وآية الولاية، وآية المباهلة، وحديث الكساء، والمنزلة، والغدير، إلى ما لا يحصى مما بلغه الله وذكره في كتابه وعلى لسان رسوله مما أجمع على صحته المسلمون - فهو الرافضي.

فترك العمل بما ذكرنا وبغيره مما لا يحصى، والاعراض عنه، ورفضه رفضاً كلياً بكل ما تحمله كلمة الرفض من معنى هو الذي يصدق عليه كلمة الرفض ويستحق صاحبه أن يسمى رافضياً.

فتسمية عليٍّ وأهل بيته وأتباعه روافض تسمية ظالمة يكذبها الواقع؛ لأنهم لم يرفضوا العمل بشيء من السنة المجمع على صحتها.

العوامل التي ساعدت على انتشار التسمية

والذي ساعد على رواج هذه التسمية واشتهارها وبقائها حتى اليوم هو الدعم الكبير من ملوك بني أمية، ثم من ملوك بني العباس، مع ما عليه سلاطين الدولتين من قوة السلطان، والسيطرة الكاملة على جميع البلدان الإسلامية وعلى الأوساط العلمية.

ومن هنا فإنك تجد في بعض كتب الحديث ذلك الطابع الأموي، ففي صحيح البخاري تسمية زياد بن أبيه: (زياد بن أبي سفيان) هكذا يسميه البخاري عند

الرواية عنه^(١)، وقد أجمع المسلمون على صحة الحديث القائل: ((الولد للفراش، وللعاهر الحجر)) فتسمية البخاري لزياد بذلك الاسم ونسبته إلى أبي سفيان مخالفٌ لشريعة الإسلام بالضرورة؛ غير أن الأمر كما قدمنا من أن سياسة سلطان بني أمية ثم سلطان بني العباس كان لها دور فعال في تقرير المذاهب الباطلة من أجل دعم سياستهم وتوطيدها؛ فتسمية البخاري لزياد ونسبته إلى أبي سفيان ناتج عن هذه السياسة الظالمة.

وهكذا تجد في رجال البخاري الكثير من مبغضي علي عليه السلام ومبغضي أهل بيته كزياد بن أبيه، وعمران بن حطان الخارجي، وغيرهم كثير ممن كان يلعن علياً عليه السلام ويلعن أهل بيته كحريز بن عثمان^(٢).

فإن اعتماده على رواياتهم وقبوله لها وتسميتها صحيحة رفض لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المجمع على صحته لعلي عليه السلام: ((لا يُحِبُّكَ إِلَّا مؤمن، ولا يبغضك إِلَّا منافق)).

هذا، ونحن وإن عذرنا مثل البخاري في صنيعه حيث كانت المدارس الإسلامية خاضعة للسياسة الأموية فلا عذر لمن تحرر من القيود التي كان يتقيد بها مثل البخاري.

وهكذا فعل بعض رواة الآثار في رواياتهم للحديث فقد عدلوا المبغضين لأهل

(١) صحيح البخاري حديث رقم (١٧٠٠) (١٦٩/٢) وفي التاريخ الكبير للبخاري (٢٨٣/٤) ترجمة زياد بن أبي سفيان رقم (٤٠٦٢) وترجمة ابنه عبيد الله بن زياد رقم (٧٢٣٠)، وذكره أيضاً بابن أبي سفيان في التاريخ الأوسط: (١١٥/١).

(٢) قد تقدمت الإشارة إلى عدد كبير من الرواة الذين على شاكلته في بغض أمير المؤمنين علي عليه السلام ونصب العداوة لأهل البيت النبوي الطاهر في ص ٦٤ وما بعدها.

البيت، واللاعنين لهم، والذين قتلوهم، وسفكوا دماءهم، وتركوا الرواية عن محبي علي وأهل بيته، وجرحوهم وذموهم، وسموهم بأقبح الأسماء.

وكل هذا منهم رفض لما صح عن النبي ﷺ من التعديل والتزكية لمحبي علي عليه السلام، ومن الجرح والذم لمبغضيه - في الحديث الذي ذكرناه وفي غيره.

من هنا يتبين للناظر اللبيب أن الألقاب والأسماء التي وضعها بعض نقلة العلم لأنفسهم ولكتب الحديث المشهورة عندهم إنما هي أسماء وألقاب وضعت على الضد من معناها.

وكذلك الأسماء والألقاب التي وضعوها لخصومهم كالروافض والقدرية والغلاة، فإنهم وضعوها على غير من يستحقها، وفي الحقيقة أنهم هم المستحقون لهذه الأسماء والألقاب، لأنهم رفضوا - كما ذكرنا سابقاً - ما علم من سنة الرسول ﷺ.

وهم القدرية، لأنهم الذين يقولون: إن معاصي العباد بقدر الله وقضائه، أما من ينفي ذلك فلا يصح أن يقال له قدرى.

وهم الغلاة الذين تجاوزوا الحدود في مذاهبهم الفكرية، وذلك من حيث نسبوا معاصي العباد إلى الله وإلى قدره ومشيتته وجعلوا ذلك من توحيده، وسموه توحيد الأفعال، وشبهوه بخلقه فأثبتوا له الأعضاء والجوارح.

٢١- وَمُؤَمَّرُ الْحَجَّاجِ مَنْ هَدَمَتْ أَجْنَادُهُ لِلْبَيْتِ وَالْحِجْرِ
٢٢- عَبْدُ الْمَلِكِ يُعَدُّ رَابِعَهُمْ وَبَنُوهُ أَرْبَعَةٌ ذُوو التَّكْرِ

عبد الملك بن مروان بن الحكم (ت ٨٦هـ):

مُؤَمَّرُ الْحَجَّاجِ هو: عبد الملك بن مروان بن الحكم، قام بأمر الشام بعد أبيه، وقد كان أبوه أخذ البيعة له من أهل الشام خوفاً من عمرو بن سعيد بن العاص، فقد بلغه عنه أنه يقول: إن الأمر لي بعد مروان.

وفي الشافعي [٤٨٣/١]: يكنىه أولياؤه أبا الوليد وأبا مروان، وكنيته اللازمة: رشح الحجر؛ لبخله، وأبو الذباب؛ لبخره، وكان أفوه، مفتوح الفم، مشبك الأسنان بالذهب.

وهو الْمُجَهَّزُ الجنود العظيمة إلى حرم الله وحرم رسوله ﷺ، ورامي الكعبة بالمجانيق، وأمر بهدمها وردّها على أساس الجاهلية، بعد أن كان ابن الزبير بناها على أساس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لولا قرب عهد قريش بالجاهلية.

وولّى الحجاج بن يوسف على من بقي من المهاجرين والأنصار أصحاب رسول الله ﷺ ففعل العظيم، وركب الجسيم.

ولو لم يكفر إلا بتولية الحجاج على أمر الأمة مع ظهور كفره وعموم شرّه. تولى سنة ٦٥هـ، وتوفي للنصف من شوال سنة ست وثمانين، ودفن بدمشق، وكان عمره ستين سنة على خلاف.

وفي أيامه قتل العلماء: كعبد الله بن الزبير، وابن مطيع، وسعيد بن جبير، وغيرهم، وختم على أعناق كثير من أصحاب رسول الله ﷺ فمنهم: جابر بن عبد الله الأنصاري، ونال منهم كل منال.

وصحّت قتلى الحجاج اللعين صبراً في أيامهم مائة ألف وعشرين ألفاً، وهذا سوى من قتل في الحرب والعساكر^(١).

ورآه رجل يخطر في المسجد وهو متقلد لسيف محلي، وكان لا يعرفه، فقال لخالد بن يزيد: من هذا؟ فقال خالد بن يزيد: بخ بخ هذا عمرو بن العاص.

فسمعه الحجاج فرجع إليه، وقال: سمعتُ يا خالد ما قلت، والله ما يسرني أن العاص ولدني، فإن شئت أخبرتك بنسبي، أنا ابن العقائل من قريش، وابن الجحاج من ثقيف، وأنا الذي ضرب مائة ألف بالسيف، يشهدون على أبيك بالكفر وشرب الخمر حتى أقرؤا أنه خليفة الله في أرضه، ثم ولي وهو يقول: بخ بخ هذا عمرو بن العاص. انتهى من الشافي، وذكره صاحب الكامل^(٢) من قوله: ورآه رجل.. إلخ.

(١) تاريخ الطبري (٣٨٢/٦)، الكامل في التاريخ (٦١/٤)، التنبيه والإشراف (٢٧٤/١)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم (٣٦٦/٢)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٣٣٧/٦)، تاريخ الإسلام للذهبي (٣٢٣/٦)، البدء والتاريخ (٤٠/٦) وذكر أنه مات في حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، وعلى العموم فجرائمه أكثر من أن تحصر وأشهر من نار على علم، وقد ذكرها أغلب المؤرخين، ونكتفي من ذلك بما ذكره خليفة بن خياط في تاريخه (٢٨٧/١): عن عوانة قال: قتل الحجاج بمسكن خمسة آلاف أسير أو أربعة آلاف. اهـ. وذكر في السيرة الحلبية (٢٦١/١) جرائم كثيرة للحجاج، منها أن سليمان بن عبد الملك أطلق من سجن الحجاج بعد موته سبعين ألفاً قد حبسهم للقتل ليس لواحد منهم ذنب يستوجب به الحبس فضلاً عن القتل، ومنها أنه كان يحبس الرجال مع النساء ولم يكن لحبسه بيوت أخلية فكان الرجل يبول بجانب المرأة والمرأة تبول بجانب الرجل فتبدو العورات، وكان كل عشرة في سلسلة و.. إلخ. اهـ.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦٢، ٦١/٤)، وقد ذكر هذا في أنساب الأشراف (٢١٩/٧) والمقرئ في المقرئ الكبير (١٢١/٣) وابن عبد ربه في العقد الفريد والنويري في نهاية الأرب.

قيل: إن عبد الملك كان قبل الخلافة ناسكاً زاهداً عابداً، وقد كان المصحف في حجره لَمَّا بلغه أن الخلافة قد أفضت إليه، فأطبقه وقال: هذا آخر عهدنا بك^(١).
ومن كلامه في «تاريخ الخلفاء»: أما بعد فلست بالخليفة المستضعف -يعني: عثمان- ولا الخليفة المداهن -يعني: معاوية- ولا الخليفة المأفون^(٢) -يعني: يزيد- ألا وإن من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال، ألا وإني لا أدأوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم، تكلفوننا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم؛ فلن تزدادوا إلا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم، هذا عمرو بن سعيد قرابته قرابته، وموضعه موضعه، قال برأسه هكذا، فقلنا بأسيا فكذا، ألا وإنا نحمل لكم كل شيء إلا وثوباً على أمير أو نصب راية، ألا وإن الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي، والله لا يفعل أحد فعله إلا جعلتها في عنقه، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه، ثم نزل^(٣).

وهذه الجملة الأخيرة في الكامل [٤٣٤/٣].

وقد وثق عبد الملك الحجاج أميراً على العراق فأساء وأسرف.

(١) تاريخ ابن الوردي (١/١٦٧)، وقريب منه في سمط النجوم العوالي (٣/٢٧٦)، البداية والنهاية (١٢/٣٨١).

(٢) في لسان العرب: وَأَفِينٌ، فَهُوَ مَأْفُونٌ وَأَفِينٌ. وَرَجُلٌ مَأْفُونٌ: ضَعِيفُ الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ. اهـ. (١٣/١٩).

(٣) تاريخ الخلفاء (ص ١٦٥)، وانظر البداية والنهاية (١٢/٣٨٣)، الكامل (٣/٣٨٢)، أنساب الأشراف (٧/٢٠٦)، العقد الفريد (٤/١٧٨) وقد ذكرت في بعض هذه المصادر باختلاف ونقص أو زيادة يسيرة.

ومن كلام الحجاج على المنبر: والله لا أمر أحداً أن يخرج من باب من أبواب المسجد، فيخرج من الباب الذي يليه إلا ضربت عنقه.

قال المسعودي في مروج الذهب [٩١/٣]: كان لعبد الملك إقدام على الدماء، وكان عماله على مثل مذهبه كالحجاج بالعراق، والمهلب بخراسان، وهاشم بن إسماعيل بالمدينة، وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء.

هذا، وقد صوّر لنا عمر بن عبد العزيز جرائم الحجاج وبوائقه في كلماتٍ كما في الكامل [٦١/٤]: (لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم).

ومن وصية عبد الملك لأولاده لما حضره الموت كما في الكامل [٥٣١/٣]: وأكرموا الحجاج فإنه وطأ لكم المنابر، ودوّخ لكم البلاد، وأذل الأعداء.

وقال في مرض موته: يا ليتني كنت قصّاراً، يا ليتني كنت قصّاراً. اهـ [الكامل: ٥٣٤/٣] (١).

وقال: وددت أني عبدٌ لرجل من تهامة أرعى غنماً في جبالها، وأنّي لم أك شيئاً [الكامل: ٥٣٤/٣].

قال صاحب الكامل في التاريخ [٥٣٤/٣]: ويحق لعبد الملك أن يحذر هذا الحذر ويخاف، فإن من يكن الحجاج بعض سيئاته يعلم على أي شيء يقدم عليه، انتهى.

وقد عدّ مولانا الناظم عبد الملك رابع ملوك بني أمية، فكأنه عليه السلام لم يعد معاوية بن يزيد من جملتهم لصلاحه، ولأنه لم يلبث في الخلافة إلا أياماً قليلة يبيّن

(١) وانظر تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥٧/٣٧) وتهذيب الكمال للمزي (٤١٢/١٨) والكامل في التاريخ (٥٣٤/٣) والبداية والنهاية لابن كثير (٣٩٥/١٢).

فيها كراهيته للملك وإنكاره على من تقدمه ما حصل في ولايتهم من الظلم والفساد، ثم تخلى من غير أن يحل ويبرم، أو يقدم ويؤخر، فخرج من الخلافة سالماً نقي الثوب، فرحمة الله عليه.

قول الناظم عليه السلام: (وَبَنُو أَرْبَعَةٍ) هم: الوليد، وسليان، وهشام، ويزيد.

وكلّ منهم ولي الملك والسلطان، وستأتي أخبارهم عند ذكرهم.

وقوله: (بَنُو^(١) النُكْرِ) سباهم عليه السلام بذلك، لكثرة ما ارتكبوا من كبائر المنكرات، حتى كأنهم خلقوا منها، فكنى عليه السلام ذلك بالبنوة التي هي أبلغ في تصوير ذلك المعنى.

وفي سنة سبع وستين قُتل عبيد الله بن زياد - قاتل الحسين عليه السلام - قتله إبراهيم بن الأشتر، وقد كان ابن زياد في جيش عظيم من أهل الشام، وإبراهيم في جيش العراق التوايين، وكانت هذه المعركة في أرض الموصل، وقتل فيها من أهل الشام قتلى كثيرة، قُدِّرَها بعض المؤرخين بسبعين ألف قتيل، قتل الكثير منهم أو أكثرهم بالغرق عند الهزيمة، وكان من جملة القتلى عبيد الله بن زياد لعنه الله، قتله الأشتر بيده، كما رواه صاحب الكامل^(٢).

وفي عهد عبد الملك أيضاً قتل المختار بن عبيد الله الثقفي سنة ٦٧ هـ، والمختار هو

(١) هذا على نسخة متقدمة لمولانا الإمام الحجة مجد الدين بن محمد عليه السلام، وأما على نسخته المتأخرة والتي في ديوانه فهي: (ذوو النكر)، والله أعلم.

(٢) قال فيه: قَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ رَجُلًا تَحْتَ رَايَةٍ مُنْفَرِدَةٍ عَلَى شَاطِئِ نَهْرِ الْخَازِرِ، فَالْتَمَسُوهُ، فَإِنِّي سَمَمْتُ مِنْهُ رَائِحَةَ الْمِسْكِ، شَرَقْتُ يَدَاهُ، وَغَرَبْتُ رِجْلَاهُ. فَالْتَمَسُوهُ فَإِذَا هُوَ ابْنُ زِيَادٍ قَتِيلًا بِضَرْبَةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَدْ قَدَّتْهُ نِصْفَيْنِ وَسَقَطَ، كَمَا ذَكَرَ إِبْرَاهِيمُ. اهـ (٣/ ٣٢٩).

الذي تتبع قتلة الحسين عليه السلام، منهم: عمر بن سعد بن أبي وقاص، وابنه حفص بن عمر، ومنهم شمر بن ذي الجوشن، ووَجَّهَ إبراهيم بن الأشتر فقتل عبيد الله بن زياد، وغلب المختار على الكوفة حتى خرج عليه مصعب بن الزبير في أهل البصرة فقاتلوه. ثم قتل المختار في هذا القتال، قتله رجل يقال له: صراف بن يزيد الحنفي^(١).

هذا، وفي كتب المؤرخين من أهل السنة الطعن على المختار في دينه والتشويه لسيرته، والسبب في ذلك، وذنبه الذي استحق به عند أهل السنة مثل ذلك هو أنه انتقم من قتلة الحسين عليه السلام وقام بالثأر، فلاحقهم أشد الملاحقة، وقتلهم تحت كل سماء، فإنه لما طهر العراق من قتلة الحسين عليه السلام غزا الشام التي هي عقر ديار بني أمية، فقتل هنالك عبيد الله بن زياد -لعنه الله- مع سبعين ألفاً من أهل الشام، كما ذكره بعض المؤرخين، فهذا هو السبب في ذم بعضهم للمختار.

وهذا ليس بغريب من صنائع بني أمية، فإن عاداتهم التنكر لكل من اتصل بأهل البيت عليه السلام بأي صلة؛ لذلك فلا ينبغي الوثوق بما ذكروه من المعائب في المختار، وقد قال علماء الشريعة: إنه لا يقبل قول العدو، ولا شهادته على عدوه.

فينبغي أن يتثبت القارئ فيما يرويه بعض أهل النقل عن مثل من ذكرنا، فإنهم يتحاملون على الشيعة كثيراً، وعلى كل من يتصل بهم، ويغالون في ذلك إلى حدٍّ بعيد.

وهذا في حين أنهم يحرمون الكلام في ذكر شيء من عظام معاوية، ويزيد، ومروان، والوليد بن عقبة، وغيرهم من ولادة معاوية وولادة عثمان، ثم سائر خلفاء

(١) في كتاب المعارف لابن قتيبة الدينوري (ص ٤٠١) باسم ضرار بن يزيد الحنفي، وفي أنساب الأشراف للبلاذري (٦/ ٤٤١) باسم (طراف بن ...) وفي كتاب الحور العين لنشوان الحميري (ص ١٨٢) باسم (صراف ...).

بنى أمة وخلفاء بني العباس، ويسمون من ذكرنا بأنهم سلف هذه الأمة. نعم، مما ينبغي التنبيه عليه هنا أن نقول: إن الخلاف الذي ظهر في أول الأمر وصار له كيان وأتباع قد كان بين علي ومعاوية، فتأسست لذلك مدرستان: مدرسة عليّ ومدرسة معاوية. وما زالت هاتان المدرستان قائمتين إلى اليوم، ولكل منها خريجون وأشباع وأتباع، وهذا بغض النظر عما بينهما من فارق القوة والضعف، والعداء بين هاتين المدرستين ظاهر مكشوف على طول التاريخ، والتهم بينهما متبادلة كذلك، وذلك بشكل عام شامل لجميع طبقات الناس من العلماء والمتعلمين، والمقلدين والعوام، ورجال الدولة على طول التاريخ، والجسم الغفير هم أشباع إحدى هاتين المدرستين، والشيعية هم أشباع المدرسة الأخرى، على ذلك مضت القرون إلى يوم الناس هذا، وهذا بغض النظر عما تفرعت إليه كلتا المدرستين من الفروع. لذلك قلنا: إنه ينبغي الثبوت فيما يرويه المؤرخون عن مثل المختار وغيره ممن له علاقة بمدرسة الإمام علي عليه السلام.

٢٣- فَوَلِيدٌ أَوَّلُهُمْ وَتَابَعَهُ شَرُّهُ سُلَيْمَانٌ فَخَذَ حَضْرِي
في هذا البيت اثنان من أولاد عبد الملك الأربعة الذين تقدمت الإشارة إليهم.

الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦هـ)

فأول الاثنين المذكورين في هذا البيت هو: الوليد بن عبد الملك بن مروان، يكنى أبا العباس.

بويع له بالعهد من أبيه، ثم إلى أخيه من بعده سليمان، يوم الخميس للنصف من شوال سنة ٨٦هـ، وتوفي للنصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ وكان لحناً يعفك

عَفَكَ الأَمة^(١)، شديد السطوة لا يتوقف إذا غضب.

خرج يوم مات الحجاج مكشوف الرأس، وقال: اليوم مات سيد العرب. وكان لا يرى للدين حرمة في هوى نفسه. أفاد ذلك في الشافي [١/٤٨٥].

وكان من وصية أبيه إليه: وانظر الحجاج فأكرمه فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر، وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناواك، فلا تسمعنَّ فيه قول أحد، أنت إليه أحوج منه إليك، وادع الناس إذا مت للبيعة، فمن قال برأسه هكذا، فقل بسيفك هكذا. (مروج الذهب، وتاريخ الخلفاء)^(٢).

ومن وصيته إليه: إذا أنا مت فشمّر واتَّزّر، والبس جلد نمر، وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه. (مروج الذهب، وتاريخ الخلفاء)^(٣).

وفي مروج الذهب، قال الوليد: أيمن للخليفة أن يُحاسب؟ فجاءه أخوه يزيد بن عبد الملك بأربعين شيخاً فشهدوا له: ما على الخليفة حساب ولا عذاب.

وفي عهد الوليد مات الحجاج -لعنه الله- شوال سنة ٩٥هـ، وله من العمر أربع

(١) قال في لسان العرب: وَعَفَكَ الْكَلَامَ يَعْفِكُهُ عَفْكَاً لَمْ يُقْمَهُ، وَحَكِي عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ أَنَّهُ قَالَ هَؤُلَاءِ الطَّمَاطِمَةُ يَعْفِكُونَ الْقَوْلَ عَفْكَاً وَيَلْفِتُونَهُ لَفْتاً. اهـ

(٢) تاريخ الخلفاء (ص ١٦٦)، مروج الذهب (٣/ ١٦١) بنقص يسير، وانظر الكامل (٣/ ٥٣١)، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٤٤)، وتاريخ دمشق (٦٣/ ١٧١).

(٣) تاريخ الخلفاء (ص ١٦٦)، مروج الذهب (٣/ ١٦٠)، وانظر تاريخ الإسلام (٦/ ١٤٣)، وتاريخ دمشق (٦٣/ ١٧٢).

وخمسون سنة، وكانت ولايته على العراق عشرين سنة.
 وكان في سجنه حين مات خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، منهن ستة
 عشر ألف امرأة مجردة، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد ولم يكن
 للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف، ولا من المطر والبرد في الشتاء.
 وذُكر أنه ركب يوماً فسمع ضجة فقال: ما هذا؟

ف قيل له: المحبوسون يضجون ويشكون ما هم فيه من البلاء.
 فالتفت إلى ناحيتهم وقال: اخسئوا فيها ولا تكلمون. انتهى من مروج الذهب^(١).

سليمان بن عبد الملك (ت ٩٩هـ)

ثم قام بعد الوليد أخوه سليمان بن عبد الملك، وهذا هو الثاني من أولاد
 عبد الملك المذكورين في البيت.

ببيع له يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ، وتوفي لعشر خلون
 من صفر سنة ٩٩هـ، وكان يأكل ولا يكاد يشبع. يأكل في اليوم نحواً من مائة رطل،
 ومات تخمة فهو شهيد بطنه. انتهى من الشافي [١/٨٦٤].

وفي الكامل [٤/٩٤]: لبس يوماً حُلَّةً خضراء، وعمامة خضراء، ونظر في المرأة فقال:
 أنا الملك الفتي، فما عاش جمعة، ونظرت إليه جارية فقال: ما تنظرين؟ فقالت:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
 ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير أنك فان

(١) مروج الذهب (٣/١٦٧)، وقد تقدم ذكر بعض من هذا في الحواشي السابقة.

٢٤- والعَادِلُ الْمَرْضِيُّ سِيرَتُهُ عَمَرُ الْأَشَجِّ مُغَيَّرَ الْهَجْرِ

عَمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ (ت ١٠١هـ)

في الشافعي [١/٤٨٦]: وعقد - أي سليمان بن عبد الملك - لعمر بن عبد العزيز بغير علمه بمشورة رجاء بن حيوة.

قال: يا رجاء، قد علمت أني أموت ولا أدري ما أصنع، ولا أرى أرجأ من أن أولي المسلمين رجلاً صالحاً فأشار إليه بعمر بن عبد العزيز.

فكتب العهد، وحلف الناس عليه مختوماً في حياة سليمان وبعده، ثم فضه فإذا فيه ذكر عمر.

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. وكان عهد سليمان: هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز أني وليته الخلافة من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا، فلما قرئ الكتاب بايع جميع من حضر من بني أمية.

ثم قال في الشافعي بعد ذلك في بيان أعمال عمر الإصلاحية: وتنكب أعمال أهل بيته وسماها مظالم، ولم ينزل في شيء من قصورهم التي بنوها بأموال الله، ونزل البرية، فقليل له: هذا يضر بالناس. فنزل دار أبيه إلى جانب مسجد دمشق فضاعت به وبالناس، فنهض إلى دير سمعان، وأوصى إذا مات أن يدفن في قطعة أرض ورثها من أمه، وردَّ مظالم^(١) بني أمية إلى أربابها، ووصل أهل بيت النبي ﷺ بعشرة

(١) ورد ذكر ردِّ المظالم، وردَّ فذلك لأولاد فاطمة عليها السلام وغيرها في كثير من المصادر إما متفرقة أو مجموعة أو مرتبة غير هذا الترتيب، فمنها: تاريخ بغداد (٨/ ٤٥) الأحكام السلطانية للهاوردي (١/ ١٣١)، تاريخ الخميس (٢/ ٣٣٨)، تاريخ الإسلام (٧/ ١٩٦)، الكامل في التاريخ

آلاف مثقال، أنفذها إليهم إلى المدينة، وزاد لفاطمة بنت الحسين عليها السلام شيئاً لما كتبت إليه: جزاك الله من والٍ خيراً، فلقد أشبعت بطوناً من أهل بيت النبي جائعة، وكسوت ظهوراً عارية، وأخدمت من كان لا يقدر على خدمة نفسه^(١).

ورَدَّ فداً على أولاد فاطمة عليها السلام بلا خلاف بين أهل العلم في ذلك، وأدنى أهل الدين والصلاح، وباعد أهل الفسوق والعصيان، وما ترك لأولاد سليمان من المال إلا ما كان قد لبسه، وصرف الباقي إلى بيت المال^(٢).

ودان بالعدل والتوحيد خلافاً لأهل بيته، لأنهم أول من سنَّ الجبر والقدر فسارت الجبرية والقدرية على الأثر.

وترك لعن علي عليه السلام وقد كانوا جعلوا له مكاناً في الخطبة فرد موضعه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]^(٣).

=
(١١٨-١١٧/٤).

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١٠/ ٢٦٥) وهو في الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٧٨، ٣٧٩) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٧٠/ ٢٣).

(٢) انظر تاريخ يعقوبي (٢/ ٣٠٥).

(٣) شرح نهج البلاغة (٤/ ٥٩)، وتفسير روح البيان (٥/ ٧٣)، خلاصة الأثر (٣/ ١١)، تاريخ الخميس (٢/ ٣١٧)، شرح البخاري للسفيري (١/ ٣١٠)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٠/ ٩٦) المختصر في تاريخ البشر (١/ ٢٠١) تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٢٢٧) تهذيب الرئاسة وترتيب السياسة (١/ ٢٩٩)، تاريخ ابن الوردي (١/ ١٧٢) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة لابن تغري بردي (١/ ٩١) التاريخ المعبر في أنباء من غبر للمقدسي الحنبلي (١/ ٣١٩) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٣/ ٣٢٦) وغيرها، وأغلب هذه المصادر فيها ذكر مدح كثير عزة لعمر بن عبد العزيز بقطعه لعن علي عليه السلام.

وأمر بقطعه في الآفاق - ووصل ذلك إلى صنعاء، فلما وصل الخطيب إلى ذلك المكان تلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾، فقام محمد بن محفوظ فقال: ما هذا؟ قطعت السنة؟ والله لأنهنضنَّ إلى الشام، فإن وجدت هذا الخليفة قد عزم على قطع السنة لأضرمنَّ عليه الشام ناراً، وقام معه بنو الأسود، ووقعت عصبية، فخرج مغاضباً ولحقه الناس إلى موضع يقال له: (المنجل). فرجموه وصرعوه وبغلته تحته وتركوا عليهما رضماً كبيراً، وهو يرجم الآن كقبر أبي رغال وأبي لهب^(١) - فقال الشاعر:

استراحت من السباب البتول وبنوها وبعلمها والرسول

وأبى ذلك اللعين ابنُ محفو ظ وبنو الأسود الكلاب البغول

وقامت الشعراء تمدح عمر بن عبد العزيز في ذلك، فقال كثيرُ عزة^(٢):

(١) قال في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢): «قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَبَعَثُوا مَعَهُ أَبَا رِغَالٍ يَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ فَخَرَجَ أَبْرَهُةُ وَمَعَهُ أَبُو رِغَالٍ حَتَّى أَتَوْهُ الْمُعَمَّسَ، فَلَمَّا أَنْزَلَهُ بِهِ مَاتَ أَبُو رِغَالٍ هُنَاكَ، فَزَجَّتْ قَبْرَهُ الْعَرَبُ، فَهُوَ الْقَبْرُ الَّذِي يَرْجُمُ النَّاسُ بِالْمُعَمَّسِ». اهـ، وهناك أقوال أخرى، انظر مروج الذهب (٢/ ٥٢-٥٣).

(٢) أبيات كثير عزة رواها ابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ٣٨٢) والجاحظ في الرسائل السياسية (٤٣٥) وابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء (١/ ٤٩٦) والبلاذري في أنساب الأشراف (٨/ ١٦١) وأبي نعيم في الحلية (٥/ ٣٢٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠/ ٩٦) وابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧/ ٤٠) وسبط بن الجوزي في مرآة الزمان (١٠/ ٢٨٢) والذهبي في تاريخ الإسلام (٧/ ٢٢٧) وابن الوردي في تاريخه (١/ ١٧٢) وغيرهم كثير، وهو ما يفيد تواتر سب بني أمية للإمام علي عليه السلام وتوارثهم له، فلا يستطيع إنكاره أحد، وكثير عزة هو كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، أحد عشاق العرب المشهورين به، حيث تعلق بعزة بنت جميل، وأكثر شعره فيها. (انظر وفيات الأعيان (٤/ ١٠٧) توفي سنة ١٠٥ هـ).

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيّاً وَلَمْ تُخْجِفْ بريّاً ولم تتبع سجية مجرم
وقلت فصَدَّقْتَ الذي قُلْتَ بالذي فعلت فأضحى راضياً كلُّ مسلم
... في قصيدة طويلة.

ولم يقل أحد من بني أمية بالعدل والتوحيد إلا عمر بن عبد العزيز، ويزيد بن الوليد الملقب بالناقص، ومعاوية بن يزيد، ولا ظهر لأحد منهم صلاح إلا هؤلاء، وقليل لمن حمل ذنبه ربه أن لا ينزع من المعاصي، ولا يعظم عليه ثقلها.
ولما كتب إليه غيلان الدمشقي يعظه أمر إليه: أن ائت إليّ فأعني على أمري.
فكتب إليه: إن وليتني رد المظالم إلى أهلها وبيع أموال الخزائن وتفريقها في مستحقها أعتك وإلا فلا. فقال: افعل من ذلك ما شئت؛ فلما أتى بلغ من ذلك ما أراد، فوجد جوارب بعضها قد فسد فأمر ببيعها فبلغت ثلاثين ألفاً، فقال:
من يلومني في هؤلاء، يأكل هذه والناس يموتون جوعاً؟^(١)

وكان يصيح على الأموال عند تفريقها: هَلُمَّ إلى أموال الخونة، هَلُمَّ إلى أموال الظلمة، هَلُمَّ إلى أموال أخذت من غير حلها ومنعت من مستحقها؛ فسمعه هشام فقال: يسب آبائي! والله لأقتلنه.. في قصة طويلة^(٢)، وليس الغرض الاستقصاء.

(١) انظر ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري (٣/ ١٥١) والتذكرة الحمدونية لأبي المعالي بهاء الدين بن حمدون (٣/ ١٩٣).

(٢) خلاصتها: أنه لما ولي هشام بعث إليه واستنطقه، فقال: أعوذ بجلال الله أن يأتمن الله خوَّاناً أو يستخلف خزاناً؛ إن أئمتة القوامون بأحكامه، الراهبون لمقامه، لم يولَّ الله وثاباً على الفجور، ولا شراباً للخمور، ولا ركباً للمحذور.. فقطع هشام يديه ورجليه. انظر أيضاً التذكرة الحمدونية (٣/ ١٩٣) وربع الأبرار (٣/ ١٥٢).

وكان عمر يعطي الفقراء ويحرم الشعراء، وقال فيه بعض الشعراء:
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر
وأحسب الشاعر جريراً^(١).

ولا يشك أحد أن غيلان كان من كبار المعتزلة القائلين بالعدل والتوحيد، النافين
للجبر والقدر والتشبيه. انتهى من الشافي [٤٨٩/١].

وفي الكامل: وكان سبب محبته علياً أنه قال [أي عمر بن عبد العزيز]: كنت
بالمدينة أتعلم العلم، وكنت ألزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، فبلغه عني
شيء من ذلك [أي من سب علي] فأتيته يوماً وهو يصلي، فأطال الصلاة، فقعدت
أنتظر فراغه، فلما فرغ من صلاته التفت إليّ فقال لي: متى علمت أن الله غضب على
أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم؟ قلت: لم أسمع ذلك. قال: فما الذي
بلغني عنك في علي؟ فقلت: معذرة إلى الله وإليك! وتركت ما كنت عليه.

وكان أبي إذا خطب فنال من علي رضي الله عنه تلجلج، فقلت: يا أبت إنك تمضي في
خطبتك، فإذا أتيت علي ذكر عليّ عرفت منك تقصيراً؟ قال: أو فطنت ذلك. قلت:
نعم. فقال: يا بني؛ إن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا عنا إلى أولاده.
فلما ولي الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم
لأجله، فترك ذلك وكتب بتركه. انتهى من الكامل [٩٨/٤].

وفي الكامل [١١٣/٤]: توفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة، وكان

(١) ورد البيت ضمن قصيدة جرير في: نوادر الخلفاء (٧٠)، المتظم في تاريخ الملوك والأمم
(٣٨/٧)، مرآة الزمان (٢٨١/١٠)، تاريخ دمشق (٩٧٨٥) (٩٥/٧٢)، أنساب الأشراف
(١٣٥/٨)، وغيرها.

موته بدير سمعان، وقيل بخناصره، ودفن بدير سمعان، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة وأشهرًا، وقيل: أربعين سنة وأشهرًا، وكانت كنيته أبا حفص، وكان يقال له: أشج بني أمية. انتهى.

وفيه أيضاً [١١٧/٤]: فلما ولي الخلافة أحضر قريشا ووجوه الناس فقال لهم: إن فدكاً كانت بيد رسول الله ﷺ فكان يضعها حيث أراه الله، ثم وليها أبو بكر كذلك، وعمر كذلك، ثم أقطعها مروان، ثم إنها صارت إليّ ولم يكن من مالي أعود منها عليّ، وإنّي أشهدكم أنّي قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ، قال: فانقطعت ظهور الناس، ويئسوا من الظلم. انتهى.

قلت: ردّ عمر بن عبد العزيز فدكاً إلى أولاد فاطمة عليها السلام في جملة ما رد من المظالم إلى أهلها دليلٌ واضح على ما نذهب إليه نحن الزيدية من أن فدكا أُخذت من فاطمة ظلماً.

ولمثل هذه الأعمال الإصلاحية من رد المظالم ألحقه علماء السنية بالخلفاء الراشدين، ورضيت سيرته عند أرباب المدرستين (السنة والشيعة) وحمدت طريقته عند الكافة، لذا قال مولانا الناظم سلام الله عليه: **(وَالْعَادِلُ الْمَرْضِيُّ سِيرَتُهُ .. الخ)**، وقد روى في الكامل [١١٩/٤]، عن سفيان الثوري قال: الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز، وما كان سواهم فهم متزّون. قال: وقال الشافعي مثله، انتهى.

وفيه أيضاً [١٢٠/٤]: ولما احتضر عمر بن عبد العزيز قيل له: اكتب إلى يزيد بن عبد الملك فأوصه بالأئمة. قال: بماذا أوصي؟ إنه من بني عبد الملك. ثم كتب إليه:

أما بعد ؛ فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة، ولا تقدر على الرجعة، إنك تترك ما تترك لمن لا يحمدك، وتصير إلى من لا يعذرک، والسلام. انتهى..

[ذكر يزيد بن عبد الملك وهشام]

٢٥- ويزيد ثم أخوه رابعهم أعني هشاماً حاملاً الوزر
٢٦- قتل الإمام أبا الحسين وقد ذروه بعد الصلب في البحر
٢٧- الأحول الطاعي أزيروهم رصفت رصافته من الجمر

يزيد بن عبد الملك (ت ١٠٥هـ):

يزيد بن عبد الملك هو الثالث من أولاد عبد الملك الأربعة الذين تقلدوا السلطان، وهشام بن عبد الملك هو الرابع.

تولى يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز، وكنيته أبو خالد بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز، وبويع له يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة، وتوفي بحوران لخمس بقين من رجب سنة خمس ومائة. قال في الشافي [١/٤٩٠]: وكان شديد الكبر عاجزاً، صاحب لهُو ولذات، وهو صاحب حباة وسلامة، وهما جارتان كان مشغوفاً بهما، وماتت حباة فمات بعدها بيسير أسفاً عليها، ونبشها بعد الدفن، ولم يدفنها حتى لامه كبار أهل بيته بعد أن تغير ريحها. انتهى^(١).

(١) الكامل (٣٦٨/٤)، وفيه: فقال يوماً وقد طرب وعنده حباة وسلامة القس: دعوني أطيّر فقالت حباة على من تدع الأمة؟ قال عليك. قيل: وغتته يوماً:

(و بين التراقي واللهة حرارة وما ظمئت ماء يسوغ فتبردا)

وفي الكامل [٣٣٢/٤]: وعمد يزيد إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه، فردّه ولم يخف شناعة عاجلة ولا إثمًا عاجلاً؛ فمن ذلك: أن محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف كان على اليمن فجعل عليهم خراجاً مجدداً، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله يأمره بالاعتصار على العشر ونصف العشر، وترك ما جددّه محمد بن يوسف، وقال: لئن يأتيني من اليمن حفنة ذرة أحب إليّ من تقرير هذه الوضعية؛ فلما ولي يزيد بعد عمر أمر بردها، وقال لعامله: خذها منهم ولو صاروا حرصاً، والسلام. انتهى^(١).

وفي أول سنيّ خلافة يزيد بن عبد الملك خلعه يزيد بن المهلب ودخل البصرة وجمع الجموع، والتقى جيش اليزيديّين حول الأنبار، واقتتلوا فهزّم جيش اليزيد بن المهلب، فقتل يزيد بن المهلب وأربعة من إخوانه، وآخرون غيرهم من أحفاد المهلب، قتل هؤلاء في المعركة، وهذا بالإضافة إلى ثلاثة عشر أسيراً من آل المهلب بن أبي صفرة جيء بهم إلى يزيد بن عبد الملك فأمر بهم فقتلوا عن آخرهم^(٢).

فأهوى ليظير فقالت: يا أمير المؤمنين؛ إن لنا فيك حاجة، فقال: والله لأطيرن، فقالت: على من تخلف الأمة والملك؟ قال: عليكِ والله، وقبّل يدها؛ فخرج بعض خدمه وهو يقول: سخنت عينك فما أسخفك. وخرجت معه إلى ناحية الأردن يتنزهان، فرماها بحبة عنب فدخلت حلقها فشرقت ومرضت وماتت، فتركها ثلاثة أيام لم يدفنها حتى أتتنت وهو يشمها ويقبلها وينظر إليها ويبكي، فكلم في أمرها حتى أذن في دفنها وعاد إلى قصره كئيباً حزيناً، اهـ. وانظر مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط بن الجوزي (٤١٩/١٠) وفوات الوفيات (٣٢٣/٤) والبداية والنهاية لابن كثير (١٥/١٣).

- (١) أنساب الأشراف للبلاذري (٢٤٥/٨) وتاريخ ابن خلدون (٩٦/٣).
(٢) الكامل (٣٤٢/٤)، التنبيه والإشراف (١١٧/١)، تاريخ الطبري (٨٦/٤).

وكان المهلب بن أبي صفرة وأولاده وأحفاده من أكبر أعوان عبد الملك بن مروان وأولاده، وهم الذين تولوا حرب الخوارج، في حين أن الخوارج لم يقيم لحربهم سواه.

وإنما جئنا بهذه الحادثة التاريخية لما فيها من العظة والعبرة بالمصير المشؤوم لأعوان الظالمين، ومثل هذا مصداق الأثر المشهور: ((من أعان ظالماً أغري به)). وفي السنة الثانية من خلافة يزيد بن عبد الملك ظهر بعض الدعاة للدولة العباسية في خراسان. أفاد ذلك في الكامل [٣٥٣/٤].

وفي عهد يزيد بن عبد الملك سنة ثلاث ومائة ولد أبو العباس السفاح. وأخرج أبو العباس إلى أبي محمد الصادق وله خمسة عشر يوماً، فقال لأبيه: هذا صاحبكم الذي يتم له الأمر على يده، فقبلوا أطرافه، وقال لهم: والله ليتمن هذا الأمر حتى تدركوا تأركم من عدوكم. أفاد هذا في الكامل [١٥٧/٤]^(١). قلت: يمكن أن الذي قال ذلك هو الباقر محمد بن علي عليه السلام.

هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ):

هشام بن عبد الملك بن مروان هو الرابع من أولاد عبد الملك الذين تقلدوا السلطان.

في الشافي [٤٩١/١]: بويع له بعهد أخيه [يزيد] إليه لست بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وتوفي بالرصافة لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة،

(١) انظر تاريخ الطبري (١٥/٧) وتجارب الأمم وتعاقب الهمم (١٢/٣) ونهاية الأرب (١٢/٢٢).

وصلى عليه ابنه مسلمة، وكان جباراً طاغياً، ظلوماً غشوماً، لما علم سيرة عمر بن عبد العزيز في تراث سليمان وصرفه إلى بيت المال إلا ملابسه - جعل مال الله ملابس، ونافس في الطراز حتى ضرب به المثل، فقيل: طراز هشام^(١)، وقطع وقر عشرة آلاف بعير بزاً، ولم يدر أن الوليد بن يزيد يأتي لا يميز؛ حتى لقد تعسر عليهم كفه. وروى أصبغ بن الفرج، قال: خرج هشام حاجاً، فحمل ثياب ظهره على ستائة بعير، وكان أحول، قال لأبي النجم الراجز: أنشدني؛ فأنشده أرجوزته التي أولها:

الحمد لله العظيم الأجل

.. إلى قوله:

والشمس في الأفق كعين الأحول

قال: وما وجدت مثلاً إلا عيني، إن بقيت بعد ثلاثة ضربت عنقك^(٢).

وقال ذات يوم لسكينة بنت الحسين: أولاد أختك فاطمة بنت الحسين منكم أجود، أو أولادها منا؟ - لأنها كانت تحت الحسن بن الحسن، زوجها إياه عمه الحسين لما خطب إليه قال: اختر أيتهم شئت، فاستحيا. قال: أما إذا أبيت فقد اخترت لك فاطمة لأنها أشبههما بأمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فجاءت بعبد الله وإبراهيم والحسن أولاد الحسن بن الحسن عليه السلام، وخلف عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان الذي كان يقال له: مطرف، وكان زواجه لها غصباً؛ لمكان سلطان

(١) في تاريخ دمشق ذكر كلاماً لهارون الملقب بالرشيد يقول فيه: الرشيد: دع هذا الكلام عنك يا أبا علي فوالله لا نمدح بمثل شعر كثير حتى يحاك لنا مثل طراز هشام. اهـ (٥٠ / ٨١).

(٢) الفائق في غريب الحديث (٣/ ٢٤٩)، الرسائل السياسية للعاجز (١/ ٤٣٢)، الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢/ ٥٨٩).

بني أمية، وحاول ذلك باختيار فلم يُحِبُّ إليه، وطلب أهلها، وقالوا: أمرها إليها. وحاولها، فقالت: قد حلفت أيماناً غلاظاً. قال: أسلم بك من الرقاب نفسين، وبكل شيء مما يلزم به الكفارة شيئين. وحاول الأمر من قبل أمها^(١)، فجاءت فسألته فلم تساعد، وكشفت خمارها، وقامت في الشمس ساعتين سدس نهار حتى اسودّت وخشي عليها التلف، وعلم أن لا قدرة لهم بالأمر فأجابوا؛ فولدت له: محمداً والقاسم وثالثاً.

فلما قال هشام لسكينة ذلك - قالت: أبرزنا لك - يا أحول - يوم الطف؛ فقام وقال: إنك امرأة تحبين الشر^(٢).

وروى السيد أبو العباس الحسني في كتاب المصاييح [٣٩٩] ما مثاله: أخبرنا علي بن الحسين بن سليمان البجلي، قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن صالح الضميري، قال: حدثنا أحمد بن زنبور المكي، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن الحسين بن علي عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب على منبر الكوفة فذكر أشياء حتى قال: يملك هشام تسع عشرة سنة، وتواريه أرض رُصافة رُصفت عليه بالنار؛ مالي وهشام؛ جبار عنيد، قاتل ولدي الطيب المطيب، لا تأخذه رافة ولا رحمة، فيصلب ولدي بكناسة الكوفة، زيد في الدرجة الكبرى من الدرجات العلى؛ فإن يُقتل زيد فعلى ستة أبيه.

(١) انظر مقاتل الطالبين (١٨٣).

(٢) ورد كلام سكينة بنت الحسين لهشام في: تاريخ دمشق (٧٠/٢١)، أنساب الأشراف (٦٢١/٥).

ثم الوليد، فرعون خبيث، شقي غير سعيد، يا له من مخلوع قتيل، فاسقها وليد، وكافرها وطاغوتها أزينم ويزيد، متقدمها ابن آكلة الأكباد، ذروه يأكل ويتمتع ويلهه الأمل فسوف يعلم غداً من الكذاب الأشر^(١).

الإمام زيد بن علي عليه السلام (ت ١٢٢هـ)

وغضبه الله ضد هشام بن عبد الملك:

ولما دخل عليه زيد بن علي عليه السلام قال: أنت زيد المؤمل للخلافة؟ وما أنت وذلك وأنت ابن أمة؟

قال زيد عليه السلام: لو أن الأمة قصرت بولدها عن بلوغ الغاية لما بعث الله نبياً ابن أمة، وجعله أبا العرب وأبا خير النبيين وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وكانت أمه مع أم إسحاق كأمي مع أمك، وما تقصيرك برجل أبوه رسول الله ﷺ وجده علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فلما خرج زيد عليه السلام قال هشام لجلسائه: أليستم زعمتم أن أهل هذا البيت قد انقضوا؟ لا؛ لعمر الله ما انقض قوم هذا خلفهم^(٢).

ودخل عليه مرة أخرى فجاء وفي مجلسه يهودي يسب رسول الله ﷺ، فانتهره زيد عليه السلام وقال: يا كافر؛ أما والله لئن تمكنت منك لأختطفن روحك. فقال هشام: مه يا زيد! لا تؤذ جلسنا؛ فخرج زيد عليه السلام وهو يقول: من استشعر حب البقاء استدثر الذل إلى الفناء^(٣).

(١) الحقائق الوردية ط ٢ (١/٢٧٣) هداية الراغبين (١٦٩) وذكر في الروض النضير (١/٧١)

أنه رواها الديلمي في المشكاة، وأبو العباس الحسني والإمام المنصور في الشافي ط ٢ (١/٤٩٣).

(٢) الكامل (٤/٢٥٨) والمواظ والاعتبار للمقرزي (٤/٣٢٠) بنقص يسير.

(٣) تيسير المطالب (١٧٨)، ربيع الأبرار (٤/١١٨).

وله عليه السلام مقامات مع هشام قبل قيامه ؛ منها ما رواه السيد أبو طالب عليه السلام [١٨٠] يرفعه إلى سعيد بن خثيم عن أخيه معمر قال: قال زيد بن علي عليه السلام: كنت أماري هشام بن عبد الملك وأكابده في الكلام، فدخلت عليه يوماً فذكر بني أمية، فقال: هم أشد قريش أركاناً، وأشد قريش مكاناً، وأشد قريش سلطاناً، وأكثر قريش أعواناً، كانوا رؤوس قريش في جاهليتها، وملوكهم في إسلامها.

فقلت: علي مَنْ تفتخر؟! علي هاشم؛ أول من أطعم الطعام، وضرب الهام، وخضعت له قريش بإرغام؟ أم علي عبد المطلب سيد مضر جميعاً، وإن قلت: معد كلها صدقت، إذا ركب مشوا، وإذا انتعل احتفوا، وإذا تكلم سكتوا، وكان يطعم الوحش في رؤوس الجبال، والطير والسباع والإنس في السهل، حافر زمزم، وساقى الحجيج، وربيع العمرتين^(١)؟ أم علي بن أبي طالب؟ أم علي سيد ولد آدم رسول الله ﷺ، حمله الله على البراق، وجعل الجنة يمينه، والنار بشماله، فمن تبعه دخل الجنة، ومن تأخر عنه دخل النار، أم علي أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب أخي رسول الله ﷺ، وابن عمه المفضل الكرب عنه، وأول من قال: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ) بعد رسول الله ﷺ، لم يبارزه فارس قط إلا قتله، وقال فيه رسول الله ﷺ ما لم يقله في أحد من أصحابه، ولا لأحد من أهل بيته؟ فاحمر وجهه وسكت^(٢).

(١) شبهه بالربيع لما ينال الناس منه من الخير، وأراد بالعمرتين الحج والعمرة تغليباً. تمت من مولانا الإمام الحجة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي أيداه الله تعالى، (حاشية في الشافي ١/ ٤٩٥).
(٢) ورواه أبو العباس في المصابيح ١٦٨، والأمير الحسن بن بدر الدين في أنوار اليقين (خ) وفي الشافي ج ١/ ٤٩٥، والسيد حميدان في مجموعه (ص ٥٧) عن الشافي.

ثورة الإمام زيد عليه السلام ضد الظالمين:

وكان قيامه عليه السلام ليلة الأربعاء لسبع بقين من المحرم سنة ١٢٢ هـ من دار معاوية بن إسحاق الأنصاري، وكان ميعاده لأولى ليلة من صفر فأعجله الطلب.

وكان ديوانه قد انطوى من أهل الكوفة على خمسة عشر ألف مقاتل خارجاً عن بايع من أهل الأمصار وسائر البلدان.

وبايعه من الفقهاء الذين أخذوا العلم عنه واختلفوا إليه: أبو حنيفة، وأعانه بهال كثير، ومنهم سلمة بن كهيل، ويزيد بن أبي زياد، وهارون بن سعد، وأبو هاشم الرماني، ومنصور بن المعتمر.

ولما خرج عليه السلام خرج معه القُرَّاء والفقهاء وأهل البصائر قدر خمسة آلاف رجل في زِيٍّ لم ير الناس مثله، وتخلَّف باقي الناس عنه، فقال: أين الناس؟ قالوا: احتبسوا في المسجد. فقال: لا يسعنا عند الله خذلانهم، فحمل حتى وصل إليهم، وأمرهم بالخروج فلم يفعلوا، ولم يفلحوا، فقال نصر بن خزيمة: يا أهل الكوفة، اخرجوا من الذل إلى العز، وإلى خير الدنيا والآخرة، وأدخلوا الرايات عليهم من طاقات المسجد، فلم ينجح ذلك فيهم شيئاً، وأقبلت جنود أهل الشام من تلقاء الحيرة، فحمل عليهم عليه السلام كأنه الليث المغضب، فقتل منهم أكثر من ألفي قتيل بين الحيرة والكوفة، وأقام بين الحيرة والكوفة، ودخلت جنود الشام الكوفة، ففرَّق أصحابه فرقتين: فرقة بإزاء أهل الكوفة، وفرقة بإزاء أهل الحيرة.

ولم يزل أهل الكوفة يخرج الواحد منهم إلى أخيه، والمرأة إلى زوجها، وال بنت إلى أبيها، والصديق إلى صديقه، فيبكي عليه حتى يرده؛ فأمسى عليه السلام وقد رُقَّ عسكره،

وخذله كثير ممن كان معه، وأهل الشام في اثني عشر ألفاً.

وحاربهم عليه السلام يوم الأربعاء ويوم الخميس، وحمل عليهم عشية الخميس، فقتل من فرسانهم زيادة على مائتي فارس، وأصيب عليه السلام آخر يوم الجمعة بنشابة في جبينه، فحُمِلَ إلى دور أرحب وشاكر، وجيء بطبيب نزع النصل بعد أن عهد إلى ولده يحيى عليه السلام بجهاد الظالمين، ثم مات من ساعته، ودفن في مجرى ماء، وأُجري عليه الماء، فأبصرهم غلام سندي، فلما ظهر قَتْلُهُ، وصاح صائح يوسف بن عمر بطلبه دَلَّ عليه، فصلبوه في الكناسة، وحرَّقوه بعد ذلك، وخطبوه بالشماريخ والعثاكيل حتى صار رماداً، ونسفوه في البر والبحر، وذروه في الرياح؛ فحرَّق الله هشاماً ولعنه لعناً وبيلاً في الدنيا، وله في الآخرة عذاب النار^(١).

ومن رواية الزهري، رواه السيد أبو طالب عليه السلام في أماليه، قال: دخلتُ على هشام بعد قتل زيد بن علي عليه السلام، فقال لي هشام: إني ما أراي إلا أوبقت نفسي.

فقال الزهري: وكيف ذلك؟

قال: أتاني آت فقال: إنه ما أصاب أحد من دماء آل محمد شيئاً إلا أوبق نفسه من رحمة الله.

(١) ذَكَرَ السبب في خروج الإمام زيد بن علي عليه السلام على هشام وتفصيل قيامه وما جرى من القتال والخذلان من أصحابه و... إلخ في أغلب كتب التاريخ بعضها يفصل وبعضها يختصر، وبعضها يخالف ما هنا إما ترتيباً أو ألفاظاً، ولكنها متفقة في المعنى فمن هذه المصادر: تاريخ الطبري حوادث سنة ١٢١هـ (٧/١٦٠، وما بعدها)، الكامل في حوادث سنة ١٢٢هـ (٤/٢٦٦، وما بعدها)، مقاتل الطالبين (١٢٩، وما بعدها)، تجارب الأمم حوادث سنة ١٢١هـ (٣/١٢٨، وما بعدها).

قال: فخرجت وأنا أقول: أما والله لقد أوبقت نفسك من قبل ذلك وأنت الآن أوبق وأوبق. انتهى من الشافي [٤٩٧/١].

وفي الكامل [٢٠٤/٤]: قيل: إن الجعد بن درهم أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هشام بن عبد الملك، فأخذه هشام وأرسله إلى خالد القسري - وهو أمير العراق - وأمره بقتله، فحبسه خالد، فلما كان يوم العيد خطب الناس، فقال في خطبته: انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم، فإني أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم. ثم نزل وذبحه^(١). انتهى.

حقيقة القدر

وفيه - أي: في الكامل [٢٨٤/٤] -: أن غيلان بن يونس أظهر القول بالقدر في أيام هشام، فأمر به هشام فقطعت يده ورجلاه، ثم أمر به وصلب. انتهى من الكامل.

قلت: أراد أن غيلان أظهر أن المكلف مختار في أفعاله، وأنه يفعل الطاعة والمعصية بإرادته واختياره، وأن الله تعالى لا يريد المعاصي ولا يشاؤها ولا يفعلها، وأنها تصدر من العاصي بمحض إرادته ومشئته وفعله، وليس لله فيها إرادة ولا مشيئة ولا فعل؛ فمن اعتقد هذه العقيدة سموه قدرياً، ويقال: أظهر القدر.

وفي الحقيقة والواقع أن إطلاق اسم القدر على غيلان، وعلى من اعتقد مثل ما ذكرنا إطلاق باطل؛ فإن المعهود في اللغة أن يطلق نحو القدر على من يثبت لا على

(١) قصة الجعد بن درهم مشهورة ذكرها المحدثون والمؤرخون، ذكرها البخاري في التاريخ الكبير (٣٠٤/١) والبلاذري في أنساب الأشراف (٣٧٩/٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٤٦/١٠) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤١٨/١٤) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٧/١٦). الخ.

من ينفيه، فالقدرية والقدرية اسم لمن أثبت القدر، وقال: (إن المعاصي بقضاء الله وقدره)، لا من ينفي ذلك.

فبنو أمية قد أطلقوا القدر على من ينفيه^(١)، وهم الذين يستحقون هذا الاسم؛

(١) ومما يكذب تسميتهم لنا بالقدرية ما روه هم [أي أهل السنة] في كتبهم، منهم مسلم في صحيحه (٨) (٣٦/١) أنه دُكر لعبد الله بن عمر بن الخطاب قوم من شأنهم أنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنْفُ [أي: مستأنف بمعنى أن الله لا يعلم بوقوع المعصية إلا بعد فعلها، هكذا فسرهُ النووي وغيره من شراح الحديث]، فقال عبد الله بن عمر: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. ونحن موافقون لهم في التبرؤ من هؤلاء.

ومن ذلك الذي يحجهم: ما اشتهر في أغلب كتب الرواية عند الطرفين من حديث استفتاح النبي ﷺ في الصلاة، وفيه: ((والخير كله بيدك والشر ليس إليك)) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٥٣٤) برقم (٧٧١) والترمذي بثلاث طرق (٣٤١٧) و (٣٤١٨) و (٣٤١٩) والنسائي (٢/٢٩) وأبو داود برقم (٧٦٠) وأبو يعلى برقم (٥٧٤) وأحمد في مسنده (١/٩٤) وابن خزيمة (١/٢٣٥) وأبو داود الطيالسي برقم (١٥٢)، فهي رواية صحيحة صريحة تفيد نفي نسبة الشر إلى الله، بمعنى الأمر به أو إرادته أو حمل المكلف عليه بخلقه فيه أو إرغامه عليه، والحديث القدسي: ((إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)) الذي أخرجه في صحيح مسلم برقم (٢٥٧٧) والبخاري في الأدب المفرد (٤٩٠) والترمذي (٢٤٩٥) وابن ماجه (٤٢٥٧) وهو في مسند البزار (٩/٤٤١) برقم (٤٠٥٣)، والمستدرک على الصحيحين (٤/٢٦٩) رقم (٧٦٠٦)، والآداب للبيهقي (١/٣٤١) رقم (٨٤٧) وغيرها كثير.

وقد روى هذا الحديث في الأربعين للنووي (١/١٣) وعلق شارحه الشيخ عبد الكريم الحضير (١٣/٨) بشرح مفيد يقرر ما قلناه، اهـ.

وحديث سيد الدعاء وفيه: ((أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي)) الذي رواه البخاري (٨/٦٧) رقم (٦٣٠٦)، وأحمد في مسنده (٣٨/١١٩) رقم (٢٣٠١٣)، ففيه الاعتراف بالذنوب أنه من الإنسان مقابل الاعتراف بالنعمة أنها من الله، =

لأنهم يثبتون القدر ويقولون: إن المعاصي بقضاء الله وقدره. وعندي أن السبب في ذلك أنه قد صح عند الجميع واشتهر عن النبي ﷺ أنه قال: ((القدرية مجوس هذه الأمة))^(١).

ويزيده وضوحاً العطف الذي هو حقيقة في المغايرة، فيبين الاعترافين المفهومين بـ (أبوء) فرق واضح لا يخفى، وفي (صنعت) فائدتان أيضاً، الأولى: الحكم بأن فعل العبد صناعة، والثانية: نسبة هذه الصناعة إليه، والثالثة: الاستعاذة بالله من هذه الصناعة، وهي تقرّر ما قلناه. ومما يحجهم أيضاً حديث أخرجه الحافظ ابن الأمير الصنعاني في كتابه إيقاظ الفكرة ص (٣٦٩) عن سعد الدين في شرح المقاصد (١٩٧/٣) وفيه: أن رجلاً وفد من فارس على رسول الله ﷺ فسأله عن أغرب ما رأى هناك فقال: رأيت قوماً من المجوس ينكحون بناتهم وأخواتهم فيقولون: ذلك بقضاء الله وقدره. وفي هذا الخبر فائدة أخرى وهي بيان مشابھتهم للمجوس وهو صريح في ذلك، وأما آيات القرآن التي تدل على بطلان مذهبهم وخذلانهم في نبزنا بهذه التسمية فهي كثيرة بالعشرات بل المئات والله المستعان.

(١) انظر هذا الحديث في: ميزان الاعتدال (٧٩/٢) (٣٣٩/٤)، ورواه بزيادة: ((فإن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم)) في: سنن أبي داود (٤٦٩١) (٧٧/٧)، السنة لابن أبي عاصم (٣٣٨) (١٤٩/١)، المستدرک على الصحيحين (٢٨٦) (١٥٩/١)، السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٨٦٩) (٣٤٢/١٠)، تاريخ حلب (٣٨١٧/٨)، تاريخ دمشق (٦٢/١٩)، وغيرها كثير، وقد ذكر في كتاب المغرب في ترتيب المغرب (٩٨/١) - وهو كتاب لغوي اعتنى فيه صاحبه بذكر الألفاظ اللغوية في كتب الأحناف - أثناء تعريف المجبرة ما لفظه: وَأَمَّا الْقَدَرِيَّةُ، فَهُمْ: الْفِرْقَةُ الْمُجْبِرَةُ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ كُلَّ الْأَمْرِ بِقَدَرِ اللَّهِ، وَيَنْسُبُونَ الْقَبَائِحَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَأَمَّا تَسْمِيَّتُهُمْ بِذَلِكَ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ فَمِنْ تَعَكُّبِهِمْ، لِأَنَّ الشَّيْءَ إِنَّمَا يُنسَبُ إِلَيْهِ الْمُثْبِتُ لَا النَّافِي، (وَمَنْ) زَعَمَ أَنََّّهُمْ يُثْبِتُونَ الْقَدَرَ لِأَنفُسِهِمْ فَكَانُوا بِهِ أَوْلَى، فَهُوَ جَاهِلٌ بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَكَأَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا مَا رَوِيَ أَنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ» هَرَبُوا مِنَ الْإِسْمِ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ ارْتَكَبُوا مُسَمَّاهُ، (وَعَنِ الْحَسَنِ) عَنْ حُذَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: «لُعِنَتِ الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجئةُ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا، قَالَ: قِيلَ: وَمَنْ الْقَدَرِيَّةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ عَلَيْهِمُ الْمَعَاصِيَ، وَعَدَّ بِهِمْ عَلَيْهَا»

فهربوا لذلك من هذا الاسم وألصقوه بغير أهله، فحق عليهم وعيد الله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٢].

هذا، وإنما حكينا هاتين الروایتين عن الجعد وغيلان لتعزيز ما تقدم من أن بني أمية هم الذين تبنوا مذهب الجبر، هذا وبما أنا قد تكلمنا حول القدر فلتكلم حول كلام الله، فنقول:

لا شك أن كلام الله تعالى فعل من أفعاله.

ولا شك أن الفاعل متقدم في الوجود على فعله؛ فيكون الفعل على هذا محدثاً غير قديم.

وقد قال تعالى في القرآن: ﴿فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً﴾^(١) [الإسراء: ١٢].

وفي الأكمَلِ عَنْ مَالِكٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ يُسْتَأْذَنُ الْقَدَرِيَّةُ، قَالَ: يَغْنِي الْجَبَرِيَّةُ (وَعَنْ الْحَسَنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى الْعَرَبِ وَهُمْ قَدَرِيَّةٌ مُجْبِرَةٌ يَحْمِلُونَ ذُنُوبَهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، تَصَدِّقُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨] أَعَادَنَا اللَّهُ مِنَ الْمُجَازِفَةِ وَالْمُكَابَرَةِ وَالْإِلْحَادِ فِي آيَاتِهِ تَعَالَى. اهـ (بلفظه).

(١) والتفصيل علامة الحدوث، وقد قال سبحانه: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء]، والآية الأخرى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء]، وللتوسع تراجع كتب أصول الدين، وسيأتي شيء من ذلك ص ٢٨٤ في ذكر الواثق العباسي.

٢٨- وَسَيِّ فِرْعَوْنَ الْوَلِيدُ وَقَدْ جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ فَاسْتَقَرَّ

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (ت ١٢٦هـ):

ذكر في هذا البيت الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، وكان اسم فرعون موسى الوليد؛ لهذا سماه شيخنا عليه السلام (سمي فرعون).

وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف.

قال في الشافي [ج ١/٥٠٠]: بويع له في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ، وقُتل يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ، وكانت هيمته مصروفة إلى الأكل والشرب، واللهو والبطالة، وهو من لا يشك المسلمون في كفره؛ لاستخفافه بأمر الدين.

حكى إسحاق بن محمد الأزرق قال: دخلت على منصور بن جمهور بعد قتل الوليد بن يزيد وعنده جاريتان من جوارى الوليد، فقال: اسمع من هاتين ما تقولان.

قالتا: قد حدثناك!

قال: بل حدثاه.

قالت إحداهما: كنا أثر جواريه عنده فنكح هذه، وجاء المؤذن يؤذن بالصلاة، فأخرجها وهي جنب فصلت بالناس متلثمة على أنها رجل. ومن تصريحه بالكفر قوله^(١):

تلعب بالبرية هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب

(١) مروج الذهب (٣/٢١٦)، شذرات الذهب (٢/١١١)، شمس العلوم (٣/١٨٩١) وكلها بمعنى واحد.

وكان قد عمل على الشراب على ظهر الكعبة - حرسها الله تعالى -، وأمر مجوسياً رَقَّاهَا ليعمل قَبَّةً للشراب عليها، فعُوجِلَ بالانتقام قبل ذلك^(١).

واستهدف المصحف بالرمي استخفافاً بكتاب الله لما نظر فيه فخرج: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ^(١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ^(١٦)﴾ ... الآية [إبراهيم]، فرماه وحرَّقه بالنار وقال^(٢):

أتوعدني بجَبَّارٍ عَنِيدٍ فهذا أنا ذاك جَبَّارٍ عَنِيدٌ
إذا ما جئت ربَّكَ يومَ حَشْرِ فقل يا ربَّ حرِّقني الوليدُ
انتهى من الشافي.

الإمام يحيى بن زيد عليه السلام واستشهاده (ت ١٢٥هـ)

وفي أيام هذا الجبار العنيد قُتل الإمام يحيى بن زيد بن علي عليه السلام على يد جيش هذا الجبار، أصيب بنشابة في جبهته، وحُزَّ رأسه، وحُجِّلَ إلى مروان بن محمد عامل ذلك الجبار، وصُلب على باب مدينة جوزجان إلى أن جاء أبو مسلم الخراساني فأنزله وغسله، وصلّى عليه وقبره، ومشهده بـ(نير)^(٣) مشهور مزور، وكان قتله

(١) البداية والنهاية (٢/١٠)، مرآة الزمان (١١/٢٩٠).

(٢) ذكر استفتاحه ثم إنشاده هذه الأبيات في: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧/٢٤١)، الكامل في التاريخ (٤/٣٠٧)، وفي كتاب البدء والتاريخ للمطهر المقدسي (٦/٥٣)، وأدب الدنيا والدين للماوردي (ص ٣١٧)، وتفسير القرطبي (٩/٣٥٠) ينسبه للماوردي، وفوات الوفيات في ترجمة الوليد بن يزيد (٤/٢٥٧) وله زيادة ترجمة في كتاب حياة الحيوان للدميري (١٠٧-١٠٩).

(٣) يوجد مقام في منطقة تسمى ميامي حالياً إلى الشرق من مدينة مشهد شرق إيران على بعد حوالي ٦٠ كيلومتراً منها، تم تجديده على المقام المنسوب إلى الإمام يحيى بن زيد عليه السلام.

عشية الجمعة في شهر رمضان سنة ١٢٥ هـ .

ولقد انتقم الله من قتلة يحيى بن زيد، فإن أبا مسلم الخراساني عندما استولى على خُرَّاسَانَ أخذ ديوان بني أمية وعرف منه أسماء من حضر قتل يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ فمن كان حياً قتله، ومن كان ميتاً خلفه في أهله بسوء. أفاد ذلك في الكامل [٢٩١/٤].

وفي عهد الوليد قُتل خالد بن عبد الله القسري، وكان عاملاً لبني أمية على العراق نحواً من خمسة عشر عاماً، وكان قتله على يد عامل العراق يوسف بن عمر بأمر من الوليد بعد أن عذبه يوسف بن عمر عذاباً شديداً.

وخالد بن عبد الله القسري هذا الذي كان يقول حسب ما ذكره الكامل [٢٩٩/٤]:
إن خليفة الرجل في أهله أفضل من رسوله في حاجته، قال صاحب الكامل: نبرأ إلى الله من هذه المقالة. انتهى.

وقد لاقى يوسف بن عمر والي العراق الذي تولى قتل خالد بن عبد الله القسري نفس المصير، فقد عُزل ثم سجن وعُذَّب، ومنتفت لحيته، وأخيراً قُتل في عهد مروان، وكان أخذه وسجنه في ولاية يزيد بن الوليد بن عبد الملك.

وقوله: (جَاءَتْ بِهِ الْأَثَارُ فَاسْتَقَرَّ)، المراد بذلك ما رواه السيد أبو العباس الحسيني في المصابيح [٣٩٩] بسنده أن أمير المؤمنين خطب على منبر الكوفة فذكر أشياء حتى قال: ثم الوليد فرعون خبيث، شقي غير سعيد، يا له من مخلوع قتيل، فاسقها وليد.... إلى آخر ما تقدم.

- ٢٩- يزيد ناقصهم وفعلتُهُ رَجَحَتْ به إذ قام بالأمرِ
 ٣٠- قَتَلَ المريد وذاك من غضبِ اللَّهِ في الإسْرار والجَهْرِ
 ٣١- وَيَعُدُّ أَمْثَلَهُمْ طريقَتُهُ وطَرِيقَةُ الأَقْوامِ في الشَّرِّ

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الناقص (ت ١٣٦هـ)

هذا هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الملقب بالناقص. قال الإمام عبد الله بن حمزة في الشافي [٥٠٣/١]: ثم قام يزيد بن الوليد غاضباً لله تعالى وناقماً بثأر دينه، وشايعة أهل الصلاح. يكنى أبا خالد، وهو ابن خالة علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، أمه: هفريه بنت فيروز بن كسرى بن يزددجرد بن شهريار، بويج ليلتين بقيتا من جمادى الأخرى سنة ست وعشرين ومائة، وتوفي بعيد الأضحى بالطاعون، وكان نحيف اللون، مربوعاً، خفيف العارضين، فصيحاً، حسن السيرة، يدين بالعدل والتوحيد ويبطل الجبر والقدر.

ولما استقرّ له الأمر بعد قتل الزنديق الكافر الوليد بن يزيد كتب إلى أهل العراق كتاباً نذكر منه طرفاً فيه تحقيق بعض الحال.

منه: إن الله اختار الإسلام ديناً وارتضاه وطهره، فافترض فيه حقوقاً أمر بها، ونهى عن أمور حرمها، ابتلاء منه لعباده في طاعتهم له ومعصيتهم، فأكمل به كل منقبة خير وجسيم فضل، ثم تولاه فكان له حافظاً، ولأهله المقيمين حدود الله والياء، يحوطهم ويعرفهم بفضل الإسلام، ولم يكرم الله بالخلافة أحداً يأخذ بأمر الله، ويتنهي لنهيه فيناويه مشاق، أو يحاول صرف ما حباه الله به، أو ينكث ناكث إلا كان كيده الأوهن، ومكره الأبور، حتى يتم الله له ما أعطاه، ويدخر له أجره، ويجعل عدوّه الأضل سبيلاً والأخسر عملاً، فتناسخت خلفاء الله وولاة دينه راضين فيه

بحكمه، متبعين فيه لكتابه، فكانت لهم بذلك من ولاية الله ونصره ما تمت به النعم عليهم حتى توفي هشام، وأفضى الأمر إلى عدو الله الوليد المنتهك للمحارم التي لا يأتي مثلها مسلم، ولا يتقدم عليها كافر تكراً من غشيان مثلها، فلما استفاض ذلك منه، واستعلن واشتد فيه البلاء، وسفكت الدماء، وأخذت الأموال بغير حقها مع أمور فاحشة لم يكن الله ليملي العاملين بها إلا قليلاً، سرت إليه بعد انتظار مراجعته، وإعذار إلى الله وإلى المسلمين منكرًا لعمله، وما اجتري عليه من معاصي الله، راجياً من الله إتمام الذي نويت من اعتدال عمود الدين، والأخذ على أهله ما هو الله رضا، حتى أتيت جنداً قد وغرت صدورهم على عدو الله بما رأوا من عمله، فإن عدو الله لم يكن ترك من شرائع الإسلام شيئاً إلا أراد تبديله والعمل فيه بغير ما أنزل الله، وكان ذلك منه شائعاً شاملاً عرياناً لم يجعل لله فيه سترًا، ولا لأحد فيه شكاً، والكتاب طويل هذا شطره. انتهى من الشافي^(١).

والسبب في تسميته الناقص كما في الكامل [٣٠٨/٤] هو أنه نقص الزيادة التي كان الوليد زادها في أعطيات الناس وهي عشرة عشرة، ورد العطاء إلى ما كان أيام هشام.

والسبب في أنه أمثلهم أنه كان على غير طريقة بني أمية في الجبر، وقد أشار في الكامل [٣٢١/٤] إلى ذلك في سياق ذكر عهده بالخلافة إلى إبراهيم ثم من بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، فقال: ولم تزل القدرية بيزيد حتى أمر بالبيعة لهما. انتهى.

والقدرية: اسم يطلقه القوم في ذلك الزمان وإلى اليوم على من يقول بالعدل

(١) انظر تاريخ الطبري (٢٧٥/٧) وأنساب الأشراف (٩/١٩٥) وذكرها الدكتور أحمد صفوت في كتابه (جبهة رسائل العرب في العصور العربية) (٢/٣٩٩).

والتوحيد.

وفي مروج الذهب للمسعودي [٤٤٤/١]: وكان يزيد يذهب إلى قول المعتزلة وما يذهبون إليه في الأصول الخمسة من: التوحيد، والعدل، والوعيد، والأسماء والأحكام وهو القول بالمتزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انتهى.

غير أن أيام يزيد كانت قصيرة فلم يلبث في الخلافة إلا خمسة أشهر وليلتين، لذلك لم يحصل تأثير يخل بالمذهب الرسمي.

٣٢- وأخوه إبراهيم ذو وهنٍ ثم الحمار الجلد ذو الفجر
٣٣- وبه تقصّت دَوْلُهُ لَعِبَتْ بالدّين فاقراً سُورَةَ الْقَدْرِ
٣٤- فحسابها ضُرِبَتْ لَهُمْ أَجْلاً وتُصَرَّمُوا فِي عِدَّةِ الشَّهْرِ

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (ت ١٣٢هـ):

لما مات يزيد بن الوليد بن عبد الملك قام بعده أخوه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بموجب العقد له بولاية العهد من أخيه.

قال في الشافي [٥١٠/١]: ثم قام بعده [أي بعد يزيد] إبراهيم بن الوليد، وكان في عداد ضعاف النسوان، لا يحلي ولا يُيمّر، تارة يدعى بالخلافة، وتارة بالإمارة، وتارة بغير ذلك.

بويع له في شهر ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، ثم خلع نفسه وسلّم الأمر إلى مروان بن محمد الجعدي وبايعه في صفر سنة ١٢٧هـ، فكانت ولايته شهرين وعشرة أيام.

مروان الحمار بن محمد بن مروان بن الحكم (ت ١٣٢هـ)

وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، وأمه لبابة جارية إبراهيم بن الأشتر، كردية، أخذها محمد بن مروان من عسكر ابن الأشتر فولدت له مروان وعبد العزيز، ويقال: إن خاله الجعد بن درهم؛ فلذلك يدعى: مروان الجعدي.

وقيل: لأنه أخذ الزندقة عنه، وكان زنديقاً.

وأوصى بقتل بناته إن ظهر عليه، ويلقب بحمار الجزيرة^(١).

بويج له في صفر سنة ١٢٧هـ، وكان لا يراعي من أمر الدين شيئاً على منهاج سلفه في انتهاك حرمة الإسلام، يغاري بين القبائل، وهو الذي خرج أمر بني أمية من يديه إلى بني العباس.

ولم يزل أمره مضطرباً مدة ولايته إلى أن زال أمره وانهمز من الزاب، ولحقه عبد الله بن علي يطوي البلاد بعده إلى أن توجه إلى مصر، وتبعه صالح بن علي بـ (بوصير) قرية من صعيد مصر، فقتله في ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ١٣٢هـ، وله تسع وخمسون سنة، فكانت ولايته خمس سنين وشهراً، إلى أن بويج للسفاح، وإلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وهو آخر الشجرة الملعونة، المجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار. أفاد ذلك في الشافي [٥١١/١].

قوله: (فاقرأ سورة القدر..). إلخ، إشارة إلى الحديث المروي عن النبي ﷺ

(١) لقب بالحمار؛ لأنه لا يحف له لبد في محاربة الخارجين عليه، كان يصل السير بالسير، ويصبر على مكاره الحرب، ويقال في المثل: فلان أصبر من حمار في الحروب؛ فلذلك لقب به. وقيل: لأن العرب تسمي كل مائة سنة حماراً، فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك، ذكر هذا السيوطي في تاريخ الخلفاء (١٩٠).

الذي يذكر فيه عدد أيام ملك بني أمية، وهو: عن الحسن بن علي عليه السلام: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، فسأه ذلك، فنزلت سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ إلى قوله: ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١-٣] يملكها بنو أمية. قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص. هذا، وقد سبق ذكر رواية الحديث نقلاً عن هامش التحف لشيخنا الإمام الحجة عليه السلام.

(الدولة العباسية)

- ٣٥- وَإِلَيْكَ عَبَّاسِيَّةٌ عُرِفَتْ بِالْعَدْرِ وَالطُّغْيَانِ وَالْخُمْرِ
 ٣٦- زَعَمُوا بِثَارِ الْآلِ قَدْ نَهَضُوا وَأَتَى الْخُرَاسَانِيَّ بِالسُّمْرِ
 ٣٧- حَتَّى اسْتَقَرَّ سَرِيرُ مُلْكِهِمْ وَتَمَكَّنُوا بِالْفَتْحِ وَالتَّصْرِ
 ٣٨- فَبَعَوْا عَلَى آلِ النَّبِيِّ وَقَدْ نَالُوهُمْ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ
 ٣٩- فَالْقَائِمُ السَّقَّاحُ أَوْلَاهَا سَفَكَ الدَّمَاءَ كَسَافِحِ الْقَطْرِ
- في الشافعي [٥١١/١]: كانت الدعوة في خراسان إلى الرضا من آل محمد على أيدي الشيعة والدعاة، فلما ظهر أبو مسلم على خراسان وصلت الجنود إلى العراق من طريق الأهواز وحلوان، واستولوا على الكوفة، وكان شعارهم: (يا لثارات زيد)، وظاهر الأمر طلب نقم الثار لآل الرسول من بني أمية، كما قال شاعرهم لما استقر أمرهم^(١):

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس
ومنها:

فاذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلاً بجانب المهراس

المهراس: ماء بأحد، قُتل إلى جنبه حمزة بن عبد المطلب عليه السلام.

وقال ابن المعتز^(٢):

(١) نسبه للسديف بن ميمون مولى زين العابدين في شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢/ ١٤٤)، وفي المختصر في تاريخ البشر (١/ ٢١٢) والكمال في التاريخ (٥/ ٢٢) نسبه لشبل بن عبد الله مولى بني هاشم.

(٢) ذكر الرد عليها في الوافي بالوفيات (٢١/ ٣٠٦)، معجم الأدباء (٤/ ١٨٨١).

ونحن نهضنا رافعين شعارنا بشارات زيد الخير عند التجارب
فلما خافت بنو العباس من الشام نهضوا إلى الكوفة وانكتموا فيها، وكان القائم
بأمر الشيعة والجوش الهاشمية أبو سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع المعروف
بالخلال؛ لكون داره في الخلاين، وهو الذي قتلوه غيلة لما استتب لهم الأمر،
وعادتهم جارية بقتل الأولياء إلى يومنا هذا.

ووصيتهم إلى صاحب الدعوة بخراسان أن يقتل على التهمة من بلغ خمسة
أشبار، واقتل من قدرت عليه ممن نطق بالعربية.

ثم استخرجت الخراسانية بني العباس من الدار التي انكتموا فيها، وكان أبو
سلمة ونقباء الشيعة يريدون عند تقوي الأمر الاختيار من آل الرسول ﷺ^(١)،
وكانت بنو هاشم قد بايعوا محمد بن عبد الله النفس الزكية عليه السلام، وكان أبو جعفر
ممن بايعه.

أبو العباس السفاح (ت ١٣٦هـ) واستغلاله لشعار أهل البيت عليه السلام:

ولما ظهرت بنو العباس على حين فترة، والناس يتشحطون لبني هاشم، فاجتمع
عليهم دهماء الناس، فبايعوا أبا العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن
العباس بن عبد المطلب، وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان، ببيع له
بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة اثنتين
وثلاثين ومائة، وتوفي بالجدري بالأنبار بمدينته التي بناها وسمها الهاشمية، في يوم

(١) أورد القصة كاملة أبو علي التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة (٤/ ٢٧٤) وابن مسكويه في
(تجارب الأمم وتعاقب الهمم) (٣/ ٣١٦).

الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، وله اثنتان وثلاثون سنة ونصف، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، وكان كريماً، واصلاً لبني هاشم وغيرهم، جزيل العطايا، وقيل: إنه أعطى عبد الله بن الحسن ألفي ألف درهم، ولم يصل قبله أحداً بمثلها.

وكان مقداماً على الدماء، غير مثبت في العهود والذمم، وسُمي بالسفاح، وأمر بامرأة هشام بن عبد الملك^(١) فشدخ رأسها بالعمد قصاصاً في أم ولد كانت لزيد بن علي عليه السلام، وقيل: في امرأته؛ لأن يوسف بن عمر قتلها، فلما قتلها يوسف بن عمر أمر بقطع ثدييها وقتلها.

وأمر بهشام، فنبش من قبره، فوجد بحاله؛ لأنه طلي بالصبر؛ لئلا يتغير، فأقاموه بين العقابين^(٢)، فجلدوه ولحمه يتناثر، وحرّقوه بالنار، وفعلوا به كما فعل يزيد بن علي عليه السلام، ولم يزل مدة أيامه يقتل من ظفر به من بني أمية بأمان وغير أمان، وتفصيل شرحهم يطول.

وتوارى عنه: محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن مدة أيامه إلى أن توفي كما قدمنا. انتهى من الشافي (ط - ج ١٣/٥١٣).

(١) واسمها عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية، ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢٨/٥٣) وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية ط دار الفكر (٤٥/١٠) حيث ذكرا قصة بعث عبد الله بن علي بها إلى السفاح مع نفر من الخراسانية وقتلها في الطريق، وذكر البلاذري في أنساب الأشراف (٢٠١/٤) أن علي بن عبد الله خطبها فأبت فبقر بطنها وقتلها..

(٢) الْعُقَابَانِ: عُوْدَانِ يُنْصَبَانِ مَغْرُورَيْنِ فِي الْأَرْضِ يُمَدُّ بَيْنَهُمَا الْمَضْرُوبُ أَوْ الْمَصْلُوبُ. اهـ (المغرب في ترتيب المعرب ١/٢٤٣).

قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين [١٦٢]: ولا أعلمه [أي: السفاح] قتل أحداً منهم، ولا أجرى إلى جليس له مكروهاً إلا أن محمداً وإبراهيم خافاه فتواريا عنه. انتهى.

كيفية بداية الدولة العباسية:

بدأ الضعف يظهر في خلافة بني أمية عندما تولى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، وكان مولعاً بشرب الخمر مدمناً عليه، منادماً للفُسَّاق والمغاني كما تقدم، فاستغل هذا الضعف دعاة العباسيين في خراسان أيما استغلال، وتراءى في الأفق حينئذ أن سلطان البيت الأموي يُؤذَنُ بالسقوط، لا بما انتشر فيه من فساد الترف فحسب؛ بل أيضاً لما نشب من خلاف عنيف بين أفرادهم؛ إذ لم يلبثوا أن قتلوا الوليد، وأخذوا يتطاحنون على عرش الخلافة تطاحناً مُرّاً، وتغلب في آخر الأمر مروان بن محمد بن مروان غير أنهم نابذوه، وثاروا ضده، وانتهز الخوارج الفرصة فنزلوه في الموصل وفي اليمن وفي الحجاز.

وفي هذه الأثناء تولى أبو مسلم قيادة الدعوة في موطنه خراسان، وكان من دهاة الرجال ومن أكفئهم في النهوض بجلائل الأعمال، فأخذ يصور للناس فساد الحكم الأموي وما يسومهم به من خسف وظلم، وكيف أنه سيملكهم الأرض ويجعلهم سادة بعد أن كانوا عبيداً مسترقين، والناس يسمعون له ويحفون به وينضمون إلى دعوته حتى كثف جمعهم، وحتى غدا نزاله لنصر بن سيار والي الأمويين هناك قاب قوسين أو أدنى، غير أنه رأى أن يتمهل قليلاً قبل أن يبدأ مغامرته الخطيرة متخذاً لها من الأسباب ما يكفل النجاح المحقق، ولم يلبث أن عمد -بداهته- إلى الإيقاع بين الكرمانى ومن معه من القبائل اليمنية، وبين نصر بن سيار ومن معه من القبائل

الْمُضَرِّيَّة، واشتعلت الحرب بين الفئتين، وسفك فيها كثير من الدماء، حتى إذا وهنت قوة مضر أعلن أبو مسلم الثورة عليه وعلى من وراءه من الأمويين، وأخذت رايات العباسيين السوداء تخفق فوق جنوده، وحوضر خراسان تسقط واحدة إثر أخرى تحت يده.

ويستصرخ نصر بن سيار مروان بن محمد وابن هبيرة واليه على العراق أن يمداه بالنجادات، ولكنهما كانا في شغل عنه بثورات الخوارج في العراق وغير العراق، ويموت محمد بن الرّي وهمدان.

وتتقدم جيوش أبي مسلم بقيادة قحطبة وابنه الحسن مستخلصة المدن والحصون مدينة مدينة، وحصناً حصناً، وما تلبث أن تقتحم العراق ويسرع ابن هبيرة للقائهما عبر الفرات، ويحاول قحطبة أن يتجنبه متجهاً إلى الكوفة، ثم يلتقي به فتدور عليه — كما دارت على نصر بن سيار من قبله — الدوائر، فينحاز بجيشه إلى واسط، ويُقتل قحطبة في ظروف غامضة، ويتولى القيادة بعده ابنه الحسن ويدخل الكوفة، دون أن يلقى أي مقاومة، وحينئذ تبرز إلى النور حكومة بني العباس السرية وعلى رأسها أبو سلمة الخلال.

وكان مروان بن محمد قد قبض قبل دخول الحسن بن قحطبة الكوفة بوقت قصير على إبراهيم بن محمد الإمام؛ إذ عرف أنه هو الذي يُدبر هذه الثورة من مقره من الحميمة، وعرف إبراهيم أنه قاتله، فعهد بالأمر من بعده إلى أخيه أبي العباس السفاح، وقتل إبراهيم، ونقلت الأنباء إلى أبي العباس دخول الحسن بن قحطبة الكوفة، فخرج إليها في أهله يتقدمهم أعمامه: داوود، وعيسى، وصالح، وعبد الله،

وإسماعيل، وعبد الصمد، وأخوه أبو جعفر، وابن عمه عيسى بن موسى بن محمد^(١).

وظل العباسيون - طول المدة السرية لدعوتهم - لا يذكرون للناس أنهم طلاب خلافة، وإنما يذكرون لهم أنهم يطلبون إسقاط الدولة الأموية الجائرة التي طالما أرهقتهم بعسفها وظلمها، وطالما احتكرتهم لمآربها وشهواتها، مع الاستبداد بالشعب واستعباده مع ما يعيش فيه الأمويون من ترف بالغ أفسد داؤه الحكم إفساداً لا صلاح لها بعده إلا بمحوهم محواً.

وبذلك وارى العباسيون أشخاصهم، وقدموا القضية التي نصبوا أنفسهم للدفاع عنها قضية نصره الحكم الصالح، ونصرة الحق والعدل على الباطل والظلم المتصل، ولكي يُحكموا خطتهم كانوا لا يأخذون البيعة لأنفسهم بالخلافة إنما يأخذونها لإمام رضاء من آل البيت النبوي ﷺ؛ وذلك لميل الناس إلى أهل البيت ﷺ المتمثلين في أولاد فاطمة الزهراء، وتعلقهم بهم؛ لما يعرفون من فضلهم ومنازلهم التي أوضحها التنزيل وسنة النبي الكريم ﷺ، وحتى لا يثيروا أبناء عمهم العلويين عليهم، بل حتى يجمعوهم تحت لوائهم، وكانوا يشيعون دائماً أنهم نهضوا لهذا الأمر كي يثأروا للشهداء من أبناء فاطمة الزهراء.

وكان أبو سلمة الخلال الذي لقبوه بلقب (وزير آل محمد) يرى أن يختار للخلافة أحد أحفاد علي بن أبي طالب، ومن أجل ذلك أخفى أمر أبي العباس وأهله حين نزلوا الكوفة وعزلهم عزلاً تاماً عن جند خراسان، غير أن أبا العباس استطاع

(١) نهاية الأرب (٢٢/٣٧، وما بعدها)، تاريخ الإسلام (٨/٣٣٦)، وغيرها.

الاتصال بأبي مسلم إذ وجّه إليه من أطلعه على نوايا أبي سلمة، فأرسل إليه وفداً من زعماء الدعوة بخراسان، سلموا عليه بالخلافة، واضطر أبو سلمة اضطراراً أن يعلن تأييده له، واتجه أبو العباس تَوّاً إلى المسجد الجامع في الكوفة، فبايعه الناس، وارتقى المنبر، فاشرأبت إليه الأعناق، وأصغت إليه الآذان، فإذا هو يحتج بأي القرآن الكريم على أن بيته العباسي أحق بالخلافة من بيت العلويين، وكان متوعكاً فانقطع عن متابعة الكلام، وتابعه عمه داود متحدثاً باسمه ومؤكداً فضل الخراسانيين في تحرير الأئمة من نير الأمويين، ومن حكمهم الباغي الفاسد، ولم يطمئن أبو العباس لمقامه في الكوفة، دار العلويين من قديم، فتحول عنها إلى معسكر الخراسانيين، ثم فارقه إلى الحيرة، وأخذ في بناء الهاشمية لتكون مقر سلطانه، وأغرى أبا مسلم الخراساني بأبي سلمة فدى إليه من قتله^(١).

وكانت الجيوش قد اتجهت لمتابعة حرب مروان بن محمد بقيادة عبد الله بن علي عم السفّاح، فالتقت به على الزاب شمالي العراق، وهزمته وجيشه هزيمة ساحقة، فولّى مع بعض فلول جيشه حتى حرّان وتركها إلى نهر أبي فطرس بفلسطين والأردن، وتبعه عبد الله بن علي، وتلقاه بلدان الشام بالتهليل والترحيب إلا ما كان

(١) انظر بداية الدولة العباسية في: الكامل في التاريخ (٦٣/٥)، وما بعدها) تجد كل ما ذكر هنا بشيء من التفصيل واختلاف العبارات، وذكر كيفية قتل أبي سلمة ص (٢٨)، وذكره في الطبري (٤٤٩/٧)، وقبلها وبعدها)، البدء والتاريخ (٨٦/٦)، وما بعدها)، المتظم في تاريخ الملوك والأئم (٣١٣/٧)، وما بعدها)، وهذه الأحداث مذكورة في كثير من مصادر التاريخ بتفاصيل وافية ودقيقة وقصة أبي سلمة -وزير آل محمد- وأنه كان ينتظر أحد العلويين ليبايعه ثم تأمرهم به وقتله، ثم من بعده قتلوا أبا مسلم الخراساني وغير ذلك مما سيأتي في كتابنا هذا من قصص فتكهم بالبيت الأموي مذكورة في هذه المصادر التي ذكرناها آنفاً وغيرها.

من دمشق ولكنها سرعان ما انقادت له، وبرحها إلى نهر أبي فطرس، فإذا مروان قد آوى إلى مصر، فأرسل وراءه أخاه صالحاً فما زال يفر أمامه من بلدة إلى بلدة حتى لقي حتفه في بوصير^(١) من بلدان الصعيد لأواخر سنة ١٣٢ هـ، وكان لا يزال يزيد بن عمر بن هبيرة يقاوم في واسط، وقد ضرب من حوله الحصار حتى إذا جاءه نعي مروان بن محمد أخذ يفاوض العباسيين في التسليم لهم، وسرعان ما عقدوا له أماناً فتح على أثره أبواب واسط، غير أنهم عادوا ففتكوا به وبكثيرين ممن كانوا معه.

وتذكر كتب التواريخ والأدب أن العباسيين مضوا يفتكون بأفراد البيت الأموي فتكاً ذريعاً يريدون أن يستأصلوهم من الأرض استئصالاً، وحتى موتاهم لم يفلتوا من هذا الثأر الصارم فقد نبشت قبور خلفائهم ما عدا قبوري معاوية بن يزيد وعمر بن عبد العزيز، وحرقت بقايا جثثهم بالنار تحريقاً^(٢).

وقد كان هذا البطش الذي لا يبغي ولا يذر دافعاً لعبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى أن يلوذ بالفرار إلى الأندلس حيث أسس بها دولة أموية جديدة استمرت نحو ثلاثمائة عام^(٣).

(١) الكامل (١٨/٥).

(٢) الكامل (٢٣/٥)، أنساب الأشراف (١٠٤/٤) تاريخ دمشق (١٢٧/٥٣) البداية والنهاية (٤٥/١٠) مرآة الزمان (٤٤٦/١١) المختصر في أخبار البشر (٢١٢/١) تاريخ ابن الوردي (١٨٣/١) تاريخ ابن خلدون (١٦٦/٣) وجميعهم ذكروا أنه تم نبش قبر معاوية بن أبي سفيان فلم يوجد في القبر إلا خيطاً أسود مثل الهباء، ووجد هشام صحيحاً لم يبل منه إلا أرنبة أنفه فضرب بالسياط وهو ميت وصلب أياماً ثم أحرق بالنار وذر في الريح.

(٣) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ويسمى عبد الرحمن الداخل، ولد في دمشق سنة ١١٣ هـ، وتوفي بقرطبة ودفن في قصرها سنة ١٧٢ هـ، مؤسس الدولة الأموية

نعم، ولما استقرت الأمور وهدأت لملوك بني العباس وتيسرت لهم أسباب الرّاحة والرّفاهية مالوا إلى الرّاحة والرّفاهية، وتفننوا في ذلك وابدعوا، فطوّروا الألحان وأصوات العידان، ومهروا في تلقين ذلك الجوّاري والغلمان، وراج الخمر في ذلك العهد وأتقنوا صناعته، وكادت العلوم تنحصر في ذلك العهد في علم الغناء والعیدان، والخمر، فقد تعددت فنونه وتنوعت.

وقد اختار الرشيد من أصوات الغناء والألحان مائة صوت، واختار الواثق من المائة عشرة، وصنف أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز تصنيفاً بليغاً في تحليل الخمر متى مزجت بالماء^(١).

وكان أبو العباس السّفاح يشرب الخمر في الأسبوع ليلتين ولا يعين الليالي، كما كان مروان يفعل، وكان أبو جعفر يشرب الخمر عشية الثلاثاء من كل أسبوع، وكان المهدي والهادي يشربان يوماً ويدعان يوماً، وكان هارون يشرب في كل أسبوع،

⁼ (١٣٨ - وانتهت ٤٢٢ هـ) قصة فراره ذكرها بتفاصيلها ابن الأثير في الكامل (٥/ ٧٧) وللمزيد انظر التنبيه والإشراف للمسعودي (ص ٢٨٧) وتاريخ دمشق (٣٥/ ٤٤٥) وتاريخ الإسلام للذهبي تدمري (١١/ ٢٣٩) وتاريخ ابن خلدون (٤/ ١٥٤) وهناك كتاب تاريخ الدولة الأموية في الأندلس) للدكتور عبد المجيد نعنعي.

(١) يؤيد هذا ما في شذرات الذهب حيث قال: وله في الخمر المطبوخة، وهو معنى بديع، وفيه دلالة على أنه كان حنفي المذهب:

خليلي قد طاب الشّراب المورّد وقد عدت بعد النّسك والعود أحمد
فهاه عقاراً في قميص زجاجة كياقوتة في درّة تتوقّد

انتهى من شذرات الذهب (٣/ ٤٠٨). وذكر في الأعلام للزركلي (٤/ ١١٨) في ترجمته أنه ألف كتباً كثيرة منها كتاب الجامع في الغناء. اهـ وله أشعار كثيرة في الخمر تدل على شربه لها.

وربما قدم الأيام وأخرها، وكان المأمون في أول أيامه يشرب الثلاثاء والجمعة، ثم أدمن الشراب في آخر أيامه عند خروجه إلى الشام في سنة خمس عشرة بعد المائتين إلى أن توفي، وكان المعتصم لا يشرب ليلة الخميس ولا يوم الجمعة، ويشرب فيما سوى ذلك، وكان الواثق ربما أدمن الشرب إلا ليلة الجمعة ويومها. أفاد ذلك في الشافي [١٧٥/٢] ^(١).

قال أبو فراس بن حمدان وهو يمدح أهل البيت ويذكر مساوئ خلفاء بني العباس في قصيدته الميمية المشهورة التي أولها ^(٢):

الدين محترم والحق مهتضم وفي آل رسول الله مقتسم
ومنها:

ولا يبيت لهم خشي ينادمهم ولا يرى لهم قرد ولا حشم
ما في يوتهم للخمر معتصر ولا ديارهم للسوء معتصم
البيت والركن والأستار تعرفهم وزمزم والصفاء والحجر والحرم
ننشا التلاوة من أياتهم حقبا ومن يوتكم الأوتار والنغم
منهم عليّة أم منكم وهل لهم شيخ المغنين إبراهيم أم لكم
إذا تلوا آية غنى إمامكم قف بالطلول التي لم يعفها القدم

هذا، وقد اشتهر عنهم مناكير سيوى ما ذكرنا.

(١) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (١٥٢ - ١٥٣) وذكر ابن حزم في رسائله (٧٣ / ٢) كل من شرب الخمر من الخلفاء عموماً دون تفصيل.

(٢) ديوان أبي فراس (٣٢٦ / ١)، دواوين الشعر العربي (٢٠ / ١٨).

قال ابن الرومي في قصيدته الجيمية التي رثى بها يحيى بن عمر^(١):

لئن لم يكن بالهاشميين عاهة	لما شكلكم تالله إلا المَعْلَجُ ^(٢)
بآية أن لا يبرح المرؤ منكم	يُتَلُّ على حُرِّ الجبين فيُعْفَجُ ^(٣)
بييت إذا الصهباء رَوَّتْ عظامه	يساوره عالج من الروم أعالج
فيطعنه في سُبَّةِ السوء طعنة	يقوم لها من تحته وهو أَفْحَجُ ^(٤)
فهل عاهة إلا كهذا وإنكم	لأكذب مسؤولٍ عن الحقِّ يلهُجُ
فلا تجلسوا وسط المجالس حُسْرًا	ولا تركبوا إلا ركائب تُحْدَجُ ^(٥)
أبى الله إلا أن يطيّبوا وتخبّشوا	وأن يسبقوا بالصالحات ويفلجوا

قوله: «وَأَتَى الْخُرَّاسَانِي بِالسُّمْرِ»:

الخراساني هو أبو مسلم الخراساني، أكبر دعاة بني العباس، أرسله إبراهيم الإمام إلى خراسان، ومن وصيته له: .. واقتل من شككت فيه، وإن استطعت ألا تدع بخراسان من يتكلم العربية فافعل، وأيا غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله. [الكامل (٣٥١/٤) وستأتي].

وإبراهيم الإمام هو ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب،

(١) ديوان ابن الرومي (١/ ١٠٠١)، دواوين الشعر العربي (٧٧/ ٧٥).

(٢) المعالج: المولد بين جنسين.

(٣) العفج: الجماع.

(٤) الأفحج: المتباعد ما بين الرجلين.

(٥) قال في لسان العرب: والحْدَجُ من مراكب النساء يشبه المحفّة والجمع أْحْدَاجٌ وحْدُوجٌ. اهـ.

(٢/ ٧٩٨).

وهو أخو السفاح، قتل إبراهيم في سجن مروان الحمار، وقد اختلف في صفة قتله، وكان قتله قبل هزيمة مروان بجمعة، وأبو مسلم الخراساني هو الذي قامت دولة العباسيين بسيفه، وكان جريئاً على سفك الدماء، فقد أربى في ذلك على الحجاج بن يوسف كما قيل.

والسُّمُرُّ هم أهل خراسان، سباهم شيخنا عليه السلام (سمرّاً) للباسهم السّواد، والمراد بهم الجيش الذين أتى بهم أبو مسلم من خراسان، أتى بهم من هناك لاستكمال مشواره في سحق جيوش مروان، واستئصال ما بقي من سلطان بني أمية. ولم يأت أبو مسلم بجيشه الخراساني من خراسان وما إليها إلا بعد أن سحق بجيشه ذلك سلطان بني أمية في تلك البلاد، وقتل كل من له صلة بذلك السلطان من قريب أو بعيد، واسم أبي مسلم عبد الرحمن بن مسلم.

وفي أول أيام دولة السفاح قتل أبو مسلم اثنين من كبار دعاة الدولة هما: أبو سلمة الخلال الذي كان يقال له: وزير آل محمد، وسليمان بن كثير.

أما أبو سلمة الخلال فقد اتهم بأنه كان يريد تحويل السلطان إلى آل أبي طالب، وذلك أنه - أي: أبا سلمة - عندما قدم عليه السفاح ومن معه من بني العباس الكوفة، وهو في معسكره أخفى بني العباس أربعين ليلة، وكان الناس يسألونه عن الإمام وعن قدوم الإمام فيقول: لم يقدم بعد^(١)، وأما سليمان بن كثير فإن أبا مسلم أحضره وقال له: أتحفظ قول الإمام لي: من اتهمته فاقتله؟ قال: نعم. قال: فإني قد

(١) الكامل (٦/٥) وذكر نحو ذلك أبو علي التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة (٤/٢٧٥) وابن مسكويه في كتابه تجارب الأمم (٣/٣١٦) وقد تقدمت في حاشية سابقة.

اتهمتك. وأمر بضرب عنقه^(١).

قوله ﷺ: (فبغوا على آل النبي وقد...) البيت. يتمثل ذلك فيما يأتي:

١ - أن الدعوة إلى الثورة في وجه طغيان بني أمية قد كانت إلى الرضا من آل محمد^(٢)، ولم تكن إلى خصوص بني العباس، وقد كان الرضا هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، بايعه بالإمامة والخلافة أبو جعفر المنصور وغيره، وبايعه أهل البيت ﷺ^(٣).

وعلى هذا فالدعوة في الحقيقة هي إلى محمد بن عبد الله النفس الزكية ﷺ، فبغى بنو العباس وأخذوا ما ليس لهم من الإمامة والخلافة.

هذا مع أن بني العباس لا حق لهم في الخلافة أصلاً من جهتين اثنتين:

الأولى: أن العباس لم يدّعها في حياته ولا ولده حبر الأمة عبد الله بن عباس، بل كانوا يعتقدونها ثابتة لعلي بن أبي طالب والحسين، ومن ذلك قول العباس: «امدد يدك أبايعك حتى يقال عم رسول الله بايع ابن أخيه فلا يختلف فيك اثنان»^(٤)، وأما

(١) الكامل (٢٩/٥) وهو في تاريخ الطبري (٤٥٠/٧) ومروءة الزمان (١١/٤٥٤) ونهاية الأرب (٥٥/٢٢).

(٢) ومن ذلك ما ذكره في الكامل بقوله: ثم أرسل أبو مسلم لاهز بن قريظ في جماعة إلى نصر بن سيار يدعوه إلى كتاب الله - عز وجل - والرضاء من آل محمد. اهـ (٣٧٨/٤) وذكر أن دعوته كانت إلى الرضا من آل محمد في: (٣٧١/٤) (٣٨٢/٤) وهو كذلك في أنساب الأشراف (١٣٠/٤).

(٣) الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى (٢٠٥/١).

(٤) شرح نهج البلاغة (١٦٠/١)، (١٦٩/٩) وذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/٢١٧ ط الخانجي) بلفظ: ... عبد الله بن حسن يحدث الزهري يقول حدثني فاطمة بنت حسين قالت: =

حال عبد الله بن عباس مع أمير المؤمنين علي عليه السلام فظاهر مشهور وفي جميع الصحائف مسطور.

الثانية: أن الخلافة حق خاص بعتره النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسب ما تفيده الأدلة المتكاثرة المتظاهرة المشهورة والمتواترة، كحديث الثقلين، والمنزلة، والغدير، ولا تقدموهم، وغيره كثير في السنة، وهذا بالإضافة إلى ما تفيده الأدلة القرآنية وتشير إليه كآية التطهير، والمودة، والمباهلة، والولاية، وغير ذلك.

٢- البغي على أعراض أهل البيت وأجسادهم ودمائهم، فقد أسرف بنو العباس في ذلك وأكثروا، فلو ذهبت تحصى قتلى أبي جعفر المنصور الذين قتلهم من أهل البيت عليهم السلام في أيامه خاصة لزادت أعداد قتلاه على أعداد قتلى بني أمية جميعاً منذ عهد معاوية ويزيد إلى آخر ملوك بني أمية (مروان الحمار).

لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا عَلِيٌّ؛ قُمْ حَتَّى أَبَايَعَكَ وَمَنْ حَضَرَ؛ فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ إِذَا كَانَ لَمْ يُرَدِّ مِثْلُهُ وَالْأَمْرُ فِي أَيْدِينَا؛ فَقَالَ عَلِيٌّ: وَأَحَدٌ؟ - يَعْنِي يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُنَا - فَقَالَ الْعَبَّاسُ: أَظُنُّ وَاللَّهِ سَيَكُونُ! فَلَمَّا بَوَّعَ لِأَبِي بَكْرٍ وَرَجَعُوا إِلَى الْمَسْجِدِ فَسَمِعَ عَلِيٌّ التَّكْبِيرَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ الْعَبَّاسُ: هَذَا مَا دَعَوْتُكَ إِلَيْهِ فَأَبَيْتَ عَلِيٌّ! فَقَالَ عَلِيٌّ: أَيْكُونُ هَذَا؟ فَقَالَ الْعَبَّاسُ: مَا رَدُّ مِثْلٍ هَذَا قَطُّ!... الخ اهـ. وأورده المقرئ بلفظه في رسائله (ص ٥٠) عن ابن سعد، ومثله أورده البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٥٨٣) ورواه عبد الرزاق الصنعاني في كتابه «الألمالي في آثار الصحابة» (ص ٢٦) حيث قال: لما مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء العباس إلى علي فقال: تعال أبايحك فإذا قيل عم رسول الله صلى الله عليه وآله عليه بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يختلف عليك اثنان، قال: فقال له علي: (مَا كُنْتُ لِأَقْبِيَتْ عَلَى النَّاسِ بِأَمْرٍ إِنْ أَرَادُونِي فَقَدْ عَرَفُوا مَكَانِي). اهـ. وذكره الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية (ص ٢٢)، محتجاً به في أن البيعة تنعقد ولو بواحد حيث قال: وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: تَنْعَقِدُ بِوَاحِدٍ؛ لِأَنَّ الْعَبَّاسَ قَالَ لِعَلِيٍّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا: أُمْدُدْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بَايَعَ ابْنُ عَمِّهِ، فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ ائْتَانٍ... اهـ.

قال أبو فراس:

ما نال منهم بنو حربٍ وإنَّ عَظُمَتْ تلك الجرائرُ إلا دُونَ نِيلِكُمْ

وفي أيام المقتدر قتل أكثر من أربعة أضعاف من قتلهم أبو جعفر المنصور.

قوله: (السفّاح)، سُمِّي الخليفة الأول بالسفّاح لكثرة ما سفح من الدماء في عهده على أيدي دعائه وأنصاره بأمره، وقد كان في وصايا بني العباس لدعاتهم ما أوصوا به أبا مسلم الخراساني: واتهم ربيعة على أمرهم، وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار، واقتل من شككت فيه، وإن استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم العربية فافعل، وأيا غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله^(١).

فأنت ترى كيف أغرى بنو العباس داعيتهم الكبير بقبيلتين ربيعة ومضر، وهاتان القبيلتان جامعتان لجميع القبائل العدنانية.

العوامل التي تجعل حكام الجور يتمسكون بالمذاهب المنحرفة عن مذهب أهل البيت عليه السلام:

هذا، وكان من المفروض عادةً على العباسيين تغيير المذهب الفكري الذي كانت تنتهجه سلاطين بني أمية، وأن تتبنّى لها منهجاً آخر بدلاً عنه.

وقد حاول بعض الخلفاء العباسيين تغيير ذلك؛ غير أن ذلك لم يتم له بالنجاح، ولعل السبب الذي صرف العباسيين عن التغيير المذكور مع شدة حقنهم على بني أمية هو أن مذهب بني أمية مذهب تأسس وبيئت قواعده من أجل مصالح سياسية

(١) ذكر ذلك ابن الأثير في «الكامل في التاريخ» (٣٥١/٤) وسبط بن الجوزي في «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٣٥٨/١١) والنويري في «نهاية الأرب في فنون الأدب» (١٩/٢٢) وابن خلدون في تاريخه (١٢٩/٣) والمقرئزي في «المقفى الكبير» (٨٤/٤).

عائدة إلى خلفاء بني أمية، لذلك فقد اضطر العباسيون إلى المحافظة على ذلك المذهب الأموي للإبقاء على سلطانهم والحفاظ على كيانهم.

ولُنْشِرَ إلى شيءٍ من ذلك المذهب الأموي مما يتعلق بهذا الباب فنقول: مِنْ مذهبهم:

(١)- وجوب طاعة السلطان وإن كان ظالماً فاجراً، ولم يستثنوا إلا الكافر كفراً بواحاً، فقد أوجبوا طاعة السلطان الخمير السكّير الظالم الفاسق من أمة محمد، وسموه أمير المؤمنين.

(٢)- حَرَمُوا الخروج على من كان كذلك، فمن جاهده غضباً لله حكموا عليه بالقتل، وسموه خارجاً مفرقاً لجماعة الأمة.

(٣)- يحكمون لمن كان كذلك من سلاطين الجور، والمتهكين لكبائر الذنوب، المفسدين في الأرض، الظالمين لعباد الله بشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَوَوْا في صحاحهم: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))^(١)، و((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن سرق وإن زنى))^(٢).

(١) مسند أبي داود الطيالسي (١٧٧٤) (٢٥٠/٣)، مسند أحمد (١٣٢٢٢) (٤٣٩/٢٠)، التاريخ الكبير للبخاري (١٩١١) (٥٣٩/٢) وسنن أي داود (٤٧٣٩) (٢٣٦/٤) وسنن الترمذي (٢٤٣٥) (٢٣١/٤) والسنة لأبي عاصم (٨٣٠) (٣٩٨/٢) ومسند البزار (٦٩٦٣) (١٣/٣٤٠)، ومسند أبي يعلى (٣٢٨٤) (٤٠/٦) وصحيح ابن حبان (٦٤٦٧) (١٤/٣٨٦)، وغيرها كثير.

(٢) صحيح البخاري (٥٨٢٧) (١٤٩/٧) مسند أحمد (٢٧٤٩١) (٤٥/٤٨٣) تهذيب الآثار للطبري (٩٣٥) (٦٢٨/٢) التوحيد لابن خزيمة (٨١٤/٢)، شرح مشكل الآثار (٤٠٠٠) (١٠/١٦٦)، صحيح ابن حبان (١٦٩) (٣٩٢/١)، المعجم الأوسط (٢١٢٤) (٢/٣٢٨)، =

(٤)- يحكمون أيضاً لمن كان كذلك باسم الإيمان.

(٥)- يذهبون إلى أن ما حصل من السلطان من كبائر الإثم والعدوان وجرائم القتل والظلم إنما حصل بقضاء من الله وقدر، وأن الله قد أراد ذلك وشاءه، بل إنه جَلَّ شَأْنُهُ وعلا سلطانه هو الذي تولى فعل ذلك لا فاعل له سواه، وهذا عندهم من تمام التوحيد.

(٦)- معاداة أولياء الله المخلصين الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، ومحاربتهم ومطاردتهم، وسبهم وشتهم، والتقرب إلى الله بذلك، وتسميتهم زنادقة، و...و... إلخ.

(٧)- موالاة أعداء الله المشهورين بالفسوق والظلم في القرن الأول الإسلامي من الطلقاء وأدعياء الصحبة والتابعين، وإحلالهم منازل الكرامة العليا، وتحليلهم بشباب القداسة والحصانة، ف(بأيهم اقتديتم اهتديتم).

وقالوا فيما رويوا: لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

ثم أغلقوا باب الاستنكار والنقد والعيب؛ فقالوا فيمن ذكر معاوية، أو مروان، أو الوليد بن عقبة: إنه قد خرج من الإسلام تماماً، فيسمونه زنديقاً.

إلى غير ذلك من المذاهب التي صاغها معاوية ومن تلاه من سلاطين بني أمية من أجل شد أركان خلافتهم، وتثبيت دعائمها والحفاظ على سلامتها واستمرارها، وإنما ذكرنا نماذج من مذاهب بني أمية من أجل أن يُبين أن خلفاء بني العباس

اضطروا إلى انتهاج سنن معاوية وبني أمية من أجل المحافظة على سلطانهم، ومن أجل أن تُبين للقارئ أمثلة من صلب عقيدة أولئك لينظر فيها الناظر، ويبحث عما وراءها من عقائدهم، والله المستعان، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله العليّ العظيم.

٤٠- وَأَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ الطُّغَاةِ عَتَا وَيَلَّ الشَّقِيَّ غَدًا لَدَى الْحُشْرِ

أبو جعفر الملقب بالمنصور

عبد الله بن محمد بن علي - السفاح الثاني - (ت ١٥٨هـ):

هذا هو الخليفة الثاني من خلفاء بني العباس، واسمه كاسم أخيه السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

في الشافي [٥١٣/١]: بويغ له يوم مات أخوه، وكان يومئذ بمكة، وقام عمه عيسى بن علي ببيعته، وأتته الخلافة وهو بطريق مكة بالصفافية، فقال: صفا لنا الأمر إن شاء الله تعالى.

وتوفي عند بئر ميمون على أميال من مكة في يوم السبت السادس من ذي الحجة سنة ١٥٨هـ، وكان أبو جعفر يكنى: أبا الدوانيق؛ لحرصه على جمع المال.

وكان لا يفي بالذمة، ولا يلتزم العقد، ويخدع في العهد، ويعدّ ذلك حزمًا، وكان يُعَجِّز أخاه في ترك بعض الغدرات، وإن كان قد فعل ما في بعضه كفاية، من قتل ابن هبيرة، وقتل أبي سلمة الخلال الذي وطد الملك، وكانوا يسمونه وزير آل محمد، وقتل سليمان بن كثير صاحب الدعوة بخراسان، إلى غير ذلك.

فلما قام أبو جعفر غلب السيل الوشل، وزاحت عن العذر العلل، فقتل أبا مسلم بعد ما لا يحصى من العهود، وكذلك عمه عبد الله بن علي، وحاول قتل

عيسى بن موسى غيلة، فأعجزت فيه الحيلة فجاهره في خلع نفسه عن ولاية العهد. انتهى.

قتل أبي جعفر لأهل البيت عليه السلام وشيعتهم:

السبب في ذلك أن أبا جعفر المنصور وأخاه إبراهيم الإمام وعمه صالح بن عبد الله بن عباس في جماعة من بني هاشم كانوا قد أجمعوا وبايعوا لمحمد بن عبد الله النفس الزكية بالإمامة.

فلما ولي أبو جعفر الخلافة بعد أخيه السفاح طلب محمد بن عبد الله وأخاه إبراهيم أشد الطلب فلم يقدر عليهما.

فحبس من أجل ذلك أباهما عبد الله بن الحسن وإخوته وجماعة من أهل بيته، وكان هذا الحبس في المدينة، ثم أحضرهم إلى الكوفة فحبسهم بها، وكان هذا من أجل أن يأتوه بمحمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم.

فلما ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة، وأعلن الحرب على بني العباس، وقتل في تلك الحرب، قتل أبو جعفر آل الحسن وهم^(١) على ما ذكره أبو الفرج في مقاتل الطالبين [١٦٦ وما بعدها]:

(١) - عبد الله^(٢) بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قُتِل في محبسه.

(١) وذكرهم بأسمائهم الطبري في تاريخه (٥٣٧/٧) وابن مسكويه في تجارب الأمم وتعاقب الهمم (٣٨٦/٣) والذهبي في كتابيه تاريخ الإسلام (١٨/٩) وسير أعلام النبلاء (٢١٢/٦).

(٢) هو عبد الله بن الحسن الكامل سلام الله عليه وعلى آبائه، وأمّه فاطمة بنت الحسين السبط سلام الله عليهم، قال مصعب الزبيري: انتهى كل حسن إلى عبد الله بن الحسن، وكان يقال: من أحسن الناس؟ فيقال: عبد الله بن الحسن، ويقال: من أفضل الناس؟ فيقال: عبد الله بن

(٢)- الحسن^(١) بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٣)- إبراهيم^(٢) بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. وأم الثلاثة

هي: فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وإبراهيم أولهم في مفارقة الحياة.

(٤)- علي^(٣) بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان يقال

الحسن، ويقال من أقول الناس؟ فيقال: عبد الله بن الحسن. اهـ وقتل عبد الله بن الحسن في محبسه بالهاشمية، وهو ابن خمس وسبعين، سنة خمس وأربعين ومائة. اهـ باختصار من المقاتل (١٦٦، وما بعدها).

(١) هو المعروف بالحسن المثلث، وكان متأهلاً، فاضلاً، ورعاً، يذهب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى مذهب الزيدية. اهـ ويروي أبو الفرج في مقاتل الطالبين (١٧١) قال: لما حبس عبد الله بن الحسن آل أخوه الحسن بن الحسن ألا يدَّهِنَ ولا يكتحل، ولا يلبس ثوباً ليناً، ولا يأكل طيباً، ما دام عبد الله على تلك الحال. وتوفي الحسن بن الحسن بن الحسن في محبسه بالهاشمية في ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة. وهو ابن ثمان وستين سنة. اهـ من المقاتل باختصار (ص ١٧١ وما بعدها).

(٢) قال أبو الفرج في المقاتل: كان إبراهيم أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقال بعد ذكر الإسناد: مَرَّ الحسن بن الحسن على إبراهيم بن الحسن، وهو يعلف إبلاً له، فقال: أتعلف إبلك وعبد الله بن الحسن محبوس؟ أَطْلُقْ عُقْلَهَا يا غلام، فأطلقها، ثم صاح في إدبارها فذهبت، فلم يوجد منها واحدة. وتوفي إبراهيم بن الحسن بن الحسن في الحبس بالهاشمية في شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين ومائة. وهو أول من توفي منهم في الحبس، وهو ابن سبع وستين سنة. اهـ باختصار من المقاتل (ص ١٧٢ وما بعدها).

(٣) كان يقال له علي الخير، وعلي الأغر، وعلي العابد، وكان يقال له ولزوجته زينب بنت عبد الله بن الحسن الزوج الصالح. اهـ وأمّه أم عبد الله بنت عامر بن عبد الله بن بشر بن عامر بن ملاعب الأسنة بن مالك بن جعفر بن كلاب. اهـ قال في المقاتل: ... حدثني مولاي لآل طلحة أنه رأى علي بن الحسن قائماً يصلي في طريق مكة، فدخلت أفعى في ثيابه من تحت ذيله، حتى خرجت من زيقته، فصاح به الناس: الأفعى في ثيابك، وهو مقبل على صلاته، ثم انسابت فمرت، فما قطع صلاته، ولا تحرك، ولا رُئي أثر ذلك في وجهه. اهـ. قال أبو الفرج: توفي علي

له العابد، وكانوا لا يعرفون في حبسهم الليل من النهار، وإنما يعرفون أوقات الصلاة بوظائف ذكره، وكان مجاب الدعوة، فقال له عمه عبد الله بن الحسن: ألا تدعو فيفرّج عنا. قال: إن لنا منزلة في الجنة لا نبلغها إلا بمثل هذا، أو بما هو أعظم، وإن لأبي جعفر منزلة في النار لا يبلغها حتى يبلغ منا مثل هذه البلية، أو ما هو أعظم، فإن شئت أن تصبر فما أوشك أن تموت وتستريح، وإن شئت أن ندعو الله أن يفرّج عنا ويقصر بأبي جعفر غايته التي له في النار فعلنا. قال عمه: أصبر^(١).

(٥) - العباس^(٢) بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

بن الحسن وهو ساجد في حبس أبي جعفر، فقال عبد الله: أيقظوا ابن أخي، فإني أراه قد نام في سجوده. قال: فحركوه فإذا هو قد فارق الدنيا. فقال: رضي الله عنك، إن علمي فيك أنك تخاف هذا المصراع. اهـ. قال: حدثنا عبد ربه - يعني ابن علقمة - عن يحيى بن عبد الله، عن الذي أفلت من الثمانية، قال: لما أدخلنا الحبس قال علي بن الحسن: اللهم إن كان هذا من سخط منك علينا فاشدد حتى ترضى. فقال عبد الله بن الحسن: ما هذا يرحمك الله؟.

ثم حدثنا عبد الله عن فاطمة الصغرى، عن أبيها، عن جدتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يدفن من ولدي سبعة بشاطئ الفرات لم يسبقهم الأولون، ولا يدركهم الآخرون» فقلت: نحن ثمانية. قال: هكذا سمعت. قال: فلما فتحوا الباب وجدوهم موتى، وأصابوني وبني رمق وسقوني ماء، وأخرجوني فعشت. اهـ. وتوفي علي بن الحسن وهو ابن خمس وأربعين سنة، لسبع بقين من المحرم سنة ست وأربعين ومائة. اهـ. (باختصار من المقاتل ١٧٤ وما بعدها) وترجم له ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥٤٢/٧) وتاريخ الإسلام للذهبي تدمري (٢٢٦/٩).

(١) تيسير المطالب (٥٧١) والشافي (ط ٢ - ج ١/٥٥٣) والحدائق الوردية (ط ٢ - ج ١/٣٤٨) ومقاتل الطالبين (١٧٨).

(٢) وأمه عائشة بنت طلحة الجود بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي. اهـ. وتوفي العباس في الحبس وهو ابن خمس وثلاثين، لسبع بقين من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة. اهـ. (باختصار من المقاتل ١٧٩، وما بعدها) وانظر تاريخ الطبري (٥٣٧/٧).

قالت أمه عائشة بنت طلحة يوم أُخِذَ العباس ابنها: دعوني أَشْمُهُ شَمَّةً، وَأَضْمُهُ ضَمَّةً. فقالوا: لا والله ما دمت في الدنيا حية.

(٦) - إسماعيل^(١) بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي يقال له طباطبا، سئل بعض من كان معهم في سجن أبي الدوانيق: كيف كان صبرهم؟ قال: كانوا صبراء، وكان فيهم رجل مثل سبيكة الذهب كلما أوقد عليها نار ازدادت خلاصاً، وهو إسماعيل بن إبراهيم، كان كلما اشتد عليه البلاء ازداد صبراً.

(٧) - محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، نظر إليه أبو جعفر - لعنه الله - وقال له: أنت الديباج الأصفر؟ قال: نعم. قال: أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك. ثم أمر بأسطوانة مبنية، ففرقت ثم أدخل فيها فُبْنِيَت عليه وهو حي. وكان محمد يسمى بالديباج الأصفر، وكان الناس يختلفون إليه فينظرون إلى حُسنه^(٢).

(٨) - علي^(٣) بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن

(١) وأمه ريحة بنت محمد بن عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية الذي يقال له: زاد الركب، أبو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم. اهـ باختصار من المقاتل (١٨٠).

(٢) انظر مقاتل الطالبين (١٨١) وذكر ذلك بلفظه ابن مسكويه في كتابه (تجارب الأمم وتعاقب الهمم: ٣/ ٣٨٩).

(٣) وأمه أم سلمة بنت الحسن بن الحسن بن علي. كان أبوه وجهه إلى مصر، ووجه معه أخاه موسى بن عبد الله، ومطرا صاحب الحمام - قال المدائني: إنما سمي صاحب الحمام لأنه كان على حمام الأمير بالبصرة - ويزيد بن خالد القسري، يدعوان إليه، فأخذ علي، ونجى موسى ولم يؤخذ. وأتى أبو جعفر بعلي فحبسه مع أهله فمات معهم. وقد قيل: إنه بقي في الحبس فمات في أيام المهدي، والصحيح أنه توفي في أيام أبي جعفر. اهـ باختصار من المقاتل (١٨١) وما بعدها.

أبي طالب عليه السلام.

هذا وقد قتل مع هؤلاء في سجن أبي جعفر محمد^(١) بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وكان أخاً لعبد الله بن الحسن من أمه، وكان يهوى هواه، وكان عبد الله يحبّه حباً شديداً فأخذ معهم وسُجِنَ وقُتِلَ.

وقد ذكر بعض المؤرخين أن إسحاق^(٢) ابن إبراهيم بن الحسن بن الحسن في جملة من قُتِلَ. أفاد كل هذا في مقاتل الطالبين.

وقتل أبو جعفر النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن في المدينة، قتله عيسى بن موسى، وحميد بن قحطبة في جيش أقبلا به من العراق، واحتز رأسه حميد بن قحطبة^(٣).

وقتل بعد ذلك الإمام إبراهيم بن عبد الله بن الحسن في البصرة في مكان يقال له باخرى، قتله عيسى بن موسى أيضاً^(٤).

(١) قال أبو الفرج في المقاتل: وإنما ذكرنا خبره معهم لأنه كان أخاهم لأُمهم، وكان هويّهم، وكان عبد الله بن الحسن يحبه محبة شديدة، فقتل معه كما قتل. وأمه فاطمة بنت الحسين. اهـ من المقاتل (١٨١).

(٢) السيد الإمام إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن - عليهم السلام - من أسلاف الزيدية وكبارهم، مات شهيداً بيد المنصور العباسي. اهـ. مطلع البدور (١/٤١٩).

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٥٣٨) وتاريخ الطبري (٧/٥٩٠) وأنساب الأشراف (٣/١٠٥) والبدء والتاريخ لمطهر المقدسي (٦/٨٥) وتجارب الأمم وتعاقب الأمم (٣/٤٠٥) والمتنظم في تاريخ الملوك والأمم (٨/٦٧) والكامل في التاريخ (٥/١٢٤).

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٥٤٠) وكتاب المعارف لابن قتيبة (٣٧٨) وتاريخ الطبري (٧/٦٤٥).

وقتل أبو جعفر غير من ذكرنا من آل الحسن ومن آل أبي طالب رضوان الله عليهم، والغرض هنا الإشارة إلى بغى العباسيين وظلمهم لأهل بيت النبي ﷺ، وإسرافهم في دمائهم وإزهاق أنفسهم.

وهناك الكثير من أولاد علي ﷺ خصوصاً، ومن آل أبي طالب عموماً، أودعهم أبو جعفر في ظلمات السجون، وصبَّ عليهم حر السياط، ومزق جلودهم بنارها كما فعل بموسى بن عبد الله بن الحسن، فإنه جلده خمسمائة جلدة^(١). وهكذا فعل أبو جعفر بأنصار محمد بن عبد الله وأشياخ أخيه إبراهيم، فإنه تتبعهم وألحق بهم ألوان العذاب من القتل والجلد والسجن وأنواع الإهانة.

وفي الحديث: ((ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة...)) الحديث.

أول من سن ظلم أهل البيت (ع)

أول من سن ظلم أهل البيت ﷺ بالقتل والقتال هو معاوية بن أبي سفيان فإنه فعل ما هو ظاهر مشهور، فإنه قاتل علياً ﷺ، وقتل الحسن، وأظهر العداوة التي لا غاية بعدها لأهل البيت ﷺ، فأمر المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها بلعن علي ﷺ، وأمر بالبراءة من دين علي، وقتل كل من كان يُحِبُّ علياً وأهل بيته، وجعل ذلك ديناً وسُنَّةً وشريعةً يتقرب المسلمون بها إلى الله.

فسار على هذه السنة الخبيثة من تلاه من خلفاء بني أمية، ثم من جاء بعدهم من خلفاء بني العباس، فقد ساروا على أعقابهم، وسلكوا سبيلهم، فقتلوا أهل البيت

(١) مقاتل الطالبيين (٣٣٣-٣٣٦) وذكر قصة جلده حتى غشي عليه.

ﷺ وشرودهم، و... إلخ، وكما ذكرنا سابقاً فقد جعلوا ذلك الصنيع بأهل البيت ﷺ ديناً وشريعة يتقربون إلى الله بفعله.

وسموا أولئك الأمرين بالمعروف والناهي عن المنكر خوارج مفرقين للجماعة الأمة، خارجين عن الطاعة وعن السنة والجماعة، وروافض، و... إلخ.

وقد ذكرنا فيما تقدم نماذج وأمثلة من مذاهب بني أمية لتوضيح أنه مذهب سياسي صاغه خلفاء بني أمية منذ خليفتهم الأول لحماية سلطانهم، وأنه لا صلة له بالإسلام.

دعوة أهل البيت ﷺ ورفض الظالمين لها:

- إذاً فالسبب في حصول ما حصل من العدا والقتل لأهل البيت ﷺ هو:
- (١) - أنهم يدعون إلى الدين الحق الذي جاء به النبي ﷺ ويبينونه للناس.
 - (٢) - في ظهور الحق الذي يدعون إليه خطورة مؤكدة على سلاطين الجور.
 - (٣) - لا مكان لسلاطين الجور وفسقة الولاة في دين المسلمين ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ١١٣].
 - (٤) - الدين الحق يحكم على شارب الخمر، والزاني، ومرتكب اللواط، والظالم، والقاتل، وغيرهم من مرتكبي الجرائم بأحكام جزائية وحدود زاجرة.
- ومن أروع الأمثلة ما روي عن النبي ﷺ: ((والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))^(١).

(١) صحيح مسلم (١٦٨٨) (٣/ ١٣١٥)، صحيح البخاري (٣٤٧٥) (٤/ ١٧٥)، وسنن أبي داود (٤٣٧٣) (٦/ ٤٢٦)، سنن الترمذي (١٤٣٠) (٣/ ١٠٠)، سنن النسائي (٤٨٩٨) (٨/ ٧٣)، شرح مشكل الآثار للطحاوي (١٦٨١) (٤/ ٣٨٣)، صحيح ابن حبان (٤٤٠٢) =

وما روي عن علي عليه السلام: (والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت لما كان لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإرادة، حتى آخذ الحق منهما.. إلخ)^(١).
وما روي أنه عليه السلام أمر برد القطائع والصلوات التي أقطعت من مال الله، ولو كانوا قد نكحوا بها النساء، واشتروا الإماماء.

(٥)- الحق لا يبرر أعمال الظالمين بالقضاء والقدر ومشیئة الله وإرادته، ولا يسمي الظالم مؤمناً، ولا يُمنّيه بدخول الجنة بشفاعته النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بـ ((لا إله إلا الله)) وحدها، ولا يدعو الناس إلى السكوت عن الظالم ومجاملته كما هو الحال عند أهل البيت، ولا.. إلخ.

(٦)- الدين الحق يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويأمر أهله بأن لا يخشوا في الله لومة لائم ما استطاعوا.

فلمثل ما ذكرنا تأكدت معرفة الظالمين أنه لا عيش لهم ولا بقاء مع الدين الحق، فلذلك اشتدت عنايتهم في قتل أهل الحق ومطاردتهم، وبذلوا في ذلك كل غالٍ ورخيص، وسعوا بكل جِدٍ واجتهاد إلى دعم مذهب معاوية والترويج له، وطمس مذهب أهل البيت عليهم السلام، وخنقه، وقلعه من جذوره، وتنظيف الحواضر الإسلامية من آثاره.

وقد كان معاوية هو أول من فتح باب الظلم بالقتل والقتال لأهل البيت عليهم السلام من أجل ما ذكرنا، وتبعه في ذلك بنو أمية ثم بنو العباس.

وقد اختص معاوية وبنو أمية بعداء خاص لبني هاشم ولا سيما آل أبي سفيان

⁼ (٢٤٨/١٠) سنن ابن ماجه (٢٥٤٧) (٢/٨٥١)، مسند إسحاق بن راهويه (٨٦١)

(٢/٣٣٥)، الطبقات الكبرى (٤/٦٤)، وغيرها كثير.

(١) نهج البلاغة (٦٧١) وشرحه (١٦٨/١٦)، العقد الفريد (٥/١٠٦)، العواصم والقواصم

(٨/٢٥٠) وهذا الكلام من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله.

توارثوه خلفاً عن سلف.

٤١- وَمُضِلُّهُمْ سَمَّوْهُ مَهْدِيًّا وابناه موسى أَقْصَرُ الْعَمْرِ
٤٢- وَأَخُوهُ هَارُونَ الْغَوِيُّ وَمَا قَصُرَتْ لِيَالِيهِ عَنِ السُّكْرِ
في هذين البيتين ثلاثة من بغاة العباسية:

الأول: المهدي أبو العباس محمد بن عبد الله بن محمد (ت ١٦٩هـ)

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، بويع له بعهد من أبيه أبي جعفر المنصور يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفي بإسندان سنة تسع وستين ومائة، وصلى عليه ولده المسمى بالرشيد، وكان منهمكاً في المعاصي واللذات والملاهي، وكان كثير التولية والعزل لغير سبب، وكانت له عناية في طلب فضلاء أهل البيت عليه السلام لقتلهم واستئصال شافتهم،، فسلم بعض، وأدرك مراده في بعض.

أخبار الإمام عيسى بن زيد بن علي عليه السلام (ت ١٦٦هـ)

وكان من طلباته عيسى بن زيد بن علي عليه السلام، المكنى مؤتم الأشبال، وذلك أنه لما انصرف مع المنهزمين من وقعة باخرى عرضت للناس لبوة معها أشبالها، فمنعت الناس الطريق، فأخذ سيفه ودرقته وبرز لها فقتلها، فقال له بعض خدمه: يا سيدي، أيتمت أشبالها؟! قال: نعم، أنا مؤتم الأشبال^(١).

وقد كانت الشيعة إذا أرادوا الكناية عنه قالوا: قال مؤتم الأشبال كذا، وفعل

(١) تيسير المطالب (١٩٢) والشافي (ط ٢ - ٥٤٦/١) والحدائق الوردية ط ٢ (ج ١/٣٠٨) مقاتل الطالبين (٣٥٤) والمجدي في أنساب الطالبين (١٨٦) والأعلام للزركلي (٥/١٠٢).

مؤتم الأشبال كذا، مخفين شخصيته.

وكان قد بُذِلَ له مال جليل ليخرج ويأمن، فعذله بعض أصحابه وقال: أرحنا مما نحن فيه من الخوف، وخذ هذه الأموال، فقال عليه السلام: لَأَنْ يَبْتَئُوا لَيْلَةَ خَائِفِينَ مِنِّي وَأَبِيتَ لَيْلَةَ خَائِفًا مِنْهُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا^(١).

علي بن العباس بن الحسن بن الحسن (ع)

وممن مات مسموماً مظلوماً بسطوتهم مهضوماً من أهل البيت عليهم السلام في هذا العهد علي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان من فضلاء آل الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن يخافهم إلا خيار عترة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم، حتى كان جواسيسه -أي: المهدي العباسي- تتفرق في الآفاق وتسأل دهماء الناس: مَنْ علمتم من أهل هذا البيت من عترة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم يعرف بعلم أو صلاح؟ فإذا أعلموا صاحبهم دسَّ إليه السُّم، أو قبضه إلى السجن، وكان علي بن العباس عليه السلام قد دعا إلى نفسه ببغداد واستجابت له جماعة وافرة من الزيدية فدرس عليه الجواسيس، فجاءوه بعلمه فقبض عليه قبل استحكام أمره، ولم يزل في حبسه إلى أن

(١) مقاتل الطالبين (٣٤٧) ولفظه: فلما بذل المهدي لعيسى بن زيد من جهة يعقوب بن داود ما بذل له من المال والصلوة نودي بذلك في الأمصار ليبلغ عيسى بن زيد فيأمن، فقال عيسى لجعفر الأحمر وصباح: قد بذل لي من المال ما بذل، وو الله ما أردت حين أتيت الكوفة الخروج عليه، ولأن أبيت خائفاً ليلة واحدة أحب إليّ من جميع ما بذل لي، ومن الدنيا بأسرها... إلى أن ذكر رواية أخرى قال فيها: حج عيسى بن زيد والحسن [بن صالح]، فسمعنا منادياً ينادي: ليبلغ الشاهد الغائب أن عيسى بن زيد آمن في ظهوره وتواريه، فرأى عيسى بن زيد الحسن بن صالح قد ظهر فيه سرور بذلك فقال: كأنك قد سررت بما سمعت، فقال: نعم. فقال له عيسى: والله لإخافتي إياهم ساعة أحب إليّ من كذا وكذا. اهـ (مقاتل).

وفد عليه الحسين بن علي الفخري عليه السلام فكلمه فيه واستوهبه؛ فوهبه له، فدرس إليه شربة سُم، فلم تزل تعمل فيه حتى قدم المدينة فتفسخ لحمه وتباينت أعضاؤه بعد دخول المدينة بثلاثة أيام^(١).

عودة إلى ذكر عيسى بن زيد (ع)

ومات عيسى بن زيد عليه السلام في تواريه، فلما بلغ المهدي نبأ موته خَرَّ ساجداً. وكان عيسى بن زيد شجاعاً، ورعاً، تقيّاً، عالماً، زاهداً، نافذ البصيرة، وله مقامات في القتال عجيبة، ولولا ميلنا في كتابنا إلى الاختصار لحققنا أحوالهم عليهم السلام تحقيقاً بليغاً، ولكننا نذكر ما يدل على ما وراءه، فمن طلبه وجده في أخبار أهل البيت عليهم السلام في كتب جمّة مضبوطة بالأسانيد الصحيحة.

وكان كثير العلم واسع الرواية، وقد روى عن: أبيه، وعن جعفر بن محمد، وعن أخيه عبد الله بن محمد، هؤلاء من أهل البيت عليهم السلام. وعن سفيان بن سعيد الثوري، والحسن بن صالح بن حي، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن أبي زياد، والحسن بن عمار، ومالك بن أنس، وعبد الله بن عمر العمري، ونظرائهم كثير عددهم، فهؤلاء الذين أخذ العلم عنهم من العامة^(٢).

وكان مطبوعاً على العلم حريصاً عليه من حال صغره، وانطوى ديوانه على عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة دون غيرهم، فقال له ذات يوم الحسن بن صالح رحمه الله: إلى متى تُسوّف القيام وهذا ديوانك قد انطوى على عشرة آلاف مقاتل من أهل

(١) مقاتل الطالبين (٣٤٢) وذكر ذلك العصامي المكي في كتابه (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي) (١٧٩/٤).

(٢) مقاتل الطالبين (٣٤٥).

الكوفة دون غيرهم؟ فقال: أتفرحني بكثرة الأعداد وأنا بهم عارف؟ فإني والله لو وجدت فيهم ثلاث مائة رجل أعلم أنهم يريدون الله، ويبدلون أنفسهم له، ويصدقون لقاء عدوه في طاعته، لخرجت قبل الصباح حتى أبلي عند الله عذراً في أعدائه، وأجري المسلمين على سنته وسنة نبيه؛ ولكن لا أعرف موضع ثقة يفي ببيعته لله، ويثبت عند اللقاء؛ قال: فبكى الحسن بن صالح حتى سقط مغشياً عليه^(١).

وكان ممن يقوم بخدمته جعفر الأحمر، وصباح الزعفراني، وخصيب الواسي وكان من أفاضل الشيعة، وكان له بلاءٌ بين يدي محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن عليه السلام. وكان علي بن عبد الله^(٢) ممن خرج مع محمد بن عبد الله، وتوارى أيام أبي جعفر.

(١) مقاتل الطالبين (٣٥٣).

(٢) هكذا في الشافي ٢ ط (ج ١/ ٥٤٧) ولوامع الأنوار ط ٥ (ط ١/ ٣٣٢) الفصل الثاني، والذي في التحف ٦ ط (ص ٩٩) نقلاً عن مقاتل الطالبين أن عبد الله بن جعفر خرج مع إبراهيم بن عبد الله، ولعل هذا هو الذي يوافق تاريخ وفاة عبد الله بن جعفر سنة (١٧٨ هـ) وفي المقاتل في معرض الحديث عن عبد الله بن جعفر ما لفظه: هذا والد علي بن عبد الله بن جعفر المدني المحدث، وكان من قراء القرآن، وكبار المحدثين، وخرج مع محمد بن عبد الله، فلم يزل معه حتى قتل محمد وطلبه المنصور فتوارى منه... قال أبو الفرج أيضاً في خلال ذكر مقتل إبراهيم بن عبد الله: خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن جعفر المديني، فقال له ليلة: قم بنا حتى نطوف في العسكر، فقام معه، فسمع في ناحية عسكره صوت طنبور، فاغتم لذلك، وقال لعبد الله بن جعفر: ما أرى عسكراً فيه مثل هذا يُنصَرُ. اهـ (من المقاتل ص ٣٠٦) هذا عبد الله بن جعفر... فأما ولده علي بن عبد الله المديني أو المدني فهو من المحدثين الثقات عند الجميع. قال الإمام المجدد مجد الدين المؤيدي في لوامع الأنوار ط ٥ (ج ١/ ٣٣٢) في الفصل الثاني: وهو شيخ أحمد، والبخاري، وأبي داود، وغيرهم؛ خرج له الإمام أبو طالب، والمرشد بالله عليهما

روى أبو الفرج في كتابه الصغير^(١) في أخبار آل الرسول ﷺ [٣٥٠] عن عبد الله بن زيدان البجلي، قال: حدثني سعيد بن عمرو بن جنادة البجلي، قال: كان الحسن بن صالح وعيسى بن زيد بمنى اختلفا في مسألة من السيرة، فبينما هما يتناظران فيها إذ جاء رجل وقال: قدّم سفيان الثوري، فقال الحسن بن صالح: قد جاء الشفاء؛ فقال عيسى بن زيد: فأنا أسأل عن هذا الذي اختلفنا فيه؛ وسأل عن موضعه فأخبرته، فقام إليه، ومضى إلى سفيان فسأله عن المسألة، فأبى سفيان أن يجيبه خوفاً على نفسه من الجواب؛ لأنه كان فيه شيءٌ على السلطان. فقال له حسن بن صالح: إنه عيسى بن زيد؛ فتنبه سفيان واستوفر، ثم نظر إلى عيسى كالمستثقل له، فتقدم إليه وقال: نعم، أنا عيسى بن زيد، فقال له: أحتاج إلى من يعرفك؛ لأن الغيبة كانت قد نكرت حاله، فقال: أجيئك بجناب بن بسطاس؟ قال: افعل، فأتى جناب فقال: نعم يا عبد الله، هذا عيسى بن زيد؛ فبكى سفيان فأكثر في البكاء، وقام

السلام، اهـ. ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (ج ١١/ ٤٥٥) فأجاد وأفاض، وكذلك الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٨ - ١٤١) ترجمة رقم (٥٨٧٤) قال الذهبي: علي بن عبد الله بن جعفر، أبو الحسن، الحافظ، أحد الأعلام الأثبات، وحافظ العصر... إلى قوله: وهذا أبو عبد الله البخاري - وناهيك به - قد شَحَنَ صحيحه بحديث علي بن المَدِينِي، وقال: ما استصغرتُ نفسي بين يدي أحدٍ، إلا بين يدي علي بن المَدِينِي، ولو تُرِكَ حديثُ عليٍّ وصاحبه محمد، وشيخه عبد الرزاق، وعثمان بن أبي شيبة، وإبراهيم بن سعيد، وعفان، وأبان العطار، وإسرائيل، وأزهر السَّمَان، وبَهْز بن أسد، وثابت البُنَانِي، وجريز بن عبد الحميد لغلقنا الباب، وانقطعَ الخطابُ، ولَمَتِ الآثارُ، واستَوَلَتِ الزَّنادِقَةُ، وخرَجَ الدَّجالُ؛ أفما لك عَقْلٌ يا عَقِيلِي؟ انتهى من ميزان الاعتدال، توفي علي بن عبد الله بن جعفر سنة ٢٣٥هـ.

(١) هو كتاب مقاتل الطالبين الموجود اليوم، وهذا يدل على أن لأبي الفرج كتاباً كبيراً ضمَّنه غرائب التاريخ عن أهل البيت ﷺ يا ليتَه كان موجوداً غير مفقود.

من مجلسه فأجلسه فيه، وجلس بين يديه، فأجابه عن المسألة ثم ودعه وانصرف، وكان سفيان يقول: حُبُّ بني فاطمة والجزع لهم مما هم عليه من الخوف والقتل والتطريد يُبكي من في قلبه شيء من الإيمان^(١).

وحكى أبو الفرج في كتابه الصغير [٣٥٢]، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثني محمد بن سالم بن عبد الرحمن، قال: قال لي علي بن الأحمر: حدثني أبي، قال: كنت أجتمع أنا وعيسى بن زيد، والحسن وعلي ابنا صالح بن حي، وإسرائيل بن يونس بن إسحاق، وجناب بن بسطاس، في جماعة من الزيدية في دار بالكوفة، فسعى ساع بأمرنا إلى المهدي ودلهم على الدار، وكتب إلى عامله بالكوفة بوضع الأرصاد علينا، فمتى اجتمعنا كبسنا وأخذنا ووجه بنا إليه، فاجتمعنا ليلة في تلك الدار وبلغه خبرنا، فهجم علينا، ونذر^(٢) القوم وكانوا في علو الدار، ففترقوا ونجوا جميعاً، فأخذني وحملني إلى المهدي فدخلت عليه، فلما رأني شتمني بالزاني، وقال لي: يا ابن الفاعلة؛ أنت الذي تجتمع مع عيسى بن زيد تحته على الخروج عليّ، وتدعو إليه الناس؟

فقلت له: يا هذا، أما تستحيي، ألا تتقي الله ولا تحافه، تشتم المحصنات وتقذفهن بالفاحشة، وقد كان ينبغي لك ويلزمك من دينك وما وليته أن لو سمعت سفيهاً يقول مثل ذلك أن تقيم عليه الحد؟

فأعاد شتمني، ثم وثب إليّ، وجعل يضربني بيده، ويخبطني برجليه ويشتمني،

(١) مطلع البدور في ترجمة سفيان الثوري (٣٢٦/٢).

(٢) نذر القوم بالعدو: علموا، وبابه طرب. انتهى من مختار الصحاح.

فقلت: إنك لشجاع حتى قويت على شيخ مثلي، تضربه لا يقدر على المنع من نفسه، ولا الانتصار لها.

فأمر بحبسي والضيق عليّ، فقيدت بقيد ثقيل، وحبست سنين، فلما بلغه وفاة عيسى بن زيد بعث إليّ فدعاني، وقال: من أي الناس أنت؟

قلت: من المسلمين.

قال: أنت عربي؟

قلت: لا.

قال: فمن أي الناس؟

قلت: كان أبي عبداً لبعض أهل الكوفة فأعتقه فهو أبي.

قال لي: إن عيسى بن زيد قد مات.

فقلت: أعظم بها مصيبةً، رحمه الله تعالى، لقد كان عبداً ورعاً، مجتهداً في طاعة الله، غير خائف لومة لائم.

ثم قال: أما علمت بوفاته؟

قلت: بلى !.

قال: فلم لا تبشرنني بوفاته؟ !.

قلت: لم أحب أن أسرك بأمر، لو عاش رسول الله ﷺ فعرفه لساءه.

فأطرق طويلاً ثم قال: ما أرى في جسمك فضلاً للعقوبة، وأخاف أن أستعمل شيئاً منها فتموت، وقد كُفيت عدوي، فأنصرف في غير حفظ الله، والله لئن عدت لمثل ما فعلت لأضربن عنقك.

قال: فأنصرفتُ إلى الكوفة، فقال المهدي للربيع: أما ترى قلة خوفه وشدة قلبه؟

هكذا والله تكون البصائر. أفاد ذلك في الشافي [٥٤٩/١]^(١).

الثاني: الهادي العباسي موسى بن محمد بن أبي جعفر المنصور

(ت ١٧٠هـ)

اسمه موسى بن محمد بن أبي جعفر المنصور، بويع له بالخلافة يوم مات أبوه بموجب عهد تقدم به أبوه، وتوفي ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ، وكان جباراً عنيداً، فظاً غليظاً، غيوراً حسوداً، قَلَّ من يسلم لسطوته من جلسائه إلا من عرف غرضه وتوخى أمره.

أخبار الإمام الحسين بن علي الفخي (ت ١٦٩هـ)

ومن قتل في أيامه من أهل البيت: الإمام الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢).

قتلته جيوش موسى الهادي بـ(فَخٍّ)، وكان قواد هذه الجيوش الظالمه على ما ذكره أبو الفرج في مقاتل الطالبين [٣٦٤]: العباس بن محمد، وموسى بن عيسى، وجعفر ومحمد ابنا سليمان، ومبارك التركي، ومنارة، والحسن الحاجب، والحسين بن يقطين.

وقد كانت هذه المعركة في يوم التروية في وقت صلاة الصبح، وقُتِل مع الحسين

(١) مقاتل الطالبين (٣٥٢ - ٣٥٣).

(٢) انظر كتاب (أخبار فخر ويحيى بن عبد الله) لأحمد بن سهل الرازي، وذكر الوقعة أبو الفرج في مقاتل الطالبين (٣٦٤ وما بعدها) والطبري في تاريخه (٨/ ١٩٢-١٩٧) وابن الأثير في الكامل (٥/ ٣٦٠-٣٦٣) وخليفة بن الخياط في تاريخه (٤٤٥) والمسعودي في مروج الذهب (٣/ ٣٢٦) وسبط بن الجوزي في (مرآة الزمان في تواريخ الأعيان) (١٢/ ٣٨١).

الْفَخِّي في هذه المعركة سليمان^(١) بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، والحسن^(٢) بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعبد الله^(٣) بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم جميعاً.

وفي هذه المعركة حُزَّت رؤوس القتلى، وجيء بها إلى موسى الهادي في العراق، وجيء إليه بالأسرى، فأمر بضرب أعناقهم، ثم صلب نفر منهم، وكانت رؤوس القتلى التي حُزَّت مائة وثيِّفاً فيها رؤوس الحسين الفَخِّي وسليمان بن عبد الله.

(١) سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث الشاعر بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وهي التي كلمت أبا جعفر لما حج، وقالت: يا أمير المؤمنين أيتامك بنو عبد الله بن الحسن فقراء لا شيء لهم، فردَّ عليهم ما قبضه من أموالهم. اهـ من مقاتل الطالبين (٣٦٥) وأخبار فخر ويحيى بن عبد الله (ص ١٤٤، ٢٩٨) والمتنظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٢١٣/٧) والروض المعطار في خبر الأقطار (ص ٤٣٧).

(٢) الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه أم سلمة بنت محمد بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ضُربت عنقه صبراً بعد وقعة فخر. اهـ المقاتل (٣٦٥) وأخبار فخر ويحيى بن عبد الله (ص ٢٩٧) الكامل في التاريخ (٢٦٢/٥) والعقد الثمين في أخبار البلد الأمين لتقي الدين الحسيني الفاسي (٤١٠/٣) والروض المعطار في خبر الأقطار (ص ٤٣٧).

(٣) عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمه رقية بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وهو الذي يقال له الجدي، قتل في الوقعة. اهـ من المقاتل (٣٦٥) وذكر ذلك الزبير بن بكار في جمهرة نسب قريش وأخبارها (ص ٥٠٦) وأحمد بن سهل الرازي في (أخبار فخر) (ص ٣٠١) وأبو الفداء في (المختصر في أخبار البشر) (١١/٢) وابن الوردي في كتابه المعروف بـ (تاريخ ابن الوردي) (١/١٩٤).

ومما رثي به الحسين بن علي قول عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب كما في مقاتل الطالبين [٣٨٤]:

فلأبكين على الحسي — من بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي — وأرؤه ليس بذي كفن
تركوا بفخّ غدوة — في غير منزلة الوطن
كانوا كراماً فانقضوا — لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة عنهم — غسل الثياب من الدرن
هَدَي العباد بجدهم — فلهم على الناس المنن

ابن عاتكة هو سليمان بن عبد الله بن الحسن أخو النفس الزكية عليه السلام، كما في هامش التحف [١١٧] عن مولانا الناظم أيده الله تعالى.

روى في مقاتل الطالبين [٣٦٦] بسنده إلى زيد بن علي عليه السلام قال: انتهى رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى موضع فتح فصلي بأصحابه صلاة الجنّاة ثم قال: ((يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، ينزل لهم بكفان وحنوط من الجنة))^(١).

وروى أيضاً [٣٦٦] بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: مرّ النبي صلّى الله عليه وآله بد(فخ)، فنزل فصلي ركعتين، فلما صلى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلما رأى الناس النبي صلّى الله عليه وآله يبكي بكوا، فلما انصرف قال: ((ما يبكيكم؟)) قالوا: لما رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله. قال: ((نزل عليّ جبريل لما صليت الركعة الأولى، فقال: يا محمد؛

(١) روى مثله أبو العباس الحسني في المصاييح (٤٦٤) والشافي (ط ٢ - ج ١ / ٥٦٠) وفي الحقائق ط ٢ (١ / ٣٤٩) وهو في البدر المنير (١٩١).

إن رجلاً من ولدك يقتل في هذا المكان، وأجر الشهيد معه أجر شهيدين))^(١).
 وروى أيضاً [٣٦٦] بسنده عن جعفر بن محمد: أنه نزل في فح، فصلى، وقال:
 ((يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم إلى
 الجنة))^(٢).

وروى أيضاً [٣٦٧] عن عبد الله بن الحسن: أنه قال: ((يقتل في هذا الموضع [أي:
 فح] رجل من أهل بيتي يتعاونى عليه الحاج...)).

وفي الشافي [٥٦٢/١]: لما حضرت محمد بن سليمان الوفاة [وكان أحد قواد الجيش
 الذي قتل الفخي] جعلوا يلقنونه الشهادة، فلم يفصح بها لسانه؛ إلا أنه يقول:
 ألا ليت أُمِّي لم تلدني ولم أكن شهدت حسيناً يوم فح ولا حسن
 فلم يزل يردد هذا البيت حتى مات.

وبعد، فإنه يكفي العاقل اللبيب من معرفة ضلال الأمة أن يراها تُناصر وتُشايع
 مثل هذا الجبار العنيد، وأن يكون لها إماماً، وتكون له أتباعاً وأشياء، وقد قال
 تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾
 الآية [المجادلة: ٢٢].

ومن هنا ومما سبق وما يلحق يتبين للناظر صحة قول شيخنا الناظم عليه السلام فيما
 سبق: «وَتَوَسَّعَتْ لِأُمَّةِ الْكُفْرِ»، وحقاً فإنهم بريئون من الإسلام - أعني الأئمة

(١) رواه في الشافي (ط ٢ - ج ١ / ٥٦٠) والحدائق الوردية ط ٢ (١ / ٣٤٩) وهو في مرآة العقول
 (١٥٦ / ٤).

(٢) رواه أحمد بن سهل الرازي في كتابه (أخبار فح) (ص ٢٧٩) ورواه في الشافي (ط ٢ -
 ج ١ / ٥٦٠) والحدائق الوردية ط ٢ (١ / ٣٤٩).

الذين عناهم الناظم عليه السلام - وأولهم معاوية، ثم إلى آخر خلفاء الدولتين، فإن سمات الكُفر عَلَيَّهِمْ ظاهرة ؛ بل إنهم قد أحاطوا بالكفر من جميع جوانبه، وأخذوا بجميع أكنافه، وتجاوزوا بأفعالهم وجرائمهم الفراعنة والقيصرية والأكاسرة، ولم يدعوا باباً من أبواب الكُفر والضلال إلا دخلوه، وما كان نطقهم بالشهادتين إلا كنطق المنافقين أو أسوأ اعتباراً منه.

هذا، ولم تكن الخلافة إِبَّان الدولتين إلا عبارة عن مجَمَّع حافل بجميع أنواع الكفر والفسوق والطغيان، والإثم والعدوان، في عصائب وكتائب من أرجاس البشر، تحت شعار الخلافة وإمرة المؤمنين.

هذا، ولا يحتاج في إثبات ما ذكرنا إلى إقامة الدلائل والبراهين ؛ بل يكفي القارئ أن يقرأ كتب التاريخ التي كتبها المؤرخون، وسيجد صحة ما ذكرنا. وذلك أن معاوية إمام المتسلطين، وأفعاله بين الملأ الإسلامي متواترة، وسيرته مشهورة، وأحداثه على الألسن مذكورة، وكذا ابنه يزيد المشؤوم، وكذلك مروان اللعين الطريد، وكذلك سائر خلفاء بني أمية، ثم خلفاء بني العباس.

الثالث: الرشيد (الغوي) هارون بن محمد بن عبد الله (ت ١٩٣هـ)

واسمه هارون بن محمد بن عبد الله ، ويسمى بالرشيد، وهو من الغاوين عند الله وعند الصالحين.

ببيع له بالخلافة يوم مات أخوه موسى، وتوفي ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٣هـ.

وهارون هو الذي رتب طبقات المغنين واختار الأصوات، وكان يجزل العطاء في جوائز للمغنين والندماء، فراج الغناء في عهده وتطوّر، وأقبل الناس على تعلمه

حتى نساء بني العباس ورجالهم، فمن نسائهم عُلَيَّة بنت المهدي أخت الرشيد، يُضرب بها المثل في جودة الغناء، ومن رجالهم إبراهيم بن شكلة شيخ المغنين، على أنه قد ولي الخلافة مدة.

قال أبو فراس:

منهم عُلَيَّة أم منكم وهل لهم
شيخ المغنين إبراهيم أم لكم
إبراهيم^(١) هو ابن المهدي، وهو أخو الرشيد، وعُلَيَّة كذلك أخته^(٢).

(١) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور الدوانيقي العباسي (١٦٢-٢٢٤هـ) أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة، الأمير، أخو هارون الرشيد. في ترجمته طول، وفي أخباره كثرة. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبإيعاه كثير من ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلماً، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوماً (٢٠٢ - ٢٠٤ هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام، وظفر به المأمون سنة ٢١٠ هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة.... إلى قوله: حاذقاً بصناعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها (شكلة) نسبته إليها خصومه. مات في سر من رأى. وصلى عليه المعتصم. اهـ بلفظه من الأعلام (٥٩/١).

(٢) عُلَيَّة بنت المهدي بن المنصور الدوانيقي، من بني العباس: أخت هارون الغوي، أستاذة اللهو والمجون، مولدها (١٦٠ هـ) ووفاتها ببغداد (٢١٠ هـ) كما في الأعلام للزركلي (٣٥/٥) وفيه: كان أخوها إبراهيم ابن المَهْدِي يأخذ الغناء عنها. وكان في جبهتها اتساع يشين وجهها؛ فاتخذت عصاية مكللة بالجواهر، لتستر جبينها، وهي أول من اتخذها. ونقل في الأعلام عن الصولي اشتغالها باللهو في أيام عادتيا.

وفي الوافي بالوفيات (٢٢٩/٢٢) في سياق ترجمتها: ولها ديوان شعر معروف بين الأدباء، عاشت خمسين سنة، وتوفيت سنة عشر ومائتين، وكان سبب وفاتها أن المأمون سلم عليها فضمها إليه وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى فشرقت من ذلك ثم همت، وماتت لأيام يسيرة، وكانت =

الإمام يحيى بن عبد الله عليه السلام (ت ١٧٥هـ)

ممن قتله هارون: الإمام يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام بعد الإخافة له وملاحقته والبحث عنه، وبعد حبسه في أضيق البيوت وأظلمها، وكان يجلد في سجنه بأمر الرشيد، وبمرأى منه، فيناشده يحيى بن عبد الله بالله وبالرحم وبالقربة من رسول الله ﷺ وبقرابته منه، فيقول هارون: ما بيني وبينك قرابة. وكان الرشيد يدخل عليه السجن، فيأمر بضربه مائة عصى، فيناشده يحيى عليه السلام مثل تلك المناشدة. وهكذا.

حتى إذا كانت آخر مرة عاد الرشيد إلى يحيى في السجن وقال: عليّ به. قالوا: هو عليل مدنف.

وقد كان الرشيد في كل مرة يدخل على يحيى يأمر السجّانين بتقليل الطعام على يحيى، حتى صار المقرر له في الليلة نصف رغيف ورطلين ماء. فخرج الرشيد من عنده في هذه المرة، فلم يلبث يحيى عليه السلام أن مات. وقيل: إن الرشيد بنى عليه اسطوانة وهو حي. وقيل: إن الرشيد أمر بخنقه في محبسه.

تتغزل في خادمين، اسم الواحد رشاً والآخر طل فمن قولها في طل الخادم:

أيا سرحة البستانِ طال تشمسي	فهل لي إلى ظلّ إليك سبيل
متى يشتفي من ليس يرجى خروجه	وليس لمن يهوى إليه دخول

فبلغ الرشيد ذلك؛ فحلف أنها لا تذكره، ثم تسمع عليها يوماً فوجدها وهي تدرس آخر سورة البقرة، حتى بلغت قوله تعالى ﴿فَإِنْ لَمْ يُصْبِهْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ﴾ فلم تلفظ به وقالت فإن لم يصبها وابل فما نهانا عنه أمير المؤمنين، فدخل الرشيد وقبل رأسها، وقال لها: لقد وهبت لك طلاً ولا منعتك بعد هذا عما تريد مني، ذكر ذلك الصولي. اهـ

وقيل: إنه سقاه سُماً.

وقيل: إنه أجاج السباع ثم ألقاه إليها فأكلته.

وقال حفيده: قتل جدِّي بالجوع والعطش في الحبس^(١).

أفاد هذه المعلومات عن يحيى بن عبد الله أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبين [٤٠٣-٤٠٤].

وكل هذا حصل من هارون بعد الأمان والعهد والأيمان المشددة أن لا يتعرض ليحيى عليه السلام، كما ذلك مشهور في أغلب كتب التاريخ التي لم يُتهم أصحابها لانحرافهم عن أهل البيت عليهم السلام، ولولا خشية الإطالة لوثقنا جميع ذلك بما يضطر الخصم إلى الاعتراف به والسلوك في طريق الصادقين من أهل البيت المطهرين.

(١) قال في مروج الذهب (٣/ ٣٤٢): قد روي من وجه آخر - على حسب تباين النسخ وطرق الرواية في ذلك في كتب الأنساب والتواريخ - أن يحيى أُلقي في بركة فيها سباع قد جوعت، فأمسكت عن أكله، ولاذت بناحية، وهابت الدنو إليه، فبني عليه ركن بالجص والحجر وهو حي.

وانظر عن أخبار يحيى بن عبد الله، وأمان هارون له، ثم سعي الزيري به عند هارون وما كان بينهما من المحاورة، ثم يمين الزيري، وذكر أن الله ضربه بالفالج عند خروجه من المجلس فوراً فمات: تاريخ الطبري (٤/ ٦٢٨، وما بعدها) وذكر فيه كيف كان موت يحيى عليه السلام فقال: طلب الأمان من الفضل، فأمنه وحمله إلى الرشيد، فحبسه فلم يزل محبوساً حتى مات. وقيل إن الموكل به منعه من الطعام أياماً، فمات جوعاً. وخبرني رجل من موالي بني هاشم قال: كنت محبوساً في الدار التي فيها يحيى بن عبد الله، فكنت إلى جانب البيت الذي هو فيه، فربما كلمني من خلف حائط قصير، فقال لي يوماً: إني قد منعت الطعام والشراب منذ تسعة أيام، فلما كان اليوم العاشر دخل الخادم الموكل به، ففتش البيت، ثم نزع عنه ثيابه، ثم حل سراويله، فإذا بأنبوبة قصب شدها في باطن فخذه، فيها سمن بقر كان يلحس منه الشيء بعد الشيء يقيم برمقه، فلما أخذها لم يزل يفحص برجله حتى مات. اهـ وذكر هذا في تاريخ اليعقوبي (٢/ ٣٤٥).

الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن عليه السلام (ت ١٧٢هـ)

ومن قتل هارون الغوي: إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام، قتله هارون بالشّم في المغرب، فقال شاعرٌ من أولياء بني العباس في ذلك^(١):

أتظن يا إدريس أنك فائتٌ كيد الخليفة أويقيك فراؤ
فليدركنك أو تحل ببلدةٍ لا يهتدي فيها إليك نهار
إن السيوف إذا انتضاها سُخْطُهُ طالت وتقصردونها الأعمار
ملك كأن الموت يتبع أمره حتى يقال تطيعه الأقدار

ومن قتل هارون الغوي: عبد الله بن الحسن بن علي المثنى بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو الذي يقال له: ابن الأفطس.

وعلى حسب ما رواه صاحب مقاتل الطالبين [٤١٠] فإن الحسين الفخّي أوصى إلى عبد الله بن الحسن الأفطس إن حدث به حدث فالأمر إليه.

وروى صاحب مقاتل الطالبين [٤١٠] أيضاً بسنده، قال: كان الرشيد مغرئ بالمسألة عن أمر آل أبي طالب، وعمن له ذكر ونباهة منهم، فذكر له عبد الله بن الحسن، فوجّه إليه الرشيد من ساعته، فأخذ عبد الله، وجيء به إلى الرشيد وحبسه عند جعفر بن يحيى البرمكي، فلما كان يوم النيروز ضرب جعفر البرمكي عنقه، وغسل رأسه وجعله في منديل وأهداه إلى الرشيد مع هدايا.

(١) كذا في مقاتل الطالبين (٤٠٨) وذكر الأبيات في تاريخ الطبري (١٩٩/٨) قال عن الشاعر: أظنه الهنازي، وفي أنساب الأشراف (١٣٧/٣) وذكرها في (أخبار فخر ويحيى بن عبد الله) (ص ٣٢٥) وشرح مقامات الحريري (٢/٢٢٣) والحلة السراء ونسبها إلى أشجع السلمي من شعراء الرشيد (١/١٠٠)، والمقفى للمقريزي (٢/١٠) يذكرون أن الأبيات لأشجع السلمي في هارون الرشيد بعد موت إدريس بن عبد الله حيث بعث له من يغتاله إلى إفريقية.

وأخذ الرشيد أيضاً محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام،
فحبس وقيد وأمر بثقله والزيادة في حديده، فقال محمد بن يحيى: قل لصاحبك:
إني من القوم الذين تزيدهم قسواً وصبراً شدة الحدثان
فلم يزل في الحبس حتى مات.

ومن ضحايا هارون الغوي: الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن
جعفر بن أبي طالب، سُجن في المدينة المنورة، وضرب بالسياط ضرباً مبرحاً، فمات
من ذلك الضرب.

ومن ضحاياه أيضاً: العباس بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن
أبي طالب عليه السلام، أمر به هارون فأُذني إليه، فضربه بعود من حديد حتى مات^(١).
ومن ضحاياه: موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب عليه السلام، مات في سجن الرشيد، وكان يقعد الفراشون النصاري على وجهه^(٢).

(١) ذكره أبو الفرج في مقاتل الطالبين (٤١٢ - ٤١٣) وذكره ابن الجوزي في كتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) (٧/ ٢١٤).

(٢) هو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين السبط
عليهم السلام، (١٢٨ هـ - ١٨٣ هـ) قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين (٤١٣): حدثني أحمد
بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا يحيى بن الحسن قال: كان موسى بن جعفر إذا بلغه عن الرجل
ما يكره بعث إليه بصره دنانير، وكانت صراره ما بين الثلاثمائة إلى المائتين دينار، فكانت صرار
موسى مثلاً.

حدثني أحمد بن سعيد، قال: حدثنا يحيى: أن رجلاً من آل عمر بن الخطاب كان يشتم علي بن أبي
طالب إذا رأى موسى بن جعفر، ويؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض مواليه وشيعته: دعنا نقتله،
فقال: لا، ثم مضى راكباً حتى قصده في مزرعة له فتواطأ بها بحماره، فصاح لا تدس زرعنا، فلم
يصغ إليه وأقبل حتى نزل عنده، فجلس معه وجعل يضاحكه، وقال له: كم غرمت علي

ومن ضحاياه على كثرتهم: إسحاق بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، حبسه هارون فمات في سجنه^(١).

قول الناظم عليه السلام: (..... وما *** قَصُرَتْ لِيَالِيهِ عَنِ السُّكْرِ) أراد به أن هارون كان مولعاً بشرب الخمر، فقد كان -كما في الشافي^(٢)- يشرب الخمر عشية الثلاثاء من كل أسبوع.

٤٣- وابن الرشيد محمد نَفِدَتْ أَيامُهُ سَكْرَانًا فِي الْبَحْرِ
(الأمين) محمد بن هارون (الغوي) بن محمد بن عبد الله (ت ١٩٨هـ)
هذا هو محمد الملقب بالأمين بن هارون الرشيد.

قال في الشافي [٦١٢/١]: بويع له لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقُتِل ليلة الأحد لخمس بقين من محرم سنة ثمان وتسعين ومائة، وكان قبيح السيرة، سفاكاً للدماء، ضعيف الرأي، قد غلب عليه اللعب واللهو

زرعك هذا؟ قال: مائة درهم. قال: فكم ترجو أن تربح؟ قال: لا أدري. قال: إنها سألتك كم ترجو. قال مائة أخرى. قال: فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبها له، فقام فقبل رأسه، فلما دخل المسجد بعد ذلك وثب العمري فسلم عليه وجعل يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته، فوثب أصحابه عليه وقالوا: ما هذا؟ فشاتمهم، وكان بعد ذلك كلما دخل موسى خرج يسلم عليه ويقوم له. فقال موسى لمن قال ذلك القول: أيما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت... اهـ.

حبسه هارون الغوي مدة (ما يقرب من أربع سنوات) حتى احتال في قتله بما لا يظهر فيه أثر القتل، (لفوه في بساط وجعل الفراشون النصاري يجلسون على وجهه) فلما مات أدخل عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد، فنظروا إليه لا أثر به، وشهدوا على ذلك، وأخرج فَوُضِع على الجسر ببغداد، فنودي هذا موسى بن جعفر قد مات، فانظروا إليه، فجعل الناس يتفرسون في وجهه وهو ميت. وذكر تفاصيل القصة بكاملها أبو الفرج في المقاتل (٤١٤-٤١٧).

(١) مقاتل الطالبين (٤١٨).

(٢) سبق ذكر هذا، وانظر الشافي (١٧٥/٢).

والجوارى والخصيان.

وقد حكى عنه رواية أخبارهم كمحمد بن جرير وغيره: أن الجنود لما نزلت من عقبة حلوان جاء إليه الخبر، فقال له: يا مولاي؛ هذا طاهر بن الحسين قد نزل من عقبة حلوان في الجيوش، فلم يلتفت إليه، فلما ألح عليه انتهره، وقال: كوثر قد صاد سمكتين، وأنا ما قد صدت شيئاً^(١).

ولما حُصر في بغداد، وضُويق إلى مدينة المهدي، وصارت المجانيق تقع في شق بساطه، وهو يختار الجوارى للغناء، فغنته جارية فأخطأت في غنائها في الضرب أو في لفظه فشتمها بالقذف، وقال: تغنيني الخطأ؟! فأخذوها، وكان آخر العهد بها^(٢). وشرح أخباره في هذا الباب يطول، وما أفاق من الخمر حتى الليلة التي قُتل فيها.

ونكث العهد فيما بينه وبين أخيه - وإن كان لأولهم وآخرهم كالصفة الواجبة - ولاشتغاله بما كان عليه من المعاصي، واشتغاله بحرب أخيه؛ لهذا لم يقتل أحداً من أهل البيت عليه السلام. ومما قيل فيه^(٣):

أضاع الخلافة غشّ الوزير وفسق الإمام وجهل المشير

(١) العبر في خبر من غبر (١/٢٤٧)، تاريخ الإسلام (١٣/٢٧)، شذرات الذهب (٢/٤٤٥)، فوات الوفيات (٤/٤٦).

(٢) التاج في أخلاق الملوك (٤١).

(٣) تاريخ الطبري (٨/٣٩٦)، تاريخ الخلفاء (٢١٩)، تاريخ الإسلام (١٣/٢٣)، مروج الذهب (٣/٣٩٧)، الكامل في التاريخ (٥/٤١٦)، امرأة الزمان (١٣/٢٣٦) سمط النجوم العوالي (٣/٤٢٨)، الوافي بالوفيات (٢٤/٣١) وذكر أن الشاعر يوسف بن محمد الحري شاعر طاهر بن الحسين، وذكر ذلك أيضاً في الوزراء والكتّاب (٣٣١).

وما ذاك إلا بفضل وبكر
لواط الخليفة أعجوبة
فهذا يدوس وهذا يداس
فلو يستعينان هذا بذاك
ولكن ذالـج في كوثر
فشنع فعلاهما منهما
وأعجب من ذا وذا أننا
ومن ليس يحسن مسح استه
وما ذاك لولا اختلاف الزمان
ولكنها فتن كالجبال
فانظر إلى حكاية حاله وما كان عليه، وما يُقال ذلك إلا من خواصهم
وأوليائهم، ومن يريد تغطية أفعالهم. انتهى من الشافي [١/٦١٣].

٤٤- وأخوه عبد الله قَاتِلُهُ وهو الخوؤون وصاحب المَكْرِ

(المأمون) عبد الله بن هارون (الغوي) (ت ٢١٨هـ)

هذا هو عبد الله الملقب بالمأمون ابن هارون الرشيد.

قال في الشافي [١/٦١٣]: ببيع له يوم الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، ومات بالنديدون^(١) من أرض الرُّوم لثمان خلون من رجب سنة

(١) هكذا في الشافي، ولعلها: البَدْدُونُ، قال ياقوت: بَدْدُون: بفتحين وسكون النون ودال مهملة وواو ساكنة ونون: قرية بينها وبين طرسوس يوم من بلاد الثغر، مات بها المأمون، فنقل إلى =

ثمانى عشرة ومائتين، وكان مؤثراً للذات على رأي سلفه، روى ذلك الطبري وغيره من أهل التواريخ، ورواه أهل السير^(١)؛ إلا أنه كان سديد الرأي كامل الحزم، ولما عرض على القاضي أحمد بن أبي دؤاد ويحيى بن أكتم الشراب فامتنعا، قال^(٢):

إن كنتما لا تشربان معي خوف المعاد شربتها وحدي
وقال في الخمر مازحاً، والكفر يقع في المزاح^(٣):

هذه الممنوع منها وأنا المحتج عنها
مالها تحرم في الدنـ يا وفي الجنة منها

ولما دخل عليه طاهر بن الحسين وهو يشرب سلّم، فرد المأمون عليه السلام،

طرسوس، ودفن بها، اهد معجم البلدان (١/ ٣٦١). وتقع الآن في الجنوب الأوسط من تركيا.
(١) انظر تاريخ الطبري (٨/ ٦٠٧) كتاب بغداد (١٤٠) الفرج بعد الشدة للتتوخي (٣/ ٣٤٧) ربيع الأبرار للزنجشيري (٢/ ٤٢١) من ذلك ما ذكره في كتاب الأغاني لأبي الفرج (١٠/ ٣٧٧): كان عبد الله بن موسى الهادي معربدا، وكان قد أحفظ المأمون مما يعربد عليه إذا شرب معه. فأمر بأن يجلس في منزله فلا يخرج منه؛ وأقعد على بابه حرسا. ثم تدمم من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه، ثم ناداه فعربد عليه أيضا وكلمه بكلام أحفظه. وكان عبد الله مغرما بالصّيد، فأمر المأمون خادما من خواصّ خدمه يقال له «حسين» فسمّه في درّاج وهو بمرسى أباد، فدعا عبد الله بالعشاء، فأتاه حسين بذلك الدّراج فأكله. فلما أحسّ بالسّم ركب في الليل وقال لأصحابه: هو آخر ما تروني. اهد وانظر أخبار المغنين في عهد المأمون في كتاب بغداد (١٧٢).

(٢) العقد الفريد (٧/ ١٩٢) إلا أنه لم يذكر أحمد بن دؤاد ويحيى بن أكتم وذكر غيرهما، وكتاب التشبيهات لابن أبي عون (٨٦) وأصل البيتين لأبي نواس. اهد وقد ذكر في مروج الذهب (٣/ ٤٣٤) للمأمون مع يحيى بن أكتم مواقف أشنع من هذا، وأنه رخص له في أمور كثيرة وما كان يحيى بن أكتم يرمى به..

(٣) البيتين لأبي نواس ولعل المأمون تمثل بهما. انظر ديوان أبي نواس (٨٩٠).

وقال: اسقوه رطلاً.

فأخذه في يده اليمنى، ثم قال: اجلس.

فخرج فشربه، ثم عاد وقد شرب المأمون رطلاً آخر، فقال: اسقوه الثاني.

ففعل كفعله الأول، ثم دخل فقال له المأمون: اجلس.

فقال: يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشُّرط أن يجلس بين يدي سيده.

فقال المأمون: ذلك في مجلس العامة؛ فأما في مجلس الخاصة فطُلِّق^(١).

فأين^(٢) هذا من ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم عليه السلام الذي قيل لمحمد بن منصور المرادي: إنك عاشرت القاسم بن إبراهيم مدة طويلة والناس يقولون: لم تستكثر من علمه؟

قال: أوتظنون أننا كلما أردنا كلامه كلّمناه، من كان يقدر على ذلك؟! وكنت إذا لقيته فكأنما أشرب حزناً، كل ذلك من ذكر الآخرة وخوف المعاد، وتأسفاً على هلاك الأمة، وضياح الدين، لغلبة أئمة الجور.

وروى أبو جرير علي بن صالح، قال: قال لي المأمون: أبغني رجلاً من أهل الشام له أدب يجالسني ويحدثني.

فالتمست ذلك فوجدته، فدعوته وقلت: إني مُدخلك على أمير المؤمنين، فلا

(١) تاريخ الطبري (٥٧٨/٨)، وتجارب الأمم وتعاقب الهمم (١٤٦/٤)، وكتاب بغداد لابن طيفور (٢٣)، وغيرها.

(٢) هذا من كلام الإمام إمام الكلام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في الشافي (٦١٤/١) عند غضبه على فقيه الخارقة في توليه لأئمة الضلال من بني العباس وعداوته لمعاصريهم من أئمة الهدى ومصابيح الدجى من أهل البيت النبوي الطاهر سلام الله عليهم.

تسأله عن شيء حتى يبتدبك فلأني أعرف الناس بمسألتكم يا أهل الشام.
فقال: ما كنت متجاوزاً ما أمرتني.

فدخلت على المأمون، فقلت: أصبت الرجل يا أمير المؤمنين.
فقال: أدخله.

فدخل فسلم، ثم استدناه، وكان المأمون على شغله من الشراب، فقال له: إني
أريدك لمجالستي ومحادثتي.

فقال الشامي: يا أمير المؤمنين إن المجلس إذا كانت ثيابه دون ثياب جلسه دخله
لذلك غضاضة.

قال: فأمر المأمون أن يخلع عليه.

قال علي: فدخلني من ذلك ما الله به أعلم.

فلما خلع عليه ورفع إلى مجلسه، قال: يا أمير المؤمنين، إذا كان خاطري معلقاً
بعيالي لم تنتفع بمحادثتي.

قال: خمسون ألفاً تحمل لك إلى منزلك.

قال: يا أمير المؤمنين؛ وثالثة.

قال: وما هي؟

قال: قد دعوت بشيء يحول بين المرء وعقله، فإن كانت مني هنة فاغفرها.
قال: وذلك.

قال علي: فكأن الثالثة جلت عني ما كان بي^(١).

(١) القصة بتمامها في: تاريخ الطبري (٨/٦٥٦)، وتاريخ بغداد (١٥١).

ثم سرد الحكاية بما يطول به الشرح؛ وإنما أردنا تبيين اشتغاله بالشرب وإعطاء هذا المال الجليل المضحكين، وأهل الشرب والمعاصي، ولعل بإزاء دار خلافته من يتصور من الجوع فلا تساغ جوعته؛ لأننا روينا عن محمد بن إبراهيم عليه السلام قبل قيامه بالكوفة أنه خرج ظاهر الكوفة فرأى عجوزاً تتبع الطريق وتلقط من الرطبة ما سقط، وتلفه في كسائها.

فقال: يا أمة الله ما تريدن بهذا؟

قالت: إني امرأة أرملة، ولي بنات يتائم، ولا شيء لنا من المعيشة إلا هذا، ألفه كل يوم فأرده إليهن فيقتتنه.

قال: فبكى عليه السلام بكاءً شديداً، وقال: أنت والله وأمثالك تخرجني غداً، فأقاتل حتى أقتل^(١).

فهؤلاء أئمة الهدى بخلاف أئمة الردى.

وروي أن المأمون ركب بدمشق يريد جبل الثلج، فمرّ ببركة عظيمة من برك بني أمية، وعلى جانبها أربع سروات، وكان الماء يدخلها سحاً، ويخرج منها، فاستحسن الموضع، ودعا برطل، وذكر بني أمية فوضع منهم وتنقصهم، فأقبل علوية^(٢) على

(١) هداية الراغبين (١٥٢).

(٢) علوية المغمي علي بن عبد الله بن سيف هو علوية المغني صغدي مولى لبني أمية وكان ضارباً باليسار وأوتار عوده مقلوبة البم في موضع الزير وكانت له حكاية حسنة وإشارة لطيفة طيب الصوت كثير الرواية يطرب بالغناء ويلهي بالصوت ويضحك بحكاياته وكان ترب مخارق ورفيقه منذ أيام الرشيد مات في خلافة الواثق بعث إليه ابن ماسويه بدواء مسهل ليشر به ودواء ليطلى به فشرب الطلاء واطلى بالدواء المسهل فمات، وله غناء كثير يروى عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنه قال: ... ولو أخذت بالاعتصار على رجل واحد لما عدوت علوية؛ لأنه إن

العود فاندفع يُعْنِي:

أولئك قومي بعد عزٍّ ومنعة تفانوا فإلا أذرف العين أكمَد
فضرب المأمون الطعام برجله وقال لعلويّه: يا ابن الفاعلة!! لم يكن لك وقت
تذكر فيه مواليك إلا هذا الوقت^(١)؟

وذكرنا ذلك لأن القوم لم يكن فيهم تحاشٍ من الشرب على الطرقات وفي
الطرقات، ولا إحضار الندماء على اختلاف أجناسهم. انتهى من الشافي [١/٢١٦].
وفي السنة الأخيرة من سني المأمون أراد أن يغير بعض السنن الموروثة عن بني
أمية؛ فكتب إلى والي بغداد في امتحان الشهود والقضاة والمحدثين، فمن أقرّ بأن
القرآن مخلوق خلي سبيله، ومن أبى عليه أعلمه به.

وقد كان كتب المأمون رقعة يعرضها عليهم، فمن أقرّ بما فيها خلّى سبيله، ففعل
الوالي ما أمره به المأمون، فأحضر جميع المطلوبين وامتحانهم، فأقروا بما في الرقعة وأن
القرآن مخلوق، إلا أحمد بن حنبل وثلاثة معه فشُدُّوا في الحديد؛ فلما كان من الغد أقر
اثنان، وأبى أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فشُدّا في الحديد، ووجه بهما إلى المأمون.
وقد ثقلت وطأة المأمون على المذهب الأموي، وذلك بسبب إظهاره الميل إلى
أهل البيت فيما سوى الخلافة؛ غير أن ذلك المذهب الأموي العريق كان قد تمكن

=
حدثني ألهاني، وإن غناني شجاني، وإن رجعت إلى رأيي كفاني، وهو تلميذ إبراهيم، وأخبره في
كتاب الأغاني لأبي الفرج، وإبراهيم الرقيق في الأغاني، وكان الواثق يقول: غناء علوية مثل نقر
الطست يبقئ ساعة في السمع بعد سكوته. اهـ من الوافي بالوفيات (٢١/ ١٤٠).

(١) الأغاني لأبي الفرج (٤/ ٤٩٧)، مختصر تاريخ دمشق (١٨/ ١١٥)، نفح الطيب من غصن
الأندلس الرطيب (٣/ ١٣٢).

غاية التمكن، واستغلظ واستوى على سوقه، وتمددت عروقه، فلم يتمكن المأمون من اجتثائه واستئصال عروقه، مع أن المعتصم أخوا المأمون قد كان في خلافته يسعى إلى ذلك الهدف الذي يسعى إليه المأمون قبل، فلم يتم لهما ما طلبا، ولم يحصل ما أرادا؛ لما ذكرنا من تمكن ذلك المذهب.

ولسبب آخر هو أن من بعدهما من الخلفاء العباسيين انتصروا لمذهب بني أمية غاية الانتصار، وتكروا لما كان المأمون يسعى إلى نصرته.

وفي مروج الذهب [٢٢٧/٤]: وذكر محمد بن علي الخراساني وهو يصف للقاهر ملوك بني العباس عند ذكره للمأمون: وأظهر القول بالتوحيد، والوعد والوعيد، وجالس المتكلمين، وقرب إليه كثيراً من الجدليين المبرزين والمناظرين، كأبي الهذيل^(١)، وأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام^(٢)، وغيرهم.

(١) أبو الهذيل: محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول البغدادي أبو الهذيل المعتزلي، من الطبقة السادسة، كان يلقب بالعلاف لأن داره بالبصرة كانت في العلافين، الشيخ المشهور المتكلم، العدلي الجدلي، قال القاضي: ومناظراته مع المجوس والثنوية وغيرهم طويلة ممدودة وكان يقطع الخصم بأول كلام. ذكر أبو الحسين الحياط أنه ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة، وذكر المرتضى أنه مات أيام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين. انظر الجداول (خ)، والمنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل. اهـ. (من حاشية صفوة الاختيار).

(٢) أبو إسحاق النظام: إبراهيم بن سيار النظام البصري المعتزلي. قال الإمام المهدي في شرح الملل والنحل: قيل: إنه كان لا يكتب ولا يقرأ وقد حفظ التوراة والإنجيل والزبور مع تفسيرها. قال الجاحظ: ما رأيت أحداً أعلم في الفقه والكلام من النظام. وهو من الطبقة السادسة من المعتزلة. اهـ. وسمي نظاماً؛ لأنه كان ينظم الكلام، وقيل: كان ينظم الخرز، توفي سنة بضع وعشرين ومائتين. وهو من ألع الأعلام الذين يتكرر ذكرهم والاستشهاد بأرائهم في علم الكلام في مؤلفات المعتزلة. اهـ. (من حواشي الانتصار).

دين الرعية على دين الراعي

لو سار خلفاء بني العباس على ما سار عليه المأمون لما كان لمذهب بني أمية وجود؛ ألا ترى أن علماء العراق تخلوا عن مذهبهم وعدلوا إلى مذهب المأمون. والعراق هي الحضيرة العلمية الأولى في بلاد المسلمين، تحولت ما بين عشية وضحاها إلى دين خليفتها، واستبدلت التشبيه بالتنزيه، وعداوة أهل البيت بالحُب؛ لأن ذلك كان هو الظاهر للعامة، وإن كان المراد بتقمصه لهذا المذهب هو توطيد ملكه فقط^(١)، غير أن ذلك لم يستمر، ولم يساعده الحظ، وذلك أن الله سبحانه

(١) قال في تاريخ الخميس: وفي سنة إحدى عشرة ومائتين أظهر المأمون التشيع وأمر أن يقال خير الخلق بعد النبي ﷺ علي، وأمر بالدعاء أن برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير. اهـ (٢/٣٣٦).

وفي كتاب البدء والتاريخ (٦/١٠٩) قال بعد ذكر خلع الأمين للمأمون من ولاية العهد وبداية الحرب بين الأمين والمأمون وما جرى من انتفاض الدولة ومن خرج عنها، فقال: ثم تشوشت الدنيا فخرج ابن طباطبا العلوي بالكوفة وبيض ومعه أعرابي من بني شيبان يقال له أبو السرايا وغلبوا على الكوفة والسواد، ثم مات ابن طباطبا وهو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين، ونقش الخاتم والدرهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤] ... وخرج بالبصرة علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فغلب وبيض، وخرج بمكة ابن الأفطس الحسين بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فغلب وبيض [أي ليس البياض الذي هو شعار أهل البيت المحقين (الزيدية) بخلاف السواد الذي هو شعار العباسية والإمامية إلى اليوم] إلى أن قال: وخُلص الأمر للمأمون، وبعث المأمون إلى علي بن موسى بن جعفر، فأقدمه خراسان، وعقد له العهد من بعده، وسماه الرضا، وزوجه ابنته أم حبيبة بنت المأمون، وخَصَّر الثياب واللباس والرايات، وأمر بطرح السواد، فشق ذلك على بني هاشم، وغضب بنو العباس، وقالوا يخرج الأمر منا إلى أعدائنا، فخلعوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي، وسموه المبارك، وتوجه المأمون نحو

وتعالى يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فقد اقتضت حكمة الله - وهو العليم الحكيم - أن يكلف عباده ويختبرهم وبيتليهم بشرائعه وأحكامه، فمن أطاعه أثابه، ومن عصاه عاقبه وعذبه. ولا يستحق الثواب العظيم في جنات النعيم إلا من أطاعه بمحض اختياره لا دافع له إلى الطاعة إلا الإيمان بعظمة الله وجلاله، وعزته وكبريائه، والتصديق بوعد

العراق، فلما بلغ سرخس قتل الفضل بن سهل في الحماة غيلة، ومات علي بن موسى الرضا بطوس، ودفن عند قبر هارون، واختلفوا في سبب موته؛ فمن قائل أنه سُمِّ، وآخر أنه أكل عنباً فمات، وجاء المأمون حتى دخل بغداد وعليه الخضرة، فأمر بطرحها وأمر بإعادة السواد. اهـ (١١٠/٦، ١١١). وهذا يدل على أن تقريبه لعلي بن موسى الرضا كان سياسة من أجل كسب العامة ولئلا يثور عليه نائر أهل البيت؛ لذلك آل أمر الرضا إلى السم كما ذكره هنا، وقد ذكر في مقاتل الطالبين أن الرضا عليه السلام لم يرض بولاية العهد إلا تحت التهديد بالقتل، وهذا مما يدل أنها كانت سياسة من المأمون، لأن أهل البيت عليهم السلام كانوا قد دوخوا دولة العباسيين فعرف أنه لن يستطيع إسكاتهم بقوة السلاح، فعمد إلى السياسة وأرسل إليهم من المدينة، وأشخصهم إليه، وبايع لعلي بن موسى الرضا بولاية العهد، وضرب الدراهم باسمه، وأمر الخطباء بذكر اسمه في الخطب في جميع البلدان كما ذكره في مقاتل الطالبين، مما أدى إلى إخماد ثورات أهل البيت عليهم السلام بهذه الطريقة الذكية، وصار يقرب هذا ويزوج ذاك، ثم يدس إليهم السم ويقتلهم بهدوء وصمت، ولا يحتاج إلى جيوش، والعامة يظنون أنه موال لأهل البيت، فكان العامة يظهرهم الحب لأهل البيت، ولكنه بدأ يحرفهم عن مسار أهل البيت عليهم السلام، وهو من المؤسسين أو الداعمين لمبدأ الاثني عشر إماماً الذي انتهجته الرافضة الإمامية، حتى يتم له ما أراد من إخماد صوت الحق والمحقين من أهل بيت رسول الله ﷺ، والله أعلم، وانظر جواب الإمام عبد الله بن موسى بن عبد الله الكامل عليه السلام حين أراد أن يغريه بالتقريب في مقاتل الطالبين (٤٥٣-٤٦٠) والشافي (١/٦٨٨) والتحف (١٥٨)، منه قوله: فبأي شيء تعتذر فيما فعلته بأبي الحسن صلوات الله عليه - يعني الإمام علي بن موسى الرضا - بألعبن الذي أطعمته حتى قتله به.... الخ.

الله ووعيده، وثوابه وعقابه، ومن هنا قال الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ... الآية [البقرة].

فإذا اندفع المكلفون إلى فعل الطاعة بدافع أوامر السلطان وتهديده، ووعدته ووعيده، لم يتميز المطيع منهم والعاصي، ولا الخبيث من الطيب، وارتفع حينئذ معنى الاختيار والابتلاء والتكليف، وذلك أنه يستوي حينئذ المطيع والعاصي، في أن كلاً منهما مرغم على تنفيذ أوامر السلطان.

من ضحايا المأمون

(١) - محمد^(١) بن محمد بن زيد بن علي عليه السلام، وهو الخارج في أيام أبي السرايا بعد موت محمد بن إبراهيم.

(٢) - الحسن بن الحسين بن زيد بن علي^(٢)، قُتل يوم القنطرة في الحرب التي كانت بين المأمون وأبي السرايا.

(١) قال الإمام الحجة المجدد مجد الدين المؤيدي في التحف (١٥١-١٥٢) هو الإمام المؤيد بالله محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين السبط بن علي عليهم الصلاة والسلام. نهض إلى القيام بكتاب الله، وإحياء فرائض الله سنة تسع وتسعين ومائة، بعد وفاة الإمام محمد بن إبراهيم في الحال، وأنفذ فضلاء أهل البيت وأوليائهم إلى أقاصي الأرض، فخرج الإمام المرتضى لدين الله إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى اليمن،... إلى قوله في التحف: نعم، وأسر الإمام محمد بن محمد المأمون بعد وقعات عظام، وأحسن المأمون نُزُلَه، وقيل: إنه سمه بعد. توفي وهو في ثمانية عشر عاماً. اهـ. وانظر الشافي (١/ ٦٣٥-٦٣٧) قال في مقاتل الطالبين (٤٢٢) وأمه فاطمة بنت علي بن جعفر بن إسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. اهـ.

(٢) ذكره في نسب قریش لمصعب الزبيري (ص ٧٢) وفي المقاتل (٤٢٢) والشافي (١/ ٦٤٠).

(٣)- الحسن بن إسحاق بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(١)، قُتل في وقعة السُّوس مع أبي السرايا.

(٤)- علي بن عبد الله بن محمد^(٢) من أولاد جعفر بن أبي طالب، قُتل باليمن في أيام أبي السرايا.

(٥)- محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام^(٣)، أخذه المأمون مع جماعة من الطالبين فحبسوا في خراسان حتى مات محمد بن جعفر هناك في محبسه، وكان محمد بن جعفر قد خرج في مكة ودعا إلى نفسه، وقاتل عمال العباسيين وجنودهم، وتفرق عنه أنصاره بعد ذلك، ثم أُخذ وأُرسل إلى المأمون.

(٦)- عبد الله^(٤) بن جعفر بن إبراهيم بن جعفر بن الحسن بن الحسن، خرج

(١) المقاتل (٤٢٣).

(٢) المقاتل (٤٢٣).

(٣) قال في التحف (١٥٥): الإمام الصوام أبو علي محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين السبط عليهم السلام. دعا إلى الله بمكة المشرفة. قال في طبقات الزيدية: قال الذهبي سنة مائتين. انتهى. ونابذ الظالمين، وجاهد الفاسقين، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان يخرج إلى الصلاة في مكة المكرمة في ثلاثمائة من الزيدية عليهم ثياب الصوف، وأسر عليه السلام بعد وقعت كثيرة، ووجه إلى المأمون العباسي، فتلقاه بالإنصاف، ثم دس له السم. وتوفي: سنة نيف ومائتين، قبره بجرجان. أولاده: علي، والقاسم، والحسن، وأعقابهم متفرقون منهم: بمصر، وأصفهان، ونيسابور، وفارس، وقزوين، وشيراز، والري، وسمرقند، وبغداد، وخراسان، وغيرها، انتهى من التحف. وانظر المقاتل (٤٣٨)، وما بعدها) فقد فصل في أخباره وبيعته، وانظر أيضاً الشافي (١/٦٤٤).

(٤) المقاتل (٤٥٣) والشافي (١/٦٥٤).

أيام المأمون إلى فارس وقُتِلَ ثمَّ.

(٧) - علي^(١) بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي

(١) قال الإمام محمد الدين المؤيدي عليه السلام في التحف (١٥٥): الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي سيد العابدين بن الحسين السبط بن علي الرضي صلوات الله وسلامه عليهم، ولقب الإمام الرضا، وصف بالمصدر مبالغه كعدل، وليس برضي صفة على فعيل خلاف ما في القاموس.

قال الإمام الحسن بن بدر الدين في الأنوار:

أو كَعَلِيَّ ذِي الْمُنَاقِبِ الرِّضَا المدره الحُبْرُ بن موسى المرتضى

أولاده: محمد التقي، والحسن، وعلي، وحسين، وموسى.

بيعته: قال في الشافي: وكان المأمون وأولاده وأهل بيته وبنو هاشم أول من بايعه، ثم الناس على مراتبهم، والأمراء والقواد، وجميع الأجناد، وأعطى الناس المأمون عطاء واسعاً للبيعة، وضرب اسمه في السكة والطرز، وجعل له في الخطبة موضعاً، فكان إذا بلغه الخطيب، قال: اللهم صل على الإمام الرضا علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين سيد شباب أهل الجنة بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، ثم يقول:

سِتَّةَ آبَاءٍ هُمْ مَا هُمْ هُمْ خَيْرٌ مَنْ يَشْرِبُ صَوْبَ الْغَمَامِ

وكلام الإمام يشير إلى أن البيعة كانت بالإمامة، وكلام غيره أنها بولاية العهد.

قال عليه السلام: وكانت بيعة المأمون لعلي بن موسى الرضا لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، قال: وقلبوا السواد إلى الخضرة، ومن لبس السواد مُزَّق عليه في جميع الآفاق، وكذلك كسوة البيت الحرام.

إلى أن قال: ثم دَسَّ عليه السم، فقتله، ولم يختلف في قتله بالسم، ثم قال: كما قال أبو فراس بن حمدان:

بَاءُوا بِقَتْلِ الرِّضَا مِنْ بَعْدِ يَئِيسِهِ وَأَبْصَرُوا بَعْضَ يَوْمِ رُشْدِهِمْ وَعَمَّوْا

وأجمع على إمامته أهل البيت وغيرهم، قال الإمام المنصور بالله في الجزء الثاني من الشافي في سياق كلام: وعلى أنا قد أجمعنا نحن وبنو العباس على إمامة علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولم نختلف في ذلك نحن ولا هم، انتهى.

طالب عليه السلام، كان المأمون قد عقد له على العهد من بعده، ثم ندم، فدرس إليه بعد ذلك سُمّاً فمات منه.

وقد كان المأمون أمر بضرب الدراهم وطبع اسمه عليها، وأمر أن يُخطب له في كل بلد بولاية العهد، وكان يقول الخطيب في دعاء الخطبة: اللهم وأصلح ولي عهد المسلمين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام، ثم يقول:

ستة آباء هم ما هم هم خير من يشرب صوب الغمام
(٨) - محمد^(١) بن عبد الله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي

قال المنصور بالله عليه السلام: ولما مات أظهر جزعا عظيما، وقبره إلى جنب أبيه تودداً وإظهاراً للإنصاف، فَعَبِيَ قبر هارون حتى كأنه لم يكن هناك، ونسب المشهد إلى علي بن موسى الرضا، فلا يعرف أن هناك هارون إلا أهل المعرفة، وهكذا ينبغي أن يكون الحق والباطل، وإلا فالدولة العباسية إلى الآن، ومنشأ الدعوة العباسية خراسان، فصغر الله الباطل، وعظم الحق، انتهى.

وفاته عليه السلام: سنة ثلاث ومائتين وله من العمر خمس وخمسون سنة.

مشهده عليه السلام: بطوس، قال فيه جده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((سُتُقْتَلُ بضعة مني بخراسان، ما يزورها مكروبو إلا نفَسَ الله كربته، ولا مذنب إلا غفر الله ذنبه)) انتهى من التحف، وقال في الجداول الصغرى (خ) في ترجمته: وعن الدار قطني أن ابن حبان في كتابه قال: يهيم ويخطئ.

وقال ابن طاهر: يأتي عن آباءه بعجائب. فانظر إلى كلام هؤلاء في هذا الإمام الذي هو نسيج وحده، ووحيده عصره علماً وفضلاً وكمالاً، حتى قال أحمد في سند الحديث القدسي: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته، فكيف حالهم مع الشيعة والأتباع، اهـ. وللمزيد انظر المقاتل (٤٥٣)، وما بعدها) وترجم له في تاريخ بغداد (١٣٤/١٩) ووفيات الأعيان (٢٦٩/٣) والوفاء بالوفيات (١٥٤/٢٢).

(١) المقاتل (٤٦١).

طالب عليه السلام، ويكنى أبا جعفر، وهو ابن الأفتس الذي ذكرنا خبر قتل أبيه في أيام الرشيد، سقاه المأمون شرباً مسموماً فمات في ساعته.

أخبار الإمام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل عليه السلام (ت ١٩٩هـ)

هذا، وفي أيام المأمون قام بأمر الخلافة ودعوة الأمة إلى الله الإمام محمد ^(١) بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن عليه السلام، وناصره في دعوته أبو السرايا السري ^(٢) بن منصور أحد بني ذهل بن شيبان، وكان علوي الرأي ذا مذهب في التشيع.

وكان هو القيم بتدبير الحروب وتدبير الجيوش أيام الإمام محمد بن إبراهيم وأيام الإمام محمد بن محمد بن زيد، حتى قُتل في تلك الفترة من العباسيين مائتا ألف قتيل، وأخيراً تحاذل أهل الكوفة فخرج أبو السرايا عنهم هو وجماعة العلويين ونفروا من الزيدية، فتعرضت لهم جيوش العباسيين في خروجهم هذا، وقتل منهم جماعة من العلويين ومن الزيدية، وأخذ أبو السرايا بالأمان والعهد هو و محمد بن محمد

(١) قال في الجداول: الإمام الأعظم أبو عبد الله الكوفي دعا إلى الله وبايعه العلماء، منهم يحيى بن آدم ومخول بن إبراهيم والفضل بن دكين وأبو نعيم، ولم يزل مجاهداً حتى مات شهيداً بالكوفة، وكان شجاعاً عالماً زاهداً، ويكفيه أن أخاه القاسم كان داعياً له، توفي صلى الله عليه وآله سنة تسعة وتسعين ومائة في غرة رجب منها. اهـ.

(٢) قال الإمام الحجة المجدد مجد الدين المؤيدي عليه السلام في هامش التحف شرح الزلف (١٤٧): أحد الأمراء العصامين، ثائر شجاع، أثنى عليه أئمة أهل البيت وأولياؤهم كما في المصاييح والشافي والحدائق ومقاتل الطالبين، ولا يُسمع فيه وفي أمثاله القدح من المنحرفين، انتهى. وانظر المزيد عن أخباره وحروبه ووقعاته مع العباسيين واستشهاده الشافي (١/ ٦٢٥-٦٤٣) ومقاتل الطالبين (٤٢٤-٤٣٨) والوافي بالوفيات (ج ١٥ / ٨٤).

وجماعة؛ غير أن العباسيين كعادتهم لا يفون بعهدهم فقتلوه وغلّامه أبا الشوك^(١)، وقتلوا محمّداً بالسّم بعد أربعين يوماً من قدومه بالأمان.

٤٥- وَأَخُوهُمَا سَمَوُهُ مُعْتَصِمًا مُتَقَمِّصَ الْجِلْبَابِ بِالقَهْرِ

(المعتصم) محمد بن هارون - الغوي - (ت ٢٢٧هـ)

هذا هو المعتصم محمد بن هارون الرشيد، بويح له بالخلافة يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من رجب سنة ٢١٨هـ، ويكنى أبا إسحاق، وأمه أم ولد يقال لها مارد، وقد جاءت بشيطان مارد، ومات يوم الخميس لثماني عشرة مضت من ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ وكان فيه نهضة وقوة وشجاعة وحزم، وهو في اللهو على منهاج من سبقه من أهله، وكان متجبراً مقدماً على سفك الدماء^(٢).

كان يأمر مماليكه بالنظر إليه، فمن نظر إليه فقد جعل له عملاً لا يتعداه، فنظر إلى بعضهم في حالة اشتغاله بشيابه فلم يفهم، فقام إليه فوجه فقتله.

وكان أُمياً لا يقرأ ولا يكتب، مشغولاً في كثير من أوقاته باللذات وإيثار الشهوات، وكان إذا غضب لم يبال من قتل، ولا ما فعل.

وفي عهد المعتصم خرج داعياً إلى الله الإمام محمد^(٣) بن القاسم بن علي بن

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٥٣٥) تاريخ خليفة (١/ ٤٧٠) نهاية الأرب (٢٢/ ١٩٥) وغيرها.

(٢) انظر عن أخباره: تاريخ الطبري (٨/ ٦٦٧)، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (٢/ ٥٧٥)، التنبيه والإشراف (١/ ٣٠٦)، البدء والتاريخ (٦/ ١١٤)، تجارب الأمم (٤/ ١٧٥)، وغيرها.

(٣) قال الإمام مجد الدين عليه السلام في التحف (١٥٧): هو الإمام أبو جعفر محمد بن القاسم بن علي بن عمر الأشرف بن علي سيد العابدين بن الحسين السبط بن علي الوصي صلوات الله عليهم وسلامه... قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليهما السلام: إنه دعا بخراسان =

عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ويقال له الصوفي، والطالقاني أيضاً، فأخذه عبد الله بن طاهر، وبعث به إلى المعتصم بعد وقعة كانت بينه وبينه، وانهزم عنه أصحابه، فأخذ أسيراً وسُجن عند المعتصم في سجن ضيق، فلبث في السجن مدة، ثم هرب من السجن في يوم الفطر عند اشتغال السجناء بالعيد والتهاني. وتوارى أيام المعتصم وأيام الواثق، ثم أُخذ في أيام المتوكل فحبسه حتى مات في محبسه، ويقال: إنه دُسَّ إليه سُمٌّ فمات.

وفي عهده أُخذ عبد الله بن الحسين من أولاد جعفر بن أبي طالب، فحبس في (سر من رأى) حتى مات، وذلك لأنه امتنع من لبس السواد^(١).

وفي الكامل [٧٦/٦]: وهو ثامن الخلفاء، والثامن من ولد العباس، ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر.

وفي تاريخ الطبري (١١٨/٩) في ذكر علته التي مات منها: عن محمد بن أحمد بن رشيد عن زنام الزامر، قال: وجد المعتصم في علته التي توفي فيها إفاقة، فقال: هيئوا

=
فاجتمعت إليه الزيدية، وأهل الفضل من المذاهب، وانطوى ديوانه على أربعين ألف مقاتل.... وقال: كان يلبس ثياب الصوف الأبيض، وكان من العلم والفقه والدين والزهد وحسن المذهب في الغاية. وذكر من صفته: أنه ربعة من الرجال، أسمر، قد أثر السجود في وجهه. قال: وهو القائل بالعدل والتوحيد، والداعي إليه، وهو قدوة في الزيدية، انتهى. عمره ثلاث وخمسون سنة، وفي مقاتل الطالبين ما معناه: أن خروجه من سجن المعتصم سنة تسع وعشرين ومائتين، انتهى. وعقبه بطبرستان. اهـ من التحف. قال في مقاتل الطالبين (٤٦٥): أمه صفية بنت موسى بن عمر بن علي بن الحسين. ويكنى أبا جعفر... وساق في قصته إلى أن ذكر قصة حبسه وإرساله إلى الري ثم كيف أدخل إلى (سر من رأى) ثم قصة سجنه ونجاته. اهـ.

(١) مقاتل الطالبين (٤٧٣).

لي الزلال لأركب، فركب وركبت معه، فمر في دجلة بإزاء منازلها، فقال: يا زنام،
ازمري:

يا منزلاً لم تبلى أطلاله حاشاً لأطلالك أن تُبلى
لم أبك أطلالك لكنني بكيت عيشي فيك إذ ولي
والعيش أولى ما بكاه الفتى لا بد للمحزون أن يسلى
قال: فما زلت أزمّر هذا الصوت حتى دعا برطلية، فشرب منها قدحاً وجعلت
أزمّره وأكرره، وقد تناول منديلاً بين يديه، فما زال يبيكي ويمسح دموعه فيه
ويبتحب، حتى رجع إلى منزله، ولم يستم شرب الرطلية.

وذكر عن علي بن الجعدانة، قال: لما احتضر المعتصم جعل يقول: «ذهبت الحيل
ليست حيلة» حتى أُصمّت.

وذكر عن غيره أنه جعل يقول: «إني أُخِذْتُ من بين هذا الخلق». وذكّر عنه أنه قال: «لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت». فلما
مات دفن بسامراء. اهـ من الطبري^(١).

الغناء في العصر العباسي

كان للغناء في العصر العباسي الأول أثر كبير، فقد اشتغلوا به حتى كأنه نعيمهم
من الدنيا الذي لا يؤثرون سواه.

وقد كانت بغداد هي عاصمة الغناء، وقد جذب إليها المغنون والمغنيات من كل
فجّ، ونثرت الأموال عليهم نثراً، بل كملت كيلاً، وأول من كالأها من الخلفاء

(١) وانظر: الكامل (٦/٧٦).

العباسيين المهدي ثم الهادي، وخلفها الرشيد، وبعد ذلك الأمين، وكأنه لم يخلق إلا للغناء، ويقال: إنه اشترى مغنية بعشرين ألف ألف درهم. ثم جاء المأمون فامتنع عن سماع الغناء أربع سنوات، ثم أقبل عليه^(١)، وهكذا المعتصم، وكان الواثق أشد كلفاً بالغناء؛ لإحسانه الضرب على الآلة.

ولقد بلغ من رقي هذا الفن وارتفاع شأنه في النفوس أن أقبل على تعلمه أبناء الخلفاء وكبار الدولة وغيرهم من عليّة القوم.

ومن هنا فقد كانت بغداد نادياً حافلاً للغناء واللهو، مما يجعل الناس يذهبون إليها شعراء وغير شعراء؛ للسماع ورؤية الجمال من كل شكل وعلى كل لون. ولقد يُحِيل إلى الإنسان في هذا العصر أنه لم يبق في بغداد ولا في الكوفة ولا في البصرة رجل إلاّ عمل على أن يقتني قينة أو قياناً للغناء والرقص.

المجون في العصر العباسي

ورث المجتمع العباسي كل ما كان في المجتمع الساساني من لهو ومجون، فقد مضوا على عبّ الخمر عبّاً واحتسائها، وقد ساعد على ذلك فتوى كثير من فقهاء العراق على تحليل أنواع من الخمر، كنبذ التمر والزبيب المطبوخ أدنى طبخ، ونبذ

(١) قال في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني، فكان أول من تغنّى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد، ثم واطب على السماع متستراً متشبّهاً في أول أمره بالرشيد، فأقام كذلك أربع حجج، ثم ظهر إلى الندماء والمغنين. اهـ (٥/٢٥٠)، وهو بلفظه في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي (١/٤٠٢) والتذكرة الحمدونية (٩/٤٣) ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (٢/٦٠١) وانظر التاج في أخلاق الملوك (٤١). ومن أراد معرفة أخبارهم في الغناء والخمر واللهو فليطالع كتب الأدب، سيجد منها العجائب والغرائب.

العسل، والبُرِّ، والتَّيْنِ، فشرب الخُلفاء وشربها الناس، وأمعنوا حتى تجاوزوا الفتوى إلى شرب الأنواع المحرَّمة.

ومنذ العصر الأول العباسي فقد اقترن شرب الخمر بالغناء والرقص، ومما لا ريب فيه أن إدمان الخمر دفع بالرُّعاة والرَّعيَّة إلى المجون والعبث والإباحية، وكان المجتمع زاخراً بزنادقة وملاحدة وبأناس من ديانات شتى مجوسية وغير مجوسية، فمضوا يطلقون لأنفسهم العنان في ارتكاب الآثام متحررين من كل قانون للخلق أو العُرف أو الدين.

هذا، وقد تحولت كثرة المغنيات إلى أسباب فتنة وإغراء وريبة ومجون وعبث، مع ما هُنَّ عليه من الحذق في الحيل التي يجتلبن بها قلوب الرِّجال، مداعبات لهم بالتبسم، وغامزات بطرف العين، وناشطات معهم بالسُّكر، حتى قال الجاحظ في وصفهن [رسائل الجاحظ الكلامية (٨٣)]:

فلو لم يكن لإبليس شَرَكٌ يقتل به، ولا عَلمٌ يدعو إليه، ولا فتنةٌ يستهوي بها إلا القيان لكفاه. اهـ

لذلك فقد انتشر الفساد والفُجْر الفاجر، وابتذلت الجوارى ابتذالاً فاحشاً من غير استخفاء ولا حياء. وشاع في هذا العصر العباسي من المجون آفة أخرى غير آفة الزنا المكشوفة، وهي آفة التعلق بالغلَّمان، ظهر ذلك في تلك المجتمعات ظهوراً فاحشاً، ونُظِّمَت فيه أشعار الغزل من غير خجل ولا حياء.

وقد يكون من أسباب ظهور هذا الخلق المقيت كثرة الغلَّمان والخصيان في بغداد وسائر المدن العراقية، وكان منهم من تسقط رجولته فيلبس لبس النساء، وكان من

الجواري من يلبس لبس الغلمان لفتاً لأنظار الرجال^(١).

ويروى أن (الأمين) قدم الخصيان؛ فشاعت قاله السوء فيه، ويروى أن أمه أرسلت إليه درءاً لتلك القالة بعشرات من الجواري ألْبستهن لبس الرجال. ولم يلبث الناس أن جاروه في هذا الصنيع، وكنَّ يُسمَّينَ بالْغَلَامِيَّاتِ^(٢).

ومن تنمة هذا التبادل بين الجواري والخصيان في الزِّي والهيئة أن كثر المُخْتَنُونَ بين المغنين والراقصين والعازفين، فكانوا يتشبهون بالنساء في عاداتهن وثيابهن،

(١) انظر عن هذا وما قبله وما بعده من ذكر المغنيات وتهتكهن، وما كان في هذا العصر من المجون المنقطع النظير: رسائل الجاحظ الكلامية (٨٣)، كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ومن ذلك قوله: اجتمع أبو نواس وأبو الشَّمَمَقْمَق في بيت ابن أذين، وكان بين أبي العتاهية وبين أبي الشَّمَمَقْمَق شَرٌّ، فخبَّأه من أبي العتاهية في بيت. ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث، فظنَّ أنه جارية، فقال لابن أذين: متى استطرفت هذه الجارية؟ فقال: قريباً يا أبا إسحاق. اهـ (٣١٨/٤).

وقد ذكر الجاحظ في رسالته المسماة مفاخرة الجواري والغلمان (١٦٢) الكثير مما يستشف منه طابع هذا العصر، وانظر أيضاً: اللطائف والظرائف (١٨٣)، وقد ذكر فيه يحيى بن أكثم قاضي قضاة المأمون ووسمه هو وغيره من المؤرخين بأشياء فاضحة في المجون حتى قيل فيه كما في كتاب ثمار القلوب (ص ١٥٨):

وَكُنَّا نَرْجِي أَنْ نَرَى الْعُدْلَ ظَاهِراً فَأَعْقَبْنَا بَعْدَ الرَّجَاءِ قَنُوطَ
مَتَى تَصْلَحَ الدُّنْيَا وَيُصْلَحَ أَهْلُهَا وَقَاضِي قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ يَلُوطَ

انتهى منه.

(٢) السلوك لمعرفة الملوك (١١٨) وقد اشتهر حال الأمين ورمي بكثرة اللعب، واقتناء السودان والخصيان، وإعطاءه الأموال والجواهر، وأمره بإحضار الملاهي والمغنيين من سائر البلاد، وانظر في ذلك: تاريخ الطبري (٨/ ٣٦٥-٤٧٨-٥٠٨)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٤١-٢٤٢)، تاريخ الخلفاء (٢٢١-٢٢٢)، الكامل لابن الأثير (٥/ ٤٥٦)، مروج الذهب (٤/ ٢٢٦)،

وظفر شعورهن، وصبغ أظافرهن بالحناء. وقد ظهر بين أحوال هذا الفسوق والخمر والزنا ألوانٌ من الإلحاد والزندقة والابتعاد تماماً عن أخلاق الإسلام وشرائعه، حتى عمَّ ذلك الخاصة والعامة، والشعراء والكُتّاب؛ لذلك ظهرت كتابات كثيرة عن آداب المنادمة والنديم، وكثر في عصر العباسيين أشعار الغزل في الجواري والغلمان، وكثيراً ما يُنظم ذلك أثناء الشُّكر وشرب الخمر.

وعلى الجملة فقد بلغ الفساد في هذه الأعصار إلى الغاية التي ليس بعدها غاية حتى امتلأت العراق بدور اللهو وحاناته في المدن والقرى، وعلى طول الطرق جنوباً إلى البصرة والكوفة، وشمالاً إلى الموصل، يجد النازل في تلك الدُّور والحانات ألوان الخمر، وأصناف الجواري اللاتي لا يعرفن حشمة؛ وإنما يعرفن اللهو والابتذال للرجال، وإجادة الغناء والرقص والعزف^(١).

- ٤٦- والوَائِقُ الْمَشْهُورُ بُعِثَتْهُ مِنْ نَعَمَاتِ الْعُودِ فِي الْعَشْرِ
٤٧- لَكِنَّهَا طَابَتْ شَمَائِلُهُ وَتَهَلَّلَتْ لَلَّالٍ بِالْبِشْرِ
٤٨- وَالْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ مَذْهَبُهُمْ وَكَذَا صَحِيحُ الْقَوْلِ فِي الذِّكْرِ
٤٩- وَالْحَقُّ مُتَضَّحُ السَّبِيلِ وَقَدْ تَاهَتْ عُقُولٌ فِي هَوَى الْفِكْرِ

(الوائق) هارون بن محمد بن هارون (ت ٢٣٢هـ):

هو الواثق بالله هارون بن المعتصم، بويع له في اليوم الذي توفي فيه أبوه، وذلك يوم الخميس لثماني عشرة مضت من ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـ، وكان يكنى

(١) انظر عن هذا كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ومن ذلك أخبار من غنى من الخلفاء وأولادهم في الجزء العاشر (١٧٢)، وما بعدها، وكتب الشعر والأدب في العصرين الأموي والعباسي تعج بهذه المفاصد، وإن كانت قد تطورت في عهد العباسيين تطوراً فاضحاً.

أبا جعفر، وأُمُّه أم ولد رومية تسمى قراطيس.

وفي الشافي [١/٦٧٤]: وكان في أيامه من أهل البيت عليه السلام محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله عليه السلام، الخارج بتأهّرت السفلى، الغالب عليها وذريته إلى سنة تسعين ومائتين، وكان فاضلاً ورعاً عالماً كاملاً عادلاً، يقسم بالسوية، ويفرق بالرعية، متواضعاً يركب الحمار، ويطوف في الأسواق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحضر جنازات الأشراف.

وكان الواثق أمثل القوم طريقة، ولا سيما في السيرة والاعتقاد ومعاملة العترة عليه السلام، فإنه حمل من قدر عليه منهم إلى (سر من رأى)، وأدرّ عليهم الأرزاق الواسعة، وسكن جانبهم باللطف بهم، وأحسن السيرة في الرعية وأظهر شيئاً من العدل، وحسن القول في باب الاعتقاد، والتشدد على أهل الجبر والقدر والإرجاء، وكان في باب اللهو والشرب واللعب على منهاج من سبقه من أهل بيته، وله الألحان المعروفة في الغناء بالوثاقية، وهي العشرة المختارة من المائة التي كان المسمى بالرشيد اختارها، ولم يقتل في أيامه من أهل البيت عليه السلام إلا ما رواه محمد بن علي بن حمزة: أن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قتل بالرّي في الواقعة التي كانت بين محمد بن ميكال و محمد بن جعفر^(١).

ولم يزل الحال جميلاً، وكثير من أهل البيت عليه السلام في حال الأُنس في (سر من رأى) في غاية الجلالة حتى أيام المسمى المتوكل، وسنذكرها ببعض التفصيل. وكان للواثق - مع الذي ذكرنا من تحليه بالصلاح - في الإقدام على المصادرات

(١) مقاتل الطالبين (٤٧٦).

والتعذيب أمر عظيم، وكان يضرب ألف سوط ونحوها، ويقتل في العذاب، فدفع أحمد بن إسرائيل ثمانين ألف دينار وضربه نحواً من ألف سوط، وأخذ من سليمان بن وهب أربعمائة ألف دينار، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألفاً، ومن أحمد بن الخصيب وكتّابه مائة ألف دينار، ومن إبراهيم بن رباح وكتّابه مائة ألف دينار، ومن نجاح ستين ألف دينار، ومن أبي الوزير صلحاً مائة ألف وأربعين ألفاً؛ هذا سوى ما أخذ من العمال^(١).

وذكر مصنف أخبارهم أن السبب الباعث للوائق على مصادرة الكتّاب والعمال أنه قال ذات ليلة: لست أشتهي النبذ في هذه الليلة ولكن هلمّوا نتحدث. فنهض إلى القبة المنطقية، وكانت بيضاء كأنها بيضة إلا قدراً، في وسطها ساج منقوش مغشى باللازورد^(٢) والذهب، فسألهم عن السبب الذي بعث جدّه هارون على البرامكة، فأخبروه أن ذلك كان سبب طلب المال، وقصّوا له قصصاً لو ذكرناها لطال بها الكتاب^(٣).

ومات الواثق لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين. انتهى من الشافي(١/٦٧٦).

نعم، والواثق هو ثالث الخلفاء العباسيين الذين ثاروا على بعض السنن التقليدية الموروثة عن خلفاء بني أمية، والتي تمثلت في المذاهب الفكرية.

(١) انظر تاريخ الطبري (٩/١٢٥) وسير أعلام النبلاء (١٠/٣١٢).

(٢) قال في معجم اللغة العربية المعاصرة: ٤٥٠٦ - ل ا ز و ر د: اللازورد: معدن يُتخذ للحلي وأجوده الصّافي الشّفاف الأزرق الضّارب إلى حمرة وخضرة، وله منافع في الطّب "رصّعت خاتمها باللازورد. اهـ (٣/١٩٨٦).

(٣) تاريخ الطبري (٥/٢٧٥).

الأدلة على حدوث القرآن

ومن تلك المذاهب الفكرية التي دعا الواثق إلى تفنيدها: القول بقدم القرآن، فإنه دعا إلى إبطال هذا القول، وجنح إلى القول بحدوث القرآن.

هذا، والقول بحدوث القرآن هو المذهب الحق كما ذكره شيخنا عليه السلام، لقيام الأدلة العقلية والنقلية على ذلك.

أما دلالة العقل: فلا شك أن القرآن كلام مرتب كلمة بعد كلمة، وحرف بعد حرف، والكلمة المسبوقة بكلمة محدثة، وكذلك الحرف المسبوق بحرف، وهذا معروف بالبديهة.

فإن قيل: هذا الاستدلال ظاهر على من يقول: إن كلام الله تعالى هو هذا المسموع، أما من يقول: إن كلام الله تعالى معنى غير هذا المسموع، وهذا المسموع إنما هو ترجمة لذلك المعنى النفسي.

فنقول: المعنى النفسي لا يوصف بأنه كلام في لغة العرب؛ إلا على سبيل التوسع والمجاز، علم ذلك بالاستقراء والتتبع لكلام العرب فلم يبق النزاع إلا في هذا المسموع، وقد بينا بدلالة العقل حدوثه، وأيضاً قد أطلق الباري سبحانه على هذا المسموع أنه كلامه بلا قرينة صارفة، وذلك في قوله سبحانه: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ وأجمع جميع المسلمين على أن القرآن كلام الله، وفي السنة النبوية كثير من الأدلة الصحيحة على أن هذا المسموع كلام الله سبحانه وتعالى.

ومن أراد المزيد من المعرفة حول ذلك فعليه بكتب الكلام، كشرح الأساس، وشرح الثلاثين المسألة من كتب أئمتنا عليهم السلام، وغيرها.

وأما الدلالة النقلية: فقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، وهذه الآية تكفي في إثبات ما نقول به، وهناك

أدلة قرآنية غير هذه، توجد في كتب الكلام.

وهذا في حين أن القائلين بقدوم القرآن لم يأتوا على إثبات دعواهم بأي دليل.

وهذه المسألة التي ذكرها مولانا الناظم عليه السلام في نظمه هي إحدى المسائل التي دعا إليها الواثق، ومن قبله أبوه المعتصم، وعمه المأمون.

وهناك غيرها من المسائل حاولوا خلال ولايتهم إبطائها، كمسألة التشبيه والصفات، والجبر، والقدر، وغير ذلك.

وكان هؤلاء الملوك الثلاثة قد انحرفوا عن مذاهب بني أمية، وأعرضوا عنها، وأبعدوها، وتنكروا لها، وعذبوا أهلها وسجنوهم، حتى قيل: إنهم جلدوا أحمد بن حنبل ستمائة جلدة على القول بقدوم القرآن.

غير أن المتوكل بن المعتصم أخا الواثق لما استولى على الخلافة بعد أخيه - أظهر الميل إلى السنة، كما قال السيوطي في تاريخ الخلفاء [٢٥٢]، ونصر أهلها، واستقدم المحدثين إلى سامراء، وأكرمهم، وأمرهم أن يُحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية، حتى قال قائلهم - أي: قائل أهل الحديث^(١) - الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق في قتل أهل الردّة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة^(٢).

الاعتزال في عهد المأمون والمعتصم والواثق

نشأ الاعتزال ونمى وازدهر وكثر أتباعه وأعلامه في هذا العصر، فتحوّلت

(١) هو: إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة، أفاده الصفدي في «الوافي بالوفيات» (١٠١/١١).

(٢) انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لسبط ابن الجوزي (١١/١٨٠)، وتاريخ دمشق (٧٢/١٥٩)، وسير أعلام النبلاء (٩/٤٤٤)، الوافي بالوفيات للصفدي (١١/١٠١)، وتاريخ الخلفاء (ص ٢٥٢) وستأتي.

البصرة وبغداد إلى ساحتين كبيرتين للمناظرات والجدال في العقيدة، وفي الدفاع عن الدين الحنيف من التوحيد والعدل، والوعد والوعيد، وما يتبع ذلك من حقائق النبوة وغيرها.

وقد كان ذلك الجدال والدفاع شاملاً لأصحاب الملل المخالفة، والنحل المختلفة، وللمجبرة والمرجئة وغيرهما من فرق الإسلام، ونازلوا الدهريين^(١) نزالاً عنيفاً، وكذلك المانويين^(٢) الثنويين، وقد كانت مناظراتهم لا تتوقف يوماً.

(١) قال في مغاني الأخبار في شرح أسامي رجال معاني الآثار (٣/ ٤٠٦): الدهري: نسبة إلى الدهر: ومنه الدهرية، وهم فرقتان: فرقة لا تؤمن بالله لا تعرف إلا الدهر، الذي هو مر الزمان واختلاف الليل والنهار، الذين هما محل للحوادث وظرف لمساقط الأقدار، فتنسب المكاره إليه على أنها من فعله، ولا ترى أن لهما مدبراً ومصرفاً غيره، وهؤلاء الدهرية هم الذين حكى الله عز وجل عنهم فقال: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الحاقة: ٢٤]. وفرقة تعرف الخالق فتنتزه أن تنسب إليه المكاره فتضيفها إلى الدهر ويذمونه فيقول القائل منهم: يا خيبة القدر، يا بؤس الدهر، إلى ما أشبه هذا من قولهم، والمراد هنا الفرقة الأولى وهي التي تتحدث عنها كتب الملل والنحل، والله أعلم بحقيقة الثانية.

(٢) قال في الملل والنحل (٢/ ٤٩): المانوية: أصحاب ماني بن فاتك الحكيم، الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام. أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام. ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام.

حكى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق، وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم: أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين، أحدهما نور، والآخر ظلمة، وأنها أزليان لم يزالا، ولن يزالا، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم، وزعم أنهما لم يزالا قوين حساسين، داركين، سميعين بصيرين، وهما مع ذلك في النفس، والصورة والفعل، والتدبير متضادان. وفي الحيز متحاذيان، تحاذي الشخص والظل ... ثم اختلفت المانوية في المزاج وسببه، والخلاص وسببه. قال بعضهم: إن النور والظلام امتزجا بالخطب والاتفاق، لا =

وكان الناس يتجمعون حولهم في المساجد يسمعون ويتفرجون، وجذبوا إليهم الشباب، بحيث أن حلقاتهم كانت أكبر الحلقات وأوفرها سامعين. وسرعان ما كَوَّنوا لأنفسهم مذهباً ضخماً تميز بأصوله الخمسة المعروفة، حتى أصبح له السيطرة التامة على الحُكم في عهد المأمون والمعتصم والواثق، مما أدى إلى أن حمل هؤلاء الخلفاء على أصحاب المذاهب الأخرى للالتزام بأفكار المعتزلة. ونشبت الفتنة المعروفة، وامتحنوا على ذلك، وسيموا من أجل ذلك سوء العذاب، غير أنه سرعان ما دالت على المعتزلة الدولة حين مات الواثق وتولى المتوكل، فاستقدم المحدثين وانتصر لأهل السنة، فاندحر لذلك المعتزلة، ولم يستطيعوا بعد ذلك أن يستردوا سلطانهم.

ومع ذلك فقد استمر الاعتزال في نشاطه، وما زالت له حلقات في بغداد والبصرة، تخرَّج منها الكثير من علمائهم، مثل الجاحظ^(١) ومن عاصره أو تلاه، كالشَّحَام^(٢)، وجعفر^(٣) بن مبشر، وجعفر^(١) بن حرب، والخيَّاط^(٢)،

=
بالقصد والاختيار. اهـ.

(١) الجاحظ (١٦٣ - ٢٥٥ هـ = ٧٨٠ - ٨٦٩ م) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة. اهـ باختصار من الأعلام للزركلي (٥ / ٧٤).

(٢) الشَّحَام (٠٠٠ - نحو ٢٨٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٨٩٣ م) يوسف بن عبد الله، أبو يعقوب الشحام: مفسر معتزلي، من أهل البصرة. انتهت إليه رئاسة المعتزلة بها في أيامه. أخذ عن أبي الهذيل. وولي الخراج في أيام الواثق. ولما خرج صاحب الزنج بالبصرة، وعظه الشحام، فهمَّ بقتله، فيقال: قرَّ منه. وكان من أحذق الناس بالجدل. عاش ٨٠ سنة. وله كتاب في "تفسير القرآن". اهـ من الأعلام للزركلي (٨ / ٢٣٩).

(٣) جَعْفَر بن مُبَشَّر (٠٠٠ - ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ - ٠٠٠ م) جَعْفَر بن مُبَشَّر بن أحمد الثقفي: متكلم،

ثم أبي علي^(٣) وأبي هاشم^(٤).

- =
- من كبار المعتزلة، له آراء انفرد بها، وتصانيف، مولده ووفاته ببغداد. اهد من الأعلام (١٢٦/٢).
- (١) ابن حَرْب (١٧٧ - ٢٣٦ هـ = ٧٩٣ - ٨٥٠ م) جعفر بن حرب الهمداني: من أئمة المعتزلة. من أهل بغداد. أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف بالبصرة. وصنف كتباً، قال الخطيب البغدادي إنها معروفة عند المتكلمين، وكان له اختصاص بالوائق العباسي. قال المسعودي: وإلى أبيه يضاف شارع (باب حرب) في الجانب الغربي من مدينة السلام. اهد من الأعلام (١٢٣/٢).
- (٢) أبو الحسين الحَيَّاط (٠٠٠ - نحو ٣٠٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٩١٢ م) عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، أبو الحسين ابن الحياط: شيخ المعتزلة ببغداد. تنسب إليه فرقة منهم تدعى (الحياطية) ذكره الذهبي: في الطبقة السابعة عشرة، وقال: لا أعرف وفاته. وفي اللباب: هو أستاذ الكعبي (المتوفى سنة ٣١٩ هـ. له كتب، منها (الانتصار - ط) في الرد على ابن الراوندي، و(الاستدلال) و(نقض نعت الحكمة). اهد من الأعلام (٣٤٧/٣).
- (٣) أَبُو عَلِي الْجَبَّائِي (٢٣٥ - ٣٠٣ هـ = ٨٤٩ - ٩١٦ م) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي: من أئمة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة (الجبائية). له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبي (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة، ودفن بد (جبي). له (تفسير) حافل مطول، ردّ عليه الأشعري. اهد من الأعلام (٢٥٦/٦).
- (٤) أَبُو هَاشِمِ الْمُعْتَزِلِي (٢٤٧ - ٣٢١ هـ = ٨٦١ - ٩٣٣ م) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، من أبناء أبان مولى عثمان: عالم بالكلام، من كبار المعتزلة. له آراء انفرد بها. وتبعته فرقة سميت "البهشمية" نسبة إلى كنيته "أبي هاشم" وله مصنفات "الشامل - خ" في الفقه، و"تذكرة العالم" و"العدة" في أصول الفقه. اهد من الأعلام (٧/٤). وهو ابن أبي علي الجبائي الذي سبق ترجمته.

- ٥٠- هذا ولما مات واثقهم أبدي أخوه فضاضة الكبير
 ٥١- متوكل رجس سجيته بغض الرسول وآله الغر
 ٥٢- فأتيح منتصر فأوجره طعناً فخر معقر الثغر
 ٥٣- وأذاق والده الحمام بما أذى النبي ففاز بالفخر

(المتوكل) جعفر بن محمد بن هارون (ت ٢٤٧هـ):

اسمه جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، بويع له يوم مات أخوه الواثق لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ، وقتل ليلة الأربعاء ثلاث خلون من شوال سنة ٢٤٧هـ، وكانت أيامه أشد أيام مرت بآل رسول الله ﷺ من أيام بني العباس، كان شديد الوطأة على العترة الطاهرة، متهمناً بأمرهم، شديد الغيظ والحق عليهم، سعى الظن بهم والتهمة لهم، فبلغ في أمرهم ما لم يبلغه أحد ممن كان قبله من جبابرة آبائه.

وذلك أنه كَرَبَ قبر الحسين [أي: حرّثه] وعفا آثاره، ووضع على طرق الزوار المسالح، ولا يجدون أحداً يجيء لزيارته إلا جاؤوا به فقتله أو نهكه^(١) عقوبة.

وكان مما بالغ في عداوة أهل بيت رسول الله ﷺ أنه استعمل على مكة والمدينة - حرسهما الله تعالى - عمر بن الفرج الرجحي^(٢)، فمنع آل أبي طالب من التعرض للناس، ومنع الناس من برهم، والتقرب إلى الله بإعطائهم، وكان لا يبلغه أن أحداً برّ أحداً منهم بشيء إلا أنهكه عقوبة وأثقله غمماً، حتى كان القميص الواحد يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرفعه،

(١) من باب فهم، أي: بالغ في عقوبته. انتهى مختار صحاح.

(٢) في مقاتل الطالبين: الرجحي.

ويجلسن على مغازلهن، عواري حواسر^(١).

وهذا في حال أن المغنيات والراقصات والصَّنَاجات والعودات تُحمل إليهن أنواع الثياب الفاخرة على الإبل والبغال. انتهى من الشافي [٦٧٨/١].

قلت: فلذلك قال أنصار المذهب الأموي ما رواه السيوطي في تاريخ الخلفاء [٢٥٢]: الخلفاء ثلاثة: (أبو بكر الصديق في قتل أهل الرِّدَّة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة..).

وحقاً فلقد أحيا المتوكل سنة بني أمية التي هي قتل أهل البيت ومضايقتهم، والتشدد في عداوتهم، والقسوة في معاملتهم.

وقد كان أخوه الواثق أمات هذه السُّنة، فأحسن إلى أهل البيت ووسَّع عليهم، وأغدق عليهم العطاء، ووفَّر لهم الأمن والسلام، و.. إلخ.

فاستاء أتباع بني أمية لذلك، وضاحت عَلَيْهِمُ الأرض بما رَحَّبَتْ، فلما جاء المتوكل وأحيا السنة العتيقة استبشروا غاية الاستبشار، وبالغوا في الشناء عليه والتعظيم له، حتى قالوا: إنه ثالث الخلفاء المجددين في تاريخ الإسلام.

وفي الكامل [١٧٥/٦]: ذُكِرَ أن أبا الشمط مروان بن أبي الجنوب قال: أنشدت المتوكل شعراً ذكرت فيه الرفضة، فعقد لي على البحرين واليامة [أي: ولأه عليهما] وخلع علي أربع خلع وخلع علي [ابنه] المنتصر، وأمر لي المتوكل بثلاثة آلاف دينار فثَبَّرَ عليَّ وأمر ابنه المنتصر وسعد الإيتاخي أن يلقطاهما لي ففعلا، والشعر الذي قلته:

(١) مقاتل الطالبين (٤٧٩).

مُلْكُ الْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا سَلَامَةٌ
لَكُمْ تَرَاثُ مُحَمَّدٍ وَبِعَذْلِكُمْ تُشْفَى الظَّلَامَةُ
يَرْجُو التَّرَاثُ بَنُو الْبَنَاءِ ت^(١) وَمَا لَهُمْ فِيهَا قَلَامَةٌ
وَالصَّهْرُ^(٢) لَيْسَ بِوَارِثٍ وَالْبَنَاتُ لَا تَرِثُ الْإِمَامَةَ
مَا لِلَّذِينَ تَنَحَّلُوا مِيرَاثَكُمْ إِلَّا الْأَنْدَامَةُ
أَخَذَ الْوَرَاثَةَ أَهْلُهَا فَعَلَامَ لَوْمُكُمْ عِلَامَةٌ؟!
أَوْ كَانَ حَقُّكُمْ لِمَا قَامَتْ عَلَى النَّاسِ الْقِيَامَةُ
لَيْسَ التَّرَاثُ لغيركم لَا وَالْإِلَهِ وَلَا كِرَامَةُ
أَصْبَحَتْ بَيْنَ مُحَبِّكُمْ وَالْمُبْغِضِينَ لَكُمْ عِلَامَةٌ

ثم نثر عليّ بعد ذلك لشعر قلّته في هذا المعنى عشرة آلاف درهم. انتهى.

وفيه أيضاً [١٣٠/٦]: وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال.

وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث، وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدة، ويكشف رأسه وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنّون يغنون: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين. يحكي بذلك علياً عليه السلام، والمتوكل يشرب ويضحك؛ فقال له ابنه المنتصر: يا أمير المؤمنين، إن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس، هو ابن عمك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخرك، فكل أنت لحمه

(١) بنو البنات: أي أبناء فاطمة من ذرية الحسين عليه السلام.

(٢) أي علي بن أبي طالب عليه السلام.

إذا شئت، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه؛ فقال المتوكل للمغنين: غنوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمّه رأس الفتى في جر أمّه

فكان هذا من الأسباب التي استحلب بها المنتصر قتل المتوكل.

وفيه أيضاً [١٣٠/٦]: وقيل: إن المتوكل كان يبغض من تقدمه من الخلفاء، المأمون، والمعتصم، والواثق في محبة علي وأهل بيته؛ وإنما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض لعلي عليه السلام، فكانوا يخوفونه من العلويين، ويشيرون إليه بإبعادهم والإعراض عنهم، والإساءة إليهم. انتهى.

[القائمون من العترة أيام المتوكل وضحاياه]

ولشدة عداوة المتوكل لآل أبي طالب فقد تفرقوا في البلدان خوفاً منه، وخرج عليه منهم لذلك: محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان من فتيان آل أبي طالب، وفتاكهم وشجعانهم، وظرفائهم وشعرائهم، أخذ بعد خروجه غيلة فحبس بـ (سر من رأى) سنين، ثم أطلق ومات بها، ومن شعره في الحبس قوله^(١):

طرب الفؤاد وعادوت أحزانه وتشعبت شعباً به أشجائه
وبداله من بعد ما اندمل الهوى برق تألق موهناً لمعائه

(١) ذكره وذكر خروجه وموته وهذا الشعر في مقاتل الطالبيين (٤٨٠-٤٨١) وترجم له في «فوات الوفيات» (٣/٣٩٢) فقال: محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب؛ حمله المتوكل من البادية سنة أربعين ومائتين في من طلبه من آل أبي طالب، فحبس ثلاث سنين ثم أطلق، فأقام بسامراء، ثم عاد إلى الحجاز. وكان راوية أديباً شاعراً، وهو القائل في الحبس من أبيات: ... ثم ذكر الأبيات، اهـ. (وانظر التحف ١٥٩).

يبدو كحاشية الرداء ودوئه صعب الذرى مُتمنّع أركائه
 فدنا لينظر أين لاح فلم يطق نظراً إليه وردّه سَجَانُهُ
 فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سَحَّتْ به أجفائه
 ثم استعاذ من القبيح وردّه نحو العزاء عن الصبا إيقائه
 وبداله أن الذي قد ناله ما كان قَدَره له دِيَانُهُ
 حتى استقر ضميره وكأنما هتك العلائق عامل وسنائهُ
 يا قلب لا يذهب بحلمك باخل بالنيل باذل تافه منائهُ
 يعدّ القضاء وليس يُنجز موعداً ويكون قبل قضائه ليأنهُ
 إلى قوله:

والبؤس فإن لا يدوم كما مضى عصر النعيم وزال عنك أوائه
 وله شعر جميل، ذكر شيء منه في مقاتل الطالبين [٤٨١، وما بعدها].

وخرج بـ(الرّي) محمد بن جعفر بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، داعياً إلى الحسن بن زيد، فأخذه عبد الله بن طاهر، فحبسه بـ(نيسابور)، فلم يزل في حبسه حتى هلك^(١).

وكان قد خرج قبل ذلك الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل الحسني^(٢)،

(١) هذا وما بعده إلى ذكر خروج الكوكبي في مقاتل الطالبين ص (٤٩٠).

(٢) قال الإمام مجد الدين المؤيدي في التحف (١٦٣-١٦٤): الإمام الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن علي عليه السلام.

دعا في أيام المتوكل العباسي، وكان ظهوره سنة خمسين ومائتين على طبرستان، ونواحي الديلم، فأجرى فيهنّ أحكام الله، وكان بينه وبين الجنود العباسية وقعات كثيرة، انهزم عنه الناس في

وغلب على طبرستان ونواحي الديلم، وأظهر العدل وأحيا التوحيد والعدل.
 وخرج أحمد بن عيسى بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين في الرّي يدعو
 إلى الحسن بن زيد^(١).

وخرج الكوكبي الحسين بن أحمد، من ذرية الحسين بن علي^(٢).
 ومن ضحايا المتوكل: القاسم بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن
 علي عليه السلام، كان رجلاً فاضلاً، اعتل فوجه إليه السلطان بطبيب فجس يده، فحين
 وضع الطبيب يده على يده يبست من غير علة، وجعل وجعها يزيد عليه

=
 بعض حروبه، فوقف هو وأهل بيته في وجه عشرين ألف فارس.
 قال الإمام المنصور بالله عليه السلام: فصار بهم بسيفه حتى تراد الجيش إليه. انتهى.
 وحكى هذا الإمام أبو طالب عليه السلام.
 وعمر المشهدين المقدسين: مشهد أمير المؤمنين، والسبط الحسين بن علي عليه السلام، ومن روائع شعر
 الإمام الحسن ما كتبه إلى العباسية:

لا ظلمَ في ديننا ولا أئمره	بالسيف نعلو جماجم الكفرة
يا قومنا بيعتان واحدة	هاتا وهاتلك بيعة الشجرة
ردوا علينا تراث والدنا	خاتمته والقضيب والخبرة
وبيت ذي العرش سلّموه لنا	يليه منّا عصاة طهره
فطالما دُست مشاعره	وأظهرت فيه فسقة الفجرة

وفاته: سنة سبعين ومائتين، ولا بقية له عليه السلام. انتهى من التحف، وستأتي ترجمته مع ترجمة أخيه
 من كتب القوم فيمن قتل أيام المعتضد العباسي، وانظر تاريخ الطبري (٩/ ٢٧١).
 (١) ذكر القزويني في كتابه (التدوين في أخبار قزوين) (٢/ ٢١٣) أنه قدمها والياً عليها من قبل
 الحسن بن زيد.....

(٢) هو الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد الأرقط بن عبد الله بن علي زين العابدين
 بن الحسين السبط عليه السلام.

حتى قتلته^(١).

وتوارى في عهد المتوكل أحمد بن عيسى بن زيد بن علي عليه السلام، فمات في حال تواريه، ويكنى أبا عبد الله، وهو أحد علماء أهل البيت المذكورين^(٢).

وتوارى في عهده عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وقد كان متوارياً منذ عهد المأمون، ولم يزل متوارياً إلى أن مات في أيام المتوكل^(٣).

(١) مقاتل الطالبين (٤٩٢) وترجم له في الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢/٤٢٠) فقال: القاسم بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله. قدم سر من رأى فأقام بها إلى حين وفاته.... إلى قوله مسنداً: ما رأيت الطالبين انقادوا لأحد بالرئاسة انقيادهم للقاسم بن عبد الله، اهـ.

(٢) قال الإمام مجد الدين المؤيدي في التحف (١٤٥): الإمام أبو عبد الله أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين السبط عليه السلام، فقيه آل محمد، وله الأمل في المعرفة بعلم آل محمد، سماها الإمام المنصور بالله (بدائع الأنوار).

أولاده: محمد، وعلي. توفي وقد جاوز الثمانين، سنة سبع وأربعين ومائتين، وقد كان حبسه الرشيد، ثم تخلص من حبسه، وبقي في البصرة إلى أن توفي، اهـ، وقد روى أبو الفرج في المقاتل روايات عدة في حبسه وكيفية تخلصه من الحبس وتواريه (ص ٤٩٢-٤٩٨) وسيأتي له مزيد ذكر عند ذكر ولده محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد الذي حبس أيام المعتمد ومات في السجن.

(٣) قال الإمام مجد الدين المؤيدي في التحف (١٥٨): ومات في أيام هذا المتوكل العباسي متوارياً الإمام عبد الله بن الإمام موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام.

وكان وحيد عصره، ونسيج دهره، وهو أحد الأعيان من أهل البيت الذين اجتمعوا في دار محمد بن منصور المرادي، وبايعوا الإمام القاسم بن إبراهيم، وهم الثلاثة المذكورون، وأحمد بن عيسى بن زيد، والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد، وقد كان أراد المأمون بعد موت الإمام علي بن موسى الرضا أن يواصله، وألف رسالة طويلة إليه، وأجاب عليه الإمام عبد الله بن موسى بجواب، منه: فبأي شيء تعتذر فيما فعلته بأبي الحسن عليه السلام - يعني الإمام علي بن موسى الرضا - أبا العنب الذي أطعمته حتى قتلته به.... حتى قال: وأنت دخلت فيه ظاهراً، وطفقت =

ولما نُعي عبد الله بن موسى وأحمد بن عيسى للمتوكل اغتبط بوفاتها وسُرَّ، وكان يخافهما خوفاً شديداً، ويحذر حركتهما؛ لما يعلمه من فضلها، واستنصار الشيعة الزيدية بهما، وطاعتها لهما لو أرادوا الخروج عليه، فلما ماتا اطمأن وأمن، فما لبث بعدهما إلا أسبوعاً حتى قُتل^(١).

وفي أيام المتوكل مات نجم آل الرسول الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن عليه السلام في مواراته عن السلطان، وفي مواراته كان يدعو إلى الله ويطوف في البلدان، فلم تسعفه الأيام بتحقيق ما أراد من الجهاد والنهوض بأعباء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان للمتوكل بصيرة في ألوان عذاب العباد، ومن ذلك أنه كان له تنور ضيقة لا يتمكن المعذب من القعود فيها، وكانت فيها مسامير^(٢).

ومن ذلك منع المعذب من النوم، فكان يأمر بمساهرة المعذب فتمت أخذته عينه نُخس بالحديد^(٣).

وبذنيك العذايين عذب المتوكل عليّ بن محمد الزيات^(٤)، وكان من عمال العباسيين الكبار، وأحد رجال دولتهم، وسلك في المصادرة مسلك من تقدمه،

تنقض عراه عروة عروة، فأنت أشدّ على الإسلام ضرراً. اهـ. وذكر ذلك أبو الفرج في مقاتل الطالبين (٤٩٨) توفي سنة (٢٤٧هـ).

(١) مقاتل الطالبين (٥٠١) وكان قتل المتوكل على يد ولده المنتصر.

(٢) تاريخ دمشق (٦٦٨٠) (٥٤/١٤٢).

(٣) البداية والنهاية (٣٤٢/١٠).

(٤) هكذا في الشافي، وفي كتب التاريخ كتاريخ الطبري واليعقوبي والمتنظم والبداية والنهاية أن اسمه: محمد بن عبد الملك الزيات.

وتجاوز في التعذيب حد من سبقه.

وقتل إيتاخ^(١)، وهو الذي بلغ في نصرتهم الغاية في قتل النفوس وانتهاك المحرمات.

وعقد المتوكل عهد الخلافة لأولاده الثلاثة: محمد الملقب المنتصر قاتل أبيه بيد مناصريه وأعوانه، والوزير ولقبه المعتز بالله، وإبراهيم وسماه المؤيد بالله. ثم قسم بينهم الأرض فجعل لكل منهم نصيباً مفروضاً^(٢).

وسبب قتل المنتصر لأبيه أن المتوكل أكثر شرب الخمر في مجلس الشراب، وعنده المغنون والندماء، فعبث بابنه المنتصر، وأمر بعض الحاضرين بصفعه وإهانتة، وأكثر من شتمه وتهديده بالقتل، ثم قال المتوكل للحاضرين: اشهدوا أنني قد خلعت المنتصر، وفي هذه الليلة قتل المنتصر أباه على أيدي بعض أعوانه وغلمانة^(٣).

فساد الحكم العباسي

كان الوزراء يرتشون، ومثلهم الولاة على الأقاليم، وكذلك الكتّاب؛ بل إنهم جميعاً يختلسون أموال الدولة من الخراج والضرائب والمكوس.

لذلك فقد كان الخلفاء يصادرون أموال الكتّاب والوزراء والموظفين والقضاة، فيستخرجون بذلك منهم أموالاً طائلة، وكثيراً ما كانوا يعذبونهم بالضرب والسحب على الوجوه والرّسف^(٤) في القيود، وصب الزيت على رؤوسهم، أو

(١) البداية والنهاية (١٠ / ٣٤٤) وذكر أنه قتله بالعطش.

(٢) تاريخ الخلفاء (٢٥٥).

(٣) تاريخ الطبري (٩ / ٢٥٩)، تاريخ الخلفاء (٢٥٥).

(٤) قال في لسان العرب: رسف: الرّسفُ والرّسيْفُ والرّسفانُ: مَشْيُ المُقَيّد. رَسَفَ فِي الْقَيْدِ

النفط، وتعليقهم في الجدران بأيديهم وأرجلهم، حتى يستخرجوا منهم كل ما يريدون من أموال.

وكان يُصنَع بالتجار وأصحاب الجواهر والأموال العريضة نفس هذا الصنيع، فكانوا يدعون عليهم ودائع للسلطان يجب أن يردوها، وكانوا يتفنون في تعذيبهم لاستخراج الأموال، والويل كل الويل لمن يرث من أبيه ميراثاً كبيراً. فأصبحت الخلافة عبارة عن مجموعة لصوص ومختلسين وقُطَاع طُرق، ثم بُدِّدَت تلك الأموال من جديد عن طريق الولاة والوزراء والكُتَّاب، وهذا في حين أن الشعب يتمرغ في البؤس والفقر والشقاء والحرمان، وزاد الطين بلة غلبة النساء على الحكم والموالي والأتراك^(١).

يَرْسِفُ وَيَرْسِفُ رَسْفًا وَرَسِيفًا وَرَسْفَانًا: مَشَى مَشْيَ الْمَقِيدِ، وَقِيلَ: هُوَ الْمَشْيُ فِي الْقَيْدِ رُويْدًا، فَهُوَ رَاسِفٌ. اهـ (٩/١١٨).

(١) سيأتي ما يدل على ذلك، وانظر أخبار المتوكل وغلामه إيتاخ كنموذج في البداية والنهاية (٣٤٣/١٠)، ثم المنتصر فقد عزل أخويه عن الخلافة بإشارة الأتراك، ذكر ذلك في البداية والنهاية (٣٩٠/١٠)، وانظر في ذلك: تاريخ الطبري (٩/٢٥٦) قال فيه: ذكر أن المنتصر لما توفي، وذلك يوم السبت عند العصر لأربع خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، اجتمع الموالى إلى الهاروني يوم الأحد، وفيهم بغا الصغير وبغا الكبير أوتامش ومن معهم، فاستحلفوا قواد الأتراك والمغاربة والأشروسنية - وكان الذي يستحلفهم علي بن الحسين بن عبد الأعلى الإسكافي كاتب بغا الكبير - على أن يرضوا بمن يرضى به بغا الصغير وبغا الكبير أوتامش، وذلك بتدبير أحمد بن الخصيب، فحلف القوم وتشاوروا بينهم، وكرهوا أن يتولى الخلافة أحد من ولد المتوكل، لقتلهم أباهم، وخوفهم أن يغتالهم من يتولى الخلافة منهم، فأجمع أحمد بن الخصيب ومن حضر من الموالى على أحمد بن محمد بن المعتصم، فقالوا: لا نخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم، وقد كانوا قبله ذكروا جماعة من بني هاشم، فبايعوه وقت العشاء الآخرة من ليلة الاثنين، لَيْسَتْ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ السَّنَةِ، وهو ابن

(المنتصر) محمد بن المتوكل (ت ٢٤٨هـ):

واسمه محمد بن المتوكل، وقد تقدم ذكر النسب، ببيع له بعد قتل أبيه، وأقام في السلطان ستة أشهر ثم سمّه الطيفوري فمات^(١). وكان يناقض أباه في أعماله فلم يتعرض لأحد من أهل البيت في أيامه بمكرهه، ولا قُتِلَ منهم أحدٌ بسببه.

ثمان وعشرين سنة، ويكنى أبا العباس.

فاستكتب أحمد بن الخصيب، واستوزر أوتامش، فلما كان يوم الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر صار إلى دار العامة من طريق العمري بين البساتين، وقد ألبسوه الطويلة وزى الخلافة، وحمل إبراهيم بن إسحاق بين يديه الحربة قبل طلوع الشمس، ووافى واجن الأثروسي باب العامة من طريق الشارع على بيت المال، فصف أصحابه صفين. وهذا مشهور خاصة في آخر عصر الدولة العباسية في كل كتب التاريخ.

(١) ذكر موته في تاريخ الطبري (٢٥٢/٩) فمن ذلك ما حكاه عن بعض الرواة أن المنتصر لما أفضت الخلافة إليه؛ كان يذكر إذا سكر قتل أبيه المتوكل، ويقول في الأثر: هؤلاء قتلة الخلفاء، ويذكر من ذلك ما تخوفه، فجعلوا للخادم له ثلاثين ألف دينار على أن يحتال في سمه، وجعلوا لعلي بن طيفور جملة، وكان المنتصر يكثر أكل الكمثرى إذا قدمت إليه الفاكهة، فعمد ابن طيفور إلى كمثرية كبيرة نضيجة، فأدخل في رأسها خُلاله، ثم سقاها سُمًّا، فجعلها الخادم في أعلى الكمثرى الذي قدمه إليه، فلما نظر إليها المنتصر أمره أن يقشرها ويُطعمه إياها، فقشرها وقطعها، ثم أعطاه قطعة قطعة، حتى أتى عليها، فلما أكلها وجد فترة، فقال لابن طيفور: أجد حرارة، فقال: يا أمير المؤمنين؛ احتجم تبرأ من علة الدم، وقدّر أنه إذا خرج الدم قوي عليه السم، فحجم فحجم، وغلظت علة عليه، فتحوّف هو والأثر أن تطول علة، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الحجامه لم يكن فيها ما قدرنا في عافيتك، وتحتاج إلى الفصد، فإنه انجح لما تريد، فقال: افعل، ففصده بمُبضع مسموم، ودهش، فألقاه في مباحه - وكان أحدها وأجودها، ثم إنَّ علي بن طيفور وجد حرارة، فدعا تلميذاً له ليفصده، فنظر في المباح فلم يجد أحداً منه، ولا أخيراً، ففصده، فكانت منيته فيه، انتهى منه.

ومن وصيته لأحد عماله حين وجهه إلى المدينة: إني أوجهك إلى حمي ودمي،
ومدّ جلد ساعده وقال: إلى هذا وجهتك، فانظر كيف تكون للقوم، وكيف تعاملهم
-يعني آل أبي طالب-.. إلخ^(١).

وأمر برد فذك إلى أولاد الحسن والحسين عليهما السلام، وأطلق أوقاف العلويين جميعاً،
وأمر أن لا يتعرض أحد لشيعتهم بأذى أو مكروه^(٢).

هذا، ولما ولي المتنصر الخلافة ألحّ عليه الأتراك الذين قتلوا المتوكل بأمره أن
يخلع المعتز والمؤيد اللّذين كان أبوهما المتوكل قد عقد لهما بعهد الخلافة الواحد بعد
الآخر، وذلك خوفاً منهما أن ينتقما لأبيهما فخلعهما المتنصر.

وقد كان الأتراك في هذه الفترات وما تلاها هم المسيطرون على الأمر، يخلعون
من أحبوا، وينصبون من شاءوا.

فلما مات المتنصر نصّب الأتراك المستعين للخلافة، وأخرجوا الخلافة عن أولاد
المتوكل وردوها إلى بيت المعتصم.

(١) «تاريخ الطبري (٩/ ٢٥٤)، والكامل في التاريخ (٦/ ١٨٨).

(٢) بعضه في تاريخ الخلفاء (٢٦٠).

- ٥٤- والمُسْتَعِين تَلَاهُ مُعْتَزُّ والمُهْتَدِي فِي غَيِّهِمْ يَجْرِي
 ٥٥- وَأَنْصَبَ سَوَاطِئَ عَذَابٍ نَاجِمَنَا فَأَذَاقَهُمْ كَأْسًا مِنَ الْمُرِّ
 ٥٦- دَارَتْ بِهِمْ أَسْيَافُهُ مَائِتَا أَلْفٍ وَنِصْفِ النَّصْفِ لِلْقَفْرِ
 ٥٧- أَفْنَاهُمْ وَأَسْأَلَ مَلَاحِمَهُ تُنْبِئُكَ عَمَّا عُدَّ فِي السَّفْرِ
 فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ ثَلَاثَةٌ مِنْ بَغَاةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، أَوَّلُهُمْ:

(المستعين) أحمد بن محمد بن هارون (ت ٢٥٢هـ)

هو أبو العباس أحمد بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، بُويعَ لَهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ خُلُوفٍ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ٢٤٨هـ، وَهُوَ جَارٍ مَجْرًى مِنْ تَقْدِمِهِ فِي انْتِهَاكِ الْمَحْرَمَاتِ.

وَفِي أَيَّامِ الْمُسْتَعِينِ قَامَ الْإِمَامُ يَحْيَى بْنُ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ فَأُخِذَ وَحُبِسَ وَضُرِبَ، ثُمَّ أُطْلِقَ بَعْدَ حِينٍ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْكُوفَةِ زَمَنَ الْمُسْتَعِينِ وَدَعَا إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ وَحَسَنَ السِّيَرَةَ عَلَى طَرِيقِ الْأُئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ، وَكَانَ عَالِمًا عَابِدًا، كَرِيمًا، شَجَاعًا، مُكْتَمِلَ الْقُوَى، شَدِيدَ الْبَدَنِ، مُجْتَمِعَ الْقَلْبِ، وَقُتِلَ بِرَضْوَى اللَّهِ عَنْهُ بَعْدَ مَعَارِكٍ وَحُرُوبٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جُنُودِ الْمُسْتَعِينِ، وَرِثَاهُ الْكَثِيرُ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمَجِيدِينَ بِمَا لَمْ يُرِثْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ^(١).

(١) المقاتل (٥٠٦) ولكنه غلط في اسمه فقال: يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد.. إلخ. اهـ. قال في مروج الذهب (٤/ ٦٢، وما بعدها) وقد مدحه بمحبة الناس ما لفظه: لأنه استفتح أموره بالكف عن الدماء والتورع عن أخذ شيء من أموال الناس، وأظهر العدل والإنصاف، وقال بعد إيراده للورثة التالية: وكان يحيى ديناً كثير التعطف والمعروف على عوام الناس باراً بخواصهم، واصلاً لأهل بيته، مؤثراً لهم على نفسه، مثقل الظهر بالطالبيات، يجهد نفسه ببرهن

والتحنن عليهم، لم تظهر له زلة، ولا عرفت له خزيّة، ومما أورده من المراثي فيه قول أحمد بن طاهر من قصيدة طويلة:

سلام على الإسلام فهو مُودَعُ	إذا ما مضى آل النبي فودّعوا
فَقَدْنَا العَلا والمجد عند افتقادهم	وأضحت عروش المكرمات تَضَعُّعُ
أَتَجْمَعُ عَيْنُ بَيْنِ نوم ومضجع	ولابن رسول الله في الترب مضجع
فقد أَفْكَرْتُ دار النبي محمد	من الدين والإسلام، فالدار بَلَقُعُ
وَقُتِلَ آل المصطفى في خلاها	وَيُحَدِّ شَمَلِ منهم ليس يجمع
ألم تر آل المصطفى كيف تصطفي	نفوسَهُمْ أُم المنون فتبيع
بني طاهر، واللؤم منكم سجية	وللغدر منكم حاسر ومُقَنَّعُ
قواطعكم في الترك غير قواطع	ولكنها في آل أحمد تَقْطَعُ
لكم كُلُّ يوم مشرب من دمائهم	وعُلَّتْها من شربها ليس تَنْقَعُ
رماحكم للطالبيين شُرْعُ	وفيكُم رماحُ الترك بالقتل شُرْعُ
لَكُمْ مَرْتَعُ في دار آل محمد	ودارِكُمْ للترك والجيش مَرْتَعُ
أُخْلِصْتُم بأن الله يرعى حقوقكم	وَحَقُّ رسول الله فيكم مُضَيَّعُ؟
وأضحوا يُرْجُونَ الشفاعةَ عنده	وليس لمن يرميه بالوثرِ يَشْفَعُ
فَيَغْلِبُ مغلوبٌ، ويُقْتَلُ قاتِلُ	وَيُخَفِّضُ مرفوعٌ، ويُذْنِي المَرْفَعُ

وقال المسعودي: ولما قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعاً كثيراً، ورثاه القريب والبعيد، وحزن عليه الصغير والكبير، وجزع لقتله الملىء والدينىء، وفي ذلك يقول بعض شعراء عصره ومن جزع على فقده:

بَكَت الخيل شَجْوَهَا بعد يحيى	وبكاه المهند المصقول
وَبَكَتْهُ العِراقُ شَرْقاً وَغَرْباً	وَبَكَاهُ الكِتَابُ وَالتَّنْزِيلُ
وَالْمُصَلَّى وَالْبَيْتُ وَالرُّكْنُ وَالْحِجْ	رُ جَمِيعاً هُكِّمَ عَلَيْهِ عَوِيلُ
كَيْفَ لَمْ تَسْقُطِ السَّمَاءُ عَلَيْنَا	يَوْمَ قَالُوا: أَبُوالْحَسَنِ قَتِيلُ
وَبَاتَ النَّبِيُّ يُبْدِينُ شَجْوَا	مُوجَعَاتِ دُمُوعِهنَّ تَسِيلُ
وَيُؤَبِّنُ للرزية بدر	فَقَدُّهُ مُنْظِعُ عزيز جليلُ

فمن ذلك قول علي بن العباس الرُّومي، وهي من مختار ما رُثي به^(١):

أمامك فانظر أيّ نهجيك تنهج	طريقان شَتَى مستقيم وأعوج
ألا أيّ هذا الناس طال صريرُكم	بآل رسول الله فاخشوا أو ارتجوا
أكلّ أو انّ للنبي محمّد	قتيل زكيّ بالدماء مُضَرَّج ^(٢)
تبيعون فيه الدين شر أئمة	فلله دين الله قد كان يَمْرُج ^(٣)

ومنها:

أبعد المكنّى بالحسين شهيدكم تضاء مصاييح السماء فتُسْرَج

قَطَعَتْ وَجْهَهُ سُيُوفُ الْأَعَادِي	بِأَبِي وَجْهَهُ الْوَسِيمُ الْجَمِيلُ
وليجيى الفتى بقلبي غليلُ	كيف يؤذي بالجسم ذاك الغليلُ
قَتْلُهُ مُذَكَّرٌ لِقَتْلِ عَلِيٍّ	وَحُسَيْنٍ، وَيَوْمُ أُودِيَ الرَّسُولُ
فَصَلَاةُ الْإِلَهِ وَقَفَا عَلَيْهِمْ	مَا بَكَى مُوجِسٌ وَحَنٌّ تُكُولُ

انتهى منه، وذكر قصة خروجه وتفاصيلها الطبري في تاريخه (٩/ ٢٦٦-٢٧٠) وابن مسكويه في تجارب الأمم وتعاقب الهمم (٤/ ٣٢٦) وابن الجوزي في (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٢/ ٣٣) وابن الأثير في الكامل في التاريخ (٦/ ١٩٨) وابن كثير في البداية والنهاية ط إحياء التراث (١١/ ص ٨).

(١) ديوان ابن الرومي (١/ ١٠٠١)، دواوين الشعر العربي (٧٧/ ٧٥).

(٢) قال في لسان العرب: ضَرَجَ الثوبَ وَغَيْرَهُ: لَطَخَهُ بِالدَّمِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْحُمْرَةِ. اهـ (٢/ ٣١٣).

(٣) قال في لسان العرب: وَمَرَجَ الْعَهْدُ وَالْأَمَانَةُ وَالِدِّينُ: فَسَدَ؛ قَالَ أَبُو دُوَادٍ:

مَرَجَ الدِّينُ فَأَعْدَدْتُ لَهُ مُشْرِفَ الْحَارِكِ مَحْبُوكَ الْكَتَدِ

وَأَمَرَجَ عَهْدَهُ: لَمْ يَفِ بِهِ. وَمَرَجَ النَّاسُ: اخْتَلَطُوا. وَمَرَجَتْ أَمَانَاتُ النَّاسِ: فَسَدَتْ. وَمَرَجَ الدِّينُ وَالْأَمْرُ: اخْتَلَطَ وَاضْطَرَبَ؛ وَمِنْهُ الْهَرْجُ وَالْمَرْجُ. وَيُقَالُ: إِنَّا يَسْكُنُ الْمَرْجُ لِأَجْلِ الْهَرْجِ، أَزْدَوَاجاً لِلْكَلامِ. وَالْمَرْجُ: الْفِتْنَةُ الْمُشْكِلَةُ. وَالْمَرْجُ: الْفَسَادُ. وَفِي الْحَدِيثِ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا مَرَجَ الدِّينُ؟ أَيِ فَسَدَ وَقَلِقَتْ أَسْبَابُهُ. اهـ (٢/ ٣٦٥).

لنا وعلينا لا عليه ولا له
ومنهما:

أيحيى العُلا لهفي لذكراك لهفةً
سلامٌ وريحانٌ وروحٌ ورحمةٌ
ولا برح القاع الذي أنت جاره
ويا أسفي ألا تُردّ تحيّةً
ومنهما في ذم بني العباس:

بآية ألا يبرح المرء منكم
يبيت إذا الصهباء روت مشاشه
فيطعنه في سبّة السوء طعنةً
لذاك بني العباس يصبر مثلكم
فهل عاهةٌ إلا كهذي وإنكم
فلا تجلسوا وسطَ المجالس حُسرًا
أبى الله إلا أن يطيخوا وتخبّثوا
وإن كنتم منهم وكان أبوكم
أروني امرأ منهم يزنّ بأبنة

يُكبُّ على حُرّ الجبين فيُعفجُ
يساوره علجٌ من الروم أعلجُ
يقوم لها من تحته وهو أفحجُ
ويصبر للموت الكميّ المدججُ
لأكذبُ مسئولٍ عن الحق يلهجُ
ولا تركبوا إلا ركائب تُدحجُ
وأن يسبقوا بالصالحات ويفلجوا
أباهم فإن الصفو بالرّيق يمزجُ
ولا تنطقوا البهتان فالحق أبلجُ

(١) قال في لسان العرب: السَّجْسُجُ: الهَوَاءُ الْمُعْتَدِلُ بَيْنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ. اهـ (٢/ ٢٩٥).

(٢) قال في لسان العرب: الْأَفْحَوَانُ: بَبْتُ تُشَبَّهُ بِهِ الْأَسْنَانُ، وَوَزْنُهُ أَفْعُلَانُ، وَالْهَمْزَةُ وَالنُّونُ زَائِدَتَانِ... إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَهُوَ بَبْتُ طَيِّبُ الرِّيحِ حَوَالِيهِ وَرَقٌ أبيضٌ وَوَسْطُهُ أَصْفَرٌ. اهـ (١٥/ ١٧١).

وفي هذا المعنى قال علي بن محمد بن جعفر العلوي يذكر دخولهم على محمد بن عبد الله بن طاهر في التهتة^(١) متغيظاً متحسراً من عدم الانتقام منه والأخذ بثأر الإمام يحيى بن عمر عليه السلام:

قتلت أعزَّ من ركب المطايا وجئتُك أستلينُك في الكلام
وعزَّ عليَّ أن ألقاك إلا وفيما بيننا حدّ الحسام
ولكنَّ الجناح إذا أهيضت قوادمه يُدْفُ^(٢) على الأكام
وقال أيضاً مرثياً ليحيى بن عمر عليه السلام:

تَصَوَّعَ مسكاً جانب القبر إذ ثوى وما كان لولا شلوه يتَصَوَّعُ
مصارعُ أقوامٍ كرامٍ أعزَّة أتيح ليحيى الخير في القوم مَصْرَعُ
وخرج في أيام المستعين الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله^(٣) بن الحسين

(١) مروج الذهب (٤/ ٦٦)، مقاتل الطالبين (٥١٩).

(٢) قال في لسان العرب: هيض: هاض الشيء هيضاً: كسره. وهاض العظم يهيضه هيضاً فاهض: كسره بعد الجبور أو بعد ما كاد ينجز، فهو مهيض. اهـ
وقال فيه: ودَفَّ الطائرُ يَدْفُ دَفًّا ودَفِيفاً وأدَفَّ: ضَرَبَ جَنَبَيْهِ بِجَنَاحَيْهِ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي إِذَا حَرَّكَ جَنَاحَيْهِ وَرَجَلَاهُ فِي الْأَرْضِ. وَفِي بَعْضِ التَّنْزِيهِ: وَيَسْمَعُ حَرَكَه الطَّيْرُ صَافِهَا وَدَافِهَا؛ الصَّافُ: الْبَاسِطُ جَنَاحَيْهِ لَا يُحَرِّكُهُمَا. وَدَفِيفُ الطَّائِرِ: مَرَّةُ فُوقِ الْأَرْضِ. وَالدَّفِيفُ أَنْ يَدْفَ الطَّائِرُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يُحَرِّكُ جَنَاحَيْهِ وَرِجْلَاهُ بِالْأَرْضِ وَهُوَ يَطِيرُ ثُمَّ يَسْتَقِلُّ.

(٣) كذا في مقاتل الطالبين (٥٢١) والصحيح عبيد الله، وللحسين الأصغر ابن زين العابدين ولدان: عبد الله (بالتكبير) وهو والد الإمام القاسم بن عبد الله، وعبيد الله والد حمزة المذكور، تمت مختصرة بالمعنى من هامش التحف ص ١٦١ عن الإمام الحجة مجد الدين بن محمد عليه السلام، وذكر أيضاً بصيغة التكبير في تاريخ الطبري (٩/ ٣٢٨) والكامل في التاريخ (٦/ ٢٣٠) ومروءة الزمان (١٥/ ٢٩٠) أما في لباب الأنساب والألقاب والأعقاب (١/ ٤١٥) فقال: الحسين بن

بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، خرج بالكوفة، وأخذ، وحبس، ثم أطلق، ثم خرج فظفر به فحبس، ثم مات في محبسه أيام الموفق.

وخرج أيضاً محمد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن السبط، أخذ، وحبس حتى مات^(١).

صورة من تدهور الخلافة العباسية

سيطر الأتراك على الحكم بعد مقتل المتوكل، فكانوا هم الحكم الحقيقيين، ولم يكن للخلفاء حيثئذ أي سلطان، ومن أين لهم السلطان والترك يولون ويعزلون؛ بل يسفكون دماءهم، وكل ما يأتون من الأمر أو يدعون فإنها هو تديرهم، وقد صور ذلك بعض الشعراء في عهد الخليفة المستعين، فقال^(٢):

خلافه في قفصين وصيف وبغا
يقول ما قال له كما يقول البيغا

الثاني منهم: (المعتز الزبير بن جعفر (ت ٢٥٥هـ))

بويح المعتز البيعة العامة ببغداد، لأربع خلون من المحرم سنة ٢٥٢هـ، واسمه الزبير بن جعفر المتوكل، وكان في السجن هو وأخوه المؤيد. وقد كان الأتراك غضبوا على المستعين، فأخرجوا المعتز من السجن، وبايعوا له بالخلافة، وخلعوا المستعين.

= محمد بن حمزة بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين عليهما السلام، يقال له: الحرون، أخذ بسر من رأى، وحمل إلى واسط، وحبس في سنة مائتين وإحدى وسبعين، ومات في الحبس.

(١) التحف ص ١٦٠، ومقاتل الطالبين (٥٢٢).

(٢) مروج الذهب (٤/ ٦١)، وذكرهما في تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لأبي الحسن الهلال الصابي (ت ٤٤٨هـ) (ص ٢٤١)، ولكن البيت الأول: خليفة مقتسم ... بين وصيف وبغا.

وكان المستعين حينئذٍ في بغداد، فحوصر من قبل أعوان المعتز حصاراً شديداً، ووقع خلال ذلك معارك دامية، وقتل فيها الآلاف من الأتراك وأهل بغداد، وأخيراً اضطر المستعين إلى القبول بخلع نفسه، واشترط لنفسه ولقواده شروطاً وقّع عليها المعتز، ودخل المعتز بغداد، وبايع له المستعين، وكان دخوله بغداد في المحرم سنة ٢٥٢هـ، وخطب له فيها، وفي ذلك يقول أحد الشعراء^(١):

خَلَعَ الْخُلَيْفَةُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَسَيُقْتَلُ التَّالِي لَهُ أَوْ يُخْلَعُ
وَيَزُولُ مُلْكُ بَنِي أَبِيهِ وَلَا يُرَى أَحَدٌ تَمَلَّكَ مِنْهُمْ يَسْتَمْتِعُ
إِيَّايَ الْعَبَّاسِ إِنَّ سَبِيلَكُمْ فِي قَتْلِ أَعْبِدِكُمْ سَبِيلُ مَهْيَعُ
رَفَعْتُمْ دِيَارَكُمْ فَتَمَزَّقَتْ بِكُمْ الْحَيَاةُ تَمَرَّقًا لَا يُرْقَعُ

وبعد أشهر من ولايته خلع أخاه المؤيد من ولاية العهد، وكان المؤيد في الحبس، وبعد أيام مات المؤيد في محبسه، قيل: إنه أقعد في ثلج حتى جمد، وقيل: إنه خنق في لحاف أمسك طرفاه. وفي الوقت نفسه أمر المعتز بقتل المستعين فقتل وحمل رأسه إليه^(٢).

(١) الكامل (٦/٢٣٤)، تاريخ الطبري (٩/٣٥٠)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣/٢٣٧) وذكر فيه أن الأبيات لحبيب الكاتب المعروف بالحاسة.

(٢) قصة خلع المعتز لأخيه المؤيد بعد حبسه وضربه، ثم قتله في محبسه في مروج الذهب (٤/٩٠)، وقبل هذا ذكر قتل المستعين (٤/٧٩) فقال: ولما كان في شهر رمضان من هذه السنة - وهي سنة اثنتين وخمسين ومائتين - بعث المعتز بالله سعيد بن صالح الحاجب ليلقى المستعين، وقد كان في جملة مَنْ حمله من واسط، فلقيه سعيد وقد قرب من سامراء، فقتله واحتز رأسه وحمله إلى المعتز بالله، وترك جثته ملقاة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة من العامة. وكانت وفاة المستعين بالله يوم الأربعاء لست خَلَوْنَ من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين، وهو ابن خمس وثلاثين سنة، على ما قدمنا في صدر هذا الباب.

[القائمون والمقتولون من العترة الطاهرة أيام المعتز]

وفي أيام المعتز خرج إسماعيل^(١) بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وكان بينه وبين والي مكة من قبل بني العباس حرب، قتل فيها الحسن بن يوسف أخو إسماعيل بن يوسف، وقتل فيها جعفر بن عيسى من أولاد جعفر بن أبي طالب، وقتل أيضاً أحمد بن عبد الله من أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب^(٢)، وأخذ عيسى بن إسماعيل من أولاد جعفر بن أبي طالب^(٣)، وحبس فمات في الحبس، فهؤلاء ممن خرج مع إسماعيل بن يوسف^(٤).

وذكر شاهك الخادم قال: كنت عديلاً للمستعين عند إشخاص المعتز له إلى سامراء، ونحن في عمارة، فلما وصل إلى القاطول تلقاه جيش كثير، فقال: يا شاهك انظر من رئيس القوم؟ فإن كان سعيد الحاجب فقد هلك، فلما عاينته قلت: هو والله سعيد، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهبت والله نفسي، وجعل يبكي، فلما قرب سعيد منه جعل يقنعه بالسوط، ثم أضجعه وقعد على صدره واحتز رأسه، وحمله على ما ذكرنا، واستقامت الأمور للمعتز، واجتمعت الكلمة عليه.

(١) ذكره هو ومن بعده في مقاتل الطالبين (٥٢٥) وذكره الطبري (٣٤٦/٩).

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن موسى بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن السبط، قتله عبد الرحمن خليفة أبي الساج بمكة، ودفن بها، وكان يوم قتل ابن ثلاث وثلاثين سنة (انظر لباب الأنساب والألقاب والأعقاب لابن فندق البيهقي: ج ١/٤١٦).

(٣) هو عيسى بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر، أمه فاطمة بنت سليمان بن محمد بن يعقوب، وحبسه أبو الساج في محبس الكوفة، وقتل بالحبس، وقبره بالكوفة، وكان يوم قتل ابن ثمان وعشرين سنة، (انظر أيضاً لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ج ١/٤١٦) وهو أيضاً في مقاتل الطالبين (٥٢٥).

(٤) وذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب (٩٥/٤) بعضاً منهم بما لفظه: وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان سائر أخبار من ظهر من آل أبي طالب، ومن مات منهم في الحبس وبالسهم، وغير

وقتل بالري جعفر^(١) بن محمد بن جعفر بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، **وقُتِل إبراهيم^(٢)** بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب قتله طاهر بن عبد الله في وقعة بينه وبين الكوكبي بـ (قزوين).

وأخذ في المدينة أحمد^(٣) بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن،

ذلك من أنواع القتل: منهم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، وهو أبو هاشم، سقاه عبد الملك بن مروان السم، ومحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، حمله سعيد الحاجب من البصرة، فحبس حتى مات، وكان معه ابنه علي، فلما مات الأب خُلِّي عنه، وذلك في أيام المستعين، وقيل غير ذلك، وجعفر بن إسماعيل بن موسى بن جعفر، قتله ابن الأغلب بأرض المغرب، والحسن بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قتله العباس بمكة، وحمل في أيام المعتز من الري علي بن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ومات في حبسه، وحمل سعيد الحاجب من المدينة موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان من النسك والزهد في نهاية الوصف، وكان معه إدريس بن موسى، فلما صار سعيد بناحية زباله من جادة الطريق اجتمع خلق من العرب من بني فزارة وغيرهم لأخذ موسى من يده، فَسَمَّه فمات هنالك، وَخَلَصَتْ بنو فزارة ابنه إدريس بن موسى. اهـ.

(١) مقاتل الطالبين (٥٢٥) وقال في: لباب الأنساب والألقاب والأعقاب (ج ١/ ٤١٧):

قتله عبد الله بن عمر عامل محمد بن طاهر، قتل بالري بسر بالاي ستاردك وقبره بها، وصلى عليه القاضي بالري، وكان يوم قتل ابن سبع وأربعين سنة. اهـ..

(٢) مقاتل الطالبين (٥٢٦). وقال في لباب الأنساب لابن فندق البيهقي المتوفى ٥٦٥ هـ (ج ١/ ٤١٧): قتله طاهر بن عبد الله في المصاف، وقتل بقزوين وقبره بها في بقعة الكوكبي، وصلى عليه الجعفري بقزوين، وكان يوم قتل ابن ثلاث وأربعين سنة. اهـ.

(٣) قال في لباب الأنساب أيضاً (ج ١/ ٤١٥): حبسه الحارث بن أسد عامل أبي الساج بالمدينة، وقتل في محبسه في دار مروان بالمدينة، وكان يوم قتل ابن ثلاث وثلاثين سنة، وانظر مقاتل

فحبس بها حتى مات.

وفي سنة خمس وخمسين ومائتين في يوم الأربعاء لثلاث بقين من رجب خلع الأتراك المعتز، دخلوا عليه، فجروه برجله إلى باب الحجرة، وضربوه، وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده، وأدخلوه الحجرة، وأحضرُوا جماعة أشهدوهم على خلعه، وأن للمعتز الأمان هو وولده وأُمُّه وأخته.

وبعد ذلك سلمه الأتراك إلى من يعذبه، فمنعه الطعام والشراب ثلاثة أيام، ثم أدخلوه سرداباً، وجصصوا عليه فمات، فلما مات أشهدوا على موته بني هاشم والقواد، وأنه لا أثر فيه، ودفنوه مع المنتصر، وكانت خلافته من حين بويغ إلى أن خلع أربع سنين وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً، وكان عمره كله أربعاً وعشرين سنة^(١).

وثالثهم: (المهتدي) محمد بن هارون الواثق (ت ٢٥٦هـ)

وفي يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٥هـ بايع الأتراك لمحمد بن الواثق. وفي رجب الخامس عشر منه سنة ٢٥٦هـ خلعه وقتلوه بعد وقعة قتل فيها الآلاف من الأتراك وأنصار المهتدي، ولَّى فيها المهتدي منهزماً وهو يقول وينادي: يا معشر المسلمين، أنا أمير المؤمنين، قاتلوا عن خليفتم.

فلم يجبه أحد، فأخذه الأتراك، وحبسوه، ثم داسوا خصيتيه، وصفعوه حتى مات، وأشهدوا على موته أنه سليم ليس به أثر، ودفن بمقبرة المنتصر^(٢).

=
الطالبين (٥٢٦).

(١) ذكر هذه الحادثة وما بعدها إلى موته بتفصيل أكثر في تاريخ الطبري (٣٨٩/٩)، وما بعدها).
(٢) ذكر قصة مقتله في مروج الذهب (١٠٠/٤) بعد ذكر المعارك وندائه في الأسواق ولا أحد يجيبه وتلطفه في الكلام لبعضهم ثم التحريض عليه من بعضهم فقال: فلما سمعوا هذا القول استرجعوا وجاءوه بالخناجر، فكان أول من جرحه ابن عم لبايكيال، جرحه بخنجر في

[اعلوي البصرة والخارجون في أيام المهدي]

وفي أيام المهدي كان ابتداء أمر الناجم واسمه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فابتداء أمره قد كان سنة ٢٥٥ هـ، واستمر إلى سنة ٢٧٠ هـ وقد كان أكثر جيشه من الزنوج.

وكما قال شيخنا عليه السلام: فقد صب الله به على جيوش الضلال أسواط العذاب، وأذاقهم به مرارة النكال والوبال، وحصد بسيفه من الجيوش العباسية مائتي ألف وخمسين ألفاً، وامتلات دنيا العباسيين من هذا الناجم خوفاً ومهابة، وضافت عليهم الدنيا بخروجه ^(١).

وخرج مع الناجم جماعة من الطالبين، منهم: محمد بن القاسم بن الحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وطاهر بن أحمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

قال الإمام عبد الله بن حمزة في الشافي [٧١٢/١]: وفي أيام المهدي نجم الناجم

أوداجه، وانكبَّ عليه فالتقم الجرح والدم يفور منه، وأقبل يمسُّ الدم حتى روي منه، والتركي سكران، فلما روي من دم المهدي قام قائماً وقد مات المهدي، فقال: يا أصحابنا قد رويت من دم المهدي كما رويت في هذا اليوم من الخمر.... وقد تنوزع فيما ذكرنا من قتل المهدي، والأشهر ما ذكرناه من قتله بالخناجر، ومنهم من رأى أنه عصرت مذاكيره حتى مات، ومنهم من رأى أنه جعل بين لوحين عظيمين وشد بالحبال إلى أن مات، وقيل: قتل خنقاً، وقيل: كبس عليه بالبط والوسائد حتى مات. فلما مات داروا به ينوحون ويكون عليه، وندموا على ما كان منهم من قتله، لما تبينوا من نسكه وزهده، وقيل: إن ذلك كان يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقية من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين. اهـ.

(١) مروج الذهب (٤/ ١٠٨، وما بعدها)، تاريخ الطبري (٩/ ٤١٠، وما بعدها).

بالبصرة علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولسنا نذكر شيئاً من أمره؛ لأننا لم نرض طريقتة وإن كان - والحمد لله - أفضل من أفاضلهم بكثير؛ لأنه كان يقتل على الكبائر، ويقول من قطع فريضة من فرائض الله كفر، ويقتل في شرب الخمر وفي كل معصية، وقد نال منهم منالاً عظيماً فأحصيت القتلى من جند بني العباس في أيامه مائتي ألف قتيل وخمسين ألف قتيل، وكان للنصف من شوال سنة ست وخمسين ومائتين قيامه في نخيل البصرة بامر ضعيف، فكان قوياً بعد ذلك، وأقام ست عشرة سنة، فملك البصرة والأهواز والأيلة وواسط.

ومن خرج في أيام المهدي علي^(١) بن زيد بن الحسين بن عيسى بن زيد بن

(١) قال في المقاتل (٥٢٨): فممن خرج في هذه الايام: علي بن زيد بن الحسين بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وأمه بنت القاسم بن عقيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب. كان خروجه بالكوفة، بايعه نفر من عوامها وأعرابها. ولم يكن للزيدية وأهل الفضل والوجوه فيه هوى، ورأيت من شاهده منهم ذامين لمذهبه. فوجه إليه المهدي الشاة بن الميكال في عسكر ضخم، وذلك قبل خروج الناجم بالبصرة. فحدثني علي بن سليمان الكوفي، قال: قال لي أبي: كنا مع علي بن زيد ونحن زهاء مائتي فارس نازلين ناحية من سواد الكوفة، وقد بلغنا خبر الشاة بن الميكال ونحن معه نجيون، فقال لنا علي بن زيد: إن القوم لا يريدون غيري، فاذهبوا، أنتم في حل من بيعتي، فقلنا: لا والله، لا نفعل هذا أبداً، فأقمنا معه، ووافانا الشاة في جيش عظيم لا يطاق، فدخلنا من رعبه أمر عظيم. فلما رأى ما لحقنا من الجزع قال لنا: اثبتوا وانظروا ما أصنع، فثبتنا وانتضى سيفه، ثم قنع فرسه وحمل في وسطهم يضربهم يميناً وشمالاً، فأفرجوا له حتى صار خلفهم وعلا على تلعة فلوح إلينا، ثم حمل من خلفهم فأفرجوا له حتى عاد إلى موقعه، ثم قال لنا: ما تجزعون من مثل هؤلاء. ثم حمل ثانية ففعل مثل ذلك وعاد إلينا، وحمل الثالثة وحملنا معه، فهزمناهم أفيح هزيمة، فكانت هذه قصته، إلا أن أهل الكوفة لم يخفوا معه لما لحقهم في أيام يحيى بن عمر من القتل والأسر. اهـ.

علي بن الحسين خرج بالكوفة. قال في المقاتل [٥٢٨]: ولم يكن للزيدية وأهل الفضل والوجوه فيه هوى.

وقُتِلَ في واقعة بـ(قزوين) الحسين^(١) بن محمد بن حمزة بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وقُتِلَ في واقعة بـ(الرّي) يحيى^(٢) بن علي بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وأسير محمد^(٣) بن الحسن من أولاد زيد بن الحسن، وحمل إلى المدينة فتوفي بالصفراء فقطعت رجلاه لأخذ القيود.

قلت: فينظر في قوله: (ذامين لمذهبه) فقد عده الإمام مجد الدين المؤيدي عليه السلام من الأئمة الهداة في التحف (١٦٠) وقال: قتل شهيداً، وكذا الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في الشافي (ط ٢ - ج ١ / ٧٠٩) مع تخرجهما من كل من تحققوا منه شيئاً من المخالفة أو المعصية كما فعلاً في شأن علوي البصرة فانتبه. اهـ.

وفي مروج الذهب (٤ / ٩٤) قال: وفي سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر بالكوفة علي بن زيد وعيسى بن جعفر العلوي، فسرّح إليهما المعتز سعيد بن صالح المعروف بالحاجب في جيش عظيم، فانهزم الطالبين لتفرق أصحابهما عنهما. اهـ.

(١) مقاتل الطالبين (٥٣٠).

(٢) قال في لباب الأنساب والألقاب والأعقاب (ج ١ / ٤١٨): قتله أصحاب عبد الله بن عزيز، قتل بقرية من قرى الري وقبره بها، وما صلى عليه أحد، وكان يوم قتل ابن خمس وأربعين سنة. اهـ. وانظر مقاتل الطالبين (٥٣٠).

(٣) قال في لباب الأنساب (ج ١ / ٤١٨) محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن زيد [ابن الحسن السبط]، أخذه الحارث بن أسد، ومات في طريق المدينة بالصفراء، وقطع الحارث بعد موته رجله وأخذ القيد وتركه، وما دفن بها وما صلى عليه أحد، كان يوم مات ابن سبع وعشرين سنة. اهـ.

وَقُتِلَ جَعْفَرُ^(١) بن إِسْحَاقَ من أولاد الحسين بن علي ؑ، قتله سعيد الحاجب بالبصرة.

وَقَتَلَ سعيد الحاجب أيضاً موسى^(٢) بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، قتله بالسُّم، واحتز رأسه وحمله إلى المهدي في المحرم سنة ٢٥٦ هـ، وكان رجلاً صالحاً عالماً، روي عنه الحديث.

وأُسِرَ في عهد المهدي عيسى^(٣) بن إسماعيل من أولاد جعفر بن أبي طالب، وحمل إلى الكوفة فمات بها.

وَقَتَلَ بين الرِّيِّ وقزوين محمد^(٤) بن عبد الله من أولاد جعفر أيضاً.

(١) قال في لباب الأنساب (ج ١ / ٤١٨): جعفر بن إِسْحَاقَ بن موسى بن جعفر الصادق عليهما السلام، قتله سعيد الحاجب بالبصرة ودفن بها، وكان يوم قتل ابن ثمان وثلاثين سنة. اهـ.

(٢) كان قتله سنة ٢٥٦ هـ، انظر مقاتل الطالبين (٥٣١) وترجم له في تاريخ بغداد (١٥ / ٣١) حيث قال: مديني الأصل، سكن بغداد، وحدث بها عن: أبيه، وعن أمه فاطمة بنت سعيد بن عقبة الجهني. روى عنه: محمد بن الحسن بن مسعود الزرقى... ثم ذكر أحاديث عنه... قلنا: ومن ذريته أمراء مكة الأشراف، والذين منهم الشريف قتادة بن إدريس أمير مكة المعاصر والمناصر للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ؑ، وكان يدعو ويخطب للإمام في الحرم المكي، ونسبه: قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون، ... وقد ترجم لقتادة أبو شامة المقدسي في كتابه تراجم رجال القرنين (ص ١٢٣) وذكر فيها عدله وإنصافه وأنه زيدي المذهب، وأنه كان يؤذن بـ (حي على خير العمل) في الحرم المكي على مذهب الزيدية، وترجم لقتادة أيضاً في مطلع البدور، وأثنى عليه بما هو أهله، وذكر طرفاً من فرائد قصائد الإمام عبد الله بن حمزة ؑ إليه، اهـ (انظر التحف ٣٣٣).

(٣) مقاتل الطالبين (٥٣١).

(٤) مقاتل الطالبين (٥٣١).

وَحُبْسَ بِمَكَّةَ حَتَّى مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنْ أَوْلَادِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٥٨- وَاعْدُدْ بِمُعْتَمِدٍ وَمُعْتَصِدٍ وَالْمُكْتَفِي وَكَذَا بِمُقْتَدِرٍ

فِي هَذَا الْبَيْتِ أَرْبَعَةٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ:

(المعتمد) أحمد بن جعفر المتوكل (ت ٢٧٩هـ):

أحمد بن جعفر المتوكل، ولقب بالمعتمد، وكنيته أبو العباس، وقيل: أبو جعفر. بويغ له لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة ٢٥٦هـ، وكان مُقْبَلًا عَلَى اللَّذَاتِ، مشغولاً عن التدبير بالشهوات، وكان المتصرف في أمر الرعيّة، أخوه أبو أحمد طلحة، وعقد له الخلافة بعده ولقبه الموفق بالله، فهو الذي كان يورد ويصدر عن رأيه؛ بل كان هو المتولي للحروب، وفي أيامه وقع الهلاك على الجنود العباسية على أيدي الناجم بالبصرة.

[القائمون في أيام المعتمد من العترة الزكية]

وفي أيامه قام من الذرية الزكية أحمد^(١) بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ أمّه من الأنصار من أولاد عثمان بن حنيف، فقتله ابن طولون على باب أسوار، وحُجِلَ رأسه إلى المعتمد.

(١) مقاتل الطالبين (٥٣٦) وذكر ذلك ابن فندق في كتابه (لباب الأنساب) (ج ١/ ٤٢٧) وابن الأثير في الكامل (٦/ ٢٧٢) والعصامي في كتابه (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي) (٤/ ١٨٧) وقال المقرئ في «المقفى الكبير» (١/ ٣٧٩): أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، الشريف المعروف ببغا الأصغر. خرج فيما بين الإسكندرية وبرقة بموضع يقال له الكنائس، في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين ومائتين. وسار في جمع كبير إلى الصعيد، فلقبه بهم بن الحسين وقاتله، فقتل. وحملت رأسه إلى القسطنطين في يوم الثلاثاء تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة. اهـ.

وأحمد^(١) بن محمد بن جعفر بن الحسن بن علي بن عمر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط أسير بـ (نيسابور) فمات في السجن.

وعبيد الله^(٢) بن علي بن عيسى بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي زين العابدين قتل في وقعة خمارويه بن طولون.

وعلي^(٣) بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي زين العابدين، قتل على باب المعتمد بـ (سر من رأى) غيلة.

ومحمد^(٤) بن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن عمر بن علي زين العابدين، وأُمُّه أم نوفل بنت جعفر بن الحسين بن علي بن عمر بن علي زين العابدين، قتله عبد العزيز بن دلف صبراً بآبة قرية بين قُم وساعة.

وحزمة^(٥) بن الحسن بن محمد بن جعفر بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أسير في وقعة وهشودان فقتله صلابي التركي صبراً.

وحزمة^(٦) بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن الأكبر بن علي بن أبي طالب عَليُّه السلام قتل في الوقعة التي كانت بين الصفار والحسن بن زيد الداعي عَليُّه السلام بطبرستان.

(١) مقاتل الطالبين (٥٣٦) ولباب الأنساب (ج ١/ ٤٢٧).

(٢) مقاتل الطالبين (٥٣٦) ولباب الأنساب (ج ١/ ٤٢٨).

(٣) المقاتل (٥٣٧) ولباب الأنساب (ج ١/ ٤٢٨).

(٤) المقاتل (٥٣٧) ولباب الأنساب (ج ١/ ٤٢٨).

(٥) المقاتل (٥٣٧) ولباب الأنساب (ج ١/ ٤٢٨).

(٦) المقاتل (٥٣٨) ولباب الأنساب (ج ١/ ٤٢٨).

وَقُتِلَ أَيْضاً فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ^(١) ابنا الحسن بن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي زين العابدين.

والحسن^(٢) بن محمد بن زيد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قتل في هذه الواقعة.

وإسماعيل^(٣) بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب ؓ، قتل في هذه الواقعة.

وتوفي بـ(سر من رأى): محمد^(٤) بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ؓ، أمه بنت عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر.

وتوفي في السجن بـ(سر من رأى) أيضاً موسى^(٥) بن موسى بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ؓ.

وأسر سعيد الحاجب: محمد^(٦) بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن

(١) المقاتل (٥٣٨) ولباب الأنساب (ج ١ / ٤٢٨).

(٢) المقاتل (٥٣٨).

(٣) المقاتل (٥٣٨) ولباب الأنساب (ج ١ / ٤٢٨).

(٤) المقاتل (٥٣٨) ولباب الأنساب (ج ١ / ٤٢٩).

(٥) المقاتل (٥٣٩) ولباب الأنساب (ج ١ / ٤٢٩).

(٦) المقاتل (٥٣٩) قال في طبقات الزيدية (٢ / ٥٤٩): محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الحسيني الهاشمي، أبو علي المكفل، روى عن أبيه، وعنه محمد بن منصور قال ابن عتبة في (عمدة الطالب ص ٢٩١): محمد المكفل بن أحمد المختفي فكان وجهاً فاضلاً، قال أبو نصر البخاري: قال محمد بن زكريا العلاني: كنا عند محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد فتذاكرنا بالأخبار والأنساب، فذكر قريشاً بطناً بطناً، ثم كنانة وهذيل، ثم ابتدأ =

علي بن أبي طالب، فتوفي محمد في السجن، وكان عالماً فاضلاً، قد كُتِبَ عنه الحديث، وروى هو عن محمد بن منصور المرادي^(١) كتب أبيه أحمد^(٢) بن عيسى بن

بربيعة، فلما فرغ من مضر ما ترك بيتاً إلا ذكره، فلما فرغ من ربيعة ذكر اليمن، ثم قال: دعونا من هذا كله، وأنشد:

إن العباد تفرقوا من واحد فالأحمد سبق الذي هو أفضل
هل كان يقتعد البراق أبوكم أم كان جبريل عليه ينزل
أم من يقول الله حين يخصه بالوحي قم يا أيها المزمّل

وأعقب محمد بن أحمد من ابنه علي بن محمد، وقد تقدم أنه علوي البصرة، وذكرنا الخلاف مستوفى. قال في المقاتل: توفي محمد في حبس المعتمد، حملة سعيد الحاجب هو وأولاده علي وأحمد، وقال المنصور بالله: كان محمد عالماً. انتهى. قلت: خرج له محمد والسيد أبو طالب. اهـ.

(١) قال الإمام المجدد مجد الدين المؤيدي في لوامع الأنوار ط ٥ (ج ٣ / ٩) بداية الفصل السادس: إمام الشيعة الأعلام، أبو جعفر، محمد بن منصور المرادي - رضوان الله عليه - الذي كان أئمة آل محمد - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - ينزلونه منزلة الأب الكريم، وهو يجلبهم لإجلال الشريف العظيم؛ وكفى في الدلالة على ذلك قضية اجتماع نجوم العترة، في عصره للبيعة العامة، وهو ما رواه في المصابيح، وتناقله الخلف عن السلف من أهل البيت (ع) ... إلى قوله: والله دره من مقام! جمع حجج الله على الأنام، من آل النبوة الأعلام، عليهم الصلاة والسلام... نعم، ومن مؤلفات إمام الشيعة، محمد بن منصور: أمالي الإمام أحمد بن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو الذي جمعها، وأسانيد جميع ما فيها إليه؛ وكتاب الذكر، والمجموع، والمسائل، وكتاب النهي، وكتاب الحج، وكتاب الطهارة، والزكاة، والخمس، والصوم، والرضاع، والحدود، والفرائض، والقضاء، والسيرة، والقصر، والطلاق، وتحريم الأشرية والملاهي، وأقوال الحسن بن يحيى، وغيرها. وقد ذكر أبو عبد الله العلوي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن له ثلاثين مؤلفاً؛ وقد تقدم في سند الأمالي ذكر أشياخه، والآخذين عنه، وهم أعيان آل محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ وأشياخهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. اهـ.

(٢) قال في مطلع البدور (١ / ٢٧٢): الإمام السيد الحجة، فقيه آل الرسول أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عَلَيْهِمُ السَّلَام (١٥٨ - ٢٤٠ هـ) كان يلقب بـفقيه آل محمد، ويعرف بالمختفي لأنه اختفى ستين سنة.

(٢) المقاتل (٥٤٠).

واسم الموفق طلحة بن جعفر المتوكل، وهو أخو المعتمد غير أنه كان هو القائم بتدبير شؤون السلطان دون المعتمد.

وقد كان المعتمد جعل ولاية العهد لولده جعفر ولقبه بالمفوض، غير أن الموفق طلحة خلع جعفرًا من ولاية العهد وجعلها لابنه المعتضد، وحبس المعتمد.

قال في مروج الذهب [١٢٨/٢]: وقد كان المعتمد أثر اللذة، واعتكف على الملاهي، وغلب أخوه أبو أحمد الموفق على الأمور وتديرها، ثم حظر على المعتمد وحبسه، فكان أول خليفة قهر وحبس وحجر عليه. انتهى.

ومات الموفق ليلة الخميس لثلاث بقين من صفر سنة ٢٧٨هـ، ومات المعتمد بعد موت الموفق في ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩هـ، وكان موته بالسّم كما في مروج الذهب [١٣٦/٢].

وقد كان المعتمد منهمكاً في اللهو واللذات غير أن أخاه طلحة الذي لقب بالموفق نهض بالأمر من دونه، فثبتّ الخلافة إلى أبعد حدّ، وأعاد إليها بحزمه وعزمه وجدّه هيبتها ومكانتها.

وقد ترك أخاه عاكفًا على ملذاته، واحتمل أعباء الخلافة بحيث أصبح هو الخليفة الحقيقي، أما أخوه فلم يكن له من الخلافة سوى الاسم، وقد صوّر ذلك بنفسه قائلاً^(١):

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه

(١) ذكر أبيات المعتمد هذه وبعض أحواله في الكامل في التاريخ (٦/ ٤٧٠)، البداية والنهاية (١٤/ ٦٤٣)، تاريخ الخلفاء (١/ ٢٦٦).

(المعتضد) أحمد بن طلحة بن جعفر المتوكل (ت ٢٨٩هـ):

المعتضد بالله، واسمه أحمد بن طلحة بن جعفر المتوكل، وهذا هو الثاني من المذكورين في البيت.

ببيع لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩هـ في اليوم الذي مات فيه عمه المعتمد، وكانت وفاته يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ. قال فيه أحد المؤرخين^(١): كان المعتضد مهيباً شجاعاً، أسمر نحيفاً، معتدل الخلق، ظاهر الجبروت، وافر العقل، شديد الوطأة من أفراد رجالات بني العباس وشجعانهم، وهو آخر خليفة أخذ بزمام الخلافة، فلم يرتفع للترك في عهده صوت، ثم أخذ أمر الخلفاء بعده في إدبار، فما إن مات حتى تقوض ما كان أرسى بناءه هو وأبوه الموفق فعاد للترك سلطانهم وطغيانهم، وعاد الخلع وسفك الدماء، وزادوا سمل الأعين.

وكان من أسباب تدهور الخلافة انغماس الخلفاء في اللهو والترف، والإقبال على كل متاع وشهوة، بالإضافة إلى الإدمان على شرب الخمر، وارتكاب كل فجور، فكأن الخليفة لا يفكر إلا في نفسه وملذاته، وكأنه ليس هناك جيوش تُعدُّ للحرب بأسلحتها وعددها الكثير، وكأن ليس هناك رعية يقوم الخليفة على توفير مصالحها،

(١) هو المؤرخ أحمد شوقي ضيف (ت: ١٤٢٦هـ) والمنقول هو من كتابه تاريخ الأدب العربي (ج ٤/ ١٨) أديب وعالم لغوي مصري، والرئيس السابق لمجمع اللغة العربية المصري، من مواليد محافظة دمياط، ألف حوالي ٥٠ مؤلفاً، أهمها وأشهرها: سلسلة تاريخ الأدب العربي. استغرقت منه ثلاثين عاماً، شملت مراحل الأدب العربي منذ ١٥ قرناً من الزمان، من شعر ونثر وأدباء منذ الجاهلية وحتى عصرنا الحديث، بلغ عدد طبعات أول كتاب في السلسلة العصر الجاهلي حوالي ٢٠ طبعة. اهـ.

فبيني لها المصححات، ويوفر العيش والكساء، والأمن والرخاء؛ بل إن الرعية تكدح وتشقى وتتذوق مَرارة الشقاء والكدح من أجل أن ينعم الخليفة ويلهو ويبني القصور ويملاها بالجواري من كل لون.

وقال في مروج الذهب [١٣٧/٢]: كان قليل الرحمة، كثير الإقدام، سفاكاً للدماء، شديد الرغبة في أن يمثل بمن يقتله، وكان إذا غضب على القائد النبيل، والذي يختصه من غلمانة أمر أن تحفر له حُفيرة بحضرته، ثم يدلى على رأسه فيها، وي طرح التراب عليه، ونصفه الأسفل ظاهر على التراب، ويداس التراب، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره.

وذكر من عذابه أنه كان يأخذ الرجل فيكتف، ويقيد، فيؤخذ القطن، فيحشى في أذنه وخيشومه وفمه، وتوضع المنافخ في دبره حتى ينتفخ ويعظم جسمه، ثم يسد الدبر بشيء من القطن، ثم يُفصَد - وقد صار كالجمل العظيم - من العرقين اللذين فوق الحاجبين، فتخرج النفس من ذلك الموضع، وربما كان يقام الرجل في أعلى القصر مجرداً موثقاً ويرمى بالنشاب حتى يموت.

واتخذ المطامير، وجعل فيها صنوف العذاب، وجعل عليها نجاح الحرمي المتولي لعذاب الناس، ولم يكن له رغبة إلا في النساء والبناء، فإنه أنفق على قصره المعروف بالثريا أربعمئة ألف دينار، وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ.

وممن قُتل أيام المعتضد:

محمد بن زيد^(١) بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو المعروف بالداعي، وكان قبله أخوه الحسن بن زيد عليه السلام^(١).

(١) مقاتل الطالبين (٥٤٢)، وذكر في البداية والنهاية مقتل محمد بن زيد (١٤ / ٦٩٠) فقال: =

وقد كان محمد بن زيد هذا فاضلاً ديناً حسن السيرة فيما ولىه من تلك البلاد وكان فيه تشيع. اهـ
وفي كتاب الفرج بعد الشدة للتتوخي (٢/ ٣٣٤): محمد بن زيد العلوي يضرب مثلاً عالياً في
النبيل، حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني الكاتب، قال: كان محمد بن زيد
العلوي، الداعي بطبرستان، إذا افتتح الخراج، نظر ما في بيت المال من خراج السنة التي قبلها،
ففرق في قبائل قريش قسماً، على دعوتهم، وفي الأنصار، وفي الفقهاء، وأهل القراءات، وسائر
طبقات الناس، حتى يفرق جميع ما بقي.

فجلس سنة من السنين، يفرق المال، على ما كان يفعل، فلما فرغ من بني هاشم، دعا بسائر بني
عبد مناف، فقام رجل، فقال له: من أي بني عبد مناف أنت؟ فسكت. قال: لعلك من ولد
معاوية؟ قال: نعم. قال: فمن أي ولده أنت؟ فسكت. قال: لعلك من ولد يزيد؟ قال: نعم.
قال: بنس الاختيار اخترت لنفسك، من قصدك بلداً ولايته لآل أبي طالب، وعندك ثأرهم في
سيدهم وإخوته وبني عمه، وقد كانت لك مندوحة عنهم بالشام والعراق، عند من يتولى
جذك، ويجب رفدك، فإن كنت جئت عن جهل بهذا منك فما يكون بعد جهلك شيء، وإن
كنت جئت متمرياً بهم، فقد خاطرت بنفسك. فنظر إليه العلويون نظراً شديداً، فصاح بهم
محمد، وقال: كفوا عافاكم الله، كأنكم تظنون أن في قتل هذا دركاً أو ثأراً بالحسين بن علي رضي
الله عنهما، وأي جرم لهذا؟ إن الله عز وجل قد حرم أن تطالب نفس بغير ما اكتسبت، والله لا
يعرض له أحد إلا أفدته به، واسمعوا حديثاً أحدثكم به، يكون قدوة لكم فيما تستأنفون من
أموالكم؛ حدثني أبي، عن أبيه، قال: عرض على المنصور، سنة حج، جوهر فاخر، فعرفه، وقال:
هذا كان لهشام بن عبد الملك، وهذا بعينه، قد بلغني خبره، عند ابنه محمد، وما بقي منهم أحد
غيره. ثم قال الربيع: إذا كان غداً، وصليت بالناس في المسجد الحرام، وحصل الناس فيه،
فأغلق الأبواب كلها، ووكل بها ثقاتك من الشيعة، واقفلها وافتح للناس باباً واحداً، وقف
عليه، فلا يخرج إلا من عرفته.

فلما كان من الغد، فعل الربيع ما أمره به، وتبين محمد بن هشام القصة، فعلم أنه هو المطلوب،
وأنه مأخوذ، فتحير.

وأقبل محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام على أثر ذلك، فرآه
متحيراً، وهو لا يعرفه، فقال له: يا هذا، أراك متحيراً فمن أنت؟ ولك أمان الله التام العام،
وأنت في ذمتي حتى أخلصك. فقال: أنا محمد بن هشام بن عبد الملك، فمن أنت؟ قال:

أنا محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فقال محمد بن هشام: عند الله أحسب نفسي. قال: لا بأس عليك، فإنك لست قاتل زيد، ولا في قتلك إدراك تأره، وأنا الآن بخلاصك أولى مني بإسلامك، ولكن تعذرني في مكروه أتناولك به، وقبيح أخاطبك به، يكون فيه خلاصك بمشيئة الله تعالى. قال: أنت وذاك. قال: فطرح رداءه على رأسه ووجهه، ولبيه به، وأقبل يحره. فلما وقعت عين الربيع عليه، لطمه لطمات، وجاء به إلى الربيع، وقال: يا أبا الفضل، إن هذا الخبيث جمال من أهل الكوفة، أكراني جماله ذاهباً وراجعاً، وقد هرب مني في هذا الوقت، وأكرئ بعض القواد الخراسانية، ولي عليه بذلك بينة، فتضم إلي حرسين يصيران به معي إلى القاضي، ويمنعان الخراساني من عراره. فضم إليه حرسين، وقال: امضيا معه. فلما بعد عن المسجد، قال له: يا خبيث، تؤدي إلي حقي؟ قال: نعم يا ابن رسول الله. فقال للحرسين: انصرفا، وأطلقه محمد. فقبل محمد بن هشام رأسه، وقال: بأبي أنت وأمي، الله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم أخرج جوهرأ، له قدر، فدفعه إليه، وقال: تشرفني يا سيدي بقبول هذا مني. فقال: يا ابن عم، إنا أهل بيت لا نقبل على المعروف مكافأة، وقد تركت لك دم زيد، وهو أعظم من متاعك، فانصرف راشداً، ووار شخصك حتى يخرج هذا الرجل، فإنه مجد في طلبك، فمضى وتوارى.

قال: ثم أمر محمد بن زيد، الداعي بطبرستان، للأموي، بمثل ما أمر به لسائر بني عبد مناف، وضم إليه جماعة من مواليه، وأمرهم أن يخرجوا معه إلى الري، ويأتوه بكتاب بسلامته. فقام الأموي، فقبل رأسه، ومضى ومعه القوم، حتى وصل إلى مأمنه، وجاءوه بكتاب بسلامته. (١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٤/٥٩٣): والحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان [توفي] في رجب من هذه السنة [أي سنة ٢٧٠هـ] وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام، وقام بالأمر من بعده أخوه محمد بن زيد، وكان الحسن بن زيد كريماً جواداً مُمدحاً يعرف الفقه والعربية، قال له شاعر في جملة قصيدة مدحه بها:

اللَّهُ قَرْدٌ وَابْنُ زَيْدٍ قَرْدٌ

فقال: ويلك، لا تقل، هلا قلت:

اللَّهُ قَرْدٌ وَابْنُ زَيْدٍ عَبْدٌ

ثم نزل عن سريره، وخر ساجداً لله - عز وجل - وألصق خده بالتراب، ولم يعط ذلك الشاعر شيئاً. وامتدحه بعضهم فقال في أول قصيدته:

و محمد بن زيد هو القائم بخراسان، يضرب بعدله المثل، وهو الذي أجرى فيها رسوم العدل، ونفى رسوم الجور، وأظهر معالم الدين، وعزت الذرية الطاهرة في أيامه وأيام أخيه، وانتصف من الأعداء، وأقام بها سوق العدل والتوحيد، ونفى الجبر والتشبيه والمذاهب الردية من القدر والإرجاء.

فقتل عليه السلام في وقعة بينه وبين الجيوش العباسية، ومشهده بجرجان مشهور مزور، وفي هذه الواقعة أسر ابنه زيد بن محمد بن زيد، وكانت شهادته عليه السلام يوم الجمعة في شهر رمضان سنة ٢٧٧هـ.

قيام الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في أرض اليمن

(ت ٢٩٨هـ) :

وفي أيام المعتضد قام في أرض اليمن الإمام الهادي إلى الحق المبين يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام، أحيا الله تعالى به الدين، وطهر به أرجاس القرامطة، وقد كان له معهم نيف وسبعون وقعة، كانت اليد له فيها عليهم^(١).

لَا تَقُلْ بُشْرَى وَلَكِنْ بُشْرِيَانِ غُرَّةُ الدَّاعِي وَيَوْمُ الْمُهْرَجَانِ

فقال له الحسن بن زيد: لو ابتدأت بالمصراع الثاني لكان أحسن، وأبعد لك أن تبتدئ شعرك بحرف (لا). فقال له الشاعر: ليس في الدنيا كلمة أجل من قول: لا إله إلا الله. فقال: أصبت. وأمر له بجائزة سنوية. اهـ. وقد أثنى على الحسن بن زيد ابن الأثير في الكامل (٥٥ / ٦) وذكر عنه قصصاً عظيمة في جوده وتواضعه وغير ذلك من صفاته العظيمة.

(١) وقد ذكر الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ومدحه بما هو أهله إمام المحدثين في عصره يحيى بن أبي بكر العامري في الرياض المستطابة، فقال: أولهم وأولاهم بالذكر الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى، كان مولده بالمدينة، ومنشأه بالحجاز، وتعلمه به وبالعراق، وظهر سلطانه باليمن سنة ثمانين ومائتين، وكان جاء إلى اليمن وقد عم بها مذهب القرامطة والباطنية، فجاهدهم جهاداً شديداً، وجرى

قال نشوان في كتاب (الخور العين) [١٨٦]: فخرج أحمد بن عبد الله الأكيلى من اليمن إلى العراق، وأفداً على المعتضد بالله في آخر أيامه، يستنجد به على يحيى بن الحسين عليه السلام، فوجد المكتفي قد بويع له، فواجهه المكتفي بالعراق، وأمر معه بالجيوش العظيمة، حتى ورد كتاب أبي مزاحم والي الحرمين، يخبر أن يحيى بن الحسين العلوي قد خرج من صنعاء، ففتر السلطان عن ذلك العزم.

(المكتفي) علي بن أحمد المعتضد (ت ٢٩٥هـ)

واسمه علي بن أحمد المعتضد، وبويع له في اليوم الذي كانت فيه وفاة أبيه المعتضد، وهو يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ، ويكنى أبا

له معهم نيف وثمانون وقعة لم يهزم في شيء منها، وكان له علم واسع، وشجاعة مفرطة. اهـ. وشهد له إمام الحفاظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (١٣/١٤٧) وفسر به الخبر النبوي: ((لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان)) وأفاد أن صدق الحديث ببقاء الأمر في قريش باليمن من أواخر المائة الثالثة - أي وقت الإمام الهادي - في طائفة من بني الحسن، قال: (وَلَا يَتَوَلَّى الْإِمَامَةُ فِيهِمْ إِلَّا مَنْ يُكُونُ عَالِمًا مُتَحَرِّيًا لِلْعَدْلِ) اهـ. وقال ابن حزم في جهرة أنساب العرب (ص ٤٤): (وليحيى هذا الملقب بالهادي رأي في أحكام الفقه، قد رأيته، لم يبعد فيه عن الجماعة كل البعد.. الخ) وذكره الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام (٢٢/٣٢١) من ذلك قوله: (وتسمى بالهادي أبي الحسين، وملك نجران وتلك النواحي، وخطب له بأمر المؤمنين، وكان حسن السيرة، مات سنة ثمان وتسعين [يعني بعد المائتين] قام بعده ولده محمد، ولقب المُرَضَّى، كذا في المنقول عنها، والصواب المرتضى). اهـ. وله ترجمة لا بأس بها في كتاب الأعلام للزركلي (٨/١٤١) منها قوله: ونشأ فقيهاً عالماً ورعاً، فيه شجاعة وبطولة، ثم عدد مؤلفاته، فلتراجع ليعرف المطلع قدر هذا الإمام العظيم عند من أوتي شيئاً من الإنصاف، ولو كان من مخالفه.

وقد أورد كلام يحيى بن أبي بكر العامري وكلام ابن حجر العسقلاني المتقدم أعلاه في شأن الإمام الهادي عليه السلام الإمام الحجة مجد الدين بن محمد المؤيدي عليه السلام في ترجمته في كتاب التحف

محمد، وكانت وفاته يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٢٩٥هـ.

وفي المقاتل [٥٤٦]: قُتِلَ في أيامه محمد بن علي بن إبراهيم من أولاد الحسين بن علي عليه السلام، وعلي بن محمد من أولاد محمد بن الحنفية، اتهمها السلطان بالخروج عليه من غير أن يكون منهما خروج، فأخذوا وقطعت أيديهما وأرجلها وضربت أعناقهما صبراً. وقُتِلَ زيد بن الحسين من أولاد الحسين بن علي عليه السلام، قتله القرمطي في طريق مكة، وكان شيخ بني هاشم.

وقُتِلَ محمد بن حمزة من أولاد العباس بن علي بن أبي طالب، قتله بعض أعوان السلطان، دخلوا عليه في بستان، فكبسوه، وقطعوه بالسكاكين. انتهى.

(المقتدر) جعفر بن أحمد المعتضد (ت ٣٢٠هـ)

واسمه جعفر بن المعتضد، وكنيته أبو الفضل، بويع له لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٢٩٥هـ، تقلد الأمر وله ثلاث عشرة سنة.

ولما تقلد الأمر غلب على أمره النساء والخدم، ولتشاغله باللذات وعكوفه على الشهوات غلبت القرامطة - لعنهم الله تعالى - على كثير من البلدان، وقصد ملعونهم أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي مكة فدخلها يوم التروية، فقتل الحجاج قتلاً ذريعاً، قيل: بلغ عددهم ستة آلاف، ورمى بهم في زمزم، وأخذ الحجر الأسود، وعزى الكعبة وقلع بابها، وبقي الحجر الأسود عند القرامطة اثنين وعشرين سنة، ثم ردوه، في قصص يطول شرحها^(١).

(١) انظر أيام المقتدر وتحكم أمه وغير ذلك وما جرى فيها من خروج القرامطة والروم وغير ذلك من الأحداث في: تاريخ الطبري (١١/ ١٩١، وما بعدها)، تاريخ الإسلام (٢٣/ ٣٨١).

وفي أيام المقتدر استولت الباطنية على أعمال الغرب وإمامهم عبيد الله الملقب بالمهدي.

وفي أيامه من أهل البيت عليه السلام طائفة كثيرة، منهم: العباس ^(١) بن إسحاق الذي يقال له: المهلوس، من أولاد الحسين بن علي.

وفي أيامه وقعت الحرب بين الطالبين والعباسيين؛ بسبب بناء بنائه الطالبيون في جامع الكوفة على الموضع الذي كان علي عليه السلام يجلس فيه للقضاء، فهدمه العباسيون، قتل فيها جماعة من الطالبين وجماعة من العباسيين ^(٢).

وقتل بالسُّم في أيام المقتدر طاهر ^(٣) بن يحيى من أولاد الحسين عليه السلام، وكان سيِّداً فاضلاً عالماً، روى عنه العلماء من أهل العدل والتوحيد.

وقتل ^(٤) في أيامه الحسن بن محمد بن عبد الله من أولاد عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام، و عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وأحمد بن القاسم بن محمد بن جعفر الصادق، وجعفر بن الحسين بن الحسن الأفطس بن علي بن الحسين بن علي، والحسين بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن.

(١) قال في المقاتل (٥٥٠): العباس بن إسحاق وهو الذي يقال له المهلوس بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. قتله الأرمن بمدينة بأرمينية يقال لها ديبيل. اهـ.

(٢) المقاتل (٥٥١).

(٣) هو طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي زين العابدين، ذكره في المقاتل (٥٥١).

(٤) ذكره ومن بعده في المقاتل (٥٥٢-٥٥٦).

فهؤلاء الذين قُتلوا في أيامه بأيدي ولاته وعماله وأولياء دولته دون من قتل بأسبابهم، فهم في الحكم كأنه من جهتهم ممن شردهم المخافة من سطوة الظالمين.

ذكر ذلك الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام في الشافي [٧٣٦/١].

وزاد في مقاتل الطالبين^(١) على ما ذكره الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام، ذكر أعداد رجال آخرين من الطالبين قتلوا في أيام المقتدر.

وذكر في الكامل [٧٢٦/٦] أن الإمام الحسن بن القاسم الداعي قتل أيام المقتدر في ٣١٦هـ، وهذا هو الذي ذكره شيخنا عليه السلام في التحف، ونسبه - كما في التحف - الحسن بن القاسم بن الحسن بن علي بن عبد الرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن عليه السلام^(٢).

قيام الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي عليه السلام (ت ٣١٠هـ)

وأخيه الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي عليه السلام (ت ٣٢٥هـ)

وفي زمانه أيضاً كان قيام الإمام المرتضى محمد بن الهادي عليه السلام.

وقد بويع له بعد موت أبيه الإمام الهادي عليه السلام، وكل ذلك قد كان في عهد المقتدر. ومات المرتضى عليه السلام سنة ٣١٠هـ، وقد بويع لأخيه الناصر لدين الله أحمد بن يحيى بعد تنحيه عام ٣٠٢هـ فقام بأمر الأمة أفضل قيام، وأسس قواعد الإسلام ونفذ حدود ذي الجلال والإكرام وأوقع بالقرامطة الوقائع العظيمة المشهورة حتى مزقهم كل ممزق فلم تقم لهم عشرة، وتوفي الناصر في ثامن عشر من ذي الحجة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة في عهد الرازي.

(١) مقاتل الطالبين (٤٤٩)، وما بعدها.

(٢) سيأتي الكلام عنه قريباً في أيام الرازي، حسب ما ذكره الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام.

[الإمام الناصر الأطروش عليه السلام]

هذا، وقد عاصر المقتدر في أيامه الناصر لدين الله الإمام الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب بالأطروش، ولم يكن في عصره مثله شجاعة وعلماً، وورعاً وزهداً، وكرماً وفضلاً، وسيرته عليه السلام مشهورة، توفي عليه السلام بـ (آمل) في شعبان سنة ٣٠٤ هـ، وله من العمر أربع وسبعون سنة، ومشهده بـ (آمل) مشهور مزور^(١).

(١) قال المؤرخ الكبير المسعودي في مروج الذهب (٤/ ٢٤٥) (ط العصرية - ط ١): وظهر ببلاد طبرستان والديلم الأطروش - وهو الحسن بن علي - وأخرج عنها المسودة، وذلك في سنة إحدى وثلاثمائة، وقد كان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء والنحل، وقد كان أقام في الديلم سنين، وهم كفار على دين المجوسية، ومنهم جاهلية، وكذلك الجليل، فدعاهم إلى الله عز وجل؛ فاستجابوا وأسلموا، وقد كان للمسلمين بإزائهم ثغور مثل قزوین وغيرها، وبنى في الديلم مساجد وذكر نحوه أيضاً في مروجه (٤/ ٢٩٧) وكذا المؤرخ الكبير ابن جرير الطبري في تاريخه (٥/ ٦٧٩) (ط دار الكتب العلمية) وقد شهد للإمام الأطروش الناصر للحق الحسن بن علي عليهما السلام، قال: (ولم ير الناس مثل عدل الأطروش وحسن سيرته واقامته الحق) وكذا المؤرخ ابن الأثير في تاريخه (الكامل) (٦/ ٦٣٣) (ط دار الكتاب العربي) قال: (وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ حَسَنَ السَّيْرِ، عَادِلًا، وَلَمْ يَرَ النَّاسَ مِثْلَهُ فِي عَدْلِهِ وَحُسْنِ سِيرَتِهِ، وَإِقَامَتِهِ الْحَقِّ) وكذا ابن خلدون أثنى عليه في تاريخه (٣/ ٤٥٨) وقال: (وكان الأطروش زيدي المذهب... وقال: وكان هذا الأطروش عادلاً حسن السيرة لم ير مثله في أيامه) وقال أيضاً: (أسلم الديلم على يد هذا الأطروش وملك بهم طبرستان وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام (٢٣/ ١٥): (الحسن بن علي العلوي الأطروش، وتلقب بالداعي. ودعا الديلم إلى الله، وكانوا مجوساً، فأسلموا. وبنى لهم المساجد. وكان فاضلاً عاقلاً له سيرة مدونة، وأصلح الله الديلم به) وكذا قال ابن تغري بردي في (النجوم الزاهرة) (٣/ ٢٠٥) تمت بتصرف من هامش المنهج الأقوم، وانظر أيضاً الثناء عليه في الدر الفاخر (٢٤٦) وإتحاف المسترشدين (٤٤) والبعثة المصرية (٢١) وروضات الجنات، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٠٠) وغيرها من

وقُتِلَ المقتدر ببغداد يوم الأربعاء لثلاث ليالٍ بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة في وقعة كانت بينه وبين مؤنس الخادم.

وقد كان مؤنس الخادم قد خلع المقتدر في سنة ٣١٧هـ، ورده بعد الخلع إلى الخلافة. وقد كان زمام الأمر بيد الأتراك، ومن هنا قال شيخنا الناظم عليه السلام في البيت الذي بعد هذا البيت الذي شرحناه: «وَتَوَلَّتِ الْأَتْرَاكُ لِلْأَمْرِ».

قال الإمام عبد الله بن حمزة في الشافي [٧٤٧/١] نقلاً عن ثابت بن سنان في تاريخه^(١): لما استقرت الأمور للمقتدر توفّر على لذّاته، وتعلّق بالنساء حتّى احتشم من مواجهة الرجال رأساً، وانقبض عنهم، واطرح من رام الاتصال به، وعاشر النساء، وغلب على الدولة الحرم، وأنفق الأموال إسرافاً وتبذيراً مفرطاً أدّى إلى تلفها، وصارت فاطمة القهرمانة الوسيلة إلى سلامة أفاضل المسلمين من شره.

وكان أمر خلافته مردوداً بين النسوان من الحرائر والإماء، وبين النصاري والخدم، يتصرفون في المسلمين بما شاءوا، منهم: إسحاق بن دليل النصراني، وعلي بن عيسى، وعبد الله بن شمعون النصراني، ومالك بن الوليد النصراني، وأبو إبراهيم النصراني، وأبوس النصراني، ولما ماتت ثمل القهرمانة أقام نعمة جارية ثمل مقامها، وكانت ذمّية، وكانت عند المقتدر في منزلة لم ينزلها أحدٌ من كبراء العباسيين وأمراء الدولة، تشفع للوزير وتعقد إمارة الأمير.

كتب التراجم والمؤرخين، فيقرب إجماعهم على عدله وحسن سيرته ليعرف المنصف أن قدوات المذهب الزيدي متفق على عدالتهم، وفضلهم، وحسن سيرتهم، وغزارة علمهم عند جميع أطراف النزاع، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

(١) ثابت بن سنان مؤرخ، له تذييل على تاريخ الطبري حيث انتهى الطبري إلى سنة (٣٠٢هـ) فأكمّله ابن سنان إلى سنة (٣٦٠هـ) وهو مفقود، ولعل هناك نسخة كانت موجودة لدى الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام.

وقمرية الأكثمية المغنية كان لها جانب وسيع، وصوت رفيع.
 وأم القهرمانة العازلة للوزير علي بن عيسى من الوزارة.
 وزيدان القهرمانة كان لها محل في السلطان لم يبلغه سواها.
 ومن عجائب أمور العباسيين - وإن كانت كلها عجيبة - أن المقتدر قلد ولده
 المكنى أبا العباس أعمال الحرب بمصر وله أربع سنوات، واستخلف له مؤنساً
 الخادم، وكتبت عنه الكتب وإليه. انتهى^(١).

قلت: هكذا صارت خلافة النبوة إلى خلافة للشيطان، ترتع في الإثم والعدوان،
 وترتكب العظائم والجرائم، وتأمر بالفحشاء والمنكر، وتتكلم بلسان الشيطان،
 وتعمل أعمال الشيطان، إلى حدٍّ ضاعت فيه أحكام القرآن وشرائع الإسلام؛ بل إلى
 حدٍّ لو سمحت فيه المقادير للشيطان أن يترع على منصة الخلافة لما تجاوز تلك

(١) وقد ذكر شيئاً من هذا ومصير التولية والعزل إلى الخدم والخادmates ونحو ذلك الطبري في
 تاريخه (١٠٩/١١). وقال في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٦٤/١٣) في سياق ذكر جواهر
 الملوك: ولم يزل الخلفاء يحفظون ذلك إلى أن آلت الخلافة إلى المقتدر، وهناك ما لم ير مثله، وفيه
 الدرة اليتيمة زنها ثلاثة مثاقيل، فبسط فيه المقتدر يده ووهب بعضه لصافي الحرمي ووجه منه
 إلى وزيره العباس فرد، وقال: هذا الجوهر عدة الخلافة، ولا يصلح أن يفرق، وكانت زيدان
 القهرمانة متمكنة من الجوهر، فأخذت سبحة لم ير مثله، وكان يضرب بها المثل، فيقال: سبحة
 زيدان، فلما ورز علي بن عيسى قال للمقتدر: ما فعلت سبحة جوهر؟ قيمتها ثلاثون ألف دينار
 أخذت من ابن الجصاص؟ فقال: في الخزانة، فقال: تطلب، فطلب فلم توجد، فأخرجها من
 كُفِّه، وقال: إذا كانت خزانة الجوهر لا تحفظ فما الذي يحفظ؟ اهـ وفي البداية والنهاية
 (١١٨/١١) في ترجمة فاطمة القهرمانة قال: غضب عليها المقتدر مرة فصادها، وكان في جملة
 ما أخذ منها مائتي ألف دينار، ثم غرقت في طيارة لها في هذه السنة. اهـ وفيه (١٢٨/١١) في
 أحداث سنة أربع وثلاثمائة قال: فيها عزل المقتدر وزيره أبا الحسن علي بن عيسى بن الجراح،
 وذلك لأنه وقعت بينه وبين أم موسى القهرمانة نفرة شديدة، فسأل الوزير أن يعفى من
 الوزارة؛ فعزل ولم يتعرضوا لشيء من أملاكه.

الحدود التي بلغها خلفاء بني العباس ومن قبلهم خلفاء بني أمية من البغي والفساد، وارتكاب العظائم والجرائم.

ومن المؤسف حقاً أن يكون هؤلاء هم رعاة المسلمين، وخلفاء الله في أرضه، والأمناء على دينه، القائمين مقام النبي ﷺ، مع ما هم عليه من القبائح والفضائح منذ عهد معاوية ويزيد، والسفاح والمنصور، وإلى آخر ولاية الدولتين.

تواطؤ علماء السوء مع سلاطين الجور

وهكذا كان العلماء يصنعون لسلاطينهم ما يشتهون، ويروجون لهم ما يتمنون. أما العلماء الربانيون الذين لا يخافون في الله لومة لائم فيقضون بالحق وبه يعدلون، فقد حصدتهم سيوف الخلفاء، وتماأت عليهم علماء الأمة ورعاتها بالجفاء، فلا تحس منهم في تلك الأحقاب حساً، ولا تسمع لهم ركزاً، ومن هنا كانت الساحة العلمية في تلك الأزمنة خالصة للمذهب الموروث عن بني أمية من دون أي معارض.

تمزق بلاد المسلمين

منذ عهد المقتدر وما بعده وفي حدود سنة ٢٤٧هـ استطاع يعقوب بن الليث الصفار^(١) أن ينفصل عن الدولة العباسية، فاستقل بالأمارة الصفارية في شرق

(١) الدولة الصفارية (٢٤٧ - ٣٩٣ هجرية) قال في مروج الذهب (٤/ ١١٢): وفي سنة اثنتين وستين ومائتين كان مسير يعقوب بن الليث الصفار نحو العراق في جيوش عظيمة،... إلى قوله: وترقى الأمر بيعقوب إلى أن كان من أمره ودخوله بلاد زابلستان - وهي بلاد فيروز بن كبك ملك زابلستان - وما كان من أمره مع رسول ملك الهند على جسر بسط ودخوله بلاد هرة ثم بلخ، وإعماله الحيلة إلى أن دخل بلاد نيسابور، وقبضه على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، ثم دخوله إلى بلاد طبرستان... إلى أن قال: وكانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك في الأمم الغابرة من الفرس =

إيران (بلوخرستان) ومدّ حدودها حتى شملت كرمان وأفغانستان والهند، واستقل أحمد بن طولون^(١) على مصر وامتد حكمه إلى الشام، وأصبحت فارس والرّي وأصبهان والجيل في أيدي بني بويه^(٢)، وخراسان في يد نصر بن أحمد

وغيرهم ممن سلف وخلف، وحسن انقيادهم لأمره، واستقامتهم على طاعته لما كان قد شملهم من إحسانه، وغمرهم من بره، وملأ قلوبهم من هيئته... الخ.

وذكر في تاريخ الطبري (٢٥٥/٩) في أحداث سنة ٢٤٨هـ تحركه من سجستان إلى هراة. اهـ وقال في البداية والنهاية (١٥/١١) في أحداث سنة خمس وخمسين ومائتين: وفيها كانت محاربة شديدة بين يعقوب بن الليث وبين علي بن الحسين بن قريش بن شبل، فبعث علي بن الحسين رجلاً من جهته يقال له طوق بن المغلس، فصابره أكثر من شهر ثم ظفر يعقوب بطوق فأسره وأسر وجوه أصحابه، ثم سار إلى علي بن الحسين هذا، فأسره وأخذ بلاده - وهي كرمان - فأضافها إلى ما بيده من مملكة خراسان سجستان . اهـ.

(١) الدولة الطولونية (٢٥٤ - ٢٩٢هـ) أسسها أحمد بن طولون في مصر حيث تولى سنة ٢٥٤هـ وتوفي سنة ٢٧٠هـ، واستمرت في أيدي أولاده حتى سنة ٢٩٢هـ. قال في مروج الذهب (١٢٢/٤): وكانت ولاية أحمد بن طولون سبع عشرة سنة، ... ولما يئس أحمد بن طولون من نفسه بايع لابنه أبي الجيش بالأمر من بعده. اهـ . ثم ذكر وقعة الطواحين بين أبي العباس ابن الموفق العباسي وأبي الجيش وانهزام أبي الجيش أولاً ثم انهزام أبي العباس ثانياً على يد غلام أبي الجيش سعد الأعسر في شوال سنة ٢٧١هـ والله أعلم.

(٢) الدولة البويهية (بنو بويه) (٣٢٠ - ٤٤٧هـ) كان ابتداء دولة بني بويه في أيام القاهرة، وهم ثلاثة إخوة عماد الدولة عليّ وركن الدولة الحسن ومعزّ الدولة أحمد أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو ومن ولد يزجرد بن شهریار آخر ملوك الفرس. وهذا نسب عريق في الفرس ولا شك أنهم نسبوا إلى الديلم حيث طال مقامهم ببلادهم، وبعد أن قويت دولتهم في الجليل والديلم واستولوا على أصبهان والأهواز، ... دخلوا بغداد في أيام المستكفي سنة ٣٣٤هـ، وغلب معزّ الدولة بن بويه على المستكفي وبقي في كفالته، ثم خلعه وباعوا للمطيع لله ... ثم استمرت دولتهم حتى انقرضت على أيدي السلاجقة سنة ٤٤٧هـ انظر تاريخ ابن خلدون (٣/ ٤٩٠ - ٥٦٨) والكمال (٥/ ٧) والبداية والنهاية (١٥/ ١٦٧) ومروج الذهب (٤/ ٢٧٦).

الساماني^(١)، وطبرستان وجرجان في يد الديلم^(٢)، وكرمان في يد محمد بن

(١) الدولة السامانية (٢٦٦ - ٣٨٩ هـ) قال في مروج الذهب (٤/ ١٨٣): وكانت وفاة نصر بن أحمد صاحب ما وراء نهر بلخ في أيام المعتضد، وذلك في سنة تسع وثمانين ومائتين، وصار الأمر إلى أخيه إسماعيل بن أحمد.

(٢) قال في مروج الذهب (٤/ ٢٧٩) ذكرا لقدوم الإمام الداعي الحسن بن القاسم الحسيني إلى الري أنه وافها في جيوش كثيرة من الجليل والديلم ومعه ماكان بن كاكي الديلمي أحد فتاك الديلم ووجوهها، فأخرج عساكر نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد صاحبها عنها، واستولى عليها وعلى قزوین وزنجان وقم وأبهر وغير ذلك مما اتصل بالري، فكتب المقتدر إلى نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان يُنكرُ عليه ذلك ويقول: إني ضمتك المال والدم، فأهملت أمر الرعية، وأضعفتها وأهملت البلد، حتى دخلته المبيضة، وألزمه إخراجهم عنه، فوقع اختيار نصر صاحب خراسان على إنفاذ رجل من أصحابه من الجليل، يقال له أسفار بن شيرويه، وأخرج معه ابن المحتاج، وهو أمير من أمراء خراسان، في جيش كثير ليحارب من مع الداعي وماكان بن كاكي من الديلم لما بين الجليل والديلم من الضغائن والتنافر، فسار أسفار بن شيرويه الجليلي فيمن معه من الجيوش إلى حدود الري، فكانت الوقعة بين أسفار بن شيرويه الجليلي، وبين ماكان بن كاكي الديلمي، فاستأمن أكثر أصحاب ماكان بن كاكي الديلمي وقواده، مثل مشيز وتالجن وسليمان بن شركلة الأشكري، ومرد الأشكري، وهشونه بن أومكر في آخرين من قواد الجليل، فحمل عليهم ماكان في نفر يسير من غلمان سبعة عشرة حملة، وصبرت له عساكر خراسان، ومن معه من الأتراك، فولى ماكان، ودخل بلاد طبرستان، وانهزم الداعي بين يديه، وماكان على حاميته، فلحقته خيول خراسان والجيل والديلم والأتراك، فيهم أسفار بن شيرويه، ومضى ماكان لكثرة الخيول، وانحاز الداعي وقد لحق بقرب أمل قصبه بلاد طبرستان إلى طاحونة هنالك، وقد تخلى عنه من كان معه من الأنصار، فقتل هنالك، ولحق ماكان بالديلم واستولى أسفار بن شيرويه على بلاد طبرستان، والري، وجرجان، وقزوین، وزنجان، وأبهر، وقم، وهمذان، والكرخ، ودعا لصاحب خراسان، واستوثقت له الأمور، وعظمت جيوشه، وكثرت عدته، فتجبر وطغى، وكان لا يدين بملة الإسلام، وعصى صاحب خراسان، وخالف عليه، وأراد أن يعقد التاج على رأسه، وينصب بالري سريراً من ذهب للملك، ويتملك على ما في يديه مما قد ذكرنا من البلاد، ويحارب السلطان وصاحب خراسان، فسير المقتدر هارون بن غريب في الحال نحو قزوین، فكانت له معه حروب، فأنكشف هارون، وقتل من أصحابه خلق كثير، وذلك بباب قزوین، وقد كان أهل

إلياس^(١)، والموصل وديار ربيعة وبكر ومضر في أيدي بني حمدان^(٢)، والأهواز وواسط والبصرة في أيدي البريدي^(٣)، واليامة والبحرين في يد أبي طاهر

قزوين عاونوا أصحاب السلطان، فقتلوا منهم عدّة، فكانت لهم بعد هزيمة هارون بن غريب مع الديلم حروب، وسار إليهم أسفار بن شيرويه، فأثنى على حَلْقٍ عظيم بها، وملك القلعة التي في وسط قزوين، وتدعى بالفارسية: كشوين، وهو الحصن الذي كان للمدينة أولاً في نهاية المنعة، مما كانت الفرس جعلته ثغراً يزاء الديلم وشحته بالرجال، لأن الديلم والجيل - مذ كانوا - لم ينقادوا إلى ملة، ولا استحبوا شرعاً ثم جاء الإسلام، وفتح الله على المسلمين البلاد، فجعلت قزوين للديلم ثغراً هي وغيرها، مما أطاف ببلاد الديلم والجيل، وقصدها المطوعة والغزاة، فربطوا وغزوا ونفروا منها، إلى أن كان من أمر الحسن بن علي العلوي الداعي، الأطروش، وإسلام من ذكرنا من ملوك الجيل والديلم على يديه ما تقدم ذكره في صدر هذا الباب من خبره، والآن فقد فسدت مذاهبهم وتغيرت آراؤهم، وألحد أكثرهم، وقد كان قبل ذلك جماعة من ملوك الديلم ورؤسائهم يدخلون في الإسلام، وينصرون من ظهر ببلاد طبرستان من آل أبي طالب مثل الحسن ومحمد ابني زيد الحسني... الخ ما ذكره من أخبار أشفار بن شيرويه.

(١) محمد بن إلياس هو رجل من الصغد من أصحاب نصر بن أحمد الساماني، خرج واستولى على كرمان سنة (٣٢٢هـ) حتى بلغ اصطخر، وقعت بينه وبين بني بويه وقعات توفي سنة (٣٥٦هـ)، انظر الكامل (١٦/٧).

(٢) الدولة الحمدانية (٢٩٢-٤٠٤هـ) تقدم ذكرهم في حاشية سابقة منقولة من مروج الذهب (٢٧٦/٤).

(٣) البريدي، ومنهم من يسميه اليزيدي، قال الصفدي في الوافي بالوفيات (٧٥/٨): أحمد بن مُحَمَّد بن يَعْقُوب بن إِسْحَاق أَبُو عبد الله اليزيدي من أهل البصرة، كَانَ من ذَوِي الْيَسَارِ مَعَ قُوَّةِ نَفْسٍ وَتَمُورٍ وَإِقْدَامٍ، ولي الوزارة للراضي بِاللَّهِ ... ثُمَّ عَزَلَ وَكَانَتْ مُدَّةُ وَزَارَتِهِ سَنَةً وَاحِدَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، ثُمَّ ولي الوزارة للمتقي لله، فَأَقَامَ بِالْحَضْرَةِ مَشُوشًا عَلَيْهِ أَمْرُهُ ثُمَّ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ الْجُنْدُ وَحَارِبُوهُ وَكَسَرُوهُ فَانْحَدَرُوا مِنْهُزِمًا إِلَى وَاسِطٍ، وَكَانَتْ مُدَّةُ هَذِهِ الْوِزَارَةِ أَرْبَعَةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ ولي الوزارة للمتقي مَرَّةً ثَانِيَةً وَهُوَ بِوَاسِطٍ وَنَفَذَتْ إِلَيْهِ الْخُلُوعُ وَاسْتَخْلَفَ لَهُ بِالْحَضْرَةِ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّد بن يحيى بن شيرزاد ثُمَّ عَزَلَ وَكَانَتْ مُدَّةُ وَزَارَتِهِ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ إِنَّهُ جَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَاسْتَجَدَّ بِعِمَادِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ عَلِيِّ بن بويه الديلمي عَلَى التَّغْلِبِ عَلَى

الجنابي القرمطي^(١)، ومصر وإفريقية في يد القائم بأمر الله ابن المهدي الفاطمي^(٢)، والأندلس في يد عبد الرحمن الأموي^(٣)، ولم يبق في يد الخليفة سوى

أعمال خوزستان والبصرة ولما بلغ به ما أراد فأرقه وجرت له أمور وحروب ووقائع يطول شرحها، وبعد هذا كله مات حتف أنفه . اهـ.

(١) هو أبو طاهر الجنابي القرمطي ثاني ولاية القرامطة، ولعل توليته كانت سنة ٣٠١ هـ بعد مقتل أبيه أبي سيعد الجنابي، وقتل أبو طاهر سنة ٣٣٢ هـ كما في وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٣٣٦) وكان ظهورهم في البحرين مع جمع من الأعراب المفسدين، وقد عاث أبو طاهر في الأرض فساداً، وله وقعات مع أعوان المقتدر بن المعتضد، وقتل الآلاف من الحجيج، واسترق آخرين، واستولى على أموالهم عام ٣١٢ هـ في المحرم منها كما في العبر (٢/٤٣٦) وهو الآخذ للحجر الأسود، ولعله في العام المذكور، وكان ابتداء ظهورهم سنة ٢٨٦ هـ كما في العبر في أخبار من ذهب (١/٤١١).

(٢) الدولة الفاطمية (العبيدية) (من ٢٩٧ - ٥٦٧ هجرية) من الدول التي امتدت أيامها واتسعت ممالكها، واستولت ملوكها على كثير من الممالك المشهورة شرقاً وغرباً، ببلاد المغرب، والديار المصرية، والبلاد الشامية، والثغور والعواصم، وغير ذلك. وكان ابتداء ظهور هذه الدولة ببلاد المغرب في سجلها سنة ٢٩٧ هجرية، ومؤسسها عبيد الله بن محمد المتسمي بالمهدي وآخرهم العاضد لدين الله، وعدة من ملك منهم أربعة عشر ملكاً أو خليفة، وكانوا يعتقدون المذهب الإسماعيلي ويتبنونه علانية .

(٣) الدولة الأموية في الأندلس (١٣٨ - ٤٢٢ هجرية) قال في مروج الذهب (١/١٨٣) وهو يتحدث عن طليطلة وأنها ذات منعة بالغة، وذكر تمرد أهلها على الأمويين وعصيانهم ما لفظه: فلما كان بعد الخمس عشرة وثلاثمائة فتحها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي وعبد الرحمن هذا هو صاحب الأندلس في هذا الوقت، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وقد كان غير كثير من بنيان هذه المدينة حين افتتحها، وصارت دار مملكة الأندلس قرطبة إلى هذا الوقت.

بغداد استولى عليها منه البويهيون وخلعوا الخليفة المستكفي وولوا المطيع^{(١)(٢)}.

(١) قال في مروج الذهب (٤/٢٧٧): وبويع المطيع لله - وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر - لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: إنه بويع في جمادى الأولى من هذه السنة، وغلب على الأمر ابن بُوَيْه الديلمي، والمطيع في يده لا أمر له ولا نهي، ولا خلافة تعرف، ولا وزارة تذكر، وقد كان أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد يدبر الأمر بحضرة الديلمي، فَيَمَّا بأمر الوزارة برسم الكتابة، ولم يخاطب بالوزارة إلى أن استأمن الحسين بن عبد الله بن حمدان إلى الجانب الغربي، وخرج معه عند خروجه إلى ناحية الموصل، إلى أن اتهمه بتغريته الأتراك عليه، فسمّل عينيه.. الخ.

(٢) قال المؤرخ ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ (٧/٥٣): وبطلت الدواوين من ذلك الوقت [أي وقت الرازي بن المقتدر حين استولى ابن رائق على العراق (وبطلت الوزارة)، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور، إنما كان ابن رائق وكاتبه ينظران في الأمور جميعها، وكذلك كل من تولى إمرة الأمراء بعده، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون، ويطلقون للخليفة ما يريدون، وبطلت بيوت الأموال، وتغلب أصحاب الأطراف، وزالت عنهم الطاعة، ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها، والحكم في جميعها لابن رائق ليس للخليفة حكم. وأما باقي الأطراف فكانت البصرة في يد ابن رائق، وخوزستان في يد البريدي. وفارس في يد عماد الدولة بن بويه. وكرمان في يد أبي علي محمد بن إلياس. والري وأصبهان في يد ركن الدولة بن بويه ويد وشمكير أخيه مرداويج يتنازعان عليها، والموصل وديار بكر ومضر وريبعة في يد بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طعج. والمغرب وإفريقية في يد أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدي العلوي، وهو الثاني منهم، ويلقب بأمير المؤمنين، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموي، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد الساماني. وطبرستان وجرجان في يد الديلم. والبحرين واليامة في يد أبي طاهر القرمطي. اهـ.

٥٩- وَكَذَلِكَ قَاهِرُهُمْ وَرَاضِيَهُمْ وَتَوَلَّى الْأَثَرَاكُ لِلْأَمْرِ
وفي هذا البيت اثنان من سلاطين العباسيين:

(القاهر) محمد بن المعتضد (ت ٣٢٢هـ)

القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد، بويع له يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر شوال سنة ٣٢٠هـ، وكان ألثغ شديد الإقدام على سفك الدماء بغير بصيرة ولا برهان، أهوج يأكل التراث أكلاً لما، ويحب المال حباً جماً، قبيح السياسة، سيء الظن، وكانت مدته قصيرة يسيرة، وأحداثها طويلة كثيرة، أقام في الأمر سنة وستة أشهر وثمانية أيام.

وكبس عليه الغلمان الساجية والحجرية فحبس، وسُملت عيناه، وهو أول من سُمل، وخلع يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ، وقتل جماعة من رجال الدولة منهم مؤنس الخادم.

(الراضي) محمد بن جعفر المقتدر (ت ٣٢٩هـ)

الراضي بالله، واسمه محمد بن جعفر المقتدر، ويكنى أبا العباس، بويع له يوم الخميس لست خلون من جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ، فأقام في الخلافة إلى أن مضى من ربيع الأولى عشرة أيام سنة ٣٢٩هـ، ومات حتف أنفه بمدينة السلام، وكانت خلافته ست سنين وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام، ولم يقصر الراضي عن تقديمه من الخلفاء في المعاصي والملاهي.

وفي أيامه كان قيام **الداعي الحسن بن القاسم** رضي الله عنه، وبويع للداعي يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر رمضان، فأظهر من حسن السيرة في الأمور كلها من بسط العدل والإحسان إلى الناس عموماً، وإلى الأشراف وأهل العلم على طبقاتهم

خصوصاً وتسويغ حوائجهم، والتشديد على أهل العيث^(١) والفساد، ما يضرب به المثل إلى الآن بطبرستان فيقال: عدل الداعي.

وكانت له حروب مشهورة ووقائع معروفة مع الجنود العباسية، ومع ولدي الناصر فقد كانا نازعا، واستظهر استظهاراً تاماً في تلك الجهات. هكذا قال الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام في الشافي [٧٥١/١].

والصحيح أن الإمام الداعي الحسن بن القاسم قُتِلَ في أيام المقتدر سنة ٣١٦هـ، كما ذكره شيخنا عليه السلام في التحف [١٨٩]، وذكره أيضاً في الكامل [٦٥٠/٦]^(٢)، وقد ذكرنا ذلك فيما سبق؛ وإنما ذكرنا ذلك هنا تبعاً للإمام المنصور، ولما في كلامه عليه السلام من حسن الثناء على الإمام الداعي، ومن الإشارة إلى شيء من عدله وسيرته وجهاده.

وعادة الإمام المنصور بالله عليه السلام في قسم التاريخ من كتابه الشافي أن يقارن بين كل خليفة من خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس، وبين من قام في عصره من أئمة أهل البيت عليهم السلام، من أجل أن يعرض للقارئ الفوارق بين كل واحد من المتسلطين منهم ومن يوازيه من أهل البيت عليهم السلام، ولا شك أن القارئ اللبيب يجد الفرق

(١) قال في لسان العرب: عَيْثٌ: مصدرٌ عَاثَ يَعِثُ عَيْثًا وَعَيْوُثًا وَعَيْثَانًا: أَفْسَدَ وَأَخَذَ بِغَيْرِ رَفْقٍ.

(٢) وذكره أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية (١٥٨/١١) وأكد ذلك البيهقي ابن فندق في كتابه لباب الأنساب (ج ١/ ٣٣٠) حيث قال: الداعي إلى الله، هو الحسن بن القاسم، ورد أمل في رمضان يوم الثلاثاء لرباع وعشرين من سنة أربع وثلاثمائة، بقي على أمره بعد الناصر اثنتا عشرة سنة. وقتل سنة ست عشرة وثلاثمائة، يوم الثلاثاء وقت العصر في السابع والعشرين من رمضان. اهـ.

الواضح بين أولئك المتسلطين وبين دعاة أهل البيت عليهم السلام، كوضوح النهار من الليل، والسماء من الأرض، والمؤمن من الكافر، والمهتدي من الضال، والحي والميت، والأعمى والبصير، والظل والحرور.

ولا يخفى على أهل العقول أن المؤمن أولى بالخلافة من الفاسق، وأن المهتدي أولى من الضال، وأن العادل أولى بها من الجائر، عرفت ذلك الأمة، وتحققته في مبادئ فطرتها وضرورة دينها، ولم يكن داؤها هو الجهل، كلاً ؛ بل إن داءها هو الأهواء وحب الدنيا، وتاماً كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۖ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۚ﴾ [القيامة] ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَّمَّا ۖ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۚ﴾ [الفجر].

لذلك سارعت الأمة إلى قتل الحسين عليه السلام، وطاعة يزيد وعبيد الله بن زياد، ثم هرولت إلى مناصرة مروان الطريد ومشايعته ومبايعته بإمرة المؤمنين، وخلافة رسول رب العالمين، وتركت - كما ذكرنا - سيد العابدين وكامل آل محمد صلوات الله وسلامه عليه، مع علمها بما بين الطرفين من الفوارق الجلية الواضحة.

المذهب الأشعري

أورد شوقي ضيف صاحب كتاب (العصر العباسي) (٤ / ١٧٧) قائلاً: كان أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل سليل أبي موسى الأشعري، المتوفى سنة ٣٢٤ هـ، تلميذاً لأبي علي الجبائي المعتزلي، وقد ظل على مذهب المعتزلة أربعين عاماً، كان يختلف فيها إلى حلقات أستاذه أبي علي الجبائي، ثم بعد ذلك تاب^(١) من القول

(١) هذا حسب تعبير شوقي ضيف واعتقاده.

بالعدل، وخلق القرآن، وعدم رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار، وأن الإنسان يفعل أفعاله بقدرته وإرادته الخاصة، وذهب إلى مذهب متوسط - بزعمه - بين المعتزلة والجبرية.

فقال: إن الله تعالى هو الذي يخلق أفعال الإنسان وهي للإنسان كسب.

وقال: إن صفات الباري تعالى أزلية قائمة بذاته.

وقال في القرآن: إن العبارات والألفاظ المنزلة دلالات على الكلام الأزلي، والدلالات محدثة مخلوقة، والمدلول قديم أزلي.

ورفض دلالة العقل، فقال: إن معرفة الله تعالى لا تكون بالعقل ؛ بل بالوحي والشرع ونصوص الكتاب والسنة.

فالعقل عنده لا يوجب شيئاً، ولا يقتضي تحسناً ولا تقييحاً، فالواجبات عنده كلها إنما تجب بالسمع فقط. انتهى.

قلت: كان هذا هو بداية المذهب الأشعري، ولم يكن له وجود قبل ذلك، وليس للأشعري فيما ذهب إليه سلف، و((شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)).

هذا، ولم يبعد كثيراً ببدعته تلك عن المذهب الرسمي للدولتين، والجديد من بدعته التي ابتدعها هو صناعته لفلسفة جديدة كساها المذهب الموروث ثوباً جدياً، فأخرجها للناس في ذلك الثوب الجديد.

اتفاق الحنابلة والأشاعرة في أصول المذهب التقليدي

ومن هنا فإنك لا تجد خلافاً بين الحنابلة والأشعرية في أصول المذهب التقليدي العام، فهم متفقون جميعاً على أن الله سبحانه وتعالى هو خالق أفعال العباد الطاعة

منها والعصيان، وأنه يُرى يوم القيامة، وعلى وجوب طاعة السلطان المتغلب وإن اقترف العظائم والكبائر، وعلى تحريم الخروج عليه، وعلى تولي معاوية والعمل بسنته، وعلى معاداة عدوه الذين هم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده وأهل بيته وأشياهم عبر القرون، وما يتبع ذلك من الذم لهم والتضليل، ورد شهاداتهم ورواياتهم... إلخ.

وعلى تركية جميع الصحابة وتعديلهم، وتحريم الخوض فيما جرى بينهم، أو حصل من ذوي الأحداث منهم.

واتفقوا على أن العقل لا يوجب تحسيناً ولا تقبيحاً، وأن ذلك لا يكون إلا عن طريق السمع.

واتفقوا على تفسير المؤمن والإيمان، والشفاعة للفاسقين، والخروج من النار للموحدين، وعلى مسائل النبوة والإمامة... إلخ.

والذي اختص به الأشعري هو تأويل الآيات التي ظاهرها التشبيه على حد ما تفسره العدلية، إلا ما يتعلق بالرؤية فإنه أبقاه على ظاهره^(١).

(١) قال في كتاب الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٤): الأشعرية: أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري؛ المنتسب إلى أبي موسى الأشعري، ثم عدد عقيدته واحدة بعد الأخرى، نحو ما في الأصل، وزاد أن تكليف ما لا يطاق جائز على الله سبحانه، وقوله: فلو أدخل الخلاق بأجمعهم الجنة لم يكن حيفاً، ولو أدخلهم النار لم يكن جوراً، ونحو ذلك من الأقوال الفاسدة والعقائد الباطلة، التي تكسب صاحبها الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام] وأقواله الشاذة مزبورة في كتب الفرق والمقاتلات، والملل والنحل، وكتب أصول الدين وعلم الكلام، من أعظمها تحقيقاً وإنصافاً وبعداً عن العصبية رسالة العالم

واختص أيضاً بالكسب، ويقدم معنى القرآن دون ألفاظه المنزلة. وياخرج علم الكلام في صورة فلسفية جديدة، استنكرها إخوانه من أهل السنة والجماعة، ولم تستسغها أفكارهم الجامدة، لذلك افرقت بهم الطريق، وانشقت العصا، وأصبح الفريق الواحد فريقين، كل منهما يقول إنه صاحب السنة والجماعة، والأحق بالاتباع والطاعة، وعقائد الجميع - كما ترى - باطلة، وعن الصواب عاطلة، وأقوالهم معلولة، وبراهينهم كليلية، وشبههم ضئيلة، واحتجاجاتهم عليلة، ﴿اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِّمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النور: ٤٦].

مذهب أهل البيت عليهم السلام

وإذ قد أشرنا إلى مذهب المعتزلة، ومذهب أهل السنة والجماعة (الحنابلة والأشعرية) فلنشر هنا إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام (الزيدية) فنقول وبالله التوفيق: مذهب الزيدية هو امتداد لمذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما أن مذهب أهل السنة والجماعة امتداد لمذهب معاوية بن أبي سفيان، لذلك فإن أهل السنة والجماعة يسمون الزيدية بـ(شيعة علي)، أو بـ(الشيعة). وأيضاً فإن كلاً من الفريقين قد ورث عن سلفه كل سمات العداوة التي كانت بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان.

فأهل السنة ييغضون شيعة علي وأنصاره، وينسبونهم إلى الضلال والبدعة،

= المتحرر عبد الصمد الدامغاني من رجال القرن الرابع الهجري الموسومة بـ (الجوهرة الخالصة عن الشوائب في العقائد المنقومة على جميع المذاهب).

ويمقتونهم أشد المقت، ويحاولون لو دالت لهم الأيام قتلهم كما يقتل المشركون، وتهاماً كما كان معاوية، ولا زالت هذه السمة التاريخية ملازمة لأهل السنة والجماعة على طول التاريخ، وركناً عظيماً من هويتهم الفكرية إلى اليوم. وكذلك الزيدية منذ عهدهم الأول فإنهم يكرهون أهل السنة والجماعة، و... إلخ ؛ غير أنهم لم يبلغوا إلى الحد الذي وصله أهل السنة والجماعة من استحلال القتل باسم الشرك.

بعض مميزات المذهب الزيدي (مذهب أهل البيت عليه السلام):

وقد اشتهرت مذاهب الزيدية منذ القدم عند جميع الطوائف الإسلامية وذكروها في كتبهم الكلامية؛ فمن ذلك:

(١)- اشتهارهم بتنزيه الله سبحانه وتعالى عن فعل معاصي العباد، وعن إرادتها ومشيتها، وأن العاصي هو الذي فعل المعصية من قبل نفسه وبإرادته ومشيته وقدرته، لا دخل لإرادة الله ومشيته وقدرته في فعلها البتة.

(٢)- ومن ذلك قولهم: إن صفات الله تعالى هي ذاته، وأن الله سبحانه لا تحله الأعراض، وأنه ليس بذي مكان، ولا يشبه شيئاً من المحدثات، فليس له يدان على الحقيقة، ولا وجه، ولا عيان، ولا رجلان، ولا قبضة، ولا أصابع، ولا جنب، ولا.... إلخ، وأنه لا يجوز عليه الصعود والهبوط والهرولة، سبحانه وتعالى عما يقول المشبهون علواً كبيراً، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

(٣)- واعتقادهم أنه تعالى لا يفعل القبائح، ولا يريد لها ولا يشاؤها على الإطلاق.

(٤)- وأن العقل من أقوى طرق الفكر إلى معرفة الله تعالى، وتوحيده وعدله، وإلى تصديق رسله وكُتبه، وإلى معرفة الحسن والقيح، و... إلخ.

(٥)- وأن من أدخله الله تعالى النار من فُجَّار هذه الأمة فإنه خالد فيها أبداً، وأن شفاعة النبي ﷺ خاصة بالمؤمنين التائبين يرفع الله تعالى بها درجاتهم ومنازلهم. وأنه لا نصيب لعصاة هذه الأمة الذين ماتوا مصرين على عصيانهم في شفاعة النبي ﷺ.

وقد استدلووا على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠، آل عمران: ١٩٢، المائدة: ٧٢]، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

(٦)- وأن علياً عليه السلام خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ وأفضلها على الإطلاق. وأنه أحق بالخلافة وأولاهم بمقام النبي ﷺ؛ لأنه عليه السلام:

(أ)- أجمعهم لخصال الفضل عند الله، فهو أسبقهم إلى الإسلام، وأعظمهم جهاداً في سبيل الله وبين يدي رسول الله ﷺ مع القرابة القريبة من النبي ﷺ، والعلم الغزير الواسع والحكم والتدبير والتفاني في مرضاة العليم الخبير.

(ب)- ولما جاء من التنصيب على ذلك في حديث الغدير وفي حديث الدار يوم الإنذار، وحديث المنزلة، وحديث الثقلين، وغير ذلك من الكتاب والسنة.

(٧)- وأن خلافة النبوة لا تكون باختيار البشر؛ وإنما هي باختيار الحكيم العليم ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصاص: ٦٨].

(٨)- وأن أهل البيت عليه السلام هم محل اختيار الله لخلافة النبوة بدليل حديث

الثقلين وغيره.

(٩)- وأن الظالم لا تجوز خلافته ولا ولايته ولا طاعته.

(١٠)- وأن الصحابة كغيرهم في باب العدالة والرواية - وإن كانت الصحبة شرفاً عظيماً ومنزلة رفيعة- فيهم المؤمن والمنافق والمهتدي والضال و.. إلخ ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى التَّفَاقٍ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١].

(١١)- وأن من أبغض علي بن أبي طالب عليه السلام غير عدل؛ بل إنه منافق لا تجوز روايته وتسقط عدالته؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المشهور: ((لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)). وهذا على عكس ما عند أهل السنة، فإنهم يعدلون مبغضي علي عليه السلام ويجرحون محبيه عليه السلام.

(١٢)- وأن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم طائفة الحق الظاهرة بالحجج والبراهين، لا يفارقون الحق ولا يفارقهم إلى يوم القيامة، وأن متبعهم ناج ومخالفهم ضال هالك.

يدل على جميع ذلك: حديث الثقلين المتواتر، وحديث الكساء، وآية التطهير، وآية المودة، وغير ذلك كثير، ولو لم يكن من الدلائل على ما قلنا إلا ما أوجبه الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من إيجاب الصلاة عليهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل صلاة لكفى وشفى، كيف وقد طفحت كتب السنة بما في ذلك الصحاح الست بذكر فضائلهم الشاهدة بزكاتهم وطهارتهم وحسن ديانتهم، وهذا في حين أن أهل السنة والجماعة لم يأتوا بدليل واحد ولا حتى بشبهة دليل على أنهم هم الفرقة الناجية والطائفة المحقة، اللهم إلا مجرد أسماء ودعوى كقولهم: (إنهم أهل السنة)، وإنهم على مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وعلى ما

كان النبي ﷺ عليه، وعلى ما كان عليه الجمل الغفير من علماء هذه الأمة عبر العصور السالفة.

ثم يدعمون هذه الأسماء والدعاوى برمي أهل البيت وأتباعهم بأسماء الذم من مثل قوهم: روافض، وشيعة، وغلاة، يسبون الصحابة، ويسبون الخلفاء وأمّهات المؤمنين.

ونحو قوهم: قدرية، ومعطلة، ومجوس ومشركون شركاً أكبر أو أصغر، و.. إلخ، يشيعون مثل ذلك من أجل إدحاض حجج الحق التي جاءت في أهل البيت ﷺ، ولتثبت بسبب ذلك وتتقوى أركان عقيدتهم^(١).

(١) قال العالم المتحرر عبد الصمد الدامغاني في رسالته الجوهرية الخالصة عن الشوائب (ص ٩٨ - ١٠٠) وقد تكلم على المذاهب في صفة الفقهاء التاركين لأهل البيت ما لفظه: ومنها أنهم - الجميع - أخذوا عن أهل بيت النبي ﷺ جانباً، ثم لم يتخذوا لهم منهم صاحباً، ولم يمثلوا قول الله عز وجل فيهم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [النورى: ٢٣]، بل كانت مودتهم التحرد [بالحاء المهملة: من حرد عليه بمعنى غضب عليه] عليهم، والمنابذة لهم كأنهم خرجوا من وراء السد الذي جعله ذو القرنين على يأجوج ومأجوج؛ اقتداء بخلفاء بني أمية وبني العباس، فيُسوّون بين علي وفاطمة والحسين، وبين معاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم والوليد ابن عقبة وابن أبي سرح، ونحوهم من أعداء الله ورسوله والإسلام، ثم لا يعرفون من ذرية رسول الله بعد هؤلاء إنساناً، ولا يذكرونه بخير كما يذكرون أشياخهم من التابعين وغيرهم، فأين هم من زين العابدين وعبد الله بن الحسن، إلى أن يردوا عليه الحوض؛ لأنه ﷺ قال: ((إني خلفت فيكم الثقيلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) فهؤلاء الجهال فرقوا بينهم وبين الكتاب، وأهملوا ذكرهم وتركوا التبرك بمآثرهم والأخذ بحكمهم؛ وهم يعلمون لو أنصفوا أن زين العابدين وولديه: زيد والباقر، وولده جعفر الصادق، ثم ولده وولد ولده علي الرضا، وعبد الله بن الحسن وأولاده كانوا من الأوتاد، ولهم من الكرامات والمقامات الشريفة ما ليس للسقطي، ولا للجنيذ، ولا للفضيل

بناء المذهب الزيدي على فطر العقول وأدلة الكتاب والسنة

هذا، وكل الذي ذكرناه من مذهب الزيدية قد بني على فطر العقول التي فطر الله الناس عليها، وعلى أدلة الكتاب العزيز وأدلة السنة المجمع عليها بين طوائف المسلمين، وبذلك تميزت عن الشيعة الإمامية، ولولا خوف التطويل لذكرنا

ونحوهم، وما أخذ هؤلاء الطريق إلا من أولئك عن أبيهم كرم الله وجهه، فأسقطوهم في الوسط للتعصب، وأثبتوا ذكر من عداهم، من أعداء الله وأعدائهم، فتلك مودتهم لهم التي أمر الله تعالى بها لقربى الرسول ﷺ ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [النورى] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] انتهى، وقد نقل هذا أيضا في التعليق على الشافي (١/ ٢٢٤). اهـ

وقال أيضاً في هذه الرسالة (ص ١١١) بعد أن ذكر الزيدية ما لفظه: ... وبلدانهم الذين يظهرون فيها، وتكون لهم الشوكة على أهلها بالعجم جيلان وديلمان وبعض جرجان وأصبهان والري، وبالعراق الأعلى: الكوفة والأنبار، وبالحجاز: مكة وجميع بلدان الحجاز إلا المدينة فإن الشوكة فيها للإثني عشرية، وهم في نجد اليمن، ظاهرون على مدنه كصنعاء وصعدة وذمار ونحوها، ولهم في سهولها بلدان كمدينة حلي وما بينها وبين اليمن من بلد المخلاف، ومنهم في الغرب جماعة كثيرة في جبال يقال لها جبال أوراس، ومنهم أخلاط في أمصار السنية، يتسترون بمذهب الحنفية لأن أبا حنيفة كان من رجال زيد بن علي ومن أتباعه وهم أتقى الشيعة لولا ما نقم عليهم، انتهى. ونقل كلامه هذا الحافظ السياغي في الروض النضير (١/ ١٣٦) بزيادة في أوله هي: (ولم تزل الإمامة في أهلي بيته قرناً بعد قرن، معروفين عند جميع الطوائف باسمه) وبعد تمامها قال السياغي: قلت: والذي ذكره من المطاعن فيهم أن الشفاعة ليست لعصاة هذه الأمة وأن الإنسان لا يدخل الجنة إلا بعمله، وأنهم يعتقدون كفر بعض من خالفهم في العقيدة، ويشترطون في الخليفة شروطاً لم يرد الشرع بها، ويجوزون خليفتين في زمان واحد إذا تباعد قطراهما، ولا يعتقدون في الصالحين، والوسواس في الطهارة، ويخالفون زيداً في أكثر الفروع. قال العلامة البكري بعد أن حكى معنى ما ذكره الدامغاني: وهذه التي عدها مثالب هي في التحقيق مناقب. انتهى من الروض النضير (١/ ١٣٧) ولولا التطويل لتكلمنا عليها واحدة بعد الأخرى بما ثبت ما قاله البكري أنها مناقب، وهي معروفة في كتب أصول الدين.

البراهين القاطعة من هذه الحجج الثلاث على جميع عقائدهم المتقدمة وغيرها من المسائل التي دانوا بها وهي مزبورة في كتب أصول الدين، وقد ذكرنا بعضها حديثاً في كتيب مستقل أسميناه (مسائل الخلاف) والله المستعان.

[شيء من عقائد الإمامية الرافضة]

هذا وأما الشيعة الإمامية الرافضة للحق والمحقين، المجوزة للمخلوق الضعيف ما لا يوصف به إلا الخالق العزيز اللطيف، فإضافة على حدوث مذهبهم وابتداع عقائدهم وأن ذلك كان في زمان الخليفة العباسي (المأمون) وإن كان قد ظهر لهم بوادر شقاق ونوازع نفاق في وقت الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام، فقد ارتكزت أفكارها على الظن والوهم والأساطير الخرافية والحكايات الخيالية والروايات الملفقة والأكذوبات الأشعبية، وقد اتخذت في صلب دينها عقائد لم تقم عليها الدلائل من فطر العقول، أو من الكتاب العزيز، أو من السنة المجمع عليها بين طوائف المسلمين، كقولهم بحصر الخلافة في اثني عشر إماماً مسميين بأسمائهم، وكدعواهم غياب المهدي منذ أكثر من ألف سنة، ودعواهم للأئمة العصمة المحققة، وأنهم يعلمون الغيب، ومن غير تعلم، وغلوهم في هؤلاء العظماء، إلى أن وصفوهم بصفات خالق الأرض والسماء، و... إلى آخر تلك الخرافات الساذجة، والأكاذيب الفاضحة^(١).

(١) أما مسألة النص على إمامة الاثني عشر المسميين بأسمائهم فقد أورد صاحب الكافي عشرين رواية قال عنها المجلسي في شرحه على الكافي المسمى (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول) (٢٠٣/٦) بعد أن تتبعها حديثاً حديثاً وسننقل حكمه على هذه الروايات فقط: قال عن الحديث الأول: صحيح، وعن الثاني: صحيح، بسند آخر للسابق، وعن الثالث: ضعيف، وعن الرابع: مختلف فيه، وعن الخامس: ضعيف، وعن السادس: مجهول، وعن السابع: =

كالسابق [أي: مجهول]، وعن الثامن: سنده الأول صحيح والثاني مجهول عامي، لكن الظاهر أن في السند الأول إرسالاً، وعن التاسع: ضعيف، وعن العاشر: مجهول، وعن الحادي عشر: ضعيف على المشهور، وعن الثاني عشر: كالسابق [أي: ضعيف]، وعن الثالث عشر: كالسابق [أي: ضعيف]، وعن الرابع عشر: مجهول وفي سند هذا الحديث اختلاف كثير في الكتب...، وعن الخامس عشر: حسن كالصحيح، وعن السادس عشر: ضعيف على المشهور، وعن السابع عشر: ضعيف، وعن الثامن عشر: مرفوع، وعن التاسع عشر: ضعيف، وعن العشرين: مجهول. اهـ منه باختصار لم أنقل إلا حكمه على الأحاديث. اهـ (٦/ ٢٣٥).

فانظر إلى معتمدكم في إثبات إمامة أئمتهم الاثني عشر؛ لم يستطع الحكم بالصحة حسب تصنيفهم للحديث الصحيح والضعيف إلا على حديثين وطريق لحديث، وحكم على حديث بأنه حسن؛ فهذا مرتكزهم في الإمامة، والأمة مجمعة على أن مثل هذه المسألة لا بد فيها من دليل قاطع ولا يعمل فيها بالظني. وما قيل عنه أنه صحيح فهي أحاديث منكرة..

وأما عن دعواهم ولادة المهدي محمد بن الحسن العسكري ثم اختفاءه، فانظر أيضاً مرآة العقول للمجلسي (٦/ ١٧٠) تحت عنوان: باب مولد صاحب عليه السلام: ولد عليه السلام للنصف من شعبان، أقول [أي: المجلسي]: هذا هو المشهور بين الإمامية، وروى الصدوق رحمه الله في إكمال الدين بإسناده عن غياث بن أسد أنه عليه السلام ولد يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين، وروي بإسناده عن عقيد أنه عليه السلام ولد ليلة الجمعة غرة شهر رمضان من سنة أربع وخمسين ومائتين، وروي بأسانيد عن حكيمة رضي الله عنها كما في المتن إلا أنها قالت: سنة ست وخمسين، وروى الشيخ في الغيبة عنها سنة خمس وخمسين، وقال الشيخ: روى إعلان بإسناده أن السيد عليه السلام ولد في سنة ست وخمسين ومائتين من الهجرة بعد مضي أبي الحسن عليه السلام بستتين، وقال المفيد قدس سره: ولد عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين وكان سنه عند وفاة أبيه خمس سنين.

وقال كمال الدين بن طلحة: ولد عليه السلام في الثالث والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقال ابن خلكان في تاريخه: كانت ولادته يوم الجمعة بمنتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه كان عمره خمس سنين، واسم أمه خطم، وقيل: نرجس، وقيل: ولد في ثالث من شعبان سنة ست وخمسين وهو الأصح، انتهى.

والأشهر أن اسم أمه نرجس، وقيل: صقييل، وقيل: سوسن، ولأمه صلوات الله عليه قصص

طويلة، والآثار العجيبة الظاهرة عند ولادته عليه السلام كثيرة أوردها في الكتاب الكبير.
اهـ (منه).

فانظر إلى هذا الخطب العجيب في تاريخ ولادته ومن هي أمه؟! فبالله عليك أيها المطلع المنصف هل يثبت بمثل هذا التخطب وجوده فضلاً عن دعوى إمامته؟!!

وهذه الأحاديث التي ذكرها في الكافي تحت باب مولد الصاحب [أي: صاحب الزمان] إنها هي قصص وحكايات لأحداث يزعم رواتها أنه جاء لهم رقعة مكتوبة عن صاحب الزمان مما يدل على أنه موجود، أو حكاية رجل يعلم الغيب أو... إلى آخر هذه الحكايات، وسنورد منها نموذجاً يدل على ما بعده، وإن كان فيها طول لكنها تدل على الكثير من معتقدات الإمامية التي ذكرها المؤلف حفظه الله وأبقاه، من ذلك دعوى علم الغيب للأئمة وأنهم علماء بغير تعلم وما إلى ذلك:

قال في الكافي تحت هذا الباب (١/ ٧٥٢، وما بعدها):

٢ - علي بن محمد قال: حدثني محمد والحسن ابنا علي بن إبراهيم في سنة تسع وسبعين ومائتين قالوا: حدثنا محمد بن علي بن عبد الرحمن العبدى - من عبد قيس - عن ضوء بن علي العجلي، عن رجل من أهل فارس سماه، قال: أتيت سر من رأى ولزمت باب أبي محمد [أي: الحسن العسكري] عليه السلام فدعاني من غير أن أستأذن، فلما دخلت وسلمت قال لي: يا أبا فلان؛ كيف حالك؟ ثم قال لي: اقعد يا فلان، ثم سألتني عن جماعة من رجال ونساء من أهلي، ثم قال لي: ما الذي أقدمك؟ قلت: رغبة في خدمتك قال: فقال: فالزم الدار قال: فكنيت في الدار مع الخدم ثم صرت أشتري لهم الحوائج من السوق، وكنت أدخل عليه من غير إذن إذا كان في دار الرجال، فدخلت عليه يوماً وهو في دار الرجال، فسمعت حركة في البيت فناداني مكانك لا تبرح، فلم أجسر أن أخرج ولا أدخل، فخرجت علي جارية معها شيء مغطى ثم ناداني ادخل فدخلت ونادى الجارية فرجعت، فقال لها: اكشفي عما معك، فكشفت عن غلام أبيض حسن الوجه، وكشفت عن بطنه فإذا شعر نابت من لبتة إلى سرتة أخضر ليس بأسود، فقال: هذا صاحبكم، ثم أمرها فحملته فما رأيته بعد ذلك حتى مضى أبو محمد عليه السلام، فقال ضوء بن علي: فقلت للفراسي: كم كنت تقدر له من السنين؟ قال: ستين قال العبدى: فقلت لضوء: كم تقدر له أنت؟ قال: أربع عشرة سنة، قال أبو علي وأبو عبد الله ونحن نقدر له إحدى وعشرين سنة. اهـ.

٥ - علي بن محمد عن محمد بن حمويه السويدي، عن محمد بن إبراهيم بن مهزيار قال: شككت

عند مضي أبي محمد عليه السلام واجتمع عند أبي مال جليل، فحمله وركب السفينة وخرجت معه مشيعاً، فوعك وعكاً شديداً، فقال: يا بني ردي، فهو الموت، وقال لي: اتق الله في هذا المال، وأوصني إلي فمات، فقلت في نفسي: لم يكن أبي ليوصي بشيء غير صحيح؛ أحمل هذا المال إلى العراق وأكثرني داراً على الشط، ولا أخبر أحداً بشيء وإن وضع لي شيء كوضوحه [في] أيام أبي محمد عليه السلام أنفذته ولا قصفت به [أي أقمت على أكله وشربه]، فقدمت العراق واكثرت داراً على الشط وبقيت أياماً، فإذا أنا برقعة مع رسول فيها: يا محمد معك كذا وكذا في جوف كذا وكذا، حتى قص علي جميع ما معي مما لم أحط به علماً، فسلمته إلى الرسول، وبقيت أياماً لا يرفع لي رأس واغتممت، فخرج إلي [يعني في رقعة ثانية من المهدي المنتظر]: قد أقمنك مكان أبيك فاحمد الله.

٧- علي بن محمد، عن الفضل الخزاز المدائني مولى خديجة بنت محمد أبي جعفر عليه السلام قال: إن قوماً من أهل المدينة من الطالبين كانوا يقولون بالحق وكانت الوظائف ترد عليهم [يعني: من أبي محمد عليه السلام وهو الحسن العسكري] في وقت معلوم، فلما مضى أبو محمد عليه السلام رجع قوم منهم عن القول بالولد [أي: أنكروا أن له ولداً يخلفه] فوردت الوظائف على من ثبت منهم على القول بالولد وقطع عن الباقيين، فلا يذكرون في الذاكرين والحمد لله رب العالمين. [يعني: أن هذه الوظائف وردت من مصدر مجهول لا يعرفونه؛ لكنه أوصلها إلى من بقي على القول بولادته مما دهم على أنه المهدي وأنه يعلم الغيب، لذلك عرف من أنكروه، فقطع عنهم الوظائف وأبقاه لمن أثبته!!! وأنعم بمثل هذا الدليل دليلاً!!].

وستأتي الآن بذكر أحكام العلامة المجلسي فقط على هذه الروايات في كتابه الذي شرح به الكافي للكليني، وستعرض عن بقية شرحه لغوامضها وذكره للرجال خشية التطويل وهي إحدى وثلاثين رواية، قال عنها في كتابه مرآة العقول (٦/ ١٧١): الحديث الأول: ضعيف على المشهور. الحديث الثاني: مجهول. الحديث الثالث: مجهول. الحديث الرابع: صحيح. الحديث الخامس: مجهول. الحديث السادس: مجهول. الحديث السابع: مجهول. الحديث الثامن: صحيح. الحديث التاسع: مجهول كالصحيح. الحديث العاشر: مجهول. الحديث الحادي عشر: ضعيف. الحديث الثاني عشر: مجهول. الحديث الثالث عشر: مجهول. الحديث الرابع عشر: مجهول. الحديث الخامس عشر: حسن كالصحيح. الحديث السادس عشر: مجهول. الحديث السابع عشر: كالسابق. الحديث الثامن عشر: كالسابق. الحديث التاسع عشر: كالسابق.

الحديث العشرون: صحيح. الحديث الحادي والعشرون: مجهول. الحديث الثاني والعشرون: كالسابق. الحديث الثالث والعشرون: كالسابق. الحديث الرابع والعشرون: صحيح. الحديث الخامس والعشرون: كالصحيح. الحديث السادس والعشرون: صحيح. الحديث السابع والعشرون: مجهول. الحديث الثامن والعشرون: كالسابق. الحديث التاسع والعشرون: صحيح. الحديث الثلاثون: مجهول. الحديث الحادي والثلاثون: صحيح. اهـ (منه).

فهذه الروايات الإحدى والثلاثون كما ترى لم يصح منها حسب منهج العلامة المجلسي في التصحيح والتضعيف إلا سبعة أحاديث، ومع هذا فهي ليست في موضوع واحد، يعني: أنها على ولادته في عام كذا، أو أنهم رأوه أو على الأقل أنها قامت الشهادة الكاملة على إثبات نسب هذا الغلام، وأنه ولد الحسن العسكري، فضلاً عن كونه ولد عالماً لعلوم آبائه الطاهرين ولا يعلمون من ربه بعد عامه الخامس ولا أين ذهب ولا... إلخ، وفيها من ادعائهم له ولغيره علم الغيب وغير ذلك ما لا يستوعبه فكر.

وستورد من الكافي بعض الروايات التي تدل على ما وراءها من عقائدهم، فمن ذلك: ما جاء في (٢١٠/١): ٣ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن أبي سلام النحاس، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نحن المثاني الذي أعطاه الله نبينا محمداً ﷺ، ونحن وجه الله، نتقلب في الأرض بين أظهركم، ونحن عين الله في خلقه، ويده المبسوطة بالرحمة على عباده، عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا، وإمامة المتقين.

٤ - الحسين بن محمد الأشعري ومحمد بن يحيى جميعاً، عن أحمد بن إسحاق، عن سعدان بن مسلم، عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] قال: نحن والله الاسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا.

وفيه (٢١٤/١) في ذكر البدء: عن زرارة بن أعين، عن أحدهما عليهما السلام قال: ما عبد الله بشيء مثل البدء. وفي رواية عن أبي عبد الله عليه السلام: ما عظم الله بمثل البدء.

٢ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال في هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: ٣٩] قال: فقال: وهل يمحي إلا ما كان ثابتاً وهل يثبت إلا ما لم يكن؟.

وفيه (٢٢٦/١) في باب السعادة والشقاء: ١ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله خلق السعادة والشقاء قبل أن يخلق خلقه، فمن خلقه الله سعيداً لم يغيضه أبداً، وإن عمل شراً أبغض

عمله ولم ييغضه، وإن كان شقيماً لم يحبه أبداً، وإن عمل صالحاً أحب عمله وأبغضه لما يصير إليه، فإذا أحب الله شيئاً لم ييغضه أبداً، وإذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً.

٢ - عن أبي بصير قال: كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام جالساً وقد سأله سائل فقال: جعلت فداك يا ابن رسول الله؛ من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم الله لهم في علمه بالعذاب على عملهم؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيها السائل حكم الله عز وجل لا يقوم له أحد من خلقه بحقه، فلما حكم بذلك وهب لأهل محبته القوة على معرفته، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهلهم، وهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ومنعهم إطاعة القبول منه فوافقوا ما سبق لهم في علمه، ولم يقدروا أن يأتوا حالاً تنجيهم من عذابه، لأن علمه أولى بحقيقة التصديق، وهو معنى (شاء ما شاء) وهو سره.

٣ - عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: يسلك بالسعيد في طريق الأشقياء حتى يقول الناس: ما أشبهه بهم، بل هو منهم، ثم تتداركه السعادة، وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس: ما أشبهه بهم، بل هو منهم، ثم يتداركه الشقاء، إن من كتبه الله سعيداً وإن لم يبق من الدنيا إلا فواق ناقة ختم له بالسعادة.

(١/٢٦٢): ٢ - عن إسماعيل بن مرار قال: كتب الحسن بن العباس المعروف في إلى الرضا عليه السلام: جعلت فداك؛ أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام؟ قال: فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبي والإمام أن الرسول الذي ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص.

وفيه (١/٢٨٩) قال: ٥ - عن صالح بن سهل الهمداني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فَاطْمَأَنَّنَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ﴾ ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الحسن، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ الحسين، ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا، ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ إبراهيم عليه السلام، ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودية ولا نصرانية، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيِّءُ﴾ يكاد العلم ينفجر بها، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾ قلت: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ قال: الأول وصاحبه، ﴿يَعْشَاهُ مَوْجٌ﴾ الثالث، ﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ معاوية

لعنه الله، وفتن بني أمية ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ﴾ المؤمن في ظلمة فنتهم ﴿لَمْ يَكْذِبْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ إماماً من ولد فاطمة عليها السلام ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ إمام يوم القيامة. وقال في قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]: أئمة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين وبأيامهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة.

وفيه (١/ ٣٢٤): ٢ - عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿اعْمَلُوا فَيَسِيرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] قال: هم الأئمة. وفيه (١/ ٣٣٩): ٣ - عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام قال: سمعته يقول: اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، كان عند آصف حرف، فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب.

وفيه (١/ ٣٧٤): باب في أن الأئمة عليهم السلام يزدادون في ليلة الجمعة

١ - عن أبي يحيى الصنعاني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا أبا يحيى إن لنا في ليالي الجمعة لشأناً من الشأن، قال قلت: جعلت فداك؛ وما ذاك الشأن؟ قال: يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى عليهم السلام، وأرواح الأوصياء الموتى، وروح الوصي الذي بين ظهرانيكم، يعرج بها إلى السماء حتى توفي عرش ربها، فتطوف به أسبوعاً، وتصلي عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثم ترد إلى الأبدان التي كانت فيها فتصبح الأنبياء والأوصياء قد مثلوا سروراً، ويصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جم الغفير.

٣ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما من ليلة جمعة إلا ولأولياء الله فيها سرور، قلت: كيف ذلك جعلت فداك؟ قال: إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله ﷺ العرش، ووافى الأئمة عليهم السلام، ووافيت معهم، فما أرجع إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفد ما عندي.

وفيه (١/ ٣٨٠): ١ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الامام إذا شاء أن يعلم علم.

وفيه (١/ ٣٨١): ١ - عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أي إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير، فليس ذلك بحجة لله على خلقه.

وفيه (١/ ٣٨٤): ١ - عن سيف التمار قال كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر، فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمناً ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين، فقال: ورب الكعبة، ورب البنية - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتني أي أعلم منهما

نعم؛ وقد عَلِمَ كُلُّ مَنْصِفٍ وَفَهُمُ كُلُّ مَنْ لَهُ فَهْمٌ أَنَّ الزيدية ما زالت ولن تزال على ذلك المذهب الموروث عن باب مدينة العلم علي بن أبي طالب عليه السلام إلى يوم الناس هذا.

وما زال هذا المذهب حياً في جميع أحقاب التاريخ الطويلة التي مر بها، ومعموراً في كل عصر بوفرة من العلماء المبرزين في العلوم الإسلامية مع كامل التحقيق والتدقيق وجودة النظر والتمييز، و... إلخ.

وبعد، فلم يخل عصر من العصور من دعاة أئمتهم عليهم السلام إبلاغاً للحجة على العباد، وقياماً بحق الخلافة التي عهد بها إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الثقلين وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنها لن يفترقا حتى يردها عليّ

ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وراثته.

وفيه (٢/٢): ١- عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليين؛ قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وخلق أبدان المؤمنين من دون ذلك، وخلق الكفار من طينة سجين؛ قلوبهم وأبدانهم، فخلط بين الطينتين، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن، ومن ههنا يصيب المؤمن السيئة، ومن ههنا يصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه، وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه.. اهـ.

وليُنظر في قول الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية (ط ٣ ص ٥٢): فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجةً ساميةً وخلافةً تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون.

وإن من ضروريات مذهبنا أنْ لَأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ.

... إلى قوله: وقد ورد عنهم: إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل. اهـ.

(الحوض) (١)، وهذا حديث صحيح عند علماء المسلمين، رواه مسلم وغيره.
 ولم يصددهم عن القيام بذلك جور جبابرة بني أمية وبني العباس؛ بل صاحوا -
 ما استطاعوا- في وجوه فراغة الدولتين، وخاضوا غمرات الموت معلنين للحق،
 ورافعين لراية الصدق، ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾
 [المائدة: ٥٤]، مهما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وتاماً كما قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ
 مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ
 الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

لذلك فإنهم يستحقون الخيرية التي حكم بها القرآن في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ
 أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
 [آل عمران: ١١٠]، دون الشيعة الإمامية، ودون أهل السنة والجماعة؛ فإنها قد تخلتا عن
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على طول التاريخ الإسلامي، ولم تذكر عنهم
 كتب التاريخ الإسلامي مع كثرتها أي حس ولا حركة في هذا المجال؛ بل المذكور
 عن جماهيرهم التأييد للظالمين والمساندة لهم، وإغراؤهم بأهل البيت وأتباعهم، أو
 السكوت والمداينة.

وبذلك نَحَلُّوا عن صفة الخيرية وتنازلوا عنها، ولأمرٍ ما قال سبحانه وتعالى:
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
 وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
 يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

(١) سبق تخريجه في أول الكتاب.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١].

ولم يستحقوا صفة الفلاح التي جاءت في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولم يتخلوا عن ذلك فقط فيكون الأمر كفافاً لا لهم ولا عليهم، كما فعل ابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وأصحابها حين تخلوا عن علي عليه السلام وعن أعدائه، فإنهم لم ينصروا الحق ولم يخذلوا الباطل؛ بل مالوا مع الظالمين، ودخلوا في حزبهم، وشايعوه، وناصروهم ضد الحق والمحقين، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١٣].

أسباب سقوط أكثر الأمة وتراجعهم بعد عصر الرسالة

من المناسب هنا أن نشرح هذا الداء الذي أصيبت به الأمة بعد ذلك العصر واستشرى في أعضائها حتى قضى على الكثير منها، وذلك أنه استفحل فيها داءان خبيثان أصعب من السرطان المعروف في أيامنا هذه:

أما الأول منها: فاتباع الأهواء، والأهواء تتمثل في الحسد والكبر، وهذا الداء الذي هو الحسد والكبر داء قديم أصيبت به الأمم السابقة، وعاش معها ملازماً لتاريخها الطويل، فهو إذاً داء الأمم الذي ألقاها في مهاوي الهلكات، وجرَّ عليها

الولايات، وأكسبها المهانة والمقت، وحق عليها بسببه عذاب الاستئصال، وكم قص الله سبحانه وتعالى في كتابه عن تلك الأمم التي أصيبت بذلك الداء، وعن مصيرها المشؤوم الذي صارت إليه.

ولم يقص الله تعالى تلك القصص المتكاثرة في كتابه الكريم إلا من أجل أن تعتبر به هذه الأمة، وتحذر أشد الحذر من أن تقع في مثل ما وقع فيه من قبلها من الأمم، فيحق عليها مثل ما حق عليهم، ومن هنا تجد الحكيم العليم كثيراً ما يعقب القصص بنحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [٣٧:٥].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وقال سبحانه: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ..﴾ الآية [الرعد: ٦].

ومع كل ذلك البيان الذي نزل به القرآن من العبر والأمثال والقصص والمثالات، والإنذار والتحذير، والأوامر والنواهي، و... إلخ، فإن الأمة بعد أن أخذ عليها ربُّها العهود والمواثيق في السمع والطاعة آثرت دواعي الأهواء من الكبر والحسد، وأعرضت كل الإعراض عن زاجر الرحمن، ودواعي القرآن، فقالت في يومها الأول حين مات نبيُّها: هيهات هيهات! لا يجتمع لبني هاشم النبوة والخلافة. فلأجل هذا الداعي المذموم الذي تنفست به الأمة بعد موت نبيِّها ﷺ كان ما كان من الجفاء لأهل البيت ﷺ المتكاثر والمتلاحق منذ ذلك الحين إلى زماننا، هذا مع معرفة الأمة بحق أهل البيت ﷺ ومعرفة فضلهم ومنازلهم التي أنزلهم الله فيها.

غير أن داء الحسد والكبر غلب هذه المعرفة وهزمها في قلوبهم، فصار هذا الداء هو الأمر الناهي بلا منازع.

وقد تحقق فعلاً ما أخبر به الرسول ﷺ من قوله لأُمَّتِهِ: ((لتحذرن حذو من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، والنعل بالنعل، حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لدخلتموه...))^(١) أو كما قال.

وأما الداء الثاني: فهو حُبُّ الدنيا، ويتمثل حب الدنيا في حب الترفع، وحب الجاه والسلطان، وحب المال، وحب الولاية والأمانة، كما قال من أشار إلى هذا المعنى بقوله:

لئن صبرت عن فتنة المال أنفُسُ فما سلمت عن فتنة النهي والأمر
فقد مال الناس مع الدنيا إلا من عصم الله، وصارت هي القبلة التي تتوجه إليها أفئدة الخلق وأبصارهم، ومن هنا فقد اشترى معاوية من الصحابي الكبير عمرو بن العاص دينه بخراج مصر، ومن سَمُرَةَ بن جُنْدُب بآلاف الدراهم، واشترى البيعة ليزيد بما لا يحصى من الأموال، ﴿بِتَسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩٠]، ﴿فَمَا رَیَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

نعم، وأما الخلافة العباسية فقد صارت ألعوبة بأيدي المتغلبين من القواد

(١) رواه بلفظ قريب من هذا اللفظ: البخاري برقم (٧٣٢٠)، مسند الطيالسي (٢٢٩٢)، المعجم الكبير للطبراني (٥٩٤٣)، المستدرک علی الصحیحین (١٠٦)، مسند أحمد (٨٣٤٠)، السنة لابن أبي عاصم (٧٢)، سنن ابن ماجه (٣٩٩٤) (ج ٢/ ١٣٢٢)، مسند البزار (٨٤١١)، السنة للمروزي (٤٢)، مسند أبي یعلیٰ (٦٢٩٢) (ج ١١/ ١٨٢) صحیح ابن حبان (٦٧٠٣) (ج ١٥/ ٩٥)، الشریعة للآجری (٣٢) (ج ١/ ٣١٨)، مستخرج أبي عوانة (١١٧٠٦) (ج ٢٠/ ٣٠٥)، الجمع بین الصحیحین (١٧٥٣) (ج ٢/ ٤٣٧) وغيرها.

والأجناد وأمراء النواحي من العرب والعجم والترك، ولم يبقَ للخلفاء العباسيين إلا تلك السمات البارزة للخلافة العريقة وهي إدمان شرب الخمر، ومجالس اللهو المعمورة بآلات العزف والرَّقص والغناء، والجواري والغلمان، وارتكاب فواحش العصيان.

ولم يبقَ لهم من الخلافة إلا ذلك وكذا اسم الخلافة وأمير المؤمنين والألقاب عاطلة عن أي معنى تحملها هذه الأسماء سوى ما ذكرنا من اللهو والمجون. أما الإسلام والمسلمون فقد باد وبادوا منذ زمان بعيد، وأكل عليهم الدهر وشرب.

مرتكزات المذاهب المنحرفة عن الإسلام:

أما العلماء المعاصرون لأوثك الخلفاء وعوام تلك الفترات فنقول: إن الرعية على دين الراعي، ولن يتجاوزوا قول الشاعر:

إذا كان ربُّ البيت بالذِّف ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرِّقْصُ

غير أن السلف الأول في عهد معاوية فما بعده كان قد أبدع للخلفاء ورعاياها إسلاماً مسائراً للخلافة الإسلامية الجديدة، خالياً عن العراقيل، في غاية السباحة مع الخلفاء والرعايا، لا يتصادم مع الأهواء واللذات من مفاهيم ذلك الإسلام الجديد: ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن سرق وإن زنى))، ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))^(١)، و ((أطع الأمير وإن جلد ظهرك))^(٢)، بالإضافة إلى تبرير عظام

(١) سبق تخريج الحديثين.

(٢) ذكره في السنة لابن أبي عاصم (١٠٢٦) (٤٩٢/٢) بلفظ: ((اسْمَعْ وَأَطِعْ، فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَشْطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةِ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَصَرَبُوا ظَهْرَكَ)). اهـ وذكره =

المجرمين وكبائر الظالمين والفساقين بالقضاء والقدر، ومشية الله وإرادته.

فتهاونوا من أجل ذلك بشرائع الإسلام ركوناً إلى تلك العقائد الأموية، وحاربوا كل من يشكك فيها أو ينتقدها أو يكذبها، وسارعوا إليه بالأذى، وأصدروا ضده أقسى الأحكام بحجة أنه زنديق، أو رافضي، أو قدرى يشكك في الإسلام، أو أنه يسب السلف الصالح، فمضت على ذلك القرون والأجيال، وتتابعتم الأمم والملوك.

وما زال هذا المذهب الأمويُّ إلى يومنا هذا هو المسيطر في بلاد المسلمين، ولا شك أن هذا المذهب الأموي لا يستند إلى شيء من الأدلة، اللهم إلا موافقته للأهواء ودواعي الغرور.

أما استدلالهم بأنه مذهب السلف والخلف ومذهب الجَمِّ الغفير من علماء الأمة على طول التاريخ فنقول في الجواب:

الكثرة ليست بدليل، وقد قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبا: ١٣]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ

زيادة في: صحيح ابن حبان (٤٥٦٣) (٤٢٦/١٠)، كنز العمال (١٤٣٧٣) (٧٨١/٥)، وفي جامع الأحاديث (٣٣٦/١٣) قال: ١٣٢٥٠ - ((سيكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم رجال قلوبهم قلوب رجال شياطين في جثمان إنسان))، قال حذيفة: كيف أصنع إن أدركني ذلك؟ قال: ((اسمع وأطع للأمير الأعظم وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك)) (ابن سعد عن حذيفة). أخرجه أيضًا: مسلم (١٤٧٦/٣)، رقم (١٨٤٧)، والطبراني في الأوسط (٣/١٩٠)، رقم (٢٨٩٣)، والحاكم (٤/٥٤٧)، رقم (٨٥٣٣). اهـ.

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿[الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، إلى غير ذلك من آيات الكتاب الكريم.

وهذا في حين أن كتاب الله تعالى ملئ بذكر فضل آل محمد ﷺ كآية التطهير، والمودة، وغيرهما، وكذلك كتب السنة، ولو لم يكن من ذلك إلا حديث الثقلين الذي أجمعت طوائف الأمة على صحته لكفى.

كيف وقد ضاقت كتب أهل السنة والجماعة بمئات الأحاديث^(١) في ذكر أهل

(١) قال الإمام الحجة المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في المجموع المنصوري (٣٨٠ / ١): وفصول ما تناولته هذه الكتب مما يختص بالعترة الطاهرة خمسة وأربعون فصلاً يشتمل على تسعمائة وعشرين حديثاً، منها من (مسند ابن حنبل) مائة وأربعة وتسعون حديثاً (١٩٤)، ومن (صحيح البخاري) تسعة وسبعون حديثاً (٧٩)، ومن (صحيح مسلم) خمسة وسبعون حديثاً (٧٥)، ومن (تفسير الثعلبي) مائة وثمانية وعشرون حديثاً (١٢٨)، ومن (الجمع بين الصحيحين) للحميدي ستة وخمسون حديثاً (٥٦)، ومن (كتاب ابن المغازلي الشافعي) مائتان وتسعة وخمسون حديثاً (٢٥٩)، ومن (الجمع بين الصحاح الستة) لرزين بن معاوية العبدري تسعة وتسعون حديثاً (٩٩)، ومن (الجزء الأول من غريب الحديث) لابن قتيبة الدينوري على انحرافه من العترة الطاهرة ستة أحاديث (٦)، ومن كتاب (المغازي) لمحمد بن إسحاق حديثان (٢)، ومن رواية أبي نعيم المحدث بما خرجه بكتاب (الاستيعاب) حديث واحد (١)، ومن كتاب (الشريعة) للأجري حديث واحد (١)، ومن كتاب الحافظ أبي زكريا [ابن مندة] حديث واحد (١)، ومن كتاب (الملاحم) لأبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادى حديث واحد (١)، ومن (كتاب الطبري) حديثان (٢).

وفياً يختص بعلي عليه السلام ستمائة وخمسة وثمانون حديثاً (٦٨٥)، من (مسند ابن حنبل) مائة وثمانية وسبعون حديثاً (١٧٨)، ومن (صحيح البخاري) تسعة وثمانون حديثاً (٨٩)، ومن (صحيح مسلم) أربعة وثلاثون حديثاً (٣٤)، ومن (مناقب الفقيه ابن المغازلي) مائتان وخمسة وخمسون حديثاً (٢٥٥)، ومن (تفسير الثعلبي) مائة وخمسة أحاديث (١٠٥)، ومن (الجمع بين

البيت ﷺ وفضلهم، وأنهم أهل الحق إلى يوم القيامة؛ ولكنها ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

==
الصحيح الستة) لرزين بن معاوية العبدري أحد وأربعون حديثاً (٤١)، ومن كتاب (الفردوس) حديث واحد (١)، ومن رواية أبي نعيم المحدث مما خرّجه من كتاب (الاستيعاب) حديث واحد (١)، ومن كتاب ابن مندة حديث واحد (١)، ومن كتاب (الملاحم) لأبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي حديث واحد (١)..... إلى قوله: ولسنا نأتي على جميع الأحاديث؛ لأن ذلك لا يدخل تحت الإمكان في هذا المكان. انتهى. وقد تَقَلَّ هذا عن الإمام المنصور بالله الإمام عز الدين بن الحسن في المعراج (ج ٤ / ٤٢٥-٤٢٨) وإمام زماننا المجدد للدين مجد الدين بن محمد المؤيدي في آخر التحف (٤١٧).

قلت: وقد أورد هذه الأخبار مفصلة بأسانيد المحدث ابن البطريق الحلبي الأسدي في كتابه (عمدة عيون صحاح الأخبار) أوصل جملتها إلى تسعمائة وثلاثة عشر حديثاً، وقد أورد تفصيل الأعداد في أول الكتاب (١/ ٥٢-٥٣) باختلاف يسير عما أورده الإمام المنصور بالله عليه السلام، وبإمكان المحقق المنصف أن يتابع بقية الأحاديث في سائر الكتب الحديثية عند أهل السنة، التي لم تذكر كالمستدرك على الصحيحين للحاكم وخصائص النسائي وجوامع الطبراني والسيوطي ومجمع الزوائد لابن حجر الهيتمي وبقية المسندات والجوامع الحافلات والموسوعات الجامعات، التي أصبحت قريبة المتناول للجميع، والحمد لله رب العالمين.

٦٠- والمتقي كَذِبٌ وَمُسْتَكْفٍ وَمُطِيعُهُمْ وَلَّى أَبَا بَكْرٍ
في هذا البيت أربعة من بغاة العباسية: المتقي والمستكفي والمطيع والطائع
(أبا بكر):

الأول: (المتقي) إبراهيم بن المقتدر (ت ٣٢٣هـ):

واسمه إبراهيم بن المقتدر^(١)، يكنى أبا إسحاق، بويع له يوم الأربعاء لعشر
بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٢٩هـ، وكان على منهاج من تقدمه من أهله في
ارتكاب المعاصي، وأطراح فرائض الله سبحانه وتعالى، ولم يبق لأمره نظام، وكان
(تَحْكُمُ) المتولي على الملك، والخليفة في حكم المولى عليه لا ينفذ شيئاً من الأمور إلاَّ
بما أراد (تَحْكُمُ)، وبقي الأمر على ذلك إلى أن قتل (تَحْكُمُ) في مُتَصَيِّدٍ له^(٢)، فصار

(١) انظر ترجمته والأحداث المتسارعة في زمانه في مروج الذهب (٤/ ٢٤٧، وما بعدها). وكذا
كتاب الأنباء في تاريخ الخلفاء (١/ ١٦٨) والموسوعة التاريخية - الدرر السنية - (٣/ ٤٢)، وما
بعدها) وكذا تاريخ الطبري (١١/ ٣٢٤) والبدية والنهاية (١١/ ١٩٨) وتجارب الأمم
(٦/ ٣١) والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٣/ ٢٧١)، وإن كان في بعضها اختلاف
في الأسماء، ولعله تصحيف من النساخ، إذ صورتها متحدة، فاسم (تحكم) في بعضها: (بجكم)
و (البريدي) (البرندي) أو (اليزيدي) و (ابن رائق) (ابن واثق) و (تورون) بالراء (توزون)
بالزاي المعجمة، و (كورتكين) (كورنكج) أو (كورنكيچ)... الخ.

(٢) ذكره في تاريخ ابن خلدون وذكر هذه الأحداث بشيء من التفصيل والاختلاف، فقال في
(٣/ ٥٠٨): وفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة توفي الراضي أبو العباس أحمد بن المقتدر في ربيع
الأول منها لسبع سنين غير شهر من خلافته.... وكان آخر خليفة خطب على المنبر وإن خطب
غيره فنادر. وآخر خليفة جالس السمر وواصل الندماء. ودولته آخر دول الخلفاء في ترتيب
النفقات والجوائز والجرایات والمطابخ والخدم والحجّاب، وكان تحكم يوم وفاته غائباً بواسط
حين ملكها من يد ابن البريدي، فانتظر في الأمور وصول مراسمه، فورد كتابه مع كتاب أبي
عبد الله الكوفي يأمر فيه باجتماع الوزراء وأصحاب الدواوين والقضاة والعلويين والعباسيين

التدبير لـ (كورتكين)^(١) أبي شجاع ولم يترك للمتقي شيئاً من الأمور، فكتب إلى ابن رائق يستدعيه فسار من دمشق إلى بغداد، وهرب كورتكين، وكانت إمارته ثمانين يوماً، وخلع ابن رائق، وطُوق وسُور، وفي أيام المتقي وقع الغلاء العظيم في الأسعار حتى بلغ كر الحنطة مائتين وعشرة دنائير، وخرج الحرم من قصر الرصافة ينادين: الجوع، الجوع^(٢).

ووجه البلد عند الوزير أبي القاسم سليمان بن الحسن، ويشاورهم الكوفي فيمن ينصب للخلافة ممن يرتضي مذهبه وطريقه، فاجتمعوا وذكروا إبراهيم بن المقتدر، واتفقوا عليه وأحضره من الغد وبايعوا له آخر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين. وعرضت عليه الألقاب فاختار المتقي لله، وأقر سليمان على وزارته كما كان، والتدبير كله للكوفي كاتب تحكم، وولى سلامة الطولوني على الحجة... إلى قوله في بيان مقتله وأنه استرّ بانزاع أصحاب أبي عبد الله البريدي على يد توروون لما وصله ذلك الخبر وهو في الطريق لعله خارجاً من واسط، فذهب يتصيد فبلغ نهر جور، وعثر في طريقه ببعض الأكراد فشده لغزوهم، وقصدهم في خوف من أصحابه وهربوا بين يديه وهو يرشقهم بسهامه، وجاءه غلام منهم من خلفه فطعنه فقتله. واختلف عسكره، فمضى الديلم - وكانوا ألفاً وخمسمائة - إلى ابن البريدي، وقد كان عزم على الهرب من البصرة، فبعث لقدمهم وضاعف أرزاقهم وأدّرها عليهم، وذهب الأتراك إلى واسط وأطلقوا بكتيك من حبسه وولّوه عليهم، فسار بهم إلى بغداد في خدمة المتقي وحصر ما كان في دار تحكم من الأموال والدواوين فكانت ألف ألف ومائة ألف دينار ومدة إمارته سنتان وثمانية أشهر. اهـ.

(١) كورتكين الديلمي: كان أحد الديلم الذين أصدعوا مع البريدي من واسط، جعله المتقي أمير الأمراء سنة (٣٢٩هـ) واستمرت إمارته ثمانين يوماً، فأزاله ابن رائق بعد حرب بينهما، اختفى بعدها كورتكين. اهـ (انظر الكامل في التاريخ ٩٧/٧).

(٢) ذكر هذا في تاريخ الإسلام (٢٥/٢١) قال: وفيها عظم الغلاء ببغداد حتى هرب الناس وبقي النساء. فكُنَّ المخدرات يخرجن عشرين عشرين من بيوتهن، مُسكات بعضهن بعضاً، يصحن: الجوع الجوع. وتسقط الواحدة منهن بعد الأخرى ميتة من الجوع. ف إنا لله وإنا إليه

ووصل أبو الحسين البريدي إلى بغداد، وملك أصحابه دار السلطان، وهرب المتقي وابنه وابن رائق إلى الموصل فتجور^(١) ببني حمدان، فقتلوا ابن رائق واعتلوا بأنه أراد الإيقاع بالمتقي^(٢)، وصار تدبير الملك إلى الحسين بن حمدان، ولقبه المتقي

راجعون. اهـ وعزاه في الهامش إلى: تاريخ سنّي ملوك الأرض ١٤٧، ٤٨، العيون والحدائق ج ٤ ق ٢/ ١٨٠، ١٨١، (حوادث سنة ٣٣٤ هـ)، تجارب الأمم ٢/ ٩٥، عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع الخامس ١٩٣. اهـ. وقال في الكامل (١٠٣/ ٧): وغلت الأسعار، فبيع كر الحنطة بثلاثمائة وستة عشر ديناراً، والخبز الخشكوار رطلين بقرطين صحيح أميرى. اهـ. (١) أي دخل في جوارهم ليؤمّنوه.

(٢) تجارب الأمم (٥٩/ ٦)، وقال في الكامل (١٠٤/ ٧): كان المتقي لله قد أنفذ إلى ناصر الدولة بن حمدان يستمده على البريديين، فأرسل أخاه سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان نجدة له في جيش كثيف، فلقي المتقي وابن رائق بتكرت قد انهزما، فخدم سيف الدولة للمتقي خدمة عظيمة، وسار معه إلى الموصل، ففارقها ناصر الدولة إلى الجانب الشرقي، وتوجه نحو معلثايا، وترددت الرسل بينه وبين ابن رائق، حتى تعاهدا واتفقا، فحضر ناصر الدولة ونزل على دجلة بالجانب الشرقي، فلما أرادوا الانصراف من عنده ركب ابن المتقي، وأراد ابن رائق الركوب، فقال له ناصر الدولة: تقيم اليوم عندي لتحدث فيما نفعله، فاعتذر ابن رائق بابن المتقي، فألح عليه ابن حمدان، فاستراب به، وجذب كفه من يده فقطعه، وأراد الركوب فشب به الفرس فسقط، فصاح ابن حمدان بأصحابه: اقتلوه. فقتلوه، وألقوه في دجلة. وأرسل ابن حمدان إلى المتقي يقول: إنه علم أن ابن رائق أراد أن يغتاله، ففعل به ما فعل، فرد عليه المتقي رداً جميلاً، وأمره بالمسير إليه، فسار ابن حمدان إلى المتقي لله، فخلع عليه، ولقبه "ناصر الدولة"، وجعله أمير الأمراء، وذلك مستهل شعبان، وخلع على أخيه أبي الحسين علي، ولقبه سيف الدولة. وكان قتل ابن رائق يوم الاثنين لتسع بقين من رجب (سنة ٣٣٠ هـ).

وابن رائق هو محمد بن رائق، أبو بكر: أمير، من الدهاة الشجعان. له شعر وأدب. كان أبوه من مهاليك المعتضد العباسي، وولي محمد شرطة بغداد للمقتدر (سنة ٣١٧) ثم إمارة واسط والبصرة. وولاه الراضي إمرة الأمراء والخراج ببغداد (سنة ٣٢٤) وأمر أن يخطب له على المنابر. ثم قلده طريق الفرات وديار مضر التي هي حران والرها وما جاورهما وجند قنسرين

ناصر الدولة، وساروا إلى بغداد فأوصلوا المتقي إليها، وقرروا له الأمر بها، فانحرف المتقي عن بني حمدان، وخلع على تورون وصار التدبير إليه، وقامت الحرب بين سيف الدولة بن حمدان وبين تورون فانهزم المتقي إلى الموصل، وانهزم سيف الدولة^(١)، وعاد تورون إلى بغداد، فراسله المتقي في الصلح فأجاب إليه، وأقبل إلى تورون فاستقبله وقبل له الأرض، وقبل يده ورجله، وسار معه، ونزل المتقي هو وحرمة في مضرب تورون فأنفذ تورون فأحضر عبد الله بن المكتفي، وبويع له، وسُلم إليه المتقي؛ فأخرجه إلى جزيرة بقرق السندية، وسملت عيناه بعد أن أقيم بين يدي المستكفي وسلم عليه بالخلافة وأشهد على نفسه بالخلع^(٢). انتهى من الشافي [٧٥٤/١].

والعوامم (سنة ٣٢٦) ... قال الصفدي: لم يتمكن أحد من الراضي تمكّنه، وهو الذي قطع يد ابن مقلة ولسانه، انتهى باختصار من الأعلام للزركلي (١٢٣/٦).

(١) تجارب الأمم (٨٢/٦)، وعلى العموم فهذه الأحداث في أغلب التواريخ ولكنها بتفصيل وأكثرها يذكر الأحداث على حسب ترتيب السنين لذلك تكون متفرقة في الكتاب، انظر تاريخ الطبري (٣٢٤/١١)، الكامل (١٢٥-١٢٨/٧)، تجارب الأمم (٣١/٦).

(٢) ذكر هذا وغيره من التفاصيل في تجارب الأمم (١٠١/٨)، وذكر قريباً منه في الكامل (١٢٨/٧) وتاريخ الطبري (٣٤٧/١١) وهذه المصادر تسميه: توزون، قال الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٢٧٦/١٠): كَانَ مِنْ خَوَاصِّ بِحْكَمِ، غَدَرَ بِالْمَتَقِيِّ وَسَمَلَهُ، وَكَانَ تَعْتَرِيهِ عِلَّةُ الصَّرْعِ وَلَمْ يَحِلْ عَلَيْهِ الْحَوْلُ بَعْدَ مَا فَعَلَ ذَلِكَ بِالْمَتَقِيِّ، وَكَانَ جَبَاراً ظَالِماً فَاسِقاً فَاتَكَأَ، قَتَلَ خَلْقاً كَثِيراً وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ وَهَلَكَ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ، اهـ.

الثاني: (المستكفي) عبد الله بن علي (ت ٣٣٨هـ)

هو المستكفي بالله^(١)، أبو القاسم عبد الله بن علي، بويغ يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ٣٣٣هـ، وخلع في شعبان سنة ٣٣٤هـ لسبع بقين من شعبان، فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر إلا أياماً.

وكان المتولي لتدبير شؤون الخلافة في عهده تورون إلى أن مات تورون، ووصل بنو بويه الديلمة إلى بغداد سنة ٣٣٤هـ.

وهم: أحمد بن بويه، ولقب معز الدولة.

وعلي بن بويه، ولقب عماد الدولة.

والحسن بن بويه، ولقب ركن الدولة.

فاستولوا على تدبير شؤون الخلافة دون المستكفي، يفعلون ما شاءوا، ونزل الديلم دور الناس اغتصاباً.

ثم إن معز الدولة اتهم قهرمانة^(١) المستكفي بمؤامرة مع رجال الدولة ضد بني بويه، فركب إلى دار المستخلف لثمان بقين من جمادى يوم الخميس سنة ٣٣٤هـ، ووقف بين يدي المستكفي، وتقدم رجالان من الديلم فمدا إليه أيديهما وصاحا صياحاً عظيماً بالفارسية، فظن الخليفة أنهما يريدان تقبيل يده، فمدها فجذباه وسحباه بعمامته في عنقه، وساقوه إلى دار معز الدولة ماشياً، ونهبت دار الخلافة، وخلعوه^(١).

(١) تاريخ الطبري (٣٤٩/١١) مروج الذهب (٢٦١/٤)، وما بعدها) تجارب الأمم (١٠٣/٦) رسائل ابن حزم (١٥٥/٢) تاريخ الأنطاكي (٤٩).

(١) أي جاريته.

(١) انظر تاريخ الطبري (٣٥٤/١١) وتجارب الأمم وتعاقب الهمم (١١٦/٦) والمتنظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٤٥/١٤) وتاريخ الأنطاكي (ص ٥٣).....

الثالث: (المطيع) الفضل بن جعفر (ت ٣٦٤هـ)

هو المطيع لله، أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر، بويع لثمان بقين من جمادى الأخرى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، يكنى أبا القاسم، وقيل أبو العباس الفضل بن المقتدر^(١).

وغلب على الأمر في عهده ابن بويه الديلمي، والمطيع في يده لا أمر له ولا نهى، ولا خلافة تُعرف، ولا وزارة تُذكر.

قال الإمام المنصور بالله عليه السلام في الشافي [٧٧٣/١]: ولما صفا الملك لبني بويه معز الدولة وإخوته وصار الأمر إليه - ولا منازع له فيه وإنما للمطيع الاسم لا غير - طالت^(٢) مدة المطيع لأنه لم يكن بد من إقامة خليفة للعامة يخطب له؛ فأقام تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وأياماً.

ثم خلع نفسه من الخلافة لغير سبب وقلد الأمر ولده أبا بكر عبد الكريم ولقبه

(١) كذا في الشافي (١/ ٧٦٠) وقال في مروج الذهب (٤/ ٢٧٧): وبويع المطيع لله - وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر - لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: إنه بويع في جمادى الأولى من هذه السنة، وغلب على الأمر ابن بُوَيْه الديلمي، والمطيع في يده لا أمر له ولا نهى، ولا خلافة تعرف، ولا وزارة تذكر، وقد كان أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد يدبر الأمر بحضرة الديلمي، قياً بأمر الوزارة برسم الكتابة، ولم يحاطب بالوزارة إلى أن استأمن الحسين بن عبد الله بن محمدان إلى الجانب الغربي، وخرج معه عند خروجه إلى ناحية الموصل، إلى أن اتهمه بتغريته الأتراك عليه، فسمّل عينيه، وقد قيل: إن أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن مُقْلَة يعرض الكتب على الديلمي والمطيع، ويتصرف برسم الكتابة، لا برسم الوزارة في هذا الوقت، وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ولم نفرّد بجوامع تاريخ المطيع باباً مفصلاً عن أخباره كإفرادنا لغيره مما سلف ذكره في هذا الكتاب؛ لأننا في خلافته بُعداً اهـ.

(٢) جواب كَمَا.

الطائع لله، وكان ذلك في اليوم الثالث عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.

الرابع: (الطائع) عبد الكريم بن المطيع (ت ٣٨١هـ)

هو الطائع لله، واسمه أبو بكر عبد الكريم بن المطيع، بويع له يوم خلع أبوه نفسه من الخلافة منتصف ذي القعدة سنة ٣٦٣هـ، قال في الشافي [٧٧٣/١]: وكان سابقاً مجلياً في ارتكاب أنواع المعاصي قد أغلق عليها بابه ولم يهتم بما وراءه، وكان مستضعفاً كما كان أبوه، والملك والأمر إلى غيره معز الدولة في أيامه، ولما توفي قام بالأمر بعده ولده بختيار بن أبي الحسن معز الدولة بن بويه.

وكان المتصرف في الملك بما شاء من غير نزاع، ولا يحاذر من صاحب خلافتكم إلا مطالبة النفقة له ولمن تحت يده من غير تشدد؛ مخافة الخلع والسمل والقتل كما قدمنا. اهـ.

وخلع من الخلافة في يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ٣٨١هـ.

نعم، وسبب خلعه أن بهاء الدولة بن بويه قَلَّتْ عنده الأموال، فحَسَّنْ له بعض نُصَحَائِهِ القبض على الطائع ونهب أمواله.

فدخل إليه بهاء الدولة في جمع من جنوده فتقدم إليه بعض الديلمة كأنه يريد أن يسلم عليه، فجذبه وأنزله من سريره، ونهبوا الدار وأخذوا ما فيها، وحملوا الطائع وأشهدوا عليه بخلع نفسه.

وكان من جملة الحاضرين في دار الخلافة الشريف الرضي^(١)، فخرج وقال أبياتاً

(١) قال عليه السلام في التعليق على الشافي (١/٤٣٩): الشريف الرضي سيأتي قول الإمام فيه إنه من خالصان الزيدية، وكذا ذكر الحاكم الجشمي في العيون ذكر هذا الإمام محمد بن عبد الله الوزير عليه السلام. وهو أبو الحسن محمد بن أحمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى (بن جعفر) [ما بين القوسين غير موجود في شرح ابن أبي الحديد، انظر (١/٣١)] بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق.

قال ابن أبي الحديد (١/٣٣): كان عفيفاً شريف النفس عالي الهمة ملتزماً بالدين وقوانينه لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة حتى أنه رد صلات أبيه، وناهيك بذلك شرف نفس وشدة ظلف [الظلف من ظلف نفسه عن الشيء أي منعها] فأما بنو بويه فإنهم اجتهدوا على قبوله صلاتهم فلم يقبل وكان يرضى بالإكرام وصيانة الجانب... إلى أن قال: وتوفي في المحرم سنة أربع وأربعمئة، وكان عمره خمساً وأربعين سنة لأن مولده سنة تسع وخمسين وثلاثمئة. اهـ. وقد حقق كونه على مذهب الزيدية مولانا إمام الزمان وترجم القرآن مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي في لوامع الأنوار ط ٥ (ج ٢/٢٥٢) في الفصل الخامس، وقال في وفيات الأعيان (٤/٤١٤) بعد ذكر نسبه: المعروف بالموسوي صاحب ديوان الشعر؛ ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال في ترجمته: ابتداء يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل، وهو اليوم أبدع أنشاء الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلّى مع محته الشريف ومفخره المنيف، بأدب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر، ثم هو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غبر، على كثرة شعرائهم المفلقين، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أخبر به شاهد عدل من شعره العالي القدح، الممتنع عن القدح، الذي يجمع إلى السلاسة متانة، وإلى السهولة رصانة، ويشتمل على معان يقرب جنانها، ويبعد مداها. وكان أبوه يتولى قديماً نقابة نقباء الطالبين، ويحكم فيهم أجمعين، والنظر في المظالم، والحج بالناس، ثم رُدَّتْ هذه الأعمال كلها إلى ولده الرضي المذكور في سنة ثمان وثمانين وثلاثمئة وأبوه حي.. إلى أن قال: وذكر أبو الفتح ابن جني النحوي - المقدم ذكره - في بعض مجاميعه أن الشريف الرضي المذكور أحضر إلى ابن السيرافي النحوي وهو طفل جداً لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو، وقعد معه يوماً في حلقة، فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم، فقال له: إذا قلنا (رأيت عمر) فما علامة =

من جملتها كما في الكامل [٤٤٣/٧] (١):

من بعدما كان ربُّ الملك مبتسماً إليّ أدنوه في النجوى ويدنيني
أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه لقد تقارب بين العز والهون
ومنظرٍ كان بالسراء يضحكني يا قرب ما عاد بالضراء يبكييني
هيهات أغتر بالسلطان ثانية قد ضل ولّاج أبواب السلاطين
وتوفي الطائع سنة ٣٩٣هـ وقد سُملت عيناه بعد أن أشهد على نفسه بالخلع،
وقطعت قطعة من إحدى أذنيه، ثم سلمه بهاء الدولة إلى الخليفة الجديد الملقب
بـ(القادر بالله)، فتقدم هذا الخليفة الجديد بجذع أنف الطائع، فقطع يسيراً من
جانب أنفه مع ما كان قطع أولاً من أذنه (٢).

=
النصب في عمر؟ فقال له الرضي: بُغِضَ علي؛ فعجب السيرافي والحاضرون من حدة خاطره.
وذكر أنه تلقن القرآن بعد أن دخل في السن فحفظه في مدة يسيرة. وصنف كتاباً في معاني
القرآن الكريم يتعذر وجود مثله، دَلَّ على توسعه في علم النحو واللغة، وصنف كتاباً في
مجازات القرآن فجاء نادراً في بابهِ؛... وتوفي بكرة يوم الأحد سادس المحرم - وقيل صفر -
سنة ست وأربعمائة ببغداد، ودفن في داره بخط مسجد الأنباريين بالكرخ، وقد خربت الدار
ودرس القبر. ومضى أخوه المرتضى أبو القاسم إلى مشهد موسى بن جعفر لأنه لم يستطع أن
ينظر إلى تابوته ودفنِهِ، وصلى عليه الوزير فخر الملك في الدار مع جماعة كثيرة، رحمه الله تعالى.
انتهى.

(١) ذكرها ضمن قصيدة طويلة في: تجارب الأمم (١/٢٤١)، دواوين الشعر العربي برقم
(١٠٣٩٧) أولها:

لَوَاعِجُ الشَّوْقِ تُخْطِئُهُمْ وَتُصَمِّمُنِي وَاللَّوْمُ فِي الْحُبِّ يَنْهَاهُمْ وَيُغْرِينِي

(٢) شذرات الذهب (٤/٤٩٩) وانظر (سير أعلام النبلاء ١٥/١٢٦)، الوافي بالوفيات
(١٩/٥٩) فوات الوفيات (٢/٣٧٥) تاريخ بغداد (١١/٧٩).

تأريخ أسود وصورة من ظلم بني أمية وبني العباس

الشدة والقسوة كانت من السمات الواضحة على خلفاء بني العباس ومن قبلهم خلفاء بني أمية، فلا تعرف قلوبهم الرحمة والرأفة بالمسلمين ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠]، حتى أن القارئ لتأريخ سلاطين الدولتين إذا استقرأ تاريخهم في الإسلام واستقرأ تاريخ حكام العالم في العصر الحاضر لا يجد لهم شبيهاً؛ اللهم إلا النازية والفاشية والصهاينة أو الشيوعية في بداية ثورتها، أو صرب يوغسلافيا، والبوسنا والهرسك.

ومع هذا الشبه فإنك تجد لخلفاء الدولتين الريادة في القسوة، فإن الخلفاء منذ عهد معاوية إلى آخر عهدهم كانوا يقتلون على التهمة والظنة من غير محاكمة؛ بل بمجرد قول الوالي: اضربوا عنقه.

وكان الخليفة يجعل لولاة الأمصار كامل الصلاحية والتفويض بقتل من شاءوا وصلب من أرادوا، وتعذيب من اختاروا «لا يسأل عما يفعل!!» ويصادر الوالي الأموال، ويخرب البيوت، ويفعل العظائم والجرائم كيف يشاء وعلى حسب ما يشتهي ويريد، ولا يحتاج في فعل شيء من ذلك إلى محاكمة، وهكذا كان الولاة، ووكلاء الولاة، والأمراء والقواد، لكل منهم نفس ذلك التفويض وتلك الصلاحية، «يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد»، و«لا يسأل عما يفعل وهم يسألون»، فيقتل ويسفك، ويصلب لسبب أو لغير سبب؛ بل لمجرد التلاعب والتشهي، والإثم والبغي، كل ذلك من حقوقه التي حوّله إياها خليفته، والتي يزينها لهم علماءهم المتقربون إليهم باختلاق الروايات في وجوب السمع والطاعة، وتحريم الخروج على الظالم، و... إلخ.

وهذا في حين أنك لا تجد هذه الشرائع في قوانين الصهاينة اليوم، ولا القوانين الشيوعية الملحدة، ولا العلمانية الكافرة، وإن جاء شيء يقارب بعض ذلك فإنها يكون على سبيل الخفية أو الندرة، وربما عاقبت القوانين الوضعية فاعل ذلك، وأخذت بعنقه إلى المحاكم الدولية حسب الظاهر المتعارف عليه بين أرباب دول الكفر الكبرى في هذا الزمان.

وأني لأعجب من كثير ممن ينتمي إلى الإسلام، ويظهر الانقطاع إلى الله والورع والزهد، وإذا ذكرت عنده ظلم معاوية وبغي يزيد وجور زياد بن أبيه، وتعسف الحجاج، والسمل والجدع والقتل الذي انتهجه بنو العباس ونحو ذلك؛ يزيد ويرعد، وتتفخ أوداجه، وتحملق عيناه، ويفقد توازنه غضباً لأولئك البغاة؛ بل إنه ليكاد يتميز غيظاً عليك!! وذلك لأنه يرى أنك انتهكت حرمة عظيمة، وارتكبت جريمة شنيعة، بها خرجت من دائرة الإسلام وحضيرة الإيمان، وصرت بذلك زنديقاً ورافضياً وشيعياً.

وكأني بقارئهم كذلك إذا قرأ ما كتبنا!! فنقول له مسبقاً: مهلاً مهلاً، إذا كان ما ارتكبه معاوية غير ضائر له في دينه وآخرته وقد سفك من دماء المسلمين ما لا يعلمه إلا الله، وقاتل الخليفة العادل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبغى عليه، وقتل الكثير من الصحابة من أهل بدر ومن أهل بيعة الرضوان، وفعل العظائم وارتكب الجرائم الموبقات التي ملأ الدنيا ننتها، وشوه صحائف التاريخ ذكرها وشؤمها وقبحها -إذا كان ذلك كله الذي فعله معاوية غير ضائر له في دينه وآخرته؟! فكيف يضر الكاتب كتابتها، أو يضر المتكلم ذكرها؟ وكيف يختل إيمانه بروايتها، ولا يختل إيمان فاعلها الأثيم!!

قلت: والعجب من علماء الأمصار كيف يتعصبون لخلفاء بني أمية وبني العباس أشدَّ التعصب، ويدافعون عنهم، ويقررون لهم شرعية الخلافة واستحقاقها مع ما هم عليه من البغي والعدوان، والفسوق والعصيان، إلى الحد الذي صار معه ذلك داخلاً في هوياتهم وجزءاً من شخصياتهم، بينما تراهم في نفس الوقت يذكرون النصوص الواردة في أهل بيت نبيهم ﷺ من القرآن الكريم ومن السنة النبوية على صاحبها وآله صلوات الله وسلامه، يروونها ويصححون أسانيدها، حتى إذا حاولت منهم، أو طلبت تفسير معناها، وبيان دالاتها على وجوب متابعة أهل البيت، وأنهم أهل الحق، وقرناء الكتاب وتراجمته، ووجوب مودتهم، وإلخ، نفروا عن ذلك أشدَّ النفور، واستنكروا غاية الاستنكار، واضطربوا وبرطموا، وحكموا وجزموا ببطلان إمامتهم، وبالتبديع لهم في مذاهبهم، واستهزأوا بمقالاتهم ومؤلفاتهم، وضللوا متابعيهم، وأكثروا في ذمهم والتقييح لهم^(١).

إذاً فما فائدة تلك النصوص التي يذكرونها في كتبهم ويصححونها؟ ما ذاك إلا لإرادة الله عز وجل إظهار الحق على ألسنتهم، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

قال شيخنا الإمام الحجة عليه السلام في كتابه (لوامع الأنوار) [طه ج ١/١١٤]: فقد صار الأمر في حالهم ما قص الله تعالى من أمثال قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

(١) وقد قدمنا للقارئ الكريم في (ص ٣٤٨) جوهرة ثمينة من كلام العلامة المتحرر الدماغي، مع أنه ليس بيزيدي - تقرر لك تعجب كل منصف من صنيع علماء الأمصار المتتمين إلى السنة بزعيمهم؛ فليراجعه فإن به إليه حاجة!!!.

وأصل كل ضلالة وفتنة، ومنيع كل فُرقة ومحنة في هذه الأمة والأمم السالفة
اتباع الأهواء، والإخلاق إلى الدنيا، ومحبة التُّرأس على الأحياء، فإنه لم يستقم الملك
للملوك العاتية والجابرة الطاغية إلا بمخالفة أنبياء الله وكتبه، ومباينة أوليائه وأهل
دينه كما قصه الله في كتابه وعلى السنة رسله، ولم تتم لعلماء السوء الرئاسة منهم،
والتقربُ لديهم، ونيل حطام دنياهم إلا بتقرير ما هم عليه، وتأيد ما مالوا إليه، وقد
علم كل ذي علم، وفهم كل ذي فهم ما جرى لأهل بيت النبوة في هذه الأمة، وما
فعله ملوك الدولتين الطاغيتين مع العترة المطهرة، وما ساعدهم به علماء السوء
وفقهائ الضلال، من اتُّباع أهوائهم على كل حال، ورفض أهل بيت نبيهم، وطرح
ما يدينون به من دين ربهم، حتى غيَّروا معالم دين الله، وافتروا على الله وعلى رسوله
ﷺ لترويح ما يهوونه - من الصد عن سبيل الله - في الأفعال والأقوال، كل
ذلك معارضة للآل، ومخالفة لما أمرهم به في شأنهم ذو الجلال.

وقد قصد ملوك السفينانية وال مروانية والعباسية استئصال السلالة النبوية، وإبادة
الذرية العلوية، وإزالتهم عن وجه البسيطة بالكلية، وأبلغوا مجهودهم في طم
منارهم، وطمس أنوارهم، فأبى الله تعالى لهم ذلك، وغلبهم على ما هنالك، كيف
وهم قُرءاء الكتاب!! والحُجة على ذوي الألباب!! والسفينة المنجية من العذاب!!
والثقل الأصغر الذين خلفهم الرسول ﷺ مع الثقل الأكبر في الأرض، ولن
يفترقا إلى يوم العرض؟! ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا
أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وتهاقت في أثر الملوك الجبارين، والعلماء المضلين، الذين حذّر عنهم سيد

المرسلين ﷺ الأتباع من العوام، والهمج الرعاع من الطغام، أتباع كل ناعق، وسيقة كل سائق، وركضوا في ميادين الدؤل، كما وصفهم الله عز وجل: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْآنَعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤]، وهم الجم الغفير والجمع الكثير، ﴿وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

فعظمت الفتنة، واشتدت المحنة، وتمت الفرقة المنهي عنها في الكتاب المبين، وعلى لسان الرسول الأمين ﷺ،... إلخ. انتهى من (لوامع الأنوار).

٦١- وبقادرٍ ظهرت لهم بدعٌ ثم ابنه قد قام بالنشر

٦٢- وبمقتدٍ من بعده وأبي الـ عباس والمسترشد الغمر

في هذين البيتين خمسة من طغاة العباسية:

الأول: (القادر) أحمد بن إسحاق بن المقتدر (ت ٤٢٢هـ)

هو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر، بويع له لسبع بقين من شعبان سنة ٣٨١هـ، وجددت له البيعة في شهر رمضان من هذه السنة.

وقد كان الأمر وتدير الخلافة لبهاء الدولة كما في سابقه، وهو في حكم المعزول، ولم يكن له من الخلافة إلا الاسم والخطبة والدعاء لا غير^(١)، وكان هذا الخليفة

(١) هذا مذكور في أغلب التواريخ، من ذلك ما في تاريخ ابن خلدون (٣/ ٥٤١) قال: وحمل الطائع إلى دار بهاء الدولة فأشهد عليه بالخلع سنة إحدى وثمانين لسبع عشرة سنة وثمانية أشهر من خلافته. وأرسل بهاء الدولة خواص أصحابه إلى البطيحة ليحضروا القادر بالله أبا العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر ليبياعوه، فجاءوا به بعد أن بايع مهذب الدولة صاحب البطيحة في خدمته وسار بهاء الدولة وأعيان الناس لتلقيه، فتلقوه برحيل، ودخل دار الخلافة لاثنتي عشرة

كمن سبقه في اقتراف المآثم وارتكاب الرذائل إضافة إلى ذلك أنه استوزر سعيد بن الحسن النصراني^(١).

وتوفي القادر بالله في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٤٢٢ هـ وله ست وثمانون سنة وشهراً، وأقام في الخلافة إحدى وأربعين سنة.

ولعل مراد شيخنا الناظم عليه السلام بقوله: «وبقادر ظهرت لهم بدع» أن القادر هذا صنّف كتاباً أظهر فيه تكفير المعتزلة، وكلّ من قال بخلق القرآن، وحشاه بما يزعم أنها فضائل للصحابة، وجعلهم يقرأون هذا الكتاب كل يوم جمعة في حلقة أصحاب الحديث في جميع مدة خلافته على اتساعها كما ذكره بعض المؤرخين^(٢).

ليلة خلت من رمضان، وخطب له صبيحتها وكانت مدّة إقامته بالبطيحة ثلاث سنين غير شهر، ولم يخطب له بخراسان وأقاموا على بيعة الطائع فأنزله بحجرة من قصره، ووكل عليه من يقوم بخدمته على أتم الوجوه، وأجرى أحواله على ما كان عليه في الخلافة إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين فصلّى عليه ودفنه، وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/١٢٦، الوافي بالوفيات (٥٩/١٩) فوات الوفيات (٣٧٥/٢)، تاريخ بغداد (٧٩/١١) الخ.

(١) انظر الشافي (١/٧٧٥) وفي المنتظم من تاريخ الملوك والأمم (٨/١٥): أن القادر بالله قبض على أبي الحسن علي بن عبد العزيز في يوم السبت لليلة بقيت من رمضان، وقلد كتابته أبا العلاء سعيد بن الحسن بن تريك فأقام على خدمته نيفاً وسبعين يوماً، ثم صرفه وأعاد أبا الحسن، وانظر مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (١٨/١١٠) وتاريخ الإسلام للذهبي (ج ٢٧/٢٣).

(٢) ذكر ذلك الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥/٦١) وابن كثير في البداية والنهاية (ج ١٢/٣٣) والذهبي في تاريخ الإسلام (ج ٨/٢٨) حيث قال الذهبي في سير أعلام النبلاء — ت تدمري (٢٩/٧٧) ما لفظه: وصنف كتاباً في الأصول، ذكر فيه فضل الصحابة، وإكفار من قال بخلق القرآن. وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث، ويحضره الناس مدة خلافته. اهـ.

الثاني: (القائم) عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٦٧هـ)

القائم بأمر الله وهو أبو جعفر عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن المقتدر بن المعتضد، بويح له في ذي الحجة سنة ٤٢٢هـ، وأخذ منهاج من تقدمه في ارتكاب معاصي الله تعالى، وتعدي حدوده ومخالفة أوامره، والاعتكاف على اللذات، والجنوح إلى الشهوات^(١).

وقد كان المُلْك والتصرف في الخاصة والعامة إلى الملك أبي طاهر جلال الدولة بن بويه^(٢)، أما الخليفة القائم بأمر الله فليس له من الأمر شيء، خائف مقهور،

(١) الشافي (١/ ٧٧٦) ...

(٢) ذكر في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٥/ ٢٢٧) قسم القائم بأمر الله لجلال الدولة ولفظه: أقسم عبدُ الله أبو جعفر القائمُ بأمر الله أميرُ المؤمنين، فقال: والله الذي لا إله إلا هو الطالبُ الغالبُ المدركُ المهلكُ عالمُ السرِّ والعلانية، وحقُّ رسوله محمد ﷺ، وحقُّ القرآن العظيم والآيات والذكر الحكيم لأقيمَنَّ لركن الدولة جلال الدولة أبي طاهر بن بهاء الدولة أبي نصر على إخلاص النية والصفاء ولألتزمن له شروط الموافقة والوفاء من غير إخلال بما يصلح حاله، ويحفظ عليه مكانه، ولا يكون له على أفضل ما يؤثره من حراسته في نفسه، وما يليه ولوزير الوزراء أبي القاسم وسائر حاشيته وإقراره على رتبته، وله على بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذه على ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين، والله شهيد على ذلك، وهذه اليمين يميني، والنية فيها نية جلال الدولة أبي طاهر». وذلك في ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة. اهـ. وجلال الدولة، الملك أبو طاهر، بن بهاء الدولة بن بويه ملك بغداد سبع عشرة سنة، من سنة ٤١٧ حتى توفي سنة ٤٣٥ هـ، قال ابن كثير في «البداية والنهاية ط إحياء التراث» (١٢/ ٦٥): صاحب العراق، كان يحب العبادَ ويُرْزُهُمْ، وَيَلْتَمِسُ الدُّعَاءَ مِنْهُمْ، وَقَدْ نُكِبَ مرَّاتٍ عديدة، وأخرج من داره، وتارة أخرج من بغداد بالكلية، ثم يعود إليها حتى اعتراه وجع كبده فمات من ذلك في ليلة الجمعة خامس شعبان منها [أي سنة ٤٣٥]، وله من العمر إحدى وخمسين سنة وأشهر، تولى العراق من ذلك ست عشرة سنة وأحد عشر شهراً وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

تجري عليه الأرزاق كما تجري على غيره، وكذلك مَنْ كان قبله من الخلفاء لم يبق لهم من الأمر نكير ولا قطمير، وقنعوا بالاسم دون التصرف، وما قدروا على تغيير ما أنكروا مما كرهوا من التحكم فيهم والتسلط عليهم.

توفي القائم بأمر الله في اليوم التاسع والعشرين من شعبان سنة ٤٦٧ هـ.

الثالث: (المقتدي) عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت ٤٨٧ هـ)

المقتدي بأمر الله وهو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن المقتدر، بويع له في شهر رمضان سنة ٤٦٧ هـ.

وكان مشتغلاً باللهو، مهملاً للأمر، مستضعفاً في الخاصة والعامة^(١).

وفي أيامه غلبت الباطنية على الحرمين الشريفين والشام وبعض العراق^(٢).

ومن خواصه ومحل أسراره ابن الموصلي النصراني، وكاتبه ابن المعوج

⁼ ترجمته في الوافي بالوفيات (٧٣/٢٤) ونهاية الأرب (٢٦/٢٥٠).

(١) صور ضعف الخلفاء في هذه الفترات الأخيرة من دولة العباسيين كثيرة ومشهورة، من ذلك ما قاله في كتاب مآثر الإنافة في معالم الخلافة (١/٢) في معرض كلامه عن المقتدي: وهو أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم بأمر الله، .. كان قوي النفس عظيم الهمة بويع له بالخلافة بحضور مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير ابن جهير والشيخ أبي إسحاق الشيرازي وابن الصباغ ونقيب النقباء ابن الزينبي والقاضي أبي عبد الله الدماغي وغيرهم من الأعيان في ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة، وبقي حتى توفي فجأة يوم السبت خامس عشر المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وعمره ثمان وثلاثون سنة وثمانية أشهر وأياماً، ويقال إن شمس النهار القهرمانه سمته، ومدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر. اهـ.

(٢) قال في كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٦/١٦٧): وفي عيد الأضحى [سنة ٤٦٧ هـ] قطعت الخطبة العباسية والسلطانية من مكة، وأعيدت الخطبة المصرية - أي الفاطمية الباطنية.

النصراني^(١).

توفي المقتدي يوم الجمعة الخامس عشر من المحرم سنة ٤٨٧ هـ.
وكان أبوه محمد يلقب (ذخيرة الدين)، وكان ذخيرة الدين هو ولي العهد بعد
أبيه القائم غير أنه مات بعد أن ولد له مولود، فترى هذا المولود في حجر جده
القائم بأمر الله، وعهد إليه بالخلافة ولقبه المقتدي وكناه أبا القاسم.
هذا وقد كان الأمر في عهد المقتدي بيد غيره كما كان الحال فيمن سبقه، فقد
انقضى عهده وهو مغلوب على أمره.

الرابع: (المستظهر) أحمد بن عبد الله المقتدي (ت ٥١٢هـ)

المستظهر بالله وهو أبو العباس أحمد بن عبد الله المقتدي، بويع له في التاسع عشر
من المحرم سنة ٤٨٧ هـ، وكان أحزم ممن سبقه من أهله، وأنهض بالأمر، وتوفي ليلة
الخميس لست ليالٍ بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٥١٢ هـ.
وفي عصر المستظهر اشتدت شوكة الباطنية، وانتشروا في قروين، وزنجان،
والري، وأصبهان، ونيسابور، وأرجان، وفارس، وغيرها من بلاد العجم^(٢).

(١) قال في الوافي بالوفيات (١/ ١٣٥): أبو منصور ابن المعوج محمد بن محمد بن الحسين بن عبد
الله بن السكن أبو منصور المعروف بابن المعوج ويلقب بزعيم الكفاة كان حاجباً بالديوان مدة
ثم ولي حجة باب النوبي في أيام المقتدي، وقُلت المظالم وإقامة الحدود والشرطة وبرز خط
الخلافة بتقليده ذلك، توفي سنة إحدى وخمسمائة.

(٢) الكامل في التاريخ (٨/ ٤٢٣) أحداث سنة ٤٩٢ هجرية و (٨/ ٤٤٨) في أحداث سنة ٤٩٢
هجرية. وقال في تاريخ ابن الوردي (٢/ ١٢) في ذكر الباطنية: أول عظمهم بعد السلطان
ملكشاه، ملكوا قلاعاً منها قلعة أصبهان مستجدة بناها ملكشاه، وسبب بنائها أن كلباً هرب
منه في الصيد ومعه رسول الروم فصعد الكلب إلى موضع القلعة فقال الرسول: لو كان هذا
=

الخامس: (المسترشد) الفضل بن المستظهر (ت ٥٢٩هـ)

المسترشد بالله هو أبو المنصور الفضل بن المستظهر، بويغ له في الليلة التي توفي فيها والده، وهي ليلة الخميس لست ليالٍ بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٥١٢هـ. وقد كان هذا الخليفة على شاكلة من تقدمه من الخلفاء في ارتكاب المحرمات والانهماك في اللذات.

وقُتِلَ المسترشد بـ (أذربيجان)، يوم الخميس السادس عشر من شهر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسائة، وذلك بعد أن أسره السلطان مسعود^(١) في معركة

الموضع ببلادنا لبنينا عَلَيْهِ قلعة، فبناها السُّلْطَان وتواردت عَلَيْهَا النواب حَتَّى ملكَهَا الباطنية وَعَظُم ضررهم بِسَبَبِهَا، كَأَن يُقَالَ قلعة يدل عَلَيْهَا كلب وَيُشِير بِهَا كَافِرٌ لَا بُدَّ وَأَن يكون آخرَهَا إِلَى شَرٍّ، وملكوا قلعة الموت في نواحي (قزوين) أرسل بعض مُلُوكِ الديلم عَقَاباً فَتَزَلَ على مَوْضِعِ الموت فَرَأَهُ حَصِيناً فَبَنَاهُ قلعة وسماها الراموت مَعْنَاهُ يَلْسَانُ الديلم تَعْلِيمُ الْعُقَابِ وَذَلِكَ الموضع وَمَا يجاوره يُسَمَّى طالقان، وَكَانَ الحُسن بن الصَّبَاحَ شهيداً مهندساً حيسوباً ساحراً، وَطَافَ الْبِلَادَ ثُمَّ استغوى أهل الموت وملكه، وملكوا أَيْضاً قلعة طبس وقهستان، ثُمَّ قلعة رستمكوه قرب أبهر سنة أربع وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ قلعة خالنجان على خَمْسَةِ فراسخ من أَصْفَهَان، ثُمَّ قلعة أردهن ملكَهَا أَبُو الْفَتْوح ابنُ أُخْتِ الحُسن بن الصَّبَاح، وملكوه قلعة كرد كوه وقلعة الطنبور وقلعة حلاوخان بَيْنَ فَارس وَخوزستان، وامتدوا إِلَى اغتيال الأكابر فَعَظُم صيتهم وخافهم النَّاسُ فَتَتَبِعُهُمْ بِرُكْيَا رُوقَ وَقَتْلِ كُلِّ مَنْ عَرَفَ مِنْهُمْ. اهـ . وانظر تاريخ الإسلام للذهبي (ج ٣٤/ ٢٨) والمتنظم في تاريخ الملوك والأمم (١٧/ ٦٢).

(١) السلطان مسعود: أبو الفتح مسعود بن محمد بم ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، الملقب غياث الدين، أحد ملوك السلجوقية المشاهير... ثم انتقلت الأحوال وتقلبت بمسعود المذكور واستقل بالسلطنة سنة ثمان وعشرين وخمسائة (٥١٨هـ)، ودخل بغداد، واستوزر شرف الدين أنو شروان بن خالد القاشاني الذي كان وزير المسترشد،... إلى قوله: وقتل من الأمراء الأكابر خلقاً كثيراً، ومن جملة من قتل الخليفان المسترشد بالله والراشد... وهو الذي

بدايمرج، انهزم فيها أصحابه وهو ثابت لم يتحرك من مكانه، ولم يُقتل في هذه المعركة أحد، وهذا من أعجب ما يُحكى.

فأخذ السلطان مسعود المسترشد أسيراً، وجعله في خيمة ووكل من يحفظه، وهناك تقررّت قواعد الصلح بين الطرفين ومن ذلك أن يدفع الخليفة إلى السلطان شيئاً من المال، وأن لا يجمع العساكر ضد السلطان، وأن لا يخرج من داره، ولم يبق بعد ذلك إلا أن يعود الخليفة إلى بغداد.

فدخل على المسترشد مجموعة من الباطنية في ساعة غفلة فقتلوه ومثلوا به، وجدعوا أنفه وأذنيه، وتركوه عرياناً، وكان عمره حين قُتل ثلاثاً وأربعين سنة وثلاثة أشهر^(١).

خلع الراشد وأقام المقتفي كما هو مشهور... ثم أقبل مسعود على الاشتغال بالذات والانعكاف على مواصلة وجوه الراحة، متكلاً على السعادة تعمل له ما يؤثره، إلى أن حدث له القيء وعلى الغثيان، واستمر به ذلك إلى أن توفي في حادي عشر جمادى الآخرة، سنة سبع وأربعين وخمسة (٥٤٧هـ). اهـ من وفيات الأعيان (٥/٢٠٠) باختصار.

(١) قال في الكامل (٩/٦٤): لما قبض المسترشد بالله... أنزله السلطان مسعود في خيمة، ووكل به من يحفظه، وقام بما يجب من الخدمة، وترددت الرسل بينهما في الصلح وتقرير القواعد على مال يؤديه الخليفة وأن لا يعود يجمع العساكر، وأن لا يخرج من داره، فأجاب السلطان إلى ذلك، وأركب الخليفة، وحمل الغاشية بين يديه، ولم يبق إلا أن يعود إلى بغداد. فوصل الخبر أن الأمير قران خوان قد قدم رسولا من السلطان سنجر، فتأخر مسير المسترشد لذلك، وخرج الناس والسلطان مسعود إلى لقائه، وفارق الخليفة بعض من كان موكلاً به، وكانت خيمته منفردة عن العسكر، فقصده أربعة وعشرون رجلاً من الباطنية، ودخلوا عليه فقتلوه، وجرحوه ما يزيد على عشرين جراحة، ومثلوا به فجعدوا أنفه وأذنيه، وتركوه عرياناً، ... وكان قتله يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة على باب مراغة، وبقي حتى دفنه أهل مراغة. وأما الباطنية فقتل منهم عشرة، وقيل: بل قتلوا جميعهم، والله أعلم. وكان عمره لما قتل ثلاثاً

٦٣- والراشد استَغَوَتْهُ شِقْوَتُهُمْ وَالْمُقْتَنِي وَسَلِيلُهُ الْمُثْرِي

وفي هذا البيت ثلاثة من خلفاء بني العباس:

الأول: (الراشد) جعفر بن المسترشد (ت ٥٣٢هـ)

الراشد بالله، وهو أبو منصور جعفر بن المسترشد، بويع له يوم الاثنين السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٥٢٩هـ.

وسلك مسلك من سبقه في إثارة الشهوات على المفروضات، وكان الأمر فيما وراء بابه لغيره؛ وإنما له اسم الخلافة دون معناها، وكان مهملاً لأمواره تكلة في أسبابه كلها، قليل الثبات على حالة واحدة.

وقتل الراشد بقرية الظاهري من أصفهان في شهر رمضان سنة ٥٣٢هـ قتله الباطنية.

وقد كان السلطان مسعود خلع الراشد قبل ذلك في ذي القعدة سنة ٥٣٠هـ. وكانت خلافته أحد عشر شهراً وأحد عشر يوماً.

الثاني: (المقتفي) محمد بن المستظهر (ت ٥٥٥هـ)

المقتفي لأمر الله، هو أبو عبد الله محمد بن المستظهر، بويع له - كما في الكامل [٧٧/٩] في ثامن عشر ذي الحجة سنة ٥٣٠هـ.

وكان غير قاصر عن مساعي من تقدمه في معاصي الله سبحانه وتعالى، وكان مع ذلك مهملاً مستضعفاً، وكان الأمر كله لملك خوارزم، ولم يترك له إلا ما وراء بابه.

= وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوماً. اهـ. وانظر تاريخ بغداد (١٤٨/٢٠) ورواة الزمان في تواريخ الأعيان (٢٠/٢٦٧) وتفصيل أكثر في كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٧/٢٩٥).

وتوفي المقتفي في اليوم الثاني من ربيع الأول سنة ٥٥٥هـ، ومنذ عهد المستكفي (٣٣٤هـ) إلى هذا العهد الأمر كله بيد الديلم^(١).

الثالث: (المستنجد) يوسف المقتفي (ت ٥٦٦هـ)

المستنجد بالله، واسمه يوسف بن المقتفي، وكنيته أبو المظفر، بويع له يوم مات أبوه المقتفي سنة ٥٥٥هـ.

وكان قافياً لآثارهم سالكاً في منهاجهم في إثارة الملاهي والمعاصي على أعمال الآخرة، غير مرتدع لزاجر، ولا منقاد لأمر؛ إلا أنه كان أحزم ممن تقدمه.

فإنه استخدم الجنود، وحارب ملوك العجم، واسترجع بعض ما كان خرج من أيدي من تقدمه، وكانت له هيبة وضبط وحزم.

توفي المستنجد يوم السبت ثامن شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٦هـ، وذلك باختناقه في الحمام، وذلك أنه مرض فوصف له الحمام، فأدخل الحمام فلما دخل أغلقوا عليه الحمام حتى مات، وقد كان ذلك بمؤامرة من ولده وبعض أعوانه.

وسماه شيخنا عليه السلام بـ (المُثري) لجمعه للأموال وادخارها على خلاف ما كان عليه من تقدمه من سلفه؛ فإنهم كانوا مغلوبين على أمرهم في تدبير شؤون الخلافة،

(١) قال في الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (٣/ ٣٣): العصر العباسي الثاني (٢٣٢ - ٦٥٦هـ) يمتد العصر العباسي الثاني أكثر من أربعة قرون، وقد قسم المؤرخون هذه الفترة إلى أربعة عصور رئيسية هي:

١ - عصر نفوذ الأتراك (٢٣٢ - ٣٣٤هـ).

٢ - عصر البويهيين (٣٣٤ - ٤٤٧هـ).

٣ - عصر السلاجقة (٤٤٧ - ٥٩٠هـ).

٤ - عصر ما بعد السلاجقة (٥٩٠ - ٦٥٦هـ).

وجمع المال، وجباية الخراج والمكوس لا سلطان لهم على ذلك، ولا تصرف لهم فيه. فلما جاء المستنجد أعاد للخلافة بعض هيبتها، فجمع الأموال، وجند الجنود، واستقل بتدبير شؤونها، وتحرر من ملوك العجم، غير أنه لم يكن تحت سلطته إلا بعض بلاد العراق.

أما سائر البلاد الإسلامية فقد تحولت إلى ممالك ضعيفة، لكل مملكة سلطان يحميها، فمن هنا صارت بلاد الإسلام عُرضة لغزو الطامعين، ولُقمة سائعة للأكليين^(١).

فلحق المسلمين بسبب ذلك من البلاء شيء عظيم، وجاءهم العدو من كل مكان، فغزاهم من الشرق التتر، ومن الشمال والغرب الروم والإفرنج، وهذا بالإضافة إلى ما لحقهم من الحروب الداخلية فيما بينهم.

٦٤- والمستضي أعماه ناصرهم أصلاه في الحمّام بالحر
٦٥- وهو ابنه فأعجب لِإِبرهْمُ شَنْشَنَةً ليست بذي بِكْرٍ
في هذين البيتين اثنان من طغاة بني العباس:

الأول: (المستضي) الحسن بن يوسف (ت ٥٧٥هـ)

المستضي، وهو أبو محمد الحسن بن يوسف، بويع له يوم توفي والده المستنجد ثامن شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٦هـ، وقد كان على منهاج من سبقه، فلم يدع طريقة من طرائقهم في فعل المعاصي وارتكاب المنكرات والملاهي والشهوات إلا سلكها. ومات في اليوم الثاني من ذي القعدة سنة ٥٧٥هـ.

(١) قد قدمنا للقارئ الكريم شيئاً من التمزق والتشردم في أغلب عواصم البلاد الإسلامية إن لم تكن كلها فلترجع في هامش ص ٣٣٣.

[لحة عن الدولة الفاطمية (العبيدية) بمصر]

وفي سنة ٥٦٧هـ انقرضت الدولة العلوية في مصر.

وقد كان جميع مدتها من حين ظهر المهدي^(١) إلى أن توفي العاضد^(٢) آخر خليفة علوي - مائتين واثنين وسبعين سنة وشهراً^(١).

(١) قال في الأعلام (١٩٧/٤): المهدي الفاطمي (٢٥٩ - ٣٢٢ هـ = ٨٧٣ - ٩٣٤ م) عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم، الفاطمي العلوي، من ولد جعفر الصادق: مؤسس دولة العلويين في المغرب، وجد العبيديين الفاطميين أصحاب مصر، وأحد الدهاة. في نسبه خلاف طويل. كان يسكن سلمية (بسورية) ومولده بها (أو بالكوفة) وكان أبوه قد أرسل الدعوة، وأعظمهم أبو عبد الله الحسين ابن أحمد الملقب بالعلم والشهير بالشيوعي، فمهد له بيعة المغرب، وفتح بلداناً، وناصرته قبائل كتامة، ووعدها بقرب ظهور المهدي إمام زمان. ووصلت إلى المهدي رسل أبي عبد الله تدعوه، فبلغ خبره المكتفي بالله العباسي، فطلبه، ففر من سلمية إلى العراق. ثم لحق بمصر فالإسكندرية، ومنها إلى المغرب. وكان ظهوره بسجلماسة في أواخر ٢٩٦ (كما في كنز الدرر) واستفحل أمره حتى بويع في القيروان بيعة عامة سنة ٢٩٧ هـ. واستوطن (رَقَادَة) عاصمة.... واستولى على تاهرت. وحاول امتلاك مصر، فقصدها مرتين ولم يظفر، وقيل: دخل الإسكندرية. وعاد إلى المغرب فاخبط مدينة (المهدية) سنة ٣٠٣ هـ واتخذها قاعدة لملكه. ومات بها بعد أن حكم أربعاً وعشرين سنة. وأخباره كثيرة. وللدكتور حسن إبراهيم وطه شرف كتاب (عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية - ط) وكان يتولى أموره بنفسه، ليس له وزير ولا حاجب. اهـ ثم قال في هامشه: ابن الأثير (٨/ ٩٠) وما قبلها، وابن خلدون (١١/٤) و (٣٠ - ٤٠) واتعاظ الحنفا (١٧/ ١٠٧) وفيه اختلاف الأقوال في نسبه. وابن خلكان (١/ ٢٧٢) وتاريخ الخميس (٢/ ٣٨٥) وسماه (عبيد الله بن الحسين) وأوصل نسبه إلى عبد الله بن ميمون القداح! وكنز الدرر (٦/ ١٠٨ - ١٠٩) وفيات الأعيان (٣/ ١١٧).. وانظر البيان المغرب في أخبار المغرب (١/ ٢٠٦) وتاريخ الإسلام (٢٤/ ٢٢).

(٢) قال في الأعلام للزركلي (٤/ ١٤٧): العاضد لِدِين الله (٥٤٤ - ٥٦٧ هـ = ١١٤٩ - ١١٧١ م) عبد الله (العاضد) بن يوسف بن الحافظ، العلوي الفاطمي، أبو محمد: آخر ملوك =

الدولة الفاطمية (العبيدية) بمصر والمغرب. بويع له بمصر سنة ٥٥٥ هـ بعد موت الفائز. وكان الضعف قد ظهر على رجال هذه الدولة، واستبد الوزراء والمستشارون من الترك وغيرهم بالأمر. وفي أيامه قوي السلطان صلاح الدين (يوسف بن أيوب) وتولى وزارته وتصرف في شؤون الملك، ثم قطع خطبته وأمر بالخطبة للمستضيء بالله العباسي. وكان العاضد في مرض موته، فمات ولم يعلم بذلك... وكانت مدتهم ٢٦٨ سنة.

(١) قال في تاريخ ابن خلدون (٤٤٩/٣): نسبة هؤلاء العبيديين إلى أول خلفائهم، وهو عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق، ولا يلتفت لإنكار هذا النسب، فكتاب المعتضد إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسلجماسه يغريهم بالقبض عليه لما سار إلى المغرب شاهد بصحة نسبهم وشعر الشريف الرضي في قوله:

ألبس الذلّ في بلاد الأعادي	وبمصر الخليفة العلويّ
من أبوه أبي ومولاه مولا	ي إذا ضامني البعيد القصيّ
لفّ عرقي بعرقه سيّد النّا	س جميعا، محمّد وعليّ

اهـ.

قال الإمام الحجة المجدد مجد الدين المؤيدي في لوامع الأنوار ط ٥ (ج ٢/٢٥٣) في الفصل الخامس بعد أن ذكر هذه الأبيات ما لفظه: وهذا إشارة إلى الخلفاء العبيديين بمصر، وهو مما يفيد تصحيح نسبهم، وإن كانت دياناتهم - على ما نقل - غير صحيحة؛ ولم يصرح رضي الله عنه بالمدح لشيء من أحوالهم، سوى الاتفاق في النسب. اهـ.

وفي تاريخ ابن خلدون (١٠٦/٤): وكان العاضد في شدة من المرض فلم يعلمه أحد بذلك، وتوفي في عاشوراء من السنة، وجلس صلاح الدين للعزاء فيه واحتوى على قصر الخلافة بما فيه فحمله بهاء الدين قراقوش إليه، وكان في خزائنها من الذخيرة ما لم يسمع بمثله من أصناف الجواهر واليوافيت والزمرد وحلي الذهب وآنية الفضة والذهب، ووجد ماعون القصر من الموائد والطسوت والأباريق والقدرور والصحاف والخوان والبواقيل والمنابر والطيافر والقباقب والأسورة، كل ذلك من الذهب. ووجد من أنواع الطيوب واللباس والمذهبات والقرقيات المعلقات والوشى ما لا تقله الأوقار، ومن الكتب ما يناهز مائة وعشرين ألف سفر أعطاها للفاضل عبد الرحيم البيساني كاتبه وقاضيه، ومن الظهر والكراع والسلاح، ومن

وذلك أن دولتهم ابتدأت في افريقية في ذي الحجة سنة ٢٩٦هـ إلى ثاني جمعة من المحرم سنة ٥٦٧هـ.

وبانقراضهم انقرض مذهب الباطنية^(١) في مصر، ولم يبق له بعدهم هناك عين

الخدم والوصائف خمسين ألفاً، ومن المال ما يملأ مائة بيت. ثم حبس رجالهم ونساءهم حتى ماتوا، وكانت بالدولة عند عهد العزيز والحاكم قد خلا جوّها من رجالات كتامة وتفرّقوا في المشرق في سبيل ذلك الملك، وانقضوا بانقراض أمر الشيعة وموت العاضد آخر خلفائهم، وأكلتهم الأقطار والوقائع شأن الدول كما ذكرناه من قبل. اهـ.

(١) كان المذهب الرسمي للدولة الفاطمية هو المذهب الإسماعيلي الباطني، ويقال لهم الباطنية لاعتقادهم أن لكل ظاهر في القرآن باطناً، ولكل نصّ تأويل باطن، وقد تفرّع من هذا المذهب عدة فرق، حيث ظهرت قبل زوال الدولة الفاطمية بعد موت المستنصر سنة ٤٨٧هـ فرقتان هما النزارية والمستعلية نسبة إلى الأخوين نزار المصطفى بالله بن المستنصر وأحمد المستعلي بالله بن المستنصر، حيث وقع الخلاف بينهما على الخلافة، ونتج أن سُجن نزار، ومات في السجن، وهرب ولده الهادي بن نزار مع أتباعه إلى بلاد آسيا الوسطى، وهناك تكونت دولة ما يسمى بدولة الحشاشين، التي أسسها الحسن بن الصباح (ت ٥١٨هـ)، والذي احتل عدداً من القلاع أهمها قلعة ألموت واتخذها عاصمة لدولته، وكانت نهاية دولة الحشاشين على يد التتار بقيادة هولاكو حوالي سنة ٦٥٣هـ.

أما الفرقة المستعلية فاستمرت باستمرار الخلفاء الفاطميين حيث انقسمت فيما بعد إلى حافظة وطبّية، فالحافظة انتهت بزوال الدولة الفاطمية، وأما الطبية فهم اليوم البهرة الذين تفرّقوا إلى داوودية وسليمانية وعلوية،....

والقرامطة فرقة باطنية إسماعيلية نسبة إلى حمدان بن الأشعث الذي لقب بقرمط، وكانوا يعتقدون بغيبة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وكان علي بن الفضل أحد دعاة هذه الفرقة في اليمن والذي ظهر أيام الإمام الهادي يحيى بن الحسين في اليمن، ولم يكن للقرامطة أثر كبير في اليمن بفضل الإمام الهادي حيث تم القضاء على هذه الدعوة في اليمن على يده ويد أولاده من بعده.

هذا وقد كانت الدولة الصليحية في اليمن تنتمي إلى الدولة الفاطمية في مصر عقائدياً وسياسياً، وأيضاً الدروز (الموحدون) يعود أصلهم إلى المذهب الإسماعيلي الفاطمي، ويعتقدون بمسألة

ولا أثر، وذلك على يد صلاح الدين الأيوبي.
وصدق الله: ﴿قَآمَآ الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّآسَ فَيَمْكُثُ فِي
الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

الثاني: (الناصر) أحمد بن المستضيء (ت ٦٢٢هـ)

وهو أبو العباس أحمد بن المستضيء، بويع له في سنة ٥٧٥هـ^(١).
وقد سلك طريقة من تقدمه في معاصي الله تعالى من شرب الخمر، واللعب
واللهو والطرب.
وتميز بسفك الدماء وركوب الدهماء، وكان يطوف في مدينة بغداد مستخفياً فمن
أشار إليه قتله، ومن قال مَنْ؟ وَسَطَهُ -أي: ضربه من وسطه حتى ينفلق قطعتين- .
وله آثار في الإسلام قبيحة، وفي الكامل [٤٥٢/١٠]: كان قبيح السيرة في رعيته،
ظالماً، فخرّب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أملاكهم وأموالهم.
وتوفي في آخر ليلة من شهر رمضان سنة ٦٢٢هـ، وقد كانت مدة خلافته طويلة
كما ترى.

=
التناسخ، وهو عبارة عن انتقال الأرواح بعد مفارقة الأجساد إلى أجساد أخرى من نوعها أو
من نوع آخر، وتفصيلها في كتب العقيدة، وأكثر تواجدهم الآن في سوريا ولبنان وفلسطين...
(١) قال في الأعلام (١/ ١١٠): الناصر لدين الله (٥٥٣ - ٦٢٢ هـ) أحمد بن المستضيء بأمر الله
الحسن بن المستنجد، أبو العباس، الناصر لدين الله: خليفة عباسي بويع بالخلافة بعد موت أبيه
.... يوصف بالدهاء على ما في أطواره من تقلب، فبينما هو مهتم بشؤون قومه يطلق المكوس
ويرفع عن الناس الضرائب، إذا به قد انقلب فانصرف إلى اللهو وأعاد ما رفع. ويقال إنه هو
الذي كاتب التتر وأطمعهم في البلاد... واستمرت خلافته ٤٦ سنة و ١١ شهراً إلا يومين...
اهد باختصار. وانظر مختصر تاريخ الدول (٤٢١) وفيه: (لما عجز الناصر عن النظر في القصص
استحضر امرأة بغدادية تعرف بست نسيم، وكانت تكتب خطأ قريباً من خطه، وجعلها بين
يديه تكتب الأجوبة، وشاركها في ذلك خادم اسمه تاج الدين رشيق، فصارت المرأة تكتب في
الأجوبة ما تريد، فمرة تصيب ومراراً تخطئ...) إلى أن أفشى سرها الطبيب صاعد بن توما. اهـ.

استدعاء جيوش الكفار إلى بلاد المسلمين سنة قديمة للظالمين

ورد في الكامل لابن الأثير [٤٥٣/١٠]: وكان سبب ما ينسبه العجم إليه [أي: إلى الناصر] صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك، فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم^(١).

هذا، وفي سنة ٦١٧ هـ في عهد الناصر كان خروج التتر إلى بلاد المسلمين، قال في الكامل وهو يصف ما كان من التتر [٣٩٩/١٠]: فلو قال قائل: إن العالم منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يُبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها.. ثم قال: ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتُفنى الدنيا.. ثم قال: فإن قوماً خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند، وبخارى، ثم إلى خراسان، ثم إلى الري، وهمدان، وبلد الجيل وما فيه من البلاد إلى حد العراق، ثم بلاد أذربيجان، وغيرها، فيملكون كل تلك البلاد في أقل من سنة، ويفرغون منها تخريباً، وقتلاً ونهباً بحيث أنه لم ينج من سكان تلك البلدان الطويلة العريضة إلا الشريد النادر، أما البقية فقد قتلوا عن بكرة أبيهم رجالاً ونساءً وأطفالاً، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة.

فقد كانوا يقتلون جميع سكان المدينة بعد أن يأمرهم بجمع ما عندهم من الأموال، ثم يتتهبون البيوت، ثم يخربونها ويحرقونها، ثم يُجرون عليها النهر. انتهى باختصار.

وفيه أيضاً [٤٠١/١٠]: التتر نوع كثير من الترك، ومساكنهم جبال طمغاج من نحو

(١) وانظر تاريخ ابن خلدون (٦٦٠/٣).

الصين، وبينها وبين بلاد الإسلام ما يزيد على مسيرة ستة أشهر. انتهى.

وقد كان عدد القتلى في كل مدينة يخرج عن حد الإحصاء، وكان التتر يأمر بعض الأسرى فينادي في المدينة: إن التتر قد رحلوا. ليخرج من كان مختفياً، فإذا نادى أولئك خرج من كان مختفياً فيؤخذ ويقتل.

وكان الرجل الواحد من التتر يدخل الدرب فيه الجماعة من الناس فيقتلهم واحداً بعد واحد، حتى يفرغ من الجميع لا يمد إليه أحد منهم يداً.

وفيه [٢٠/١٠٤]: وهو يذكر صنيع التتر بمدينة مرو: اقتسموا أولاً الرقيق من الأطفال والنساء والرجال، ثم عذبوا أرباب الأموال بأنواع العذاب من أجل استخراج الأموال من أيديهم، وربما مات أحدهم من شدة الضرب، ثم أحرقوا البلاد.

ثم إن ابن جنكز خان أمير التتر أمر بقتل أهل البلد كافة، وأمر الأمير بإحصاء القتلى فكانوا سبعمائة ألف قتيل. انتهى^(١).

وقد كانت المدن التي يملكها التتر تلقى هذا المصير، على كثرة ما استولوا عليه من المدن، فإنهم قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأوفرها سكاناً.

فقد ملكوا غزنة^(٢) وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند، وسجستان، وكرمان،

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣٥٩/١٠) حيث ذكر هذه الأحداث ضمن حوادث سنة (٦١٧ هـ) والمؤلف كان معاصراً ومعاشياً لهذه الأحداث، حيث كانت وفاته سنة (٦٣٠ هـ) أما النكبة الكبرى فكانت في دخولهم بغداد سنة ٦٥٦ هـ.

(٢) قال في معجم البلدان (٢٠١/٤): غَزَنَةُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم نون، هكذا يتلفظ بها العامة، والصحيح عند العلماء غزنين ويعربونها فيقولون جزنة، ويقال لمجموع بلادها زابلستان، وغزنة قصبته، وغزن في وجوه الستة مهملة في كلام العرب، وهي مدينة عظيمة =

وكذلك استولوا على بلاد قفجاق^(١) وهم أكثر الترك عدداً، وكل ذلك في أقل من سنة.

وقد دخل التتر بلاد العراق أخيراً، ودخلوا بغداد فلقيت نفس المصير الذي لقيته سائر الممالك والمدن التي مرت بها التتر، فقد قُتل أهل بغداد جميعاً تقريباً، ولم يسلم منهم إلا الشاذ النادر، وقد ذكر بعض المؤرخين أن قتلى بغداد وحدها قد كانوا مليونين^(٢) من الناس ما بين طفل وامرأة ورجل، ولم يبقوا على أحد.

هذا، والسبب في كبير ظني في حصول هذه الكارثة الكبرى الذي لم يشهد لها البشر مثيلاً في التاريخ هو كثرة الفسوق والعصيان، فإن ذلك كان قد ظهر واستشرى، وتراكم وتمادى في بلاد المسلمين، ونشأ على ذلك الصغير وشاب عليه

== وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحدّ بين خراسان والهند في طريق فيه خيرات واسعة إلا أن البرد فيها شديد جدّاً، بلغني أن بالقرب منها عقبة بينهما مسيرة يوم واحد إذا قطعها القاطع وقع في أرض دفيئة شديدة الحرّ، ومن هذا الجانب برد كالزمهرير، وقد نسب إلى هذه المدينة من لا يعدّ ولا يحصى من العلماء، وما زالت أهلة بأهل الدين ولزوم طريق أهل الشريعة والسلف الصالح، وهي كانت منزل بني محمود بن سبكتكين إلى أن انقرضوا. اهـ. وهي الآن تتبع أفغانستان، على بعد حوالي ١٥٠ كيلومتر جنوب العاصمة كابول.

(١) قفجاق بن أرسلان تاش التركماني، أمير من أمراء التركمان، قال في «الكامل في التاريخ» (١٠/٣٣٤): ثُمَّ قَصَدُوا بِلَادَ قُفْجَاقَ، وَهُمْ مِنْ أَكْثَرِ التُّرْكِ عَدَدًا، فَفَتَلُوا كُلَّ مَنْ وَقَفَ هُمْ، فَهَرَبَ الْبَاقُونَ إِلَى الْغِيَاضِ وَرُءُوسِ الْجِبَالِ، وَفَارَقُوا بِلَادَهُمْ، وَاسْتَوْلَى هَؤُلَاءِ التَّتَرُ عَلَيْهَا، فَعَلُوا هَذَا فِي أَسْرَعِ زَمَانٍ، لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا بِمِقْدَارِ مَسِيرِهِمْ لَا غَيْرَ. اهـ.

(٢) انظر مرآة الجنان لليافعي (٤/١٠٥)، العبر للذهبي (٣/٢٧٨)، البداية والنهاية لابن كثير (١٣/٢٠٢) شذرات الذهب لابن العماد (٧/٤٦٩) حيث ذكروا أن عدد من قتل من المسلمين في سقوط بغداد بلغ ألف ألف وثمانمائة ألف، وقيل ألفي ألف..

الكبير، وشمل الراعي والرعية، وذلك كالظلم، وسفك الدماء بغير حق، وما يتبع ذلك ويلحق به من التعذيب والحبس، وكالزنا واللواط وشرب الخمر، والرقص والغناء والمزامير وآلات اللهو، والتهاون بشرائع الإسلام جملة وتفصيلاً، فحصل ما حصل من التتر على المسلمين بسبب ذلك، وتاماً كما قال جلَّ شأؤه: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام].

هذا، وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أشار إلى فتنه التتر في خطبة خطبها في البصرة منها: (كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ^(١) والدِّيَابَجَ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلِ، حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ وَيَكُونُ الْمُفْلِتُ أَقْلَ مِنَ الْمَاسُورِ^(٢)).

(١) السَّرَقُ جمع سَرَقَة، وهي الْقِطْعَة مِنْ جَيْدِ الْحَرِيرِ، (انظر النهاية ٢ / ٣٦٢).

(٢) شرح النهج (٨ / ٢١٥) ورواها الزنجشيري في كتاب ربيع الأبرار (١ / ٣٣٠) عن علي عليه السلام بلفظها. وهناك الحديث المروي عن رسول الله ﷺ في الصحاح والمسانيد كلها بلفظ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمَرُ الْوُجُوهِ ذُلْفَ الْأُتُوفِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ)).

قال في شرح النهج: المجان: جمع مجن بكسر الميم، وهو الترس، وإنما سمي مجناً لأنه يستتر به، والجنة: السترة والجمع جُنُنٌ، يقال استجن بجنة، أي استتر بستره.

والمطرقة، بسكون الطاء: التي قد أطرق بعضها إلى بعض، أي ضمت طبقاتها، فجعل بعضها يتلو بعضها، يقال: جاءت الابل مطريق، أي يتلو بعضها بعضاً. ويروى: (الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ)، بتشديد الراء، أي كالترس المتخذة من حديد مطرق بالمطرقة. والسرق: شقق الحرير، وقيل: لا تسمى سرقاً إلا إذا كانت بيضاء، الواحدة سَرَقَة. ويعتقبون الخيل، أي يجنبونها ليتقبلوا من غيرها إليها. واستحرار القتل: شدته، استحر وحر بمعنى. والمفلت: الهارب. اهـ (منه باختصار).

٦٦- والظاهر ابن الناصر استخفى ثم أبْنُهُ لم يَحْضَ بِالتَّصْرِ

الظاهر محمد بن الناصر (ت: ٦٢٣هـ)

الظاهر بأمر الله هو: محمد بن الناصر، بويغ بعد وفاة أبيه الناصر سنة ٦٢٢هـ ومات في رجب من سنة ٦٢٣هـ، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر لا غير.

المستنصر منصور بن الظاهر (ت: ٦٤٠هـ)

المستنصر بن الظاهر، واسمه: منصور بن الظاهر، استخلف في سنة ٦٢٣هـ ومات سنة ٦٤٠هـ.

٦٧- وسَلِيلُهُ الْمُسْتَعَصِمُ انْخَرَمَتْ آماله وأييد بالقسر

٦٨- وتصرّمت أيّامهم لَمّا ماج التتار كمائج البحر

٦٩- فانظر صُرُوف الحادثات وغايات المَدَى ونهاية الأمر

المستعصم عبد الله بن المستنصر (ت: ٦٥٦هـ)

المستعصم هو عبد الله بن المستنصر آخر ملوك بني العباس، ولد في سنة ٦٠٩هـ، ومات سنة ٦٥٦هـ، تولى من سنة ٦٤٠هـ إلى سنة ٦٥٦هـ، عجز عن صد الغزو المغولي (التتار). قتله هولاء بعد احتلاله بغداد^(١).

(١) قال في تاريخ مختصر الدول لأبي الفرج المعروف بابن العبري (ت ٦٨٥هـ) (١/ج ٢٥٤): وفي سنة أربعين وستمائة بويغ المستعصم يوم مات أبوه المستنصر وكان صاحب هو وقصف، شغف بلعب الطيور، واستولت عليه النساء، وكان ضعيف الرأي، قليل العزم، كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول، وكان إذا ثبّه على ما ينبغي أن يفعله في أمر التتار إما المداراة والدخول في طاعتهم وتوخي مرضاتهم، أو تحيّش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق، فكان يقول: أنا بغداد تكفيني، ولا يستكثرونها لي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد، ولا أيضا يهجمون عليّ وأنا بها، وهي بيتي ودار مقامي. فهذه الخيالات الفاسدة =

قال صاحب غاية الأمانى يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد: وفي هذه السنة [أي سنة ٦٥٦هـ] دخل التتار مدينة السلام ببغداد وقتلوا الخليفة المستعصم العباسي، ومن أهل بغداد عدداً لا يحصيه إلا الذي خلقهم.

ومن عجيب الاتفاق وغريب ما رقم في الأوراق أن المظفر كتب إلى المستعصم يخبره بقتل الإمام أحمد بن الحسين عليه السلام صاحب ذيبين فوصل الرسول إلى براقش وبلغه خبر قتل المستعصم، ويقال: إنه قتل في اليوم الذي قتل فيه الإمام عليه السلام ^(١).

وأمثالها عدلت به عن الصواب فأصيب بمكاره لم تخطر بباله. .. إلى أن قال: وأمر هولاء أن يخرج إليه الدويدار وسليمان شاه، وأما الخليفة إن اختار الخروج فليخرج وآلا فليزمر مكانه. فخرج الدويدار وسليمان شاه ومعهما جماعة من الأكابر. ثم عاد الدويدار من الطريق بحجة إنه يرجع ويمنع المقاتلين الكامنين بالدروب والأزقة لئلا يقتلوا أحداً من المغول، فرجع وخرج من الغد وقتل. وعامة أهل بغداد أرسلوا شرف الدين المراغي وشهاب الدين الزنكاني ليأخذ لهم الأمان. ولما رأى الخليفة أن لا بد من الخروج أراد أو لم يرد استأذن هولاء بأن يحضر بين يديه، فأذن له وخرج رابع صفر ومعه أولاده وأهله. فتقدم هولاء أن يتزلوه بباب كلواذى [باب من أبواب بغداد]، وشرع العساكر في نهب بغداد، ودخل بنفسه إلى بغداد ليشاهد دار الخليفة، وتقدم بإحضار الخليفة فاحضره، ومثل بين يديه وقدم جواهر نفيسة ولآلى ودرراً معبأة في أطباق، ففرق هولاء جميعها على الأمراء، وعند المساء خرج إلى منزله وأمر الخليفة أن يفرز جميع النساء التي باشرهن هو وبنوه ويعزهن عن غيرهن، ففعل فكنّ سبعمائة امرأة فأخرجهن ومعهن ثلاثمائة خادم خصي. وبقي النهب يعمل إلى سبعة أيام، ثم رفعوا السيف وبطلوا السبي. وفي رابع عشر صفر رحل هولاء من بغداد، وفي أول مرحله قتل الخليفة المستعصم وابنه الأوسط مع ستة نفر من الخصيان بالليل، وقتل ابنه الكبير ومعه جماعة من الخواص على باب كلواذى.. الخ. اهـ..

(١) ذكرت المصادر التاريخية أن المستعصم قتل في صفر سنة ٦٥٦هـ، وقال في سيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسين أنه كان استشهاده ضحى النهار يوم الأربعاء ليلة أو ليلتين بقيتا من شهر صفر سنة ست وخمسين وستائة، (سيرة الإمام المهدي مخطوط: ص ٣١٦).

وبقتل المستعصم انقرضت دولة بني العباس في العراق، وانتقل بقيتهم إلى مصر.

وكان مدة ملكهم منذ قيام أبي العباس السفاح إلى هذا التاريخ خمسمائة وأربعاً وعشرين سنة، فسبحان من لا يزول ملكه.

٧٠- أَزْكَى الصَّلَاةِ مَعَ السَّلَامِ عَلَى خَيْرِ الْأَنْعَامِ وَإِلَيْهِ الْغُرُّ

بِسْمِ اللَّهِ

وقال الخزرجي في كتابه (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية) (١/ ١٢٤-١٢٥) ما لفظه: قال الجندي وأخبر الثقة أن موضع قبره الأول [أي الإمام المهدي] بشوابة يوجد عنده رائحة المسك. وكان قتله يوم الأربعاء سلخ شهر صفر من السنة المذكورة، ويقال أنه قتل في اليوم الذي قتل فيه الخليفة المستعصم في بغداد. قاله الجندي. وكان الخليفة المستعصم قد كتب إلى السلطان الملك المظفر يأمره بأحمد بن الحسين حين بلغه ظهوره وإقبال الناس عليه، ووعدته على ذلك إقطاع مصر. وكان الإمام أحمد بن الحسين رحمه الله أمثل أئمة الزيدية المتأخرين علماً وجوداً وكرماً. وللقاسم بن هتيمل فيه غرر المدائح الحسان موجودة في ديوانه... انتهى كلام الخزرجي.

ملحق

جدول يوضح حصر خلفاء بني أمية وفترات ملكهم

وأبرز المعاصرين من أئمة أهل البيت

#	اسم الخليفة	فترة الخلافة	الأئمة من أهل البيت المعاصرين
خلفاء بني أمية (٤١ هـ - ١٣٢ هـ) / (٦٦١ م - ٧٥٠ م) عددهم أربعة عشر خليفة			
١	معاوية بن أبي سفيان	(٤١ هـ - ٦٠ هـ)	• الحسن بن علي بن أبي طالب ٤٠ هـ - ٥٠ هـ
٢	يزيد بن معاوية	(٦٠ هـ - ٦٤ هـ)	• الحسين بن علي بن أبي طالب ٥٠ هـ - ١٠ محرم ٦١ هـ
٣	معاوية الثاني بن يزيد	(٦٤ هـ - ٦٤ هـ)	• علي بن الحسين ت ٩٤ هـ
٤	مروان بن الحكم	(٦٤ هـ - ٦٥ هـ)	•
٥	عبد الملك بن مروان	(٦٥ هـ - ٨٦ هـ)	• الحسن الرضا بن الحسن السبط (ت نحو ٩٣ هـ)
٦	الوليد بن عبد الملك	(٨٦ هـ - ٩٦ هـ)	• في أيامه كانت وفاة الحسن بن الحسن حيث دس إليه من سقاه السم نحو ٩٣ هـ إلى ٩٦ هـ
٧	سليمان بن عبد الملك	(٩٦ هـ - ٩٩ هـ)	•
٨	عمر بن عبد العزيز	(٩٩ هـ - ١٠١ هـ)	• قُتل مسموماً
٩	يزيد بن عبد الملك	(١٠١ هـ - ١٠٥ هـ)	•
١٠	هشام بن عبد الملك	(١٠٥ هـ - ١٢٥ هـ)	• الإمام زيد بن علي ٢٥ محرم ١٢٢ هـ
١١	الوليد بن يزيد	(١٢٥ هـ - ١٢٦ هـ)	• الإمام يحيى بن زيد ١٢٢ هـ - رمضان ١٢٦ هـ

#	اسم الخليفة	فترة الخلافة	الأئمة من أهل البيت المعاصرين
١٢	يزيد بن الوليد (الناقص)	(١٢٦هـ - ١٢٦هـ)	•
١٣	إبراهيم بن الوليد	(١٢٦هـ - ١٢٧هـ)	•
١٤	مروان بن محمد بن مروان	(١٢٧هـ - ١٣٢هـ)	• آخر خلفاء بني أمية

جدول يوضح حصر خلفاء بني العباس وفترات ملكهم

وأبرز المعاصرين من أئمة أهل البيت

#	اللقب	الخليفة	فترة الخلافة	الأئمة من أهل البيت المعاصرين
العصر العباسي الأول: العصر الذهبي. (١٣٢ هـ - ٢٣٢ هـ) / (٧٥٠ م - ٨٤٧ م) يشمل تسعة خلفاء أولهم السفاح وآخرهم الواثق.				
١	أبو العباس السفاح	عبد الله بن محمد	(١٣٢ هـ - ١٣٦ هـ)	
٢	أبو جعفر المنصور	عبد الله بن محمد	(١٣٧ هـ - ١٥٨ هـ)	• محمد بن عبد الله النفس الزكية ١٤٥ هـ • إبراهيم بن عبد الله النفس الرضية ١٤٥ هـ • عبد الله بن محمد بن عبد الله ١٥١ هـ.
٣	المهدي	محمد	(١٥٨ هـ - ١٦٩ هـ)	•
٤	المهدي	موسى بن المهدي	(١٦٩ هـ - ١٧٠ هـ)	• الإمام الحسين بن علي الفخي ١٩ ذو القعدة ١٦٩ هـ - ٨ ذو الحجة ١٦٩ هـ • الإمام يحيى بن عبد الله ١٦٩ هـ
٥	الرشيد (الغوي)	هارون بن المهدي	(١٧٠ هـ - ١٩٣ هـ)	• الإمام يحيى بن عبد الله النفس النقية • الإمام إدريس بن عبد الله (في المغرب)
٦	الأمين	محمد	(١٩٣ هـ - ١٩٨ هـ)	• محمد بن هارون
٧	المأمون	عبد الله بن هارون	(١٩٨ هـ - ٢١٨ هـ)	• الإمام محمد بن إبراهيم (طباطبا) ١٩٩ هـ • الإمام محمد بن محمد بن زيد ١٩٩ هـ • الإمام علي الرضا بن موسى بن جعفر ٢٠١ هـ
٨	المعتصم	محمد بن هارون	(٢١٨ هـ - ٢٢٧ هـ)	• الإمام محمد بن القاسم بن علي بن عمر الأشرف بن علي زين العابدين
٩	الواثق بالله	هارون بن المعتصم	(٢٢٧ هـ - ٢٣٢ هـ)	• الإمام محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله الخارج بتاهرت السفلى

#	اللقب	الخليفة	فترة الخلافة	الأئمة من أهل البيت المعاصرين
العصر العباسي الثاني: عصر الحرس التركي (٢٣٢هـ - ٤٤٦هـ) / (٨٤٧م - ١٠٥٥م) يشمل هذا العصر ١٦ أولهم جعفر المتوكل وآخرهم أحمد القادر بالله. وهو عصر الضعف والانحطاط. واستقلال الولاة والسلاطين وتأسيسهم دول مستقلة تمامًا وتعيين الخلفاء سوريا فقط.				
١٠	المتوكل على الله	جعفر بن محمد المعتصم	(٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ)	- الإمام أحمد بن عيسى بن الإمام زيد - الإمام القاسم الرسي ٢٠٠ - ٢٤٥هـ - الإمام عبد الله بن موسى بن عبد الله الكامل
١١	المنتصر بالله	محمد بن المتوكل	(٢٤٧هـ - ٢٤٨هـ)	
١٢	المستعين بالله	أحمد بن المعتصم	(٢٤٨هـ - ٢٥٢هـ)	- الإمام يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن الإمام زيد، قام ٢٤٨هـ - الإمام الحسين بن محمد بن حمزة بن عبيد الله بن علي بن الحسين بن علي زين العابدين
١٣	المعتز بالله	المعتز بالله بن المتوكل	(٢٥٢هـ - ٢٥٥هـ)	الإمام إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله الكامل - ٢٥٢هـ
١٤	المهتدي بالله	محمد بن هارون الواثق	(٢٥٥هـ - ٢٥٦هـ)	الإمام الداعي الحسن بن زيد بن محمد الحسني دعا أيام المتوكل - ٢٧٠هـ
١٥	المعتمد على الله	أحمد بن المتوكل	(٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ)	الإمام محمد بن زيد أخو الإمام الحسن بن زيد (قتل ٢٧٦هـ)
١٦	المعتضد بالله	أحمد بن طلحة بن المتوكل	(٢٧٩هـ - ٢٨٩هـ)	
١٧	المكتفي بالله	علي بن المعتضد	(٢٨٩هـ - ٢٩٥هـ)	الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين قيامه ٢٨٠ - ٢٩٨هـ (صعدة وصنعاء)

#	اللقب	الخليفة	فترة الخلافة	الأئمة من أهل البيت المعاصرين
١٨ (١)	المقتدر بالله خلع سنة ٣١٧ هـ ثم أعيد	جعفر بن المعتضد	(٢٩٥ هـ - ٣١٧ هـ)	- الإمام الناصر الحسن بن علي الأطروش قيامه ٢٨٤ هـ - ت ٣٠٤ هـ (الجيل والديلم) - المرتضى بن الإمام الهادي ت ٣١٠ هـ - الإمام الداعي الحسن بن القاسم بن الحسن بن علي بن عبد الرحمن الشجري (ت ٣١٦ هـ)
١٨	المقتدر بالله		(٣١٧ هـ - ٣٢٠ هـ)	الناصر بن الإمام الهادي ت ٣٢٥ هـ
١٩	الفاهر بالله	محمد بن المعتضد	(٣٢٠ هـ - ٣٢٢ هـ)	
٢٠	الراضي بالله	محمد بن المقتدر	(٣٢٢ هـ - ٣٢٩ هـ)	الإمام المنصور يحيى بن الناصر بن الإمام الهادي قام ٣٢٥ هـ - ت ٣٦٦ هـ
٢١	المتقي لله	إبراهيم بن المقتدر	(٣٢٩ هـ - ٣٣٣ هـ)	
٢٢	المستكفي بالله	عبد الله بن المكتفي	(٣٣٣ هـ - ٣٣٤ هـ)	
٢٣	المطيع لله	الفضل بن المقتدر	(٣٣٤ هـ - ٣٦٣ هـ)	- الإمام المهدي محمد بن الإمام الداعي الحسن بن القاسم (قام ٣٥٣ هـ - ت ٣٦٠ هـ) - عاصره أبو العباس الحسيني ت ٣٥٣ هـ
٢٤	الطائع لله	عبد الكريم بن المطيع	(٣٦٣ هـ - ٣٨١ هـ)	الإمام الثائر في الله جعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن علي بن سيد العابدين (ظهر ٣٧٦ هـ) وابناه
٢٥	القادر بالله	أحمد بن إسحاق بن المقتدر	(٣٨١ هـ - ٤٢٢ هـ)	- الإمام المؤيد أحمد بن الحسين الهاروني دعا ٣٨٠ هـ - ت ٤١١ هـ. - الإمام المنصور القاسم بن علي العياني قام سنة ٣٨٨ هـ، ت ٣٩٣ هـ

#	اللقب	الخليفة	فترة الخلافة	الأئمة من أهل البيت المعاصرين
العصر العباسي الثالث: عصر آل سلجوق (٤٤٦ هـ - ٦٥٦ هـ) / (١٠٥٥ - ١٢٥٨ م) بدأ هذا العصر من ظهور السلاجقة. وانتهى عند سقوط بغداد (٦٥٦ هـ) (١٢٥٨ م).				
٢٦	القائم بأمر الله	عبد الله بن أحمد القادر	(٤٢٢ - ٤٦٧ هـ)	- الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني - قام ٤١١ هـ - ت ٤٢٤ هـ - الإمام أبو الفتح الديلمي قام في الديلم - سنة ٤٣٠ هـ. وخرج اليمن قتل حوالي ٤٤٩ هـ أو ٤٥٠ هـ في الميمنة بنواحي ذمار
٢٧	المقتدي بأمر الله	عبد الله بن محمد بن القائم	(٤٦٧ - ٤٨٧ هـ)	- الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري - ت ٤٧٩ هـ
٢٨	المستظهر بالله	أحمد بن عبد الله المقتدي	(٤٨٧ - ٥١٢ هـ)	- الإمام الهادي الحقيبي الحسيني ت ٤٩٠ هـ - الإمام أبو الرضا الكيسمي ت بعد ٤٩٠ هـ
٢٩	المسترشد بالله	الفضل بن أحمد المستظهر	(٥١٢ - ٥٢٩ هـ)	- الإمام أبو طالب الأخير يحيى بن أحمد بن الحسن بن الإمام المؤيد بالله الهاروني - دعا ٥٠٢ هـ - ت ٥٢٠ هـ
٣٠	الراشد بالله	منصور بن المسترشد	(٥٢٩ - ٥٣٠ هـ)	
٣١	المقتفي لأمر الله	محمد بن المستظهر	(٥٣٠ - ٥٥٥ هـ)	
٣٢	المستنجد بالله	يوسف بن محمد المقتفي	(٥٥٥ - ٥٦٦ هـ)	- الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان - دعا ٥٣٢ هـ - ت ٥٦٦ هـ
٣٣	المستضيء بأمر الله	الحسن بن المستنجد	(٥٦٦ - ٥٧٥ هـ)	

#	اللقب	الخليفة	فترة الخلافة	الأئمة من أهل البيت المعاصرين
٣٤	الناصر لدين الله	أحمد بن المستضيء	(٥٧٥هـ - ٦٢٢هـ)	• الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة دعا ٥٩٤هـ - ت ٦١٤هـ
٣٥	الظاهر بأمر الله	محمد بن الناصر	(٦٢٢هـ - ٦٢٣هـ)	
٣٦	المستنصر بالله	منصور بن الظاهر	(٦٢٣هـ - ٦٤٠هـ)	
٣٧	المستعصم بالله	عبد الله بن المستنصر	(٦٤٠هـ - ٦٥٦هـ)	• الإمام المهدي أحمد بن الحسين (أبو طير) دعا ٦٤٦هـ - ت ٦٥٦هـ

جدول يقرب أبرز الدول المستقلة عن الدولة العباسية

#	الدولة	التأسيس	الزوال	المنطقة
١	الدولة الأموية في الأندلس	١٣٨ هـ	٤٢٢ هـ	الأندلس
٢	الدولة الطاهرية (الطاهريون)	٢٠٥ هـ	٢٥٩ هـ	نيسابور (شمال شرق إيران)
٣	الدولة الصفارية	٢٤٦ هـ	٢٩٠ هـ	زرنج (أفغانستان)
٤	الدولة الطولونية	٢٥٤ هـ	٢٩٢ هـ	مصر - الشام
٥	الدولة السامانية	٢٠٣ هـ	٣٨٩ هـ	سمرقند - بخارى
٦	الدولة الفاطمية (العبيدية)	٢٩٦ هـ	٥٦٧ هـ	المغرب - مصر - الشام
٧	الدولة الحمدانية	٣١٨	٣٩٣ هـ	الموصل - حلب
٨	الدولة البويهية (بني بويه)	٣٢٠ هـ	٤٤٧ هـ	تبريز - الري - بغداد
٩	الدولة الإخشيدية	٣٢٣ هـ	٣٥٨ هـ	القاهرة - مصر
١٠	الدولة الغزنوية	٣٥١ هـ	٥٨٢ هـ	غزنة - أفغانستان
١١	الدولة السلجوقية	٤٢٩ هـ	٥٢٢ هـ	نيسابور - الري - أصفهان
١٢	الدولة الأيوبية	٥٦٩ هـ	٦٤٨ هـ	مصر - الشام - اليمن
١٣	دولة المماليك	٦٤٨ هـ	٩٢٣ هـ	مصر

١٠	الدولة العثمانية	تأسست ٦٩٨ هـ (١٢٩٩ م)	انتهت ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م)
----	------------------	--------------------------	---------------------------

أبرز الدول المستقلة عن الخلافة العباسية في اليمن

#	الدولة	التأسيس	الزوال	المنطقة
١	الدولة الزيادية (بنو زياد)	٢٠٣ هـ	٤٠٩ هـ	زبيد
٢	الدولة اليعفرية (آل يعفر)	٢٢٥ هـ	٣٨٧ هـ	شبابم - صنعاء
٣	الدولة الزيدية	٢٨٠ هـ	ليست دولة لتزول فهي تمثل الدين الإلهي الحمدى العلوى الزيدى وإنما أوردناها مجاراة مع البقية	
٤	الدولة النجاشية (بنو نجاش)	٤٠٢ هـ	٥٥٢ هـ	زبيد
٥	الدولة الصليحية	٤٢٩ هـ	٥٣٢ هـ	زبيد - صنعاء - جبلة
٦	الدولة الزيدية (آل زريع)	٤٧٥ هـ	٥٧٠ هـ	عدن
٧	الدولة الرسولية (بنو رسول)	٦٢٦ هـ	٨٥٨ هـ	تعز
٨	الدولة الطاهرية	٨٥٥ هـ	٩٤٦ هـ	جبين - الضالع

الغزو العثماني الأول لليمن	بدأ ٩٤٥ هـ	انتهى ١٠٤٤ هـ
الغزو العثماني الثاني لليمن	بدأ ١٢٨٨ هـ	انتهى ١٣٣٠ هـ

الفهرس

٥	مقدمة مكتبة أهل البيت (ع)
١٨	مقدمة التحقيق
٢٦	منظومة عقود المرجان
٣٠	[تقديم الشارح]
٣٤	مطلع القصيدة
٣٥	شرح بلاغي
٥١	الأمة بعد موت النبي ﷺ
٥١	موقف خالد لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما (ت ٧٣هـ):
٥٣	موقف خالد لأبي ذر الغفاري رضي الله عنهما (ت ٣٢هـ):
٥٤	موقف خالد لسلمان الفارسي رضي الله عنهما (ت ٣٥هـ):
٥٤	موقف خالد لعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما (ت ٣٣هـ):
٥٤	موقف خالد لعمار بن ياسر رضي الله عنهما (ت ٣٧هـ):
٥٨	أقسام الصحابة
٥٩	الخوض فيما جرى من الصحابة وفيما شجر بينهم
٦٤	نماذج أخبار عن رجال من هذه الأمة
٦٤	أبو بردة بن أبي موسى الأشعري:
٦٦	قيس بن أبي حازم:
٦٧	ابن شهاب الزهري:
٦٧	مكحول:
٦٧	حماد بن زيد:
٦٨	المغيرة بن شعبة:
٦٨	أبو هريرة:
٦٨	حريز بن عثمان:
٧٠	سمرة بن جندب:

- ٧٢ اعتماد بعض رواة الحديث على مبغضي الإمام علي عليه السلام
- ٨١ زيادة توضيح في تخلف الأمة عن الالتحاق بركب أهل بيت نبيها صلوات الله عليهم
- ٨٧ عقيدة الزيدية العادلة
- ٨٩ الموقف العدل من الخلفاء الثلاثة
- ٩٢ الآثار والنتائج التي نتجت عن أخذ الخلافة على أمير المؤمنين عليه السلام
- ٩٦ شرح بياني
- ٩٨ مقومات الإمامة ومؤهلاتها
- ١٠١ أي الفريقين أهدى
- ١٠٥ مبحث حول الإمام المهدي عليه السلام
- ١١٨ [ذكر ما جرى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم]
- ١٣٧ [لمحة عن خلافة علي عليه السلام]
- ١٤٠ [لمحة عن خلافة الإمام الحسن السبط ثم بداية الملك العضوض]
- ١٤٣ [رأس الفئة الباغية الداعية إلى النار]
- ١٥٠ بداية سلطان معاوية العام
- ١٥٩ [نماذج من أفعال معاوية وعماله بشيعة علي عليه السلام]
- ١٦٣ يزيد بن معاوية (ت ٦٤هـ):
- ١٦٩ معاوية بن يزيد بن معاوية (ت ٦٦هـ):
- ١٧٣ مروان بن الحكم (ت ٦٥هـ)
- ١٧٧ [من هم الروافض]
- ١٧٨ العوامل التي ساعدت على انتشار التسمية
- ١٨٠ عبد الملك بن مروان بن الحكم (ت ٨٦هـ):
- ١٨٧ الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦هـ)
- ١٨٨ سليمان بن عبد الملك (ت ٩٩هـ)
- ١٨٩ عُمَرُ بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ)
- ١٩٥ [ذكر يزيد بن عبد الملك وهشام]

- يزيد بن عبد الملك (ت ١٠٥هـ): ١٩٥
- هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ): ١٩٨
- الإمام زيد بن علي عليه السلام (ت ١٢٢هـ) وغضبه الله ضد هشام بن عبد الملك: ٢٠٠
- ثورة الإمام زيد عليه السلام ضد الظالمين: ٢٠٢
- حقيقة القدر ٢٠٥
- الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (ت ١٢٦هـ): ٢٠٨
- الإمام يحيى بن زيد عليه السلام واستشهاده (ت ١٢٥هـ) ٢١٠
- يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الناقص (ت ١٢٦هـ) ٢١١
- إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (ت ١٣٢هـ): ٢١٣
- مروان الحمار بن محمد بن مروان بن الحكم (ت ١٣٢هـ) ٢١٤
- (الدولة العباسية) ٢١٦
- أبو العباس السَّفَّاح (ت ١٣٦هـ) واستغلاله لشعار أهل البيت عليهم السلام: ٢١٧
- كيفية بداية الدولة العباسية: ٢١٩
- العوامل التي تجعل حكام الجور يتمسكون بالمذاهب المنحرفة عن مذهب أهل البيت عليهم السلام: ٢٣٠
- أبو جعفر الملقب بالمنصور ٢٣٣
- قتل أبي جعفر لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم: ٢٣٤
- أول من سن ظلم أهل البيت (ع) ٢٣٩
- دعوة أهل البيت عليهم السلام ورفض الظالمين لها: ٢٤٠
- الأول: المهدي أبو العباس محمد بن عبد الله بن محمد (ت ١٦٩هـ) ٢٤٢
- أخبار الإمام عيسى بن زيد بن علي عليه السلام (ت ١٦٦هـ) ٢٤٢
- علي بن العباس بن الحسن بن الحسن (ع) ٢٤٣
- عودة إلى ذكر عيسى بن زيد (ع) ٢٤٤
- الثاني: الهادي العباسي موسى بن محمد بن أبي جعفر المنصور (ت ١٧٠هـ) ٢٤٩
- أخبار الإمام الحسين بن علي الفخي (ت ١٦٩هـ) ٢٤٩

- الثالث: الرشيد (الغوي) هارون بن محمد بن عبد الله (ت ١٩٣هـ)..... ٢٥٣
- الإمام يحيى بن عبد الله عليه السلام (ت ١٧٥هـ)..... ٢٥٥
- الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن عليه السلام (ت ١٧٧هـ)..... ٢٥٧
- (الأمين) محمد بن هارون (الغوي) بن محمد بن عبد الله (ت ١٩٨هـ)..... ٢٦٠
- (المأمون) عبد الله بن هارون (الغوي) (ت ٢١٨هـ)..... ٢٦٢
- دين الرعية على دين الراعي..... ٢٦٨
- من ضحايا المأمون..... ٢٧٠
- أخبار الإمام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل عليه السلام (ت ١٩٩هـ)..... ٢٧٤
- (المعتصم) محمد بن هارون - الغوي - (ت ٢٢٧هـ)..... ٢٧٥
- الغناء في العصر العباسي..... ٢٧٨
- المُجُون في العصر العباسي..... ٢٧٩
- (الوائق) هارون بن محمد بن هارون (ت ٢٣٢هـ):..... ٢٨٢
- الأدلة على حدوث القرآن..... ٢٨٤
- الاعتزال في عهد المأمون والمعتصم والوائق..... ٢٨٦
- (المتوكل) جعفر بن محمد بن هارون (ت ٢٤٧هـ):..... ٢٨٩
- [القائمون من العترة أيام المتوكل وضحاياهم]..... ٢٩٢
- فساد الحكم العباسي..... ٢٩٧
- (المنتصر) محمد بن المتوكل (ت ٢٤٨هـ):..... ٢٩٩
- (المستعين) أحمد بن محمد بن هارون (ت ٢٥٢هـ)..... ٣٠١
- صورة من تدهور الخلافة العباسية..... ٣٠٦
- الثاني منهم: (المعتز) الزبير بن جعفر (ت ٢٥٥هـ)..... ٣٠٦
- [القائمون والمقتولون من العترة الطاهرة أيام المعتز]..... ٣٠٨
- وثالثهم: (المهتدي) محمد بن هارون الواثق (ت ٢٥٦هـ)..... ٣١٠
- [علوي البصرة والخارجون في أيام المهتدي]..... ٣١١
- (المعتمد) أحمد بن جعفر المتوكل (ت ٢٧٩هـ):..... ٣١٥

- [القائمون في أيام المعتمد من العترة الزكية]..... ٣١٥
- (المعتضد) أحمد بن طلحة بن جعفر المتوكل (ت ٢٨٩هـ):..... ٣٢١
- ومن قُتِل أيام المعتضد:..... ٣٢٢
- قيام الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في أرض اليمن (ت ٢٩٨هـ):..... ٣٢٥
- (المكتفي) علي بن أحمد المعتضد (ت ٢٩٥هـ)..... ٣٢٦
- (المقتدر) جعفر بن أحمد المعتضد (ت ٣٢٠هـ)..... ٣٢٧
- قيام الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي عليه السلام (ت ٣١٠هـ)..... ٣٢٩
- وأخيه الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي عليه السلام (ت ٣٢٥هـ)..... ٣٢٩
- [الإمام الناصر الأبروروش عليه السلام]..... ٣٣٠
- تواطؤ علماء السوء مع سلاطين الجور..... ٣٣٣
- تمزق بلاد المسلمين..... ٣٣٣
- (القاهر) محمد بن المعتضد (ت ٣٢٢هـ)..... ٣٣٩
- (الراضي) محمد بن جعفر المقتدر (ت ٣٢٩هـ)..... ٣٣٩
- المذهب الأشعري..... ٣٤١
- اتفاق الحنابلة و الأشاعرة في أصول المذهب التقليدي..... ٣٤٢
- مذهب أهل البيت عليهم السلام..... ٣٤٤
- بعض مميزات المذهب الزيدي (مذهب أهل البيت عليهم السلام):..... ٣٤٥
- بناء المذهب الزيدي على فطر العقول وأدلة الكتاب والسنة..... ٣٤٩
- أسباب سقوط أكثر الأمة وتراجعهم بعد عصر الرسالة..... ٣٥٩
- مرتكزات المذاهب المنحرفة عن الإسلام:..... ٣٦٢
- الأول: (المتقي) إبراهيم بن المقتدر (ت ٣٣٣هـ):..... ٣٦٦
- الثاني: (المستكفي) عبد الله بن علي (ت ٣٣٨هـ)..... ٣٧٠
- الثالث: (المطيع) الفضل بن جعفر (ت ٣٦٤هـ)..... ٣٧١
- الرابع: (الطائع) عبد الكريم بن المطيع (ت ٣٨١هـ)..... ٣٧٢
- تأريخ أسود وصورة من ظلم بني أمية وبني العباس..... ٣٧٥

- الأول: (القادر) أحمد بن إسحاق بن المقتدر (ت ٤٢٢هـ)..... ٣٧٩
- الثاني: (القائم) عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٦٧هـ)..... ٣٨١
- الثالث: (المقتدي) عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت ٤٨٧هـ)..... ٣٨٢
- الرابع: (المستظهر) أحمد بن عبد الله المقتدي (ت ٥١٢هـ)..... ٣٨٣
- الخامس: (المسترشد) الفضل بن المستظهر (ت ٥٢٩هـ)..... ٣٨٤
- الأول: (الراشد) جعفر بن المسترشد (ت ٥٣٢هـ)..... ٣٨٦
- الثاني: (المقتفي) محمد بن المستظهر (ت ٥٥٥هـ)..... ٣٨٦
- الثالث: (المستجد) يوسف المقتفي (ت ٥٦٦هـ)..... ٣٨٧
- الأول: (المستضي) الحسن بن يوسف (ت ٥٧٥هـ)..... ٣٨٨
- [لمحة عن الدولة الفاطمية بمصر]..... ٣٨٩
- الثاني: (الناصر) أحمد بن المستضيء (ت ٦٢٢هـ)..... ٣٩٢
- استدعاء جيوش الكفار إلى بلاد المسلمين سنة قديمة للظالمين..... ٣٩٣
- الظاهر محمد بن الناصر (ت: ٦٢٣هـ)..... ٣٩٧
- المستنصر منصور بن الظاهر (ت: ٦٤٠هـ)..... ٣٩٧
- المستعصم عبد الله بن المستنصر (ت: ٦٥٦هـ)..... ٣٩٧
- جدول يوضح حصر خلفاء بني أمية وفترات ملكهم..... ٤٠٠
- جدول يوضح حصر خلفاء بني العباس وفترات ملكهم..... ٤٠٢
- جدول يقرب أبرز الدول المستقلة عن الدولة العباسية..... ٤٠٧
- أبرز الدول المستقلة عن الخلافة العباسية في اليمن..... ٤٠٨
- الفهرس..... ٤٠٩

نَحْمَدُكَ يَا رَبِّ